



الجمهورية
العربية السورية

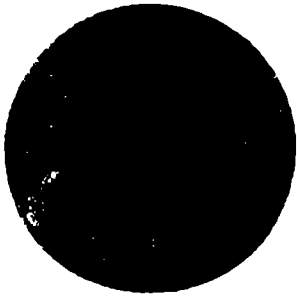
علي الحكيمي

محمد الحكيمي

محمد رضا الحكيمي

الجميلة





الحياة

موسوعة، اسلامية، علمية، موضوعية،
تُخطِّطُ مناهج الحياة الحرة الصاعدة، للفرد
والمجتمع، وتدعو الى دعم نظام إنساني
صالح، في جميع أفاق الارض.

الجزء الخامس

علي الحكيمي

محمد الحكيمي

محمد رضا الحكيمي

- * الحياة
- * محمد رضا الحكيمي، محمد الحكيمي، علي الحكيمي .
- * الجزء الخامس .
- * ١٠٠٠٠ نسخة .
- * الطبعة الاولى (١٤٠٨ هـ .ق - ١٣٦٧ هـ .ش) .
- * مكتب نشر الثقافة الإسلامية (دفتر نشر فرهنگ اسلامي) - طهران .
- * حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين .

الفهرست

٢٧	الفصل ٤١ - الغنى، اطاران وحدان
٢٩	أ- الغنى المقتصد والملتزم (الغنى كوسيلة)
٣٢	ب- الغنى غير المقتصد وغير الملتزم (الغنى كغاية)
	- مسائل :
٣٣	الاولى : التحديث بالنعمة
٣٤	الثانية : الردع عن التظاهر بالفقر
٣٥	الثالثة : لا تحديث بالفقر
٣٦	نظرة الى الفصل
٣٩	- الاحاديث التي تشجب التكاثر وتحد الغنى والامتلاك
٤٤	- تنبيه
٤٧	- دفع لوهم
٥٣	- بحث آخر
٥٦	- تأشير رئيسي بات نثير الاهتمام به
٥٩	الفصل ٤٢ - الاقتصاد وصلته بالعمودين (الاخلاق، القوة)

	أ - الاخلاق الفاضلة :
٥٩	١ - التقوى والحياة المادية
٦١	٢ - الدنيا معمل ومتجر
٦٢	٣ - رفض التقشف الباطل
	٤ - اهمية التجميل والتزين وحسن الملبس والهيئة واستعمال الطيب،
٦٤	دون تبذير وبذخ وسرف
٦٧	٥ - من اسباب السعادات
٦٨	تنبيه هام
	ب - القوة الغالبة :
٦٩	١ - القوة والعزة الشعبية
٧٠	٢ - القوة والمنعة العسكرية
٧٣	نظرة الى الفصل
٧٤	- تذييل
٧٧	الفصل ٤٣ - اصالة التذرع بالموهب الطبيعية والاستمتاع الملتزم منها للفرد والمجتمع
٧٨	أ - قيمة الحياة واهميتها
٧٩	ب - حث وتحضيض
٧٩	ج - التزام وتيقظ
٨٠	د - اغتتم، ثم اغتتم
٨٠	هـ - المحاولة ودورها الهام
٨١	نظرة الى الفصل
٨٥	الفصل ٤٤ - الاقتصاد، اصالة اسلامية
٩٢	نظرة الى الفصل
٩٦	- تذييل : عمود العمود عمود
٩٩	الفصل ٤٥ - الاخوة الاسلامية والاقتصاد

الفهرست

- نبذة من مظاهر الاخوة الاسلامية في الحقل الاقتصادي :

- أ- اداء حاجة المسلم ١٠٠
ب- المؤاساة لاهل الحاجة ١٠٠
ج- الاخوة والحق العظيم الاقتصادي والمعيشي ١٠١
د- الاخوة والايثار المالي ١٠١
هـ- الملكية الاخوية ١٠١
و- رفض الاستئثار على الاخ الديني ١٠٢
ز- حفظ الاخوة بالمؤاساة ١٠٢
ح- نظام الدين بمؤاساة الاخوان ١٠٢
ط- الاخاء الصادق والمستوى المعيشي ١٠٣
ي- المساواة المالية ١٠٣
يا- لا يظلم الاخ المسلم، اجيراً كان او غيره (١) ١٠٤
يب- لا يظلم الاخ المسلم، اجيراً كان او غيره (٢) ١٠٤
يج- لا إغسار ولا تضيق ١٠٤
يد- ثواب معونة المسلم وعقاب تركها ١٠٤
يه- مسرة رسول الله «ص» بقضاء الحاجات ١٠٦

نظرة الى الفصل

- تذييب ١٠٩

الفصل ٤٦- المؤاساة، اصل عظيم ١١١

أ- المؤاساة والايمن ١١١

ب- المؤاساة، الرشد العقلي ١١٢

ج- المؤاساة، العمل الصالح ١١٣

د- مساءلة الاخوان وزيارتهم وتعاهدهم ١١٣

هـ- دور الواقع الاقتصادي في فعالية الايمان واستقراره ١١٤

و- حب الاخوان واهميته من الجهة الاقتصادية ١١٤

- ز- هذه هي الاخوة .. ١١٥
- ح- الاخوة الاسلامية والتحذير من الخيانة الاقتصادية فيها ١١٦
- ايقاظ هام : الاسلام العلوي، بعض ملامحه وسماته في المجالات الاقتصادية والمعيشية، مما يجسد الاسلام المخمدي المحض :
- ١- الايثار على النفس (الاقتصاد والمعيشة) ١١٧
- ٢- تعهد الجيران (الاقتصاد والمعيشة) ١١٧
- ٣- التواسي المالي (الاقتصاد والمعيشة) ١١٧
- ٤- حب الانفاق على الآخرين (الاقتصاد والمعيشة) ١١٨
- ٥- العيادة والصلة (الاقتصاد والمعيشة) ١١٨
- ٦ - القناعة، حتى تصل المعاش الى الآخرين (الاقتصاد والمعيشة) ١١٨
- ٧ - نيل الولاية بالمؤاساة (الاقتصاد والمعيشة) ١١٩
- ٨- المؤاساة ترادف الصلاة في المواقيت (الاقتصاد والمعيشة) ١١٩
- ٩- المؤاساة مما يمتحن به (الاقتصاد والمعيشة) ١١٩
- ١٠- المؤاساة مما امروا به (الاقتصاد والمعيشة) ١٢٠
- تربيته عظيمة ١٢٠
- نظرة الى الفصل ١٢٢
- الفصل ٤٧- مبدأ المساواة في الاسلام ١٢٣
- أ- ان الله تعالى يدعو الى المساواة ١٢٤
- ب - ان اولياء الله تعالى يدعون الى المساواة، او واقع التسوية في العهود الاسلامية :
- ١- في العهد النبوي ١٢٥
- ٢- في العهد العلوي ١٢٦
- ٣- خط ذهبي في جبين التاريخ ١٢٩
- تنبيهان هامان ١٢٩

- ١٣١ ٤- شعاع الهي على قمة الاعصار
- ١٣٢ ٥- تعاليم وهدايات :
- ١٣٢ - من التعليم السجادي
- ١٣٢ - من التعليم الباقرى
- ١٣٢ - من التعليم الصادقى
- ١٣٣ تنبيه
- ١٣٧ - من التعليم الكاظمى
- ١٣٧ - من التعليم الرضى
- ١٣٩ ٦- فى العهد المهدي
- ١٣٩ ج- معلم وضاح (١)
- ١٤٠ د- معلم وضاح (٢)
- ١٤١ هـ- الوضع المطلوب للنظام الاقتصادى فى الاسلام
- ١٤٢ و- ايقاظ دينى وتربوى واجتماعى واصلاحى هام
- ١٤٥ ز- الفقه القديم يؤكد على تبنى «مبدأ المساواة»
- ١٤٦ ح- الثورات الدائمة تبنى «مبدأ المساواة»
- ١٤٧ ط- مثال اعلى
- ي - اصلا ن تربويان عظيمان :
- ١٤٨ الاصل الاول : المساواة فى التعليم
- ١٥٠ الاصل الثانى : المساكن ولزوم تعليمهم وتثقيفهم
- ١٥١ نظرة الى الفصل
- الاصول الرئيسية التى تدعو الى «المساواة» :
- ١٥٣ ١- اصل التوحيد
- ١٥٥ ٢- اصل تساوى الناس فى الخلق
- ١٥٦ ٣- اصل كرامة الانسان
- ١٥٧ ٤- اصل الاخوة الايمانية
- ١٥٧ ٥- اصل محدودية الانسان التكوينية فى استغلال المواهب

- ١٥٧ ٦- اصل رفض التكاثر (الاقتصاد الحر)
- ١٥٧ ٧- اصل البنوة الاسلامية
- ١٥٨ ٨- اصل شجب الاثرة والمحاباة
- ١٥٨ ٩- اصل تعميم المواهب المعيشية
- ١٥٩ ١٠- اصل قوامية المال وتساويها للجميع
- ١٦٠ ١١- اصل محدودية الامتلاك في التشريع الاسلامي
- ١٦٠ ١٢- اصل محدودية الاستهلاك في التشريع الاسلامي
- ١٦١ ١٣- اصل الانفاق
- ١٦١ ١٤- اصل الاقتصاد في المعيشة
- ١٦١ ١٥- اصل العدل (التوازن الاقتصادي) وتقريب مستوى العيش للجميع
- ١٦٢ ١٦- اصل الاحسان (الانسجام المعيشي)
- ١٦٢ ١٧- اصل اسناد الفضل والميزة الى التقوى
- ١٦٢ ١٨- اصل رابطة العدل والتسوية
- ١٦٣ ١٩- اصل رفض الاسراف والتبذير والتقتير
- ١٦٣ ٢٠- اصل كفاح الفقر واستئصاله
- ١٦٤ ٢١- اصل شجب الاستضعاف
- ١٦٤ ٢٢- اصل تمويل الفقير لان يلحق عياله بالناس
- ١٦٥ - تنبيه
- ١٦٦ - تذكير

١٦٧ الفصل ٤٨- القسط الاسلامي

القسط القرآني، تجسيد و تجسيد :

- ١٧٠ ١- النبي الاعظم «ص» والقسط
- ١٧٤ ٢- الامام علي بن ابي طالب «ع» والقسط
- ١٧٧ ٣- ثورة عاشوراء والقسط
- ١٨٢ ٤- الامام الصادق «ع» والقسط

- ١٨٤ ٥- الحكم المنتظر والقسط
- ١٨٦ الماح الى سر كبير
- ١٨٨ الحيف يدعو الى السيف
- ١٨٩ المقياس الفاصل بلاريب
- ١٩١ نظرة الى الفصل
- ١٩٤ - ايقاظ هام (١) : الحكم الاسلامي والقسط
- ١٩٩ - ايقاظ هام (٢) : التقنين الاسلامي والقسط
- ٢٠٠ - ايقاظ هام (٣) : العدل والتوحيد علويان
- ٢٠٠ - ايقاظ هام (٤) : الايمان بالبعث والكفر بالبعث الآخر
- ٢٠١ - ايقاظ هام (٥) : اهمية توعية الناس بواقع الدين
- ٢٠٣ - ايقاظ هام (٦) : القوامية بالقسط واجب من؟
- ٢٠٣ - ايقاظ هام (٧) : القرآن، كله لا بعضه
- ٢٠٨ - ايقاظ هام (٨) : النضال ضد الجوع
- تنبيهات هامة :
- ٢١٦ ١- اشباع الجائعين، اصل وتعميم (١)
- ٢١٧ ٢- اشباع الجائعين، اصل وتعميم (٢)
- ٢١٧ ٣- اشباع الجائعين، صور فاضلة
- ٢١٨ ٤- اشباع الجائعين ودوره في تحكيم الصلات الاقتصادية
- ٢١٩ ٥- اشباع الجائعين ودوره في صيانة الكيان السياسي
- ٢٢٠ ٦- اشباع الجائعين، الواجب الكبير
- ٢٢٠ ٧- اشباع الجائعين ودوره في بناء الانسان الخلقي
- ٢٢١ ٨- اشباع الجائعين ودوره في الكيان الديني
- ٢٢١ ٩- اشباع الجائعين واطعام الآخرين، مكارم وآداب
- ٢٢٢ ١٠- اشباع الجائعين، تجسيد مستوعب
- ٢٢٣ الفصل ٤٩- مضادة التكاثر والفقير للقسط الاسلامي

٢٢٥	نظرة الى الفصل
٢٢٧	- تنبيه
٢٢٧	- توضيحان
٢٢٨	- تذييل هام: تفسير الطبقات بمقياس التعاليم الاسلامية، و التكاثرية
٢٢٩	١- تفسير الطبقيه في مفهومها الاسلامي
٢٣٥	٢- تفسير الطبقيه في مفهومها التكاثري
٢٤٠	الفصل ٥٠- الاصلاح الاجتماعي، مقاطعة ودفاع
٢٥٦	نظرة الى الفصل
٢٥٨	- اصل وتنبيه
٢٦١	- اخطار: السيدة خديجة في الجاهلية وفي الاسلام
٢٦٣	الباب الثاني عشر: المدخل الى دراسة الاقتصاد الاسلامي (اصول عامة)
٢٦٥	الفصل ١- صور المالكية
٢٦٥	أ- مالكية الله تعالى
٢٦٦	ب- مالكية الحكم الاسلامي
٢٦٧	ج- مالكية الناس عامة
٢٦٩	د- مالكية الناس خاصة
٢٧١	نظرة الى الفصل
٢٧٢	الفصل ٢- الارض .. موضوعه للانام
٢٧٧	نظرة الى الفصل
٢٧٩	- تنبيه
٢٨١	- اشارة
٢٨٢	الفصل ٣- المواهب والاموال، تعميم وتأميم
٢٩٠	نظرة الى الفصل

٢٩١	الفصل ٤ - العمل والعمالة، ودورهما الرئيسي في البناء الاقتصادي (١)
٢٩١	أ- العمل في سنة التكوين
٢٩٤	ب- العمل في سنة التشريع
٢٩٥	ج- الحث على العمل (١)
٢٩٧	د- الحث على العمل (٢)
٢٩٨	هـ- اتقان العمل
٢٩٩	و- انتظام العمل
٢٩٩	ز- العمل بالعلم والاختصاص
٣٠١	ح- العمل بالالتزام
٣٠٢	نظرة الى الفصل

- شرح الجهات الهامة التي تركز قيمة العمل :

٣٠٣	١- الجهة الطبيعية
٣٠٤	٢- الجهة الانسانية الجسمية
٣٠٤	٣- الجهة الانسانية الروحية
٣٠٥	٤- الجهة الحياتية
٣٠٥	٥- الجهة التربوية
٣٠٥	٦- الجهة التعليمية
٣٠٦	٧- الجهة الاخلاقية
٣٠٦	٨- الجهة التكاملية
٣٠٧	٩- الجهة الاجتماعية
٣٠٨	١٠- الجهة البيئية
٣٠٨	١١- الجهة الاقتصادية
٣٠٩	١٢- الجهة التشريعية
٣١٠	١٣- الجهة الثقافية
٣١٠	١٤- الجهة السياسية
٣١١	١٥- الجهة الدفاعية

٣١١	١٦- الجهة الفنية
٣١٢	١٧- الجهة الصحية
٣١٢	١٨- الجهة التقدمية
٣١٣	١٩- الجهة الصناعية
٣١٣	٢٠- الجهة الرفاهية
٣١٤	الفصل ٥- العمل والعمالة، ودورهما الرئيسي في البناء الاقتصادي (٢)
٣١٤	أ- تقسيم الوقت
٣١٦	ب- تقسيم العمل
٣١٦	ج- العمل ودوره في مطاردة الفقر
٣١٨	د- العمل ودوره في صيانة الدين
٣١٨	هـ- السعي والمثابرة في العمل
٣١٩	و- الاغتراب في طلب الرزق والتماس العمل
٣٢٠	ز- لا يستجاب دعاء الفارغ والعاطل
٣٢١	ح- الانبياء والاصياء والعمل
٣٢٥	تنبيه
	تذييلان :
	أ- العمل، اخلاق و آداب :
٣٢٦	١- رعاية الاعتدال
٣٢٧	٢- لا حرص ولا ضعف
٣٢٧	٣- الحذق و استعماله
٣٢٧	٤- الالتزام بالامانة
٣٢٧	٥- حسن التعامل
٣٢٨	٦- التحذير من التسويف وتضييع اوقات الناس
٣٢٨	ب- لا عمل للحكم الجائر
٣٣٠	نظرة الى الفصل

الفهرست

- ٣٣٢ الفصل ٦- العطل والكسل، استنكار ورفض
- ٣٣٢ أ- العطل
- ٣٣٤ ب- الكسل
- ٣٣٦ نظرة الى الفصل
- ٣٣٨ - تدليل
- ٣٤٢ - تكميل : النبي «ص» يقبل يد العامل
- ٣٤٣ الفصل ٧- الفلاحة والزراعة
- ٣٤٧ - تذييل : الزراعة، آداب و حقوق
- ٣٤٩ نظرة الى الفصل
- ٣٥٠ الفصل ٨- الرعي وتربية المواشي
- ٣٥٢ الفصل ٩- البحر، صيده واستخراج فوائده والصناعة البحرية واهمية طرق البحر
- ٣٥٤ نظرة الى الفصل
- ٣٥٦ الفصل ١٠- الصناعات والاختراعات
- ٣٥٩ اشارة : الكشوف والاختراعات التي تكون رهينة العصور وتطوراتها
- ٣٦٠ نظرة الى الفصل
- ٣٦١ الفصل ١١- الاخصائية الملتزمة
- ٣٦٤ نظرة الى الفصل
- ٣٦٦ الفصل ١٢- الاجراء، الفلاحون، العمال، لا ظلم ولا استغلال
- ٣٦٩ نظرة الى الفصل
- ٣٧١ الفصل ١٣- الاستيراد والبيع

- أ- الحض على الكسب والاستيراد ٣٧٣
- ب- الفقه ثم المتجر (الكسب والاستيراد) ٣٧٣
- ج- السنة في البيع والشراء ٣٧٤
- د- تحديد الربح ٣٧٧
- هـ- شجب الارباح الضخمة والتكاثرية ٣٧٧
- و- السماح والسهولة في البيع ٣٧٩
- ز- البيع في الظلال غش ٣٨٠
- ح- الغش ورفضه الحاسم ٣٨٠
- ط- غبن المؤمن والمسترسل ربا ٣٨١
- ي- الصدق واخذ الحق واعطاؤه، والافالفجور ٣٨١
- يا- شراء الجيد وبيع الجيد ٣٨٣
- يب- لا يمين في البيع ٣٨٣
- يج- لا يخس لاشياء الناس ٣٨٣
- يد- لا تطفيف ولا اخسار ٣٨٤
- يه- لا تسويف ولا تأخير ٣٨٤
- يو- مجادلة السيوف اهون من طلب الحلال ٣٨٤
- يز- بيع المضطرين ممنوع ٣٨٤
- يح- رفض الوساطة في البيع ٣٨٥
- يط- حق الميزان والوفاء به ٣٨٥
- ك- لا يباع السلاح من اعداء الاسلام ٣٨٦
- تنبيه ٣٨٦
- كا- اي كاسب حبيب الله؟ ٣٨٧
- كب- تدن وسقوط ٣٨٧
- كج- قيم مثلى للحياة الاسلامية في الاسواق ٣٨٧
- كد- اوقات وحقوق ٣٨٨
- كه - السوق سوقان

- ٣٨٩ ١- مسيرة الى الله ومغفرته وجنته
- ٣٨٩ ٢- ميدان الشيطان ومحضره
- تتميمات :
- ٣٩٠ ١- التعريف بشر الناس
- ٣٩١ ٢- الظلم الذي لا يترك
- ٣٩١ ٣- خلط الطعام في البيع
- ٣٩٢ نظرة الى الفصل
- ٣٩٤ - الاحاديث المؤشرة للبيع والاستيراد الاسلامي
- ٣٩٨ - تذييلات
- ٤٠٠ الفصل ١٤- الربا، سحق جبار
- ٤٠٠ أ- اكل الربا عمل شيطاني
- ٤٠٠ ب- اذان الحرب من الله تعالى
- ٤٠٠ ج- الربا يمحق
- ٤٠١ د- المؤمن لا يأكل الربا
- ٤٠١ هـ- اكل الربا سيرة يهودية
- ٤٠١ و- الربا مضاعفة وتكاثر
- ٤٠٢ ز- شر المكاسب واخبثها
- ٤٠٣ ح- الوزر الاكبر
- ٤٠٣ ط- اخوف ما يخاف منه على الامة
- ٤٠٤ ي- اكل الربا بالحيلة
- ٤٠٤ يا- الربا وفساد الاموال والتجارات وتعطيل حركة العمل
- ٤٠٥ يب- آكل الربا ملعون
- ٤٠٥ يج- آكل الربا يقتل
- ٤٠٦ يد- اوزار وعظام
- ٤٠٧ يه- احوال عظيمة

- ٤٠٨ يو- الربا يمحق الدين
- ٤٠٨ يز- الربا ظلم
- ٤٠٨ يح- ذهاب المعروف
- ٤٠٩ يط- الربا هلاك فردي
- ٤٠٩ ك- الربا هلاك اجتماعي
- ٤١٠ نظرة الى الفصل
- ٤١٢ الفصل ١٥- الاحتكار
- ٤١٢ أ- احتكار الاموال
- ٤١٣ ب- احتكار الارزاق
- ٤١٣ ج- الاحتكار وإضراره بدين المحتكر
- ٤١٣ د- الاحتكار وإضراره بدنيا المحتكر
- ٤١٤ هـ- الاحتكار وإضراره بالمجتمع
- ٤١٤ و- الاحتكار وإضراره بالحكم
- ٤١٤ ز- الاحتكار خطأ، دناءة، رذيلة وشرارة
- ٤١٥ ح- الاحتكار فجور
- ٤١٥ ط- المحتكر آثم
- ٤١٥ ي- المحتكر ملعون
- ٤١٦ يا- المحتكر شر من السارق
- ٤١٦ يب- التجار والاحتكار
- ٤١٧ يج- المنع من الاحتكار
- ٤١٧ يد- لا كفارة للاحتكار
- يه - عذاب المحتكرين :
- ١ - عقوبتهم في الدنيا:
- ٤١٨ أ- بما يناسب فعلهم
- ٤١٨ ب- باظهار ما يحتكرون

- ٤١٩ ج- باحراق اموالهم و ابادتها
٤١٩ ٢- عذابهم في الآخرة
تذييل : مسؤولية الحكم الاسلامي بالنسبة الى المحتكرين
٤١٩ و عرض اموالهم على الناس و اجبارهم على البيع
تتميمان :
- ٤٢٢ ١- تعيين موضوعات الاحتكار
٤٢٥ ٢- التسعير
٤٣١ تذييب
- ٤٣٣ نظرة الى الفصل
٤٣٩ - تنبيه
٤٤٠ - ايقاظ
- ٤٤١ الفصل ١٦- الانفاق (١)
٤٤١ - نظرة عامة
٤٤٢ أ- الانفاق، مبنى واصل
٤٤٤ ب- الانفاق، من اركان الايمان
٤٤٥ ج- الانفاق، من دعائم الحياة الاجتماعية و بقائها
٤٤٦ د- الانفاق، زينة اليقين
٤٤٦ هـ- الانفاق، اعظم نعمة
- ٤٤٧ الفصل ١٧- الأنفاق (٢)
- عظمته و اهميته :
٤٤٧ أ- رديف الايمان بالغيب
٤٤٧ ب- رديف اقامة الصلاة
٤٤٨ ج- رديف القتال في سبيل الله و الجهاد بالنفس

- ٤٥٠ د- رديف السهر لصلاة الليل والتجافي عن المضاجع
 ٤٥١ هـ- رديف الصبر والقنوت والاستغفار بالاسحار
 ٤٥٢ و- رديف النصح لله وللرسول «ص»
 ٤٥٢ ز- رديف الاستجابة للرب تعالى
 ٤٥٣ ح- احد ملاكات الايمان الحق
 ٤٥٣ ط- من علائم الصدق والالتزام
 ٤٥٤ ي- من سمات المتقين
 ٤٥٤ يا- درجات ومغفرة ورزق كريم
 ٤٥٥ يب- النجاة من الخوف والحزن اللازمين للانسان في احواله الآتية

٤٥٦ الفصل ١٨ - الانفاق (٣)

- آثاره الخالدة :
 ٤٥٦ أ- مكتوب عند الله محسوب
 ٤٥٧ ب- إخلاف الله له
 ٤٥٨ ج- اجور مضاعفة
 ٤٥٩ د- شكران للنعمة
 ٤٦٠ هـ- عمل لنفسك
 ٤٦١ و- حمل الزاد ليوم المعاد
 ٤٦٣ ز- تجارة لن تبور
 ٤٦٣ ح- شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة
 ٤٦٤ ط- لا ضرر ولا نقصان في الانفاق
 ٤٦٥ يا- لا توفيق الا في الانفاق
 ٤٦٥ يب- ليس لك الا ما انفقت
 ٤٦٦ يج- لا ينفع المال بلا انفاق
 ٤٦٦ يد- شر المال ما لم ينفق منه (١)
 ٤٦٦ يه- شر المال ما لم ينفق منه (٢)

٤٦٧	الفصل ١٩- الانفاق (٤)
	- احوال و اوقات :
٤٦٧	أ- سرّاً
٤٦٧	ب- علانية
٤٦٨	ج- بالليل
٤٦٨	د- بالنهار
٤٦٨	هـ- في السراء
٤٦٨	و- في الضراء
٤٦٨	ز- فرص مؤاتية والتحذير من فواتها
٤٧٠	ح- الانفاق، بذل و بذل
٤٧٠	ط- هم الاخسرون الا المتقين
٤٧١	ي- اهمية الانفاق في ازمنة العسرة والياس من غلبة الحق
٤٧٣	الفصل ٢٠- الانفاق (٥)
	- بعض مناشئ اهماله و تركه :
٤٧٣	أ- سوء الظن بالله تعالى
٤٧٤	ب- النفاق والكذب
٤٧٥	ج- الكفر
	مغبات ترك الانفاق و اهماله :
	١ - المغبات الفردية :
٤٧٥	أ- الدنيوية
٤٧٦	ب- الاخروية
	٢ - المغبات الاجتماعية :
٤٧٧	أ- الدنيوية
٤٧٨	ب- الاخروية
٤٧٩	٣- المغبة الكبرى : الابتعاد عن الله تعالى
٢١	

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...

القرآن ٢٤-٨

يتبع :

«الباب الحادي عشر»

* سلف من فصول «الباب الحادي عشر» أربعون فصلاً، في الجزءين، الثالث والرابع؛ وإلى القارئ، الفصل الحادي والأربعين إلى الفصل الخمسين، من الباب المذكور، وعشرين فصلاً من «الباب الثاني عشر»، في هذا الجزء:

الفصل الحادي والأربعون

الغنى، إطاران وحدان

لقد وَرَدَتْ فِي التَّعَالِيمِ، مَقَاطِعُ تَمَدُّحِ الْغِنَى وَتَنْوَهُ بِشَأْنِهِ، وَتَحُضُّ عَلَيْهِ وَتَدُلُّ عَلَى مَطْلُوبِيَّتِهِ، وَتَعُدُّ سَعَةَ الْمَالِ مِنَ النَّعْمِ، كَمَا وَرَدَتْ فِي الْأَدْعِيَةِ الشَّرِيفَةِ جُمْلُ طُلِبَتْ بِهَا السَّعَةُ وَالْغِنَى . وَهَنَّاكَ آيَاتٌ تُنَدِّدُ بِالْمُوسِرِينَ وَالْمُتَرَفِينَ - وَهُمْ الْاَغْنِيَاءُ طَبْعاً - وَبِالْاَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَاحَادِيثُ كَثِيرَةٌ تُذَمُّ الْغِنَى ذِمًّا حَاسِمًا وَتَمَقَّتُ الْاَغْنِيَاءَ وَالْمُوسِرِينَ وَتَزَدَّرِيهِمْ وَتَرْسُمُ ذِمَاتِهِمْ صِفَاتِهِمْ، وَتُحَذِّرُ الْمَجْتَمَعَ مِنْهُمْ وَمَنْ نَزَعَاتِهِمْ الْمُعْتَدِيَةَ، وَمَنْ الْاِقْتِرَابِ مِنْهُمْ، بَلْ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى رَفْضِهِمْ وَمَحَارَبَتِهِمْ - وَلَقَدْ مَرَّتْ نَبْذَةٌ مِنْهَا فِي سَالِفِ الْفُصُولِ - وَهَنَّاكَ فِي الْاِحَادِيثِ مَا يَدْعُو إِلَى الْاِحْتِرَازِ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ وَالْاِفْتِنَانِ بِهَا .

فِي هَذَا الضَّوِّءِ، إِنَّ السُّؤَالَ الَّذِي يُوَاكِهِنَا هُوَ أَنَّهُ كَيْفَ يُوَفَّقُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ التَّعَالِيمِ؟ فَنَقُولُ: لَقَدْ أَرَشَدْتَنَا تَلْكَمُ التَّعَالِيمِ نَفْسُهَا إِلَى ذَلِكَ التَّوْفِيقِ؛ فَمَعَالِمُ الْحَقِّ وَاضِحَةٌ، وَتَعَالِيمُ دِينِ اللَّهِ الْحَنِيفِ مُبَيَّنَةٌ . وَعَلَيْنَا أَنْ لَا نَمِيلَ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَأَنْ لَا نَحِيدَ عَنِ الْمَهْيَعِ اللَّاحِبِ، وَأَنْ نَتَحَرَّزَ مِنَ الْاِنْحِيَازِ، وَأَنْ نَسْتَقِيَّ الْعِلْمَ مِنْ يَنَابِيعِهِ، وَأَنْ نَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ بِشَكْلِ مَوْضُوعِيٍّ مَجْمُوعِيٍّ، إِذِ الدِّينُ فِي حَالَةِ صَلَاحِهِ بَعْضُ اِحْكَامِهِ بِالْبَعْضِ الْآخِرِ (وَرِعَايَةِ «الْمَرْكَزِ»

و«الترايط» في الاحكام)، يهدي الانسان ويأخذ بيده في مغاور الحياة الشاسعة، ويصنع المجتمع الانساني ويخلق به الى اوج الفضيلة والحق، والعظمة والعدل، والمثالية والقسط. ولا جل ذلك نَشَاهِدُ أَنَّ النَّبِيَّ الْاَعْظَمَ «ع» حينما يُرْسِلُ الصَّحَابِيَّ الْمَعْرُوفَ مَعَاذَ بَنِ جَبَلٍ، الى الْيَمَنِ لِصُنْعِ مَجْتَمَعٍ اِسْلَامِيٍّ، يَسُوْدُهُ الْاِسْلَامُ وَيَحْكُمُ فِيهِ الْقُرْآنُ، يُوصِيهِ بِأَنْ يُظْهَرَ «أَمْرَ الْاِسْلَامِ كُلَّهُ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ»^١. والتأكيد على هذا الموقف، يعني اظهار امر الاسلام كله، صغيره وكبيره، فقهيته واخلاقه،^٢ هو ملاك صنع المجتمع الاسلامي وارساء قواعد حكومته؛ فلتكن لنا في رسول الله «ص» أسوة حسنة. واما الغنى، على حسب ما نفهمه من مجموع التعاليم القرآنية والحديثية، والجمع بين بعضها مع بعض، فهو قسمان كما، ونوعان كيفاً، اما الاولان فهما:

١ - الغنى المُقتصد.

٢ - الغنى المُفرط.

واما الثانيان فهما:

١ - الغنى المُلتزم.

٢ - الغنى اللامُلتزم.

والاولان من الاولين والثانيين ممدوحان. وهما مُتَّحِدَانِ بِحَسَبِ الْوَاقِعِ وَالْمُصَدَّقِ فِي الْاِغْلَبِ. والثانيان من الاولين والثانيين مرفوضان، وهما ايضاً مُتَّحِدَانِ بِحَسَبِ الْوَاقِعِ وَالْمُصَدَّقِ فِي الْاِغْلَبِ.

فكلُّ ما كان من الغنى مطابقاً لموازين الاعتدال والقصد كما وامتلاكاً، راجعاً الى الخير والفضيلة والعدل والاحسان والحق

١ - تحف العقول / ٢٥.

٢ - على حسب المصطلح.

كيفاً واستهلاكاً، فهو ممدوحٌ مطلوب . وكلُّ ما جاوزَ تلك الموازينَ
كماً وامتلاكاً، وكان راجعاً الى التَّفَاخِرِ والاعتدَاءِ والتَّكَاثُرِ ومنعِ
الحقوقِ واستغلالِ النَّاسِ كيفاً واستهلاكاً، فهو مذمومٌ مرفوض .
فللغنى إطاران كيفاً وحدان كماً، ولعلَّ الآياتِ والاحاديثَ
المذكورةَ في الفصولِ السَّالفةِ، تكفي لآن ترسُمَ هذين الإطارينِ
وتحدِّ هذين الحدَّينِ، وتُجسِّدُ امامَ القارئِ أنَّ الغنى قد يُنظَرُ اليه
كوسيلةٍ، مع رعايةِ الحدِّ فهو مطلوب، وقد يُنظَرُ اليه كهدفٍ فهو
مذموم، ومأله الى عبادةِ الدِّينارِ والدَّرهمِ واتِّخاذِ المالِ صنماً .
فعلاوةً على ما مرَّ نُقدِّمُ الى القارئِ في هذا الفصلِ شذرةً أُخرى من
تلك التَّعاليمِ :

أ - الغنى المقتصد والملتزم (الغنى كوسيلة)

الكتاب

- ١ وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تُقربكم عندنا زُلْفَى الا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً،
فأولئك لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بما عَمِلُوا، وهم في الغُرُفَاتِ آمِنُونَ * ١
- ٢ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، ذَلِكَمُ
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * ٢
- ٣ اِنْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ذَلِكَمُ خَيْرٌ

١ - سورة سبأ (٣٤) : ٣٧ .

٢ - سورة الصَّفِّ (٦١) : ١١ .

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * ١

الحديث

١ النبي «ص»: طوبى لِمَنْ اِكْتَسَبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَالاً مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَأَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ .. ٢

٢ الامام علي «ع» - دخل على العلاء بن زياد الحارثي، وهو من اصحابه يُعُودُه، فَلَمَّا رَأَى سَعَةَ دَارِهِ قَالَ: مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجُ؟ وبلى، إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطَلِّعُ مِنْهَا الْحَقُوقَ مَطَالِعِهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ. ٣

٣ الامام علي «ع»: .. إِنْ مِنَ النُّعْمِ سَعَةَ الْمَالِ. ٤

٤ الامام علي «ع»: .. أَمْسِكِ الْمَالَ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ. ٥

٥ الامام الباقر «ع»: وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ «ع»: «أَلَا! إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ؛ إِذَا أَدَّوْا فَرَايَضَ اللَّهِ، وَأَخَذُوا بِسُنَنِ

١ - سورة التوبة (٩): ٤١.

٢ - تحف العقول / ٢٨.

٣ - نهج البلاغة / ٦٦٢ - ٦٦٣؛ عبده ٢ / ٢١٣.

٤ - نهج البلاغة / ١٢٧١؛ عبده ٣ / ٢٤٧. راجع ايضاً: الفصل ٣١، من الباب ١٢، فقرة «ب».

٥ - نهج البلاغة / ٨٧١؛ عبده ٣ / ٢٣.

رسول الله، وتورعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا، ورغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطيب من رزق الله - لا يريدون التفاخر والتكاثر - ثم أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة؛ فأولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا، ويثابون على ما قدموا لآخرتهم^١.

٦ الامام الصادق «ع»: غنى يحجزك عن الظلم، خير من فقر يحملك على الإثم^٢.

٧ الامام الصادق «ع» - ذكر رجل عند ابي عبدالله «ع» الاغنياء ووقع فيهم، فقال ابو عبدالله: أسكت! فإن الغني إذا كان وصولاً لرحمه، باراً باخوانه، أضعف الله له الاجر ضعفين، لأن الله يقول: «وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا، وهم في الغرفات آمنون»^٣.

٨ الامام الكاظم «ع»: يا هشام! من أكرمه الله بثلاث فقد لطف له: عقل يكفيه مؤونة هواه، وعلم يكفيه مؤونة جهله، وغنى يكفيه مخافة الفقر^٤.

* مقتضى الجمع، هو تبرير الغنى المقتصد الذي يوافق الحد القوامي للمال، لغاية دفع الفقر ورفع الكل عن الناس، والانفاق والبذل وصلة الرحم وبر الاخوان واداء سائر الحقوق الظاهرة والباطنة.

١ - تفسير نور الثقلين ٢ / ٣٠٩.

٢ - الكافي ٥ / ٧٢.

٣ - تفسير القمي ٢ / ٢٠٣.

٤ - تحف العقول / ٢٩٥.

٩ الامام الرضا «ع»: «إِنَّ الَّذِي يَطْلُبُ مِنْ فَضْلِ ، يَكْفُ بِهِ عِيَالَهُ ، أَعْظَمُ اجْرَاءً مِنَ الْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .^١

* يُقَيِّدُ الْإِمَامُ «ع» كَلَامَهُ فِي طَلْبِ فَضْلِ ، بِأَنْ يَكُونَ لَكْفُ الْعِيَالِ . وَهَذَا هُوَ الْغِنَى الْمَقْتَصِدُ الْقَوَامِيُّ الْمَلْتَزِمُ .

ب- الغنى غير المقتصد وغير الملتزم (الغنى كفاية)

الكتاب

- ١ أَلْهَأُكُمْ التَّكَاثُرَ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ *^٢
- ٢ كَلَّا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَى * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى *^٣
- ٣ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ..^٤

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: «الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ .^٥

١ - تحف العقول / ٣٢٨ .

٢ - سورة التكاثر (١٠٢) : ١ - ٢ .

٣ - سورة العلق (٩٦) : ٦ - ٧ .

٤ - سورة الانفال (٨) : ٢٨ .

٥ - نهج البلاغة / ١١١٣ : عبده ٣ / ١٦٤ .

- ٢ الامام علي «ع» : .. اِعْلَمُوا أَن كَثْرَةَ الْمَالِ مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ، مَقْسَاةٌ لِلْقُلُوبِ .^١
- ٣ الامام علي «ع» : .. فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدَ، جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ وَالِاخْتِبَارِ، فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى وَالِاِقْتَارِ..^٢
- ٤ الامام الصادق «ع» : فِيمَا تَأَجَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مُوسَى : يَا مُوسَى ! لَا تَرَكَنْ إِلَى الدُّنْيَا رُكُونَ الظَّالِمِينَ، وَرُكُونَ مَنْ اتَّخَذَهَا أَبًا وَأُمًَّ .. وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ فِتْنَةٍ يَدُوهَا حُبُّ الدُّنْيَا. وَلَا تَغْبِطُ أَحَدًا بِكَثْرَةِ الْمَالِ، فَإِنَّ مَعَ كَثْرَةِ الْمَالِ كَثْرَةَ الذُّنُوبِ لِوَاجِبِ الْحَقُوقِ .^٣
- ٥ الامام الصادق «ع» - العَقْرُ قُوفِي قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع» : شَيْءٌ يُرَوَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : ثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهَا النَّاسُ وَأَنَا أُحِبُّهَا، أُحِبُّ الْمَوْتَ، وَأُحِبُّ الْفَقْرَ، وَأُحِبُّ الْبَلَاءَ؟ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا لَيْسَ عَلَى مَا تَرَوْنَ،^٤ إِنَّمَا عَنِي : الْمَوْتُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَالْفَقْرُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَالْبَلَاءُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصِّحَّةِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ .^٥

مسائل

الاولى : التَّحْدِيثُ بِالنَّعْمَةِ

-
- ١ - تحف العقول / ١٤١ .
- ٢ - نهج البلاغة / ٧٨٩ : عبده ٢ / ١٦٨ .
- ٣ - الوافي ١ (٣م) / ٧٧ .
- ٤ - في بعض النسخ : «يرون»، وفي بعضها : «يروون» .
- ٥ - معاني الاخبار / ١٦١ : و ١٦٥، من طبعة الفقاري المصححة .

الكتاب

١ وأما بنعمة ربك فحدث * ١

الحديث

١ الامام علي «ع»: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَيُحِبُّ أَنْ يُرَىٰ أَثَرُ النِّعْمَةِ عَلَىٰ عِبْدِهِ. ٢

٢ الامام علي «ع» - فيما كتبه الى الحارث الهمداني : .. وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ؛ وَلَا تُضِعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ؛ وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ. ٣

٣ الامام الصادق «ع» - في تفسير قوله تعالى : «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» : معناه فَحَدِّثْ بِمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ وَفَضَّلَكَ وَرَزَقَكَ وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ وَهَذَاكَ. ٤

الثانية: الردع عن التظاهر بالفقر

٤ النبي «ص»: مَنْ تَفَاقَرَ افْتَقَرَ. ٥

١- سورة الضحى (٩٣) : ١١.

٢- الكافي ٦ / ٤٣٨.

٣- نهج البلاغة / ١٠٦٧؛ عبده ٣ / ١٤٢.

٤- مجمع البيان ١٠ / ٥٠٧.

٥- تحف العقول / ٣٥.

الثالثة : لا تحديث بالفقر

٥ الامام الكاظم «ع» : لا تُحَدِّثُوا انْفُسَكُمْ بِفَقْرٍ، وَلَا بِطَوْلِ عَمْرٍ، فَإِنَّهُ مِنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْفَقْرِ بَخِلَ، وَمَنْ حَدَّثَهَا بِطَوْلِ الْعَمْرِ يَحْرِصُ^١.

نظرة الى الفصل

الغنى، إطران وحدان : إن الغنى قد يُقال في مقابل «الفقر»، ويراد به إصابة المال بالمقدار اللازم للعيش ومستلزماته، والتَّمكُّن من الاستجابة لحاجات الحياة، فيُوصفُ صاحبه بـ «الغني» في مقابل «الفقر»، فيقال : فلان غني، اي مُكْتَفٍ في رزقه ولايحتاج الى غيره . وقد يُقال بمعنى التكاثر والافراط في تملك الثروة والمال، فيُوصفُ صاحبه بـ «الغني المُتَرَف»، و«الغني المُتكاثر»، في مقابل «الغني المُقتصد»، فيقال : فلان غني، اي رأسمالي تَكَدَّست لديه الاموال الطائلة .

والغنى، بمعناه الحقيقي^١، الذي يُقره الاسلام، هو الغنى بالمعنى الاول، وهو في مقابل «الفقر»، كما يقول الامام الصادق «ع» : «الغنى وضده الفقر»^٢. هذا هو الغنى الذي يُبرِّره الاسلام ويرتضيه بل يحض على طلبه من الحلال . وهذا هو الغنى الذي يُعين الانسان على التقوى والصلاح، كما يقول النبي «ص»، فيما رواه الامام الصادق «ع» : «نعم العون على تقوى الله الغنى»^٣.

وهذا الموضوع - الذي دعت اليه الاحاديث وتبنته كتعليم بناء - يعني كون الغنى مُعيناً على التقوى والخير، إنما هو اتخاذ موقف اصيلٍ لاثارة كفاحين صامدين :

١- إنما قلنا : «بمعناه الحقيقي»، لأن الغنى التكاثري والاطرافي ليس هو في الحقيقة غنى، بل هو

امتصاص واستغلال وسرقة واغتصاب .

٢- الكافي ١ / ٢٢ .

٣- الكافي ٥ / ٧١ .

١ - كفاح في وجه الفقر والحاجة .

٢ - كفاح في وجه التكاثر والإتراف .

فليس من الانصاف الديني والعلمي والثقافي والفقاهي والتربوي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي والدفاعي، أن نجعل الموضوع المذكور دعاية لتبرير الغنى التكاثري والاترافي وتعبيد طرقة وتحسين غاياته . ولعل في مفكري المسلمين من يعد هذه الدعاية المزيفة من تبعات الجهل، او عملاً للتغطية على الضمائر والعقول، اذ المدائح الواردة بحق الغنى المعين على التقوى والآخرة، كيف يمكن أن تكون مبررة لعملية تضاد التقوى وتطرح الآخرة خلف ظهرها، في مسيرها ومسربها ..؟ فاي شكل من اشكال التكاثر - الملهي بنص القرآن والمستلزم لاستغلال الناس وامتصاص دماء المحرومين وحياسة الحرام بنص الاحاديث - يجتمع مع التقوى حتى يكون عوناً عليها؟ فضلاً عن أن يكون نعم العون؟ فالتعاليم المادحة للغنى - المعين على التقوى والآخرة - الداعية الى طلبه من حله، إنما تدعو الى تبني أمرين موضوعيين، ألا وهما:

١ - سببية الفقر للسينات وما نعيته من الصالحات .

٢ - سببية التكاثر للسينات وما نعيته من الصالحات .

وإن كون الغنى عوناً على التقوى، يُشير بوضوح الى أن الفقر مانع منها، مُضِيع لها . فلمجابهة آثار الفقر السلبية - من التي مر ذكرها في الفصول السالفة ذات الارتباط بهذا الموضوع - يمدح الاسلام الغنى ويقول: «غنى يحجزك عن الظلم، خير من فقر يحملك على الإثم» . فيأتي بكلمة «غنى» منكرة منونة - وهي تدل على القلة والمحدودية - ثم يصفه بما يكون حاجزاً عن الظلم، ومطلوباً لهذه الغاية، فيعد هذا الغنى المحدود، لتلك الغاية المعلومة، خير من فقر يحمل الانسان على الإثم .

ولعمر الحق والعدل، إن الواقف على تعاليم الاسلام القرآنية والحديثية، بصورة مجموعية ذات تنظيم حكيم، يعلم أن الغنى المنشود في الاسلام، الذي حُضَّ عليه، ليس إلا ما كان مقتصداً منه، يستغني صاحبه عن الناس، فيمؤن هو بنفسه عائلته، ويصل رحمه وقرباه، ويُنْفِقُ فضل ماله على المحتاجين .

وبكلام آخر: إن الاسلام يذكر بنفسه فلسفته لإقرار الغنى وقبوله . وهي كونه معيناً على التقوى والصلاح، مع أن الغنى التكاثري يصاد كل ذلك - كما جاء في التعاليم - بل إن مانعية الغنى التكاثري للتقوى والالتزام الديني، أشد من مانعية الفقر لهما . إن الاسلام يحض الناس على طلب الحلال، وهو لا يُجامع الغنى التكاثري ايضاً . إن الاسلام يدعو المكتسبين وطلاب المال الى الاعتدال في الطلب، وهو لا يُجامع التكاثر بوجه . فالاسلام إذا مدح الغنى يقصد غير التكاثري والإترافي منه . وبذلك يحث الناس على السعي والعمل والكد، وطلب الرزق الحلال، حتى لا يكون المسلم عاطلاً فارغاً، مُلقياً كله على الآخرين، ولكي لا يفسو الكسل والتعطُّل والحاجة في المجتمع، ولأن يحتفظ على كرامة المسلم وحرمة باستغنايه عن الغير . ففي ضوء ما أوضحناه، لا يظن أي مسلم نابه، أن الاسلام حينما يمدح الغنى، يمدح ذلك السرطان المهلك المبيد .

والذي يُنتجُه هذا البحث، هو أن للغنى حدين وإطارين، وهو ممدوح في حدٍّ ومرفوض في حدٍّ آخر . وهذه النظرة التي ينظر بها الاسلام الى الغنى فيقسمه الى قسمين، ويُقرُّ احدهما ويرفض الآخر، إنما تنبع من اصلٍ رئيسيٍّ قد قرره في تعاليمه . وهو أن للمال حدّاً الهياً وهو حد القوام، وأن للمال مواضع يجب أن لا يُحرَّف عنها، وحقائق يجب أن لا يُصرف عنها - كما ذكرناه وذكرنا آياته واحاديثه في الفصول الاولى من هذا الباب ونظراتنا اليها، فراجعها اذا شئت .

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

والذي نُعيدُ التذكيرَ به هنا، أنَّ الواجبَ على الباحثين - من فقهاء وغيرهم - عندما يُرومونَ الفحصَ عن حقيقةِ الملكِيةِ في الاسلامِ وما يُعطيه الاسلامُ للمالِ من الدورِ في الحياةِ الانسانيةِ والمجتمع، وتعيينِ حدودِ المَالينِ: «المقبول» و«المرفوض»، في التَّصوُّرِ الاسلاميِّ، أن يَجْمَعُوا كلَّ آياتِ هذا البابِ واحاديثه ويضمُّوا بعضها الى بعض، بصورةٍ علمية، وباعمالٍ ما هناك من القواعدِ الاجتهادية، حتى يتسنى لهم التفقُّهُ الصَّحيحُ المطمئن، والوصولُ الى واقعِ التَّعاليمِ الاسلاميةِ في هذا الحقلِ المصيريِّ بقدرِ الامكان .

ولعلَّ النَّابهين لا يذهبُ عليهم أنَّ الموضوعَ وتنقيحُه، هو من اهمِّ المواضيعِ الاسلاميةِ اليوم، التي تقومُ عليها تربيةُ الافراد، وبناءُ المجتمعات، وتركيزُ الحكوماتِ الاسلاميةِ، وشجبُ الحكوماتِ المعاديةِ للاسلامِ والمسلمين، وصيانةُ الاستقلالِ الاسلاميِّ بمعناه الواقعيِّ، وسَحْقُ التَّبعيةِ الاقتصاديةِ، وإعلاءُ كلمةِ الحقِّ والعدل، واقامةُ القسطِ في النَّاسِ، والاشادةُ بالتَّعاليمِ الاسلاميةِ كمثلِ هاديةٍ للبشريةِ، وبرمجةٍ لحياةٍ فاضلةٍ ومنهاجٍ ناجح .

الأحاديث التي تشجب التكاثر وتحد الغنى والامتلاك

ونحن الآن نُشيرُ - بصورةٍ كئيَّة - الى أقسامٍ من الاحاديث التي يَجِبُ أن تُجْعَلَ مستندَ الاستنباطِ الشرعيِّ والفقاهةِ الاسلاميةِ، في هذا الموضوع، حتى يحضَلَ الاطمينانُ بما هنالك من فتوى او رأيٍ :

- ١ - الاحاديثُ التي تأمرُ بالعملِ والكَّدَ لطلبِ المعيشةِ والرِّزقِ .
- ٢ - الاحاديثُ التي تأمرُ بالاعتدالِ في الطَّلَبِ والكسبِ وتمنعُ من السَّعيِ التَّكاثريِّ وطلبِ المزيدِ والحرصِ وظلمِ النَّفسِ .

- ٣ - الاحاديثُ التي تُعدُّ المالَ ذريعةً لتأمينِ الحياةِ المادِّيَةِ والمعنويَةِ (المعاشِ والمعاد) وقواماً لهما، لاغير .
- ٤ - الاحاديثُ التي تَمَدِّحُ الغنىَ مشروطاً بعملِ البرِّ وصلةِ ذوي الارحام، وتُعَدُّ الغنىَ بهذا الوصفِ عوناً على التقوى والصَّلاح .
- ٥ - الاحاديثُ التي تحضُّ على جمعِ المالِ لتموينِ العائلةِ والانفاقِ في سبيلِ الله، لا لغيرهما .
- ٦ - الاحاديثُ التي تَدُمُّ المالَ وحبَّه وجمعه وتبنيه غايةً وهدفاً .
- ٧ - الاحاديثُ التي تُعدُّ المالَ سبباً لحياةِ المسلمين وبقائهم وتغلُّلِ المعتقداتِ الصَّحيحةِ وبقائها في نفوسهم .
- ٨ - الاحاديثُ التي تُعدُّ المالَ قاعدةَ الظلمِ والاستغلال .
- ٩ - الاحاديثُ التي تُعدُّ المالَ مادَّةَ الشَّهواتِ وسببَ التَّميعاتِ الخلقيةِ وعاملاً على تَسْرِي الفسادِ في قطاعاتِ الأُمَّة .
- ١٠ - الاحاديثُ التي تُعدُّ المالَ يَعسوبَ الكُفَّارِ والمنافقين ومِعولاً هداماً لِأُسُسِ الحقِّ والمعتقد .
- ١١ - الاحاديثُ التي تُعدُّ اصحابَ الاموالِ اعداءَ الحقِّ والعدلِ ومُكذِّبي الدُّعاةِ المُصلحين .
- ١٢ - الاحاديثُ التي تُشيرُ الى أَنَّ اصحابَ الاموالِ يَنفُذون الى الحكمِ ، ويَحَرِّفون القوانينَ على حَسَبِ ما يَشَاوون .
- ١٣ - الاحاديثُ التي تُدَلُّ على أَنَّ اصحابَ الاموالِ يُعَادون عِبَادَ اللهِ وعِيالَهُ الفقراءِ والمحتاجين ويُبغضونهم ولا يُحِبُّونهم ولا يُجالسونهم .
- ١٤ - الاحاديثُ التي تُعرِّفُ اصحابَ الاموالِ اَلدَّ اعداءِ الانبياءِ وشرائعهم المُدافعةِ عن الضُّعفاءِ والمحرومين .
- ١٥ - الاحاديثُ التي تُعدُّ الظلمَ الاقتصاديَّ الظلمَ الرَّئيسيَّ، وتَجْعَلُ سائرَ المظالمِ ناشئةً منه .

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

١٦ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ اصحابَ الاموالِ والاغنياءِ غاصبي حقوقِ الفقراءِ واموالِهِم، وتَجْعَلُ الفقرَ معلولاً لذُنُوبِ الاغنياءِ ومنعِهِم حقوقَ المحرومين .

١٧ - الاحاديثُ التي تُصَرِّحُ بِأَنَّ اللّهَ اشْرَكَ الفقراءَ في اموالِ الاغنياءِ، وَقَدَّرَ ارزاقَ الفقراءِ في اموالِ الاغنياءِ .

١٨ - الاحاديثُ التي تُسَمِّي اصحابَ الاموالِ المتكاثرين طاعين وطواغيتَ وهالكين واشراراً .

١٩ - الاحاديثُ التي تُذَمُّ التَّرَفَ والبذخَ والافراطَ الاستهلاكيَّ كَمَا وكيفاً .

٢٠ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ القلقَ والتَوَتُّرَ الاجتماعيَّ من آثارِ اعمالِ الاغنياءِ وسلوكِهِمُ التَّرَفِيَّ وَعَجْرَفَتِهِمُ الاخلاقيَّةِ واهمالِهِم اداءَ ما عليهم من الحقوقِ .

٢١ - الاحاديثُ التي تُنَدِّدُ بمخالطةِ الاغنياءِ والمُتمولِّين ومجالستِهِم وتأكيدِ الصَّلَاتِ بِهِم .

٢٢ - الاحاديثُ التي تُشجِبُ الكنزَ وادخارَ الاموالِ .

٢٣ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ المالَ الزائدَ اسرافاً وكنزاً .

٢٤ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ الاموالَ امانةً في ايدي الاغنياءِ لا يصالِها الى اهلِها ومستحقِّها ويُعَدُّهمُ اُمناءً على المحتاجين .

٢٥ - الاحاديثُ التي تُزَدِّرِي حياةَ الاغنياءِ المُتمولِّين واخلاقَهُم وأعرافَهُم .

٢٦ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ الاغنياءَ آكلي الضَّعفاءِ والمحرومين، وسارقي ارزاقِهِم .

٢٧ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ التُّجَارَ والمستوردين ذئاباً والناسَ شياهاً، وتَقُولُ إِنَّ الذَّنَابَ تَجْزُ شعورَ الشياهِ .

٢٨ - الاحاديثُ التي تُعدُّ المالَ الكثيرَ سبباً لهلاكِ الانسانِ وشِقائه
الابدِي .

٢٩ - الاحاديثُ التي تُؤكِّدُ على الانفاقِ بصورةٍ حاسمةٍ ولحنٍ شديدٍ،
وتتوعَّدُ على تركِه واهمالِه .

٣٠ - الاحاديثُ التي تُنددُ بالفقرِ وتهتمُّ بتعدادِ سلبِيَّاته .

٣١ - الاحاديثُ التي تشطِّبُ على الحدِّينِ : التكاثرِ والفقرِ، وتعدُّ
الاولَ افراطاً مُضراً والثانيَ تفريطاً مُفسداً .

٣٢ - الاحاديثُ التي تُعدُّ الفقرَ - المنتجَ من عملِ الاغنياءِ وذُنوبِهِم -
سبباً لهلاكِ الانسانِ وشِقائه الابدِي .

٣٣ - الاحاديثُ التي تُعدُّ الزكاةَ زكاتينِ : ظاهرةً وباطنةً، وتَجعلُ
النِّصابَ للباطنةِ وجودَ السائلِ والمحرومِ في الناسِ .

٣٤ - الاحاديثُ التي تدلُّ على أنَّ المؤمنَ الملتزمَ لا يتكَّدسُ لديه
المالِ .

٣٥ - الاحاديثُ التي تقولُ إنَّ المالَ الحلالَ لا يكونُ كثيراً، ولا يجتمعُ
الكثيرُ من حلالٍ، فالمالُ الكثيرُ لا بُدَّ من أن يكونَ من غيرِ الحلالِ، من
مغصوبٍ او ما ضاهاه، فهو مالُ الآخِرينِ بحسبِ الواقعِ .

٣٦ - الاحاديثُ التي تأمرُ بالاقتصادِ والاعتدالِ في المعيشةِ - وهي
تشمُلُ بعمومِها الامتلاكَ والاستهلاكَ - وتؤكِّدُ على رعايةِ الحدِّ والتَّقديرِ
في الاستهلاكِ .

٣٧ - الاحاديثُ التي تنهى عن الاستهلاكِ الزائدِ ولو من مالِ
الانسانِ نفسِه .

٣٨ - الاحاديثُ التي تحدُّ للمالِ والثروةِ حدَّه التَّكوينيَّ والقواميَّ،
وتَجعلُ له موضعاً يَجِبُ أن لا يَعُدَّوه .

٣٩ - الاحاديثُ التي تأمرُ وتَحضُّ على المُواساةِ و«المساواةِ».

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

٤٠ - الاحاديثُ التي تمنعُ صيرورةَ المالِ دولةً بين الاغنياءِ

والموسرين .

٤١ - الاحاديثُ التي تقولُ إنّ المسرفين يأكلون ما ليس لهم و ..

٤٢ - الاحاديثُ التي تحضُّ على الأُخوةِ الاسلاميّةِ ورعايتها، وهي

تشمُلُ المسائلَ المعيشيّةِ والحوائجَ الحياتيّةِ والاقتصاديّةِ بطريقِ اولي .

٤٣ - الاحاديثُ التي تقولُ : «لو عدلَ في الناسِ لاسْتغْنَوْا». وتؤسّسُ

اصلاً رئيسياً هاماً (العدلُ في الناسِ يساوِقُ استغناءهم).

٤٤ - الاحاديثُ التي تُؤكِّدُ على تركيزِ العدالةِ والقسطِ، برعايةِ حقوقِ

الآخرين .

٤٥ - الاحاديثُ التي تقولُ : «لا يُصلِحُ المجتمعَ الا العدلُ».

هذه خمسةٌ واربعونَ قسماً من الاحاديثِ - ولعلَّ هناك اقساماً أُخرى

- التي يجبُ أن تُجعلَ قاعدةً الاستنباطِ في قضايا الملكيةِ والاموالِ، بما

فيها من التعاليمِ، ممّا لا يسعُنَا أن نوضحها هنا . ولقد جاءت ايضاحاتُ

بصددها في مختلفِ فصولِ هذين البابين . ومن البينِ أنّ المسائلَ

المطروحةَ في هذه الاحاديثِ - التي اشرنا الى عناوينها - قد وردتْ بصددِ

العديدِ منها آياتُ في القرآنِ الكريمِ ايضاً، تدلُّ عليها بصورِ الدلالاتِ،

مثلما شاهدَ القارئُ أنّ النّبذةَ التي أوردنا من الاحاديثِ، في فصولِ

الكتابِ، انما أوردناها في ذيلِ آياتِها الوشيحةِ الصّلةِ بها . والاحاديثُ هي

شارحاتُ القرآنِ ومفسّراته، ومبيّناتُ ما جاء فيه مجملاً او عامّاً او كليّاً.

فالتأكيدُ على الرجوعِ الى الاحاديثِ إنّما يكون لاجلِ ما جاء فيها من

ذكرِ المغازي والمصاديقِ والمواردِ، بصورةٍ أكثرَ تفصيلاً .

والذي يتحصّلُ من التّفقهِ الموضوعيِّ في تلك الاحاديثِ مع آياتِها

القرآنيّةِ، بالجمعِ بين مفاهيمِها وتعاليمِها الهادفةِ، أنّ الاصلَ الرئيسيَّ في

مذهب الاسلام الاقتصادي، هو شجب الامرين : التكاثر والفقر، والوقوف على حدّ الغنى المقتصد القوامي - كما قلناه كراراً، لتركيز هذا الاصل الاسلامي - فالغنى المقبول هو الذي يؤمن به العيش، لا ما يمتص به الناس .

تنبیه

جاء في الحديث الصادقيّ قوله «ع»: «لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال، يكف به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه»^١. والحديث بنفسه كفانا البحث عنه، لأنه قيّد الجمع بالحلال . والجمع في هذا الحديث وامثاله، بمعنى الطلب والكسب . وقد ذكّر الغاية له وهي كف الوجه وقضاء الدين وصلّة الرّحم . ولعلّ في قوله «ع»: «يقضي دينه»، ايماء الى من ترك الكسب والطلب حتى استقرض وبقي عليه دين . فهذا الحديث وامثاله لا يرمي الى غرض جمع المال الكثير وتبرير التكاثر المرفوض بوجهه^٢ بل يرمي الى شجب الفقر ورفضه والتحذير من إلقاء الكلّ على الآخرين .

والقارئ قد أشرف بنفسه على امثال هذه الاحاديث المادحة للغنى وعلى مغزاها (وهي قليلة ومقصودها معلوم)، بفضل الآيات والاحاديث التي مرّت عليه في الفصول وتّمر، والاصول المتخذة منها . وجاء في الحديث الباقرّيّ قوله «ع»: «من طلب [الرّزق في] الدنيا استغفأ عن الناس وتوسيعاً على اهله، وتعطفاً على جاره، لقي الله عزّ

١ - الوسائل ١٢ / ١٩ .

٢ - وقد عقد كل واحد من الشّيخين، صاحبي «الوسائل» و«المستدرک»، باباً بهذا العنوان : «عدم

جواز جمع المال وترك الانفاق منه»، فلاحظ : الوسائل ١٥ / ٢٦٥، المستدرک ٢ / ٦٤٥ .

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

وجلَّ يومَ القيامةِ ووجهه مثلُ القمرِ ليلةَ البدر»^١. وهذه التَّعاليمُ كُلُّها تُحدِّدُ المالَ كسباً وجمعاً وغايةً .

فعلى هذا، إنَّ الَّذي وَرَدَ في الادعيةِ الشَّريفةِ ايضاً، من ذكرِ المالِ وطلبِ العيشِ الواسعِ، يُحمَلُ على ما أوضحناه، اذ من الواضحِ أنَّ التَّعاليمَ لا يَنْقُضُ بعضها بعضاً، وأنَّ مضمونَ الادعيةِ لا يَخْرُجُ عن حدِّ القصدِ الَّذي أقرَّه الاسلامُ، ولا تُشْمَلُ ما عدَّه القرآنُ الكريمُ مُلهياً، والاحاديثُ مُطغياً، فإنَّهما مرفوضان بالضرورة^٢، ضرورةً مرفوضيَّةً «مادَّةُ الشَّهوات»، و«يعسوبُ الكُفَّار» و«ميراثُ الفراعنة» .. فجمعُ المالِ الَّذي يُؤدِّي الى هذه الامور لا يُمكنُ أن يكونَ مورداً لأمْرٍ وجوبيٍّ او نديبيٍّ، بل لا يُمكنُ أن يُعدَّ مباحاً، او يُصبحَ مسؤولاً من الله في الدَّعاء، بل نُشاهدُ أنَّ الائمةَ «ع» يَسألونَ اللهَ تعالى ان لا يُترَفِّهم - كما مرَّ - وقد تَعَوَّدوا باللهِ من كثرةِ المالِ - كما مرَّ . فالاسلام لا يدعو الى ما يُبعِّدُ الانسانَ من الالتزامِ ويُقرِّبه من الانحلالِ العقيديِّ والعمليِّ . وإنَّ القرآنَ الكريمَ قد شَنَّ الحربَ في وجهِ طُلابِ المالِ وكانزيهه، من المتكاثرينِ والمُسرفينِ والمُترفينِ والمستكبرينِ والطواغيتِ الاقتصاديِّين .

وإنَّ الهداةَ الَّذين يُلْقونَ مسؤوليَّةَ فقرِ الناسِ وحرمانهم وعُرْيهم ومسكنتهم على عاتقِ الاغنياء، كيف يُسوِّغونَ اِكثارَ المالِ وامتلاكَ الكثيرِ منه، الخارجَ عن الحدودِ القواميَّةِ، الموجبَ لفقرِ الآخريين؟ وإنَّ المُعلِّمينِ المصلحينِ الَّذين يُعدُّونَ حرمانَ المحرومينِ من ذنوبِ اصحابِ الاموالِ الكثيرةِ، كيف يُحْضونَ على جمعِ المالِ بذلك المعنى او يطلُبونه، حتى يَجِدَ المتكاثرونَ ومدافعُوهم في كلامهم لذلك مُبرراً^٣؟ أَضِفْ الى ذلك أنَّ

١ - الكافي ٥ / ٧٨ .

٢ - وإنَّ السَّعةَ غيرَ الكثرةِ، كما مرَّ في الفصلِ ٣٠، من هذا الباب .

٣ - راجع بهذا الصِّدَد: الفصل ٣، فقرة «يا»، والفصول ٢٣ الى ٢٩، من هذا الباب ايضاً .

الاسلام يأمرُ بدفعِ المالِ الزائدِ والكثيرِ، حيث يرى أن كثرةَ المالِ تُوجبُ أن تعظمَ الحُجَّةُ على صاحبه، كما جاء في الحديث: «كنا عند أبي - عبدالله «ع»، إذ دخلَ عليه سديرُ الصيرِ فيّ، فسَلَّمَ وجَلَسَ . فقال له: "يا سدير، ما كثرَ مالُ رجلٍ قطُّ إلا عَظُمَتِ الحُجَّةُ لِلَّهِ تعالى عليه، فإن قَدَرْتُم أن تدفعوها عن أنفسِكُم فافعلوا". فقال له: يا بن رسولِ الله بماذا؟ قال: "بقضاءِ حوائجِ إخوانِكُم من أموالِكُم". ثم قال: "تلقوا النعمَ يا سدير بحسنِ مجاورتِها". وإنك ترى أن حسنَ مجاورةِ المالِ الكثيرِ إنما هو بدفعه للإخوان، كما يُصرِّحُ به هذا التعلِيم، لا بجمعه وامساكه وإخراجه من أيدي الجماهير.

وإنَّ القولَ الفصلَ في هذا المقام، الَّذي يُجمَعُ به بين ماوردَ في الأحاديثِ والادعية، من مدحِ الغنى والمالِ وطلبه، وما جاء في ذمِّه، هو ما جاء عن الامامِ الرَّابعِ، عليِّ بنِ الحسينِ السَّجادِ «ع»، من بعضِ اقواله وادعيته الشريفة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المعيشةِ، معيشةً أقوى بها على جميعِ حاجاتي، وأتوصَّلُ بها اليك في حياةِ الدُّنيا وفي آخرتي، من غيرِ أن تُترَفني فيها فأطغى، أو تقترها عليّ فأشقى، وأوسعَ عليّ من حلالِ رزقك .. ولا تشغلني عن شكرِ نعمتك عليّ بإكثارِ منها تلهيني عجائبُ بهجته، وتفتنني زهراتُ نضرتِه، ولا بالاقلالِ عليّ منها فيقصرَ بعلمي كده، ويملاً صدري هممه؛ وأعطني من ذلك يا الهي غنىً عن شرارِ خلقك، وبلاغاً به الى رضوانك ..»^٢. فيحذرُ الامامُ «ع» من الاكثارِ الماليِّ، في حين أنه يسألُ المعيشةَ والنعمةَ .

وحيثُ انتهى بنا الكلامُ في هذه النظرة، في البحثِ عن حدِّي الغنى وإطاره، يعني قسميه الممدوحِ والمرفوضِ، الى هنا، نرى من المناسبِ

١ - امالي الطوسي ١ / ٣٠٩؛ البحار ٧١ / ٤٧ - ٤٨. مع اختلافٍ يسير.

٢ - البحار ٩٠ / ٣.

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

أَنْ نُورِدَ كَلَامًا لِلْعَلَامَةِ الْمَجْلِسِيِّ : «وَأَعْلَمُ أَنَّ مَجَامِعَ الْهَوَى خَمْسَةٌ أُمُورٌ، وَهِيَ مَا جَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ : «.. أَمَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، لَعِبٌ [١]، وَلَهُوَ [٢]، وَزِينَةٌ [٣]، وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ [٤]، وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ [٥] ..» .
وَالْأَعْيَانُ الَّتِي تَحْصُلُ مِنْهَا هَذِهِ الْأُمُورُ سَبْعَةٌ، يَجْمَعُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ [١]، وَالْبَنِينَ [٢]، وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ [٣]، وَالْفِضَّةِ [٤]، وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ [٥]، وَالْأَنْعَامِ [٦]، وَالْحَرْثِ [٧]، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ * ٢» فَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ لِلَّهِ فَلَيْسَ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَدْرُ ضَرُورَةِ الْقُوَّةِ وَمَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنْ مَسْكِنٍ وَمَلْبَسٍ فَهُوَ لِلَّهِ، إِنْ قُصِدَ مِنْهُ وَجْهُ اللَّهِ . وَالِاسْتِكْتَارُ مِنْهُ تَنْعَمُ وَهُوَ لَغَيْرِ اللَّهِ . وَبَيْنَ التَّنْعَمِ وَالضَّرُورَةِ دَرَجَةٌ يُعْبَرُ عَنْهَا بِالْحَاجَةِ . وَلَهَا طَرَفَانِ وَوِاسِطَةٌ، طَرَفٌ يَقْرُبُ مِنْ حَدِّ الضَّرُورَةِ فَلَا يُضَرُّ، فَإِنَّ الْاِقْتِصَارَ عَلَى حَدِّ الضَّرُورَةِ غَيْرُ مُمْكِنٍ . وَطَرَفٌ يَتَأَخَّمُ جَانِبَ التَّنْعَمِ وَيَقْرُبُ مِنْهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُحْذَرَ . وَبَيْنَهُمَا وَسَائِطٌ مُتَشَابِهَةٌ . وَمِنْ حَامٍ حَوْلَ الْجَمِيِّ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ . وَالْحَزْمُ فِي الْحَذْرِ وَالتَّقْوَى، وَالتَّقَرُّبِ مِنْ حَدِّ الضَّرُورَةِ مَا امْكِنَ، اقْتِدَاءً بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ» ٣ .

دفع لوهم

لقد وردَ في كلامِ أميرِ المؤمنين «ع» في «نهجِ البلاغة» هذا المقطع : «.. إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ ..» ٤ . وَرَبَّمَا يَتَوَهَّمُ الْبَعْضُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَرْمِي إِلَى

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠ .

٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٤ .

٣ - البحار ٧٣ / ٢٩ .

٤ - نهج البلاغة / ٨٤ : عبده ١ / ٥٦ - ٥٧ .

أَنَّ الْمَالَ الْكَثِيرَ الدُّنْيَوِيَّ، يُمَكِّنُ أَنْ يُجْمَعَ عِنْدَ شَخْصٍ مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ
الْأُخْرَوِيِّ ..

والجوابُ عن هذا الوهمِ معلومٌ ممَّا سَلَفَ،^١ وعندَ منِ انْصَهَرَ بِرُوحِ
التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّا لِأَنَّ نُلْقِيَ ضَوْءًا عَلَى الْمَوْضُوعِ أَكْثَرَ مِنْ ذِي
قَبْلِ، نَقُولُ: لَا يُلَائِمُ هَذَا الْوَهْمُ التَّعَالِيمَ الْإِسْلَامِيَّةَ الَّتِي تَقُولُ بَأَنَّ الْمَالَ
الْكَثِيرَ يُلْهِي الْإِنْسَانَ عَنِ الْإِلْتِمَازِ وَلَا يُجَامِعُ التَّقْوَى وَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ
وَيُوهِنُ الدِّينَ، أَضْفُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ مِنْ حَلَالٍ. وَمِنْ جَمَلَةِ هَذِهِ
التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، تَعَالِيمُ عَلِيِّ «ع» نَفْسِهِ، وَهُوَ يُكْرِّرُ الْقَوْلَ فِيهَا عَنِ
التَّضَادِّ بَيْنَ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْمَالِ وَبَيْنَ الْآخِرَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ لَهَا. وَهَذَا
مَشْهُورٌ مِنْ كَلَامِهِ وَخُطْبِهِ وَمَوَاعِظِهِ. وَمِنْهَا قَوْلُهُ الَّذِي يَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ:
«وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ»^٢ - يَعْنِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ. فَلَنُوضِحِ الْكَلَامَ الْعُلُويَّ
بِالْإِشَارَةِ إِلَى أُمُورٍ:

١ - لَعَلَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ هُوَ الْمَجْتَمَعَاتُ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِرُشْدٍ
اِقْتِسَادِيٍّ سَالِمٍ وَكَمَالٍ خُلُقِيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ. وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَعْبِيرُهُ «ع»:
«لِاقْوَامٍ» (لِأَفْرَادٍ).

٢ - يُمَكِّنُ أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ لِاقْوَامٍ، بَأَنَّ يَعْمَلُوا بِمَا فِي
أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْمَالِ الْحَلَالِ لَطَلْبِ الْآخِرَةِ وَكَسْبِهَا، بِالْإِنْفَاقِ وَالْبَدْلِ،
فَلَا يَتَكَدَّسُ الْمَالُ عِنْدَ ذَلِكَ طَبَعًا وَلَا يَخْرُجُ عَنِ مَاهِيَّتِهِ الْقَوَامِيَّةِ.

٣ - أَنَّ الْمَالَ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَجْتَمَعَ امْتِلَاكُهُ مَعَ آخِرَةٍ صَالِحَةٍ، لَا بُدَّ مِنْ
أَنْ يَكُونَ مَشْرُوعًا حَلَالًا. وَهُوَ لَا يَكُونُ كَثِيرًا مُتَكَدِّسًا، كَمَا رَأَيْتَ فِي

١ - خصوصاً ممَّا أوردناه في شرح كلام الإمام الصادق «ع»، المشابه لهذا الكلام، فراجع: التنبيه ١.

من التَّسْبِيهَاتِ الَّتِي مَرَّتْ فِي الْفَصْلِ ٢٣، مِنْ هَذَا الْبَابِ.

٢ - نهج البلاغة / ١١٣٣: عبده ٣ / ١٧٣.

التعاليم .

٤ - أن الامام الذي يُؤكّد في تعاليمه - بتعابير مختلفة وكثيرة - على أن «الدنيا والآخرة ضرّتان»، كيف يقول: «وقد يجمعها الله لاقوام»؟ إلا أن يكون المراد صورة خاصة من الامر، ممّا تصير فيه «الحياة العاجلة» بما فيها، ذريعة لطلب «الحياة الآجلة» بما فيها. وذلك لا يكون - وفق التعاليم - إلا ما أشرنا اليه، من كون الغنى غير تكاثري وغير اترافي، وكان فضل المال مبدولاً في سبل الخير، لا مجموعاً متكدّساً لمقاصد رأسمالية واستغلالية، ولم يكن ما يبذله الممتلكون ذريعة للإبقاء على دخولهم وامتصاصهم، وليشق الطريق امامهم لأرباح ودخول كثيرة أخرى تصاعديّة .

٥ - أن كلمة «قد» في التعبير المذكور، تقليبيّة - كما هو واضح . فالكلام ناظر الى صورٍ مخصوصة، ممّا يوافق الموازين الشرعيّة في الامتلاك . فليس في هذا الكلام ايّ مستند لاصحاب الثروات الكبيرة، اذ المقصود من المال الذي قد يجمعه الله مع العمل الصالح لاقوام، ليس إلا ما يكون بنفسه عملاً صالحاً ايضاً - امتلاكاً واستهلاكاً - وليس هو إلا ما كان مشروعاً محدوداً يمكن اجتماعه من حلال .

ففي هذا الضوء، لا يتصور أن يكون هناك مؤمن صالح،^١ قد اجتمع لديه الكثير الوافر من المال، مع حضور الفقر في الناس وعمق وجوده فيهم .

١ - ولعله لا يكابرنا ايّ مسلم نابه أن نقول: إن المؤمن الصالح منفق بذال. قد اكتسب مالا من غير معصية، وانفقه في غير معصية، لا رأسماليّ مُستثمر. ولا صاحب معمل مستغل. ولا مستورد مغال بالاثمان، ولا محتكر شر من السارق، ولا مُتلك الاراضي الفسيحة والدور الكثيرة والبساتين الكبيرة، من الذين يحرفون المال عن مواضعه، ويُخرجونه من كونه قواماً للناس عامة ويجعلونه دولة بينهم .. وما الى ذلك .

ومما يدلُّ على المعنى المذكور، مَقْطَعَانِ مِنْ كَلَامِهِ الشَّرِيفِ فِي هَذِهِ

الخطبة :

١ - «فَاَحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَخْشَوْهُ خَشِيَّةً لَيْسَتْ
بِتَعْذِيرٍ، وَأَعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ
لِمَنْ عَمِلَ لَهُ ..»^١.

٢ - «أَلَا يَعْدِلُنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقِرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ، أَنْ يَسُدَّهَا
بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَه، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ ..»^٢.

فَالْمُنْذِرُ الَّذِي يَقُولُ: «وَأَخْشَوْهُ خَشِيَّةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ»، وَالْمُرَبِّي الَّذِي
يَقُولُ، إِنَّ أَمْسَاكَ الْمَالِ لَا يَزِيدُهُ وَإِنْفَاقَهُ لَا يَنْقُصُهُ، كَيْفَ يُقَرُّ امْتِلَاكُ الْكَثِيرِ
مِنَ الْمَالِ حَتَّى نَسْتَدِلَّ بِبَعْضِ كَلَامِهِ عَلَيْهِ؟

وَنَحْنُ دَفْعًا لِمِثَالِ هَذِهِ التَّوَهُّمَاتِ النَّاشِئَةِ مِنْ عَدَمِ الْإِمْعَانِ فِي مَغَازِي
هَذَا التَّعْلِيمِ وَمِثَالِهِ الْوَارِدَةِ فِي بَعْضِ الْإِحَادِيثِ - أَوْ مِنَ الدَّجْلِ وَالتَّمْوِيهِ
حُبًّا لِلْمَالِ وَجَمِيعِهِ - وَلِأَنَّ نَصُونَ التَّعَالِيمِ وَالْمِبَانِي الْإِسْلَامِيَّةَ عَنِ
التَّحْرِيفِ، أَوْ التَّجْزِئَةِ فِي الْإِسْتِنْبَاطِ، أَوْ التَّسَامُحِ فِيمَا لَا يَجُوزُ التَّسَامُحُ
فِيهِ، وَشَجْبًا لِأَنَّ يَتَمَسَّكَ بِهَذَا الْكَلَامِ وَمَا يُضَاهِيهِ عِبَادُ الْمَالِ وَمُحَامُوهُمْ،
نَزِيدُ الْمَقَامَ إِضَاحًا فَنَقُولُ :

أ - إِنَّ الْإِمَامَ يُصْرِّحُ فِي مُسْتَهَلِّ هَذِهِ الْخُطْبَةِ بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَهَا نَصِيبٌ
مِنَ الرِّزْقِ وَالْمَعِاشِ (.. فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزُلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، كَقَطْرَاتِ
الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ، بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ وَنَقْصَانٍ)، فَيَكُونُ الْأَمْرُ الْإِلَهِيِّ
(وَهُوَ تَقْدِيرُ الْأَرْزَاقِ وَإِنزَالُهَا إِلَى كُلِّ نَفْسٍ)، نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ
إِلَى كُلِّ نَفْسٍ - لَا إِلَى بَعْضِ النُّفُوسِ دُونَ بَعْضِهَا - كَمَا أَنَّ قَطْرَاتِ الْمَطَرِ
تَنْزُلُ حِينَئِذٍ تَنْزُلُ إِلَى كُلِّ نَقْطَةٍ مِنْ نِقَاطِ الْأَرْضِ، مِنَ الصَّحَارِيِّ وَالْبَرَارِيِّ
وَالسُّهُولِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ وَالْبِحَارِ وَالْقُرَى وَالْأَمْصَارِ .. فَهَذَا التَّشْبِيهُ

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

البليغ يَقُولُ إِنَّ لِكُلِّ أَحَدٍ نَصِيبًا مِنَ الرَّزْقِ وَالْمَعِيشَةِ . وَإِنَّمَا الْفَرْقُ بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ، لَا بِالْعُدْمِ وَالتَّكَاتُرِ وَالْإِمْلَاقِ وَالتَّرَفِ .

ب - كما أَنَّ الْمَطَرَ أَوْ التَّلْجَ إِذَا تَجَمَّعَ فِي قَلَّةٍ مِنْ قَلَلِ الْجِبَالِ أَوْ بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا - لِمَا هُنَاكَ مِنْ اسْبَابٍ وَمَقْتَضِيَّاتٍ - لَا يَبْقَى ذَلِكَ الْمَقْدَارُ مَحْبُوسًا عِنْدَهُ، بَلْ يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا وَيُوصَلُ إِلَى غَيْرِهَا، أَوْ تُوصَلُ هِيَ بِنَفْسِهَا إِلَى قِطْعٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ تَكُونُ الْأَمْوَالُ إِذَا تَكَدَّسَتْ عِنْدَ اشْخَاصٍ أَوْ فِئَاتٍ - لِمَا هُنَاكَ مِنْ اسْبَابٍ وَمَقْتَضِيَّاتٍ - يَجِبُ أَنْ تُخْرَجَ مِنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ،^٢ مِمَّنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا :

(١) - إِنْفَادًا لِأِرَادَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَحُكْمِهِ؛ وَ

(٢) - إِقَامَةً لِنِظَامِ الْعَالَمِ (حَيْثُ يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ «ع»: «بِتَقْدِيرِ

أَقْسَامِ اللَّهِ لِلْعِبَادِ قَامَ وَزُنُ الْأُمُورِ لِلْعَالَمِ^٣ ..»); وَ

(٣) - تَمْوِينًا لِعِيَالِ اللَّهِ وَعِبَادِهِ؛ وَ

(٤) - صِيَانَةً لِذَيْنِ اللَّهِ وَشُرَائِعِهِ؛ وَ

(٥) - تَجْسِيدًا لِلْأُخُوَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي الْوَاقِعِ الْعَيْنِيِّ؛ وَ

(٦) - سِيرًا عَلَى مَقْتَضَى الْعَدْلِ؛ وَ

(٧) - تَرْكِيزًا لِأُسُسِ الْقِسْطِ؛ وَ

(٨) - إِبْقَاءً لِلْمَالِ عَلَى حَالَتِهِ الْقَوَامِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ؛ وَ

(٩) - تَحْكِيمًا لِلصَّلَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَ

(١٠) - تَحْصِينًا لِعِزِّ الْأُمَّةِ (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) .

١ - وَقَدْ وَرَدَتِ التَّعْبِيرَةُ الْمَذْكُورَةُ عَنِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ «ص» أَيْضًا، فِيمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ «ع»: «أَنَّ الرَّزْقَ لِيُنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، عَلَى عَدَدِ قَطْرِ الْمَطَرِ، إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُدِّرَ لَهَا...» - رَاجِعْ: «الْفُصُولُ الْمَهْمَةُ» / ٢٨؛ «سَفِينَةُ الْبَحَارِ» / ١ / ٥١٨ .

٢ - وَلَعَلَّ هَذَا سُرْمًا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ، مِنْ «أَنَّ اللَّهَ أَشْرَكَ الْفُقَرَاءَ فِي أَمْوَالِ الْإِغْنِيَاءِ» - رَاجِعْ: الْفُصُولُ ٣٧، مِنْ هَذَا الْبَابِ .

٣ - غُرَرُ الْحُكْمِ / ١٤٨ .

ج - إن الامام علياً «ع» يفسرُ النقصان والزيادةَ ببيانٍ متعلقَاتِهِمَا، كالأهلِ والنفسِ، فيُومي بذلك الى مقاديرهما وأنهما لا يخرجان عن الحدودِ المعقولة إن كانا جاريتين في مجراهما الطبيعي، من غيرِ أيِّ عدوانٍ او اغتصابٍ او حرمانٍ. ولعلَّ في كلمة «غفيرة» (النكرة المنونة) ايضاً ايماءً الى قلة ذلك الفرقِ بحسبِ الموازينِ الاصليةِ الاوليةِ .

د - جاء في هذه الخطبة، بعد المقاطعِ المذكورة، قوله «ع»: «.. المرءُ المسلمُ البريءُ من الخيانةِ ينتظرُ من اللهِ إحدَى الحُسنيينِ: إِمَا داعيَ اللهِ فما عندَ اللهِ خيرٌ له، وإِمَا رزقَ اللهِ فاذا هو ذواهلٍ ومالٍ ومعه دينُهُ وحسبُهُ ..»، فيصِفُ المسلمَ بالبرائةِ من الخيانة؛ ولقد وردَ في عدَّةٍ من الاحاديثِ عَزُوُ الاغنياءِ والتُّجَّارِ - الا المتقين منهم - الى الغصبِ والخيانةِ وسرقةِ ارزاقِ المحرومينِ واكلِ الضُّعفاءِ، كما مرَّ في الفصولِ الماضيةِ، من هذا البابِ . فأين هؤلاء من الذين جَمَعَ اللهُ لهمُ الدُّنيا والآخرةَ، ان كان امثالُ هؤلاء مرادَ اميرِ المؤمنين «ع»؟

هـ - ولعلَّ في تعقيبِ الكلامِ بذكرِ المسلمِ البريءِ من «الخيانة» (مع أَنَّهُ «ع» وَصَفَ التُّجَّارَ بـ «الخيانة» في كلامٍ آخر، وهو قوله: «إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ سِتَّةً بِسِتَّةٍ: .. والتُّجَّارَ بالخيانة ..»^١ ومع قوله بصددهم في العهدِ الأشرّي: «... أن في كثيرٍ منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمناع، وتحكماً في البياعات»،^٢ ممَّا لا يجتمعُ مع آخرةٍ سالحةٍ)، ايماءً بيناً الى أَن مراده «ع» ليس اولئك المتكاثرين الطواغيت .

و - فمعنى كلامِ اميرِ المؤمنين «ع» في هذا المقام، لا يَخْتَلِفُ عن

١ - الكافي ٨ / ١٦٣: تحف العقول / ١٥٧. وقد وردت هذه التعبيرةُ بصدِّ التُّجَّارِ، عن الامامِ الصَّادقِ «ع» ايضاً، حيث قال: «يُهْلِكُ اللهُ سِتًّا بِسِتٍّ: الأُمراءَ بالجور، والعربَ بالعصبيَّة، والدُّهَّاقينَ بالكِبَرِ، والتُّجَّارَ بالخيانة، وأهلُ الرُّسْتاقِ بالجهل، والفقهاءَ بالحسد» - (البحار ٧٢ / ٢٠٧، عن «كشفِ الغُمَّة»).

٢ - نهج البلاغة / ١٠١٧: عبده ٣ / ١١٠.

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

معاني كلامه في سائر المقامات . وهو ايماء الى فواصل معاشية بين الناس لا تخرج عن الحدود الاسلامية، ولا تنتهي الى حد التكاثر والترف والسرف، فلا صلة لكلامه بتبرير تلکم الادواء الكبيرة، وقبول الهوة الاقتصادية السحيفة بين قطاعات الناس .

بحث آخر

لقد ورد في بعض الآيات والاحبار نسبة التوسيع والتضييق في الارزاق الى الله تعالى وتقديره . وهذا ثابت، غير أنه لا يثبت قبول الاسلام لحضور الفقر في الجماهير (بصوره المختلفة واضراره الساحقة للدين والدنيا) واقراره كظاهرة مجتمعية مقبولة وغير مكافحة - كما اشرنا اليه ايضاً .

وذلك لأنه من الضروري، أن الله تعالى قد جعل - بمقتضى الرحمة والحكمة والعدل - لكل فرد من افراد الانسان والحيوان رزقاً ومعاشاً، كما ورد في صريح الآيات القرآنية والاحاديث الكثيرة . هذا بحسب التكوين . واما في التشريع فقد أمر بالعدل والاحسان واداء الزكاتين واطعام الجائعين واغناء البائسين، وسلب الايمان - بلسان اوليائه - عن بيت شعبان وجاره جائع، وما الى ذلك من الكثير الوارد، حتى التنديد بالذين يمنعون الماعون .

فالله - جلّت اسماؤه وعمّت آلاؤه - قد رزق الجميع، وقسم بينهم معاشهم، وجعل رزق بعض من بعض؛ وإنه يوسع ويضيق على حسب الحكمة، لكن الامر يجب ان لا ينتهي - استناداً الى الموازين الاسلامية وعملاً برضا الله تعالى والرسول «ص» - في التوسيع الى حد التكاثر وفي

١ - وجاء في «الحديث القدسي» ايضاً، راجع: الفصل ٣٧، من هذا الباب .

التضييق الى حدّ العُدْم لولا اعتداء المعتدين، لانهما خلاف العدل . وربُّنا حكيمٌ عادلٌ لا يظلمُ احداً شيئاً، ولكنّ النَّاسَ انفسَهُم يَظلمُونَ . ولقد ورد عن الامامِ اميرِ المؤمنين «ع» قوله : «أيُّها النَّاسُ ! اعلموا أنّ كمالَ الدِّينِ طلبُ العلمِ والعملُ به . ألا ! وإنّ طلبَ العلمِ أوجبُ عليكم من طلبِ المالِ، إنّ المالَ مقسومٌ مضمونٌ لكم، قد قَسَمَهُ عادلٌ بينكم وضمّنه، وسيُفي لكم؛ والعلمُ مخزونٌ عند اهله، وقد أمرتُم بطلبه من اهله فأطلبوه» . فقسمةُ العادلِ امرٌ قطعيٌّ لا ريبَ فيه، والعدلُ لا يُؤدِّي الى الافراطِ والتفريطِ، اى التكاثرِ والفقرِ .

وهذا ما يُبلّوره جوهرُ التعاليمِ القرآنيّةِ والحديثيّةِ، وقد اشتملت على لُمعٍ منها فصولُ هذا الباب . وهنا نُوردُ حديثين ونُشيرُ الى مؤداهما من التّعليمِ التّربويّ :

١ - ما رواه الشيخ بهاء الدّين الإربلي، في «كشف الغمّة»، عن الامامِ الصادقِ «ع» : «... والله عزّ وجل .. يُنزِلُ الرّزقَ على قدرِ المؤونة»^٢ . وهذا صريحٌ في كفايةِ القسمةِ والتّقديرِ، لكلِّ من له مؤونة . فكلما وُجدَ ذو مؤونةٍ محتاجٌ وعائلٌ فقير، فما هو الا من ظلمِ الظّالمين، من المجتمعِ او الحكمِ .

٢ - ما رواه الشّيخ ابو محمد الحسنُ بنُ شُعبة الحرّاني، في «تحفِ العقول»، عن الامامِ الصادقِ «ع» : «ألا ! وإنّ احبَّ المؤمنين الى الله، من أعان المؤمنَ الفقيرَ من الفقرِ، في دنياه ومعاشه»^٣ . ومن اللاّحِبَّ أنّ الانسانَ إنّما يصيرُ احبَّ، بعد أن أتى باحبِّ الاعمالِ . فالنتيجةُ أنّ اعانةَ المؤمنِ الفقيرِ من الفقرِ في حاجيَّاته الدنيويّةِ والمعاشيّةِ المختلفةِ،

١ - الكافي ١ / ٣٠ .

٢ - كشف الغمّة ٢ / ٣٩٦، البحار ٧٢ / ٢٠٤ و ٢٠٨ .

٣ - تحف العقول / ٢٧٧ .

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

وتخليصه من برائين العوزِ باعطائه مالا ومعونةً وباعدادٍ ما يحتاجُ اليه،
واغنائه واخراجه من حدِّ الحاجةِ الى حدِّ الاستغناء، هو احبُّ الاعمالِ
الى الله تعالى .

ففي ضوءِ هذا التعلیمِ وامثاله، هل يوجدُ مجالٌ لآن يُظنَّ أنّ الفقرَ امرٌ
يرتضيه الاسلامُ ويُقرُّ بقاءه في الناس، وإن كان في اصله تقديراً تكوينياً؟
فالفقرُ في ذلك يكون كالغرقٍ مثلاً، فإنّا اذا صادفنا انساناً اشرفَ على
الغرق، يجبُ علينا انقاذه لا تركه، وان كان ما وقع له من كسرِ سفينته
وسقوطه في البحرِ تقديراً تكوينياً البتّة .

ومن هنا نجدُ تعاليمَ المعصومين «ع»، تنسبُ الفقرَ وبقائه في الناس الى
الظلمِ الاجتماعي والاقتصاديّ و السياسيّ والثقافيّ،^١ فترى احتياجَ
المحتاجين وفقرَ الفقراء من ذنوبِ الاغنياء^٢، وتقول: «انّ الناسَ يستغنون
اذا عدلَ بينهم»^٣، و «لو عدلَ في الناسِ لاستغنوا»^٤. فاستغناءُ الناسِ
دليلُ العدل، والفقرُ دليلُ الظلم. وهل يُنسبُ الظلمُ الى احدٍ غيرِ الناسِ

١ - وقد سَجَبَت تعاليمُهم «ع» الظلمَ الثقافيّ في صورٍ حاسمةٍ ايضاً. ومن تلكمِ التعاليمِ كلامُ الامام
جعفرِ بنِ محمّدِ الصادقِ «ع» في تصنيفِ العلماءِ وتقريعِ من يتصدّى منهم لتعليمِ ذوي العزّةِ
والشرفِ ولا يعتدُّ بتعليمِ المساكينِ وتثقيفهم، فيقول: «... ومن العلماءِ من يرى أنّ يضعُ العلمَ عند
ذوي الثروةِ والشرفِ ولا يرى له في المساكينِ وضعا؛ فذلك في الدركِ الثالثِ من النار» -
(روضة الواعظين / ٧؛ البحار ٢ / ١٠٨، عن «الخصال». راجع ايضاً: الفصل ٦، من الباب ٨، من
هذا الكتاب، فقرة «يط»).

وهذا التعلیمُ بدوره يسوقُ العلماءَ الملتزمينِ والمثقفينِ النابهينِ لان يضعوا العلمَ عند
الفقراءِ والمساكينِ ايضاً، وان يُعلّموا هؤلاءِ ويربّوا ناشئتهمِ ويثقفوهم ويوعوهم، لكي يقدرُوا بهم
بانفسهم على التدخّلِ في مجالاتِ الحياةِ المختلفة، فيظفروا باستردادِ حقوقهم وازالةِ الحرمانِ
والمسكّةِ عن انفسهم وذويهم .

٢ - الوسائل ٤/٦، من حديثِ الامامِ الصادقِ «ع»، راجع: «التصدير»، البند ٩ .

٣ - الكافي ٢ / ٥٦٨، من حديثِ الامامِ الصادقِ «ع»، راجع: الفصل ٤٦، من الباب ١٢ .

٤ - الكافي ١ / ٥٤٢، من حديثِ الامامِ الكاظمِ «ع»، راجع: الفصل ٤٦، من الباب ١٢ .

انفسهم؟ فالفقر الباقي مولود للظلم الذي ارتكبه الاغنياء والحكم والنظام بحق الفقراء والمحتاجين والبؤساء والمساكين .
والكلمة النهائية في هذا المقام، انا لانقول ان الفقر يجب ان لا يوجد (فهو يوجد في الافراد والقطاعات، في احوال مختلفة ولعل متفاوتة، وخصوصاً عند الحوادث والنوازل)، بل نقول انه يجب ان لا يبقى، لان بقاءه يدل على وجود الظلم، والظلم لا يرضاه الله والرسول، ولا يقره الإسلام .
وكل هذه المسائل واضحة، لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد .

تأشير رئيسي بات نثير الاهتمام به

إن الذي يُستفاد كـ «تأشير رئيسي بات»، ويُستنبط من الآيات والأخبار التي وردت بصدد «نظرة الإسلام إلى الأموال وكيفية تداولها بين الجماهير»، ومن مقارنتها والجمع بينها، هو أن الإسلام يرى أن لصلة الإنسان بالمال والمال بالإنسان خمس صور، لكل منها حكمها الذي لو تجسد بشكل صالح، لا يبقى مجال بعده للمفاسد المدمرة التي تستتبعها قضية الأموال في الناس؛ فدونك الصور:

١ - الغنى التّكاثري .

٢ - الغنى الوافر .

٣ - الغنى الكفا في (الغنى المشروع) .

٤ - الفقر .

٥ - المسكنة .

وإليك الإيضاح بصدد الصور:

أما المسكنة فهي واجب الإزاحة فوراً، يعني أن يُعطى المسكين ما يلزم لمعايشه بلا تراخ، بحيث إن بات رجل شبعان وفي جواره جائع، ولم يسع هو لإشباعه، فليس الشبعان ممن آمن بالله تعالى؛ ومن اكتسب وأخوه

عريان، فما آمن بالله تعالى^١ (وهل هناك ملاك سوى الإيمان؟).
وأما الفقر (وهو قلة المستلزمات المعيشية لا عدمها)، فهو أيضاً
واجب أن يكافح ويُزاح، في برمجة تجسدية سريعة (ناية عن الشعار
الفارغ كل النأي)، وذلك لأن المجتمع الإسلامي مجتمعٌ بلا فقر، لامع الفقر،
لأنه مجتمعٌ «لا يوجد فيه عائلٌ ولا محتاج، ولا يُظلم فيه مسلمٌ أو مُعاهد» -
على حدّ تعبير مولانا أمير المؤمنين «ع»^٢.

وأما الغنى الكفافي (وهو ما حصل من الطرق المشروعة، ويجعل
صاحبه يعيش على مستوى مُعترفٍ به من جهاتٍ مختلفة، فيأكلُ ويُطعمُ
ويتزوّجُ ويتصدّقُ ويحجُّ وينفقُ في سبيلِ الخيرِ الفرديِّ والمجمعيِّ)، فهو
الغنى الممدوحُ شرعاً، المرغوبُ فيه، وهو عونٌ على التقوى والآخرة
باكتسابِ الصالحاتِ به .

وأما الغنى الوافر، فهو مرفوض، وقد ذمّته التعاليم بتعابير حاسمة -
كما مرّت في الفصولِ وتُمرّ - ودعت صاحبه إلى الإنفاقِ فالإنفاقِ، يميناً
وشمالاً وقدامَ وخلف، وباليدَيْنِ المفتوحَتَيْنِ، لكي يصير مُتبدداً بين
الناس، ولا يبقى مُتكدساً على حالته المهلكة في الدنيا والآخرة^٣.

وإذا كان هناك داعٍ صحيح - من الحاجة الفردية أو المجتمعية - ولم
يُنْفَقْهُ الغنيُّ نفسه، فللحكم الإسلامي أن يأخذه منه بالحكومة والولاية،
ويستهلكه في الإنفاقِ على المحرومين، و فيما ينوبه من النفقات .
وأما الغنى التكاثري، فهو الطامة الكبرى، وهو واجب الدفع فوراً
أيضاً كالمسكنة، حيث إنهما طرفا الإفراط والتفريط . وهو المُطغي والمُلهي
- بنصّ الكتاب - وهو غدة سرطانية لا يحتملها الإسلام بوجه .

١- راجع : الفصل ٤٦، من هذا الباب . ولاحظ أيضاً : كلام الفقيه الكبير، العلامة السيد محمد مهدي

بحر العلوم الطبائني (- آخر الجزء الثاني)، في تكفير من لا يهتم بأمر المحتاجين .

٢ - الكافي ٨ / ٣٢ .

٣ - راجع : فصول الإنفاق، من الباب ١٢ .

وإذا نظرنا إلى تعريف الإسلام للمال بأنه القوام والقيام، وما جاء من الإمامين، الصادق «ع» والكاظم «ع»، في حديث «جنود العقل والجهل»، من أن «المكاثرة» ضد «القوام»^١، نعلم بوضوح أن المال التكاثري لِمَالِيَّةٍ له، لأنه يُضَادُّ ما يُعَدُّه الإسلام مَالاً.

ولقد جاء من الإمام الباقر «ع»، بصدد «تعريف المال»، أنه مِصْحَةٌ لشؤون الخلق؛^٢ والمال التكاثري مفسدة عظيمة وإفساد كبير - كما هو واضح - أضف إلى ذلك أنه - بل الأقل منه أيضاً - لا يجتمع من حلالٍ ومشروع - كما ورد في الأخبار^٣، وصدقته التجربة الموضوعية: فهو يُصَادَرُ فوراً، ويُرَدُّ إلى أهله المغصوبين المحرومين بلا تأجيل، حتى يُزاح عنهم الحرمان ويُلحِقُوا مستوى معيشتهم بالآخرين، ثم يُسْتَهْلَكُ ما بقي منه في سائر النفقات. وإنَّ حكمة هذا التَّعْجِيلِ والتَّخْصِصِ غير خافية، وأثره في بناء الأفراد وصونهم عن السَّقُوطِ والتَّمِيعِ وكذلك في صنْعِ المجتمعات وتحسينها غير مجهول.

وقد يَشْتَرِكُ الغِنْيَانُ (التكاثريُّ والوافر) في الحكم الأخير، إذا ظَهَرَ هناك للأسلام وللمجتمع الإسلامي صالح يدعو إلى حركةٍ تغييريَّة. ولقد أَحَسَّتِ البلادُ الرأسماليَّةُ مضارَّ الامتلاكاتِ التكاثريَّةِ بجلاء، فكافَحَتْها بفرضِ الضرائبِ الباهظةِ على الإرثِ وأمثاله، ولكنَّ الإسلامَ قد عالجَ الموضوعَ قبلَ أربعةِ عشرَ قرناً، فلم يُعَدِّ المالَ التكاثريَّ مَالاً. وهذا كُلُّهُ في «الامتلاك»، أمَّا «الاستهلاك»، فمطلوبُ الإسلامِ فيه هو أن يَصَلَ الجماهيرُ - في مجتمعٍ يَصْنَعُهُ هو - إلى مُستوى معيشيٍّ متساوٍ أو متقاربٍ.^٤

١ - الكافي ١ / ١٢: تحف العقول / ٢٩٦.

٢ - راجع: الفصل ١ و ٢٣ و ٢٤، من هذا الباب.

٣ - راجع: الفصل ٣، من هذا الباب.

٤ - راجع: الفصل ٤٧، من هذا الباب.

الفصلُ الثاني والأربعون

الاقتصاد وصلته بالعمودين (الاخلاق، القوّة)

أ - الاخلاق الفاضلة

١ - التقوى والحياة المادّية

الكتاب

١ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ .. ١

٢ .. كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ .. ٢

الحديث

١ النبي «ص» : مَنْ أُعْطِيَ خَمْسًا لَمْ يَكُنْ لَهُ عِذْرٌ فِي تَرْكِ عَمَلِ الْآخِرَةِ :

١ - سورة المائدة (٥) : ٨٨.

٢ - سورة سبأ (٣٤) : ١٥.

- زوجةٌ صالحَةٌ تُعِينُهُ عَلَى امْرِ دُنْيَاهُ وَأَخْرَتِهِ، وَبَنُونَ اِبْرَارٌ، وَمَعِيشَةٌ فِي بَلَدِهِ،
وَحَسَنُ خُلُقٍ يُدَارِي بِهِ النَّاسَ، وَحُبُّ اَهْلِ بَيْتِي^١.
- ٢ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: نِعَمَ الْعَوْنُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الْغِنَى^٢.
- ٣ النبي «ص» - فيما رواه الامام الكاظم: إِنَّ النَّفْسَ إِذَا أَحْرَزَتْ قوتَهَا
اسْتَقَرَّتْ^٣.
- ٤ النبي «ص»: مِنَ السُّنَّةِ إِذَا خَرَجَ الْقَوْمُ فِي سَفَرٍ أَنْ يُخْرِجُوا نَفَقَتَهُمْ، فَإِنَّ
ذَلِكَ أَطْيَبُ لَأَنْفُسِهِمْ وَاحْسَنُ لِأَخْلَاقِهِمْ^٤.
- ٥ الامام علي «ع»: ... وَاعْلَمُوا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْمَتَّقِينَ حَازُوا عَاجِلَ الْخَيْرِ
وَأَجَلَهُ، شَارَكُوا اَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ اَهْلُ الدُّنْيَا فِي
آخِرَتِهِمْ؛ أَبَاحَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مَا كَفَاهُمْ بِهِ وَأَغْنَاهُمْ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «قُلْ:
مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ: هِيَ لِلَّذِينَ
آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»، سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا
سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، شَارَكُوا اَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ،
فَأَكَلُوا مَعَهُمْ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا يَأْكُلُونَ، وَشَرَبُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا يَشْرَبُونَ^٥.
- ٦ الامام الصادق «ع»: مِنْ دَعَائِهِمْ (يَعْنِي آبَاءَهُ «ع»): اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ
فَضْلِكَ الْوَاسِعِ، الْفَاضِلِ، الْمُفْضَلِ، رِزْقًا وَاسِعًا حَلَالًا طَيِّبًا، بِلَاغًا لِلْآخِرَةِ
وَالدُّنْيَا^٦.

١- البحار ١٠٣ / ٢٣٨، عن «دَعَوَاتِ الرَّاَوْنَدِيِّ».

٢- الوسائل ١٢ / ١٦.

٣- الكافي ٥ / ٨٩.

٤- البحار ٧٦ / ٢٦٩، عن «المحاسن».

٥- امالي الطوسي ١ / ٢٥ - ٢٦، طبعة النجف، مطبعة النعمان (١٣٨٤ هـ. ق).

٦- المستدرک ٢ / ٤٢١.

- ٧ الامام الصادق «ع» : قال سلمان .. إِنَّ النَّفْسَ قَد تَلَّتْ عَلَى صَاحِبِهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنَ الْعَيْشِ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هِيَ أَحْرَزَتْ مَعِيشَتَهَا أَطْمَأَنَّتْ^١.
- ٨ الامام الصادق «ع» : اللَّحْمُ يُنْبِتُ اللَّحْمَ، وَمَنْ تَرَكَ اللَّحْمَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا سَاءَ خُلُقُهُ^٢.
- ٩ الامام الصادق «ع» - لِمُصَادِفِ مَوْلَاهُ : اتَّخِذْ عُقْدَةً أَوْ ضِيْعَةً، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ النَّازِلَةُ أَوْ الْمَصِيبَةُ، فَذَكَرَ أَنَّ وَرَاءَ ظَهْرِهِ مَا يُقِيمُ عِيَالَهُ، كَانَ أَسْخَى لِنَفْسِهِ^٣.

٢ - الدُّنْيَا مَعْمَلٌ وَمَتَجَرٌ

الكتاب

- ١ وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا^٤ ..
- ٢ .. فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا، وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ *^٥

١ - الكافي ٥ / ٨٩.

٢ - البحار ٦٦ / ٦٦، عن «المحاسن».

٣ - الوسائل ١٢ / ٤٤.

٤ - سورة القصص (٢٨).

٥ - سورة البقرة (٢) : ٢٠٠ - ٢٠٢.

الحديث

- ١ الامام الحسن «ع»: اِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا.^١
- ٢ الامام السجاد «ع» - فيما رواه الامام الباقر: لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: لَا تَدْعُ طَلَبَ الرِّزْقِ مِنْ حِلِّهِ، فَإِنَّهُ عَوْنٌ لَكَ عَلَى دِينِكَ . وَأَعْقِلْ رَا حِلَّتَكَ وَتَوَكَّلْ.^٣
- ٤ الامام الكاظم «ع»: .. اِجْعَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ حِطًّا مِنَ الدُّنْيَا بِاعْطَائِهَا مَا تَشْتَهِي مِنَ الْحَلَالِ، وَمَا لَا يَثْلُمُ الْمُرُوءَةَ، وَمَا لَا سَرْفَ فِيهِ . وَاسْتَعِينُوا بِذَلِكَ عَلَى أُمُورِ الدِّينِ، فَإِنَّهُ رُوي: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِدِينِهِ، أَوْ تَرَكَ دِينَهُ لِدُنْيَاهُ».^٤

٣ - رفض التَّقَشِّفِ الباطل

الكتاب

- ١ قُلْ: مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ: هِيَ

١ - البحار ٤٤ / ١٣٩: الوسائل ١٢ / ٤٩.

٢ - الوسائل ١٢ / ٤٩.

٣ - الوسائل ١٢ / ٢٠ .

٤ - تحف العقول / ٣٠٢.

- لَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ *^١
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا، إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ *^٢
- ٣ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص» - في قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا، لا تحرموا طيبات ما أحلَّ
الله ..»، الآية، نزلت في .. عدّة من اصحاب النبي «ص»، إنهم اتفقوا على
أن يصوموا النهار، ويقوموا الليل، ولا يناموا على الفراش، ولا يأكلوا اللحم،
ولا يقربوا النساء والطيب، ويلبسوا المسوح، ويرفضوا الدنيا ويسبحوا
في الارض .. فخطب النبي «ص» : فقال : «ما بال اقوامٍ حرّموا النساء
والطيب والنوم وشهوات الدنيا؟ أما إنني لست أمركم أن تكونوا قسيسين
ورهبانا، فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وإن
سياحة أمّتي ورهبانيتهم الجهاد ..»^٤.
- ٢ الامام علي «ع» : قال له العلاء بن زياد الحارثي، وهو من اصحابه : يا امير
المؤمنين، أشكو اليك أخي عاصم بن زياد . قال : وما له؟ قال : ليس

١ - سورة الاعراف (٧) : ٣٢

٢ و ٣ - سورة المائدة (٥) : ٨٧ - ٨٨.

٤ - البحار ٤٠ / ٣٢٨، عن «المناقب».

العِبَاءَةُ وَتَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا. قَالَ : عَلِيٌّ بِهِ . فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : يَا عُدَيُّ نَفْسِهِ، لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ؟ أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟^١

٣ الامام الصادق «ع» - مرَّ سفيان الثوريُّ في المسجد الحرام فرأى أبا- عبدالله «ع» وعليه ثيابٌ كثيرةٌ القيمة حسانٌ. فقال: وَاللَّهِ لَأَتَيْنَهُ وَلَأَوْبَخَنَهُ، فَدَنَامَنَهُ فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! مَا لَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» مِثْلَ هَذَا اللَّبَاسِ، وَلَا عَلِيٌّ «ع»، وَلَا أَحَدٌ مِنْ آبَائِكَ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ «ع»: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» فِي زَمَنِ قَتْرٍ مُقْتَرٍ.. وَإِنَّ الدُّنْيَا بَعْدَ ذَلِكَ أَرَخَتْ عَزَالِيهَا، فَأَحَقُّ أَهْلِهَا بِهَا أَبْرَارُهَا.. غَيْرَ أَنِّي يَا ثَوْرِي! مَا تَرَى عَلِيًّا مِنْ ثَوْبٍ، إِنَّمَا أَلْبَسَهُ لِلنَّاسِ. ثُمَّ اجْتَذَبَ يَدَ سَفِيَانَ فَجَرَّهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَ الثَّوْبَ الْأَعْلَى وَأَخْرَجَ ثَوْبًا تَحْتَ ذَلِكَ عَلَى جِلْدِهِ غَلِيظًا، فَقَالَ: هَذَا أَلْبَسَهُ لِنَفْسِي وَمَا رَأَيْتَهُ لِلنَّاسِ، ثُمَّ جَذَبَ ثَوْبًا عَلَى سَفِيَانَ أَعْلَاهُ غَلِيظٌ خَشِينٌ وَدَاخِلُ ذَلِكَ ثَوْبٌ لَيِّنٌ، فَقَالَ: لَبِستَ هَذَا الْأَعْلَى لِلنَّاسِ وَلَبِستَ هَذَا لِنَفْسِكَ تَسْرُهَا^٢.

٤ - اهمية التَّجَمُّلِ وَالتَّزْيِينِ وَحَسَنِ الْمَلْبَسِ وَالهِئَةِ وَاسْتِعْمَالِ الطَّيِّبِ، دُونَ تَبْذِيرِ وَبَذْخِ وَسْرِفِ

الكتاب

١ - نهج البلاغة / ٦٦٢ - ٦٦٣: عبده ٢ / ٢١٣.

٢ - الكافي / ٦ / ٤٤٢ - ٤٤٣.

- ١ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد^١..
- ٢ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * .. يَخْرُجُ مِنْهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ *^٢
- ٣ .. وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ..^٣
- ٤ والخيلَ والبغالَ والحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ..^٤
- ٥ قُلْ : مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ؟ ..^٥

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن ابيه : وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى بَابِ النَّبِيِّ «ص» يَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَخَرَجَ النَّبِيُّ «ص» فَوَجَدَ فِي حُجْرَتِهِ رُكُوءَةً فِيهَا مَاءٌ، فَوَقَفَ يُسَوِّي لِحِيَّتَهُ وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا . فَلَمَّا رَجَعَ دَاخِلًا قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنْتَ سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَفْتَ عَلَى الرُّكُوءَةِ، تُسَوِّي لِحِيَّتَكَ وَرَأْسَكَ؟ قَالَ : يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا خَرَجَ عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ إِلَى أَخِيهِ، أَنْ يَتَهَيَّأَ لَهُ وَأَنْ يَتَجَمَّلَ .^٦
- ٢ الامام علي «ع» : لِيَتَزَيَّنَ أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ إِذَا آتَاهُ، كَمَا يَتَزَيَّنُ لِلْغَرِيبِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَرَاهُ فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَةِ .^٧

١ - سورة الاعراف (٧) : ٣١.

٢ - سورة الرحمن (٥٥) : ١٩ و ٢٢.

٣ - سورة فاطر (٣٥) : ١٢.

٤ - سورة النحل (١٦) : ٨.

٥ - سورة الاعراف (٧) : ٣٢.

٦ - مكارم الاخلاق / ١٠٩ - ١١٠.

٧ - مكارم الاخلاق / ١١١.

٣ الامام علي «ع»: فيما خاطب به عاصم بن زياد الحارثي: .. وَيَحْك يا عاصم! اَتَرَى اللهَ اَباحَ لك اللذاتِ وهو يكرهُ ما اخذتَ منها؟ لانتَ اهونُ على اللهِ من ذلك . او ما سمعته يقول: «مَرَجَ البحرينِ يَلْتَقِيانِ»، ثم قال: «يَخْرُجُ منهما اللؤلؤُ والمرجانُ»؟ وقال: «ومن كلِّ تَأْكُلُون لِحماً طَرياً وتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا»؟. اما والله، ابتدالُ نِعَمِ اللهِ بِالْفِعَالِ احبُّ اليه من ابتدالِها بالمقال . وقد سَمِعْتُمُ اللهَ يَقولُ: «وامَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» وقوله: «مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي اَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ». انَّ اللهَ خاطَبَ المومنين بما خاطبَ به المرسلين، فقال: «يا أَيُّها الَّذين آمَنوا كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقناكُمْ»، وقال: «يا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاَعْمَلُوا صالِحاً» ..

٤ الامام علي «ع» - فيما رواه الامامُ الصّادق، عن آباءه: الدَّهْنُ يُظهِرُ الغنى، والثَّيابُ تُظهِرُ الجمال ..^٢

٥ الامام علي «ع» - فيما وَصَفَ به المتّقين: .. وَتَجَمَّلًا في فاقَةٍ ..^٣

٦ الامام الحسن «ع» - كان الحسنُ بنُ عليٍّ «ع»، اذا قامَ الى الصَّلاةِ لَبَسَ اَجودَ ثيابِه، فقيلَ له: يا ابنَ رسولِ الله! لِمَ تَلْبَسُ اَجودَ ثيابِك؟ فقال: انَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ، فَاتَّجَمَّلُ لِربِّي، وهو يَقولُ: «خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسجِدٍ»، فَاحِبُّ اَنْ اَلْبَسَ اَجودَ ثيابي ..^٤

٧ الامام الصادق «ع»: انَّ اللهَ يُحِبُّ الجمالَ والتَّجَمُّلَ، وَيُبغِضُ البُؤسَ

١ - البحار ٤٢ / ١٧٣ - ١٧٤.

٢ - الخصال / ٩٢.

٣ - نهج البلاغة / ٦١٦: عبده ٢ / ١٨٨.

٤ - تفسير العياشي ٢ / ١٤.

والتبأوس، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ أَحَبَّ أَنْ يَرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرَهَا .
قِيلَ : كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ : يُنَظَّفُ ثَوْبَهُ، وَيُطَيَّبُ رِيحَهُ، وَيُجَصِّصُ دَارَهُ، وَيَكْنُسُ
أَفْنِيَّتَهُ، حَتَّىٰ أَنْ السَّرَاحَ قَبْلَ مَغِيبِ الشَّمْسِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَيَزِيدُ فِي
الرِّزْقِ ١ .

٨ الامام الصادق «ع» : رَكَعَتَانِ يُصَلِّيهِمَا مُتَعَطِّرًا، أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكَعَةً يُصَلِّيهِمَا
غَيْرَ مُتَعَطِّرَةٍ ٢ .

٩ الامام الصادق «ع» : مَا أَنْفَقْتَ فِي الطَّيِّبِ فَلَيْسَ بِسَرْفٍ ٣ .

١٠ الامام الرضا «ع» : كَانَ يُعْرِفُ مَوْضِعَ جَعْفَرِ (الصَّادِقِ) فِي الْمَسْجِدِ، بِطَيْبِ
رِيحِهِ وَمَوْضِعِ سَجُودِهِ ٤ .

٥ - من اسباب السّاعات

الحديث

١ النبي «ص» : مِنْ سَعَادَةِ الْمُسْلِمِ سَعَةُ الْمَسْكَنِ، وَالْجَارُ الصَّالِحِ، وَالْمَرْكَبُ
الْهَنِيءُ ٥ .

٢ الامام الصادق «ع» : ثَلَاثَةٌ هُنَّ مِنَ السَّعَادَةِ : الزَّوْجَةُ الْمُؤَاتِيَةُ، وَالْوَلَدُ الْبَارُّ،

١- الوسائل ٣ / ٣٤١ .

٢ و٣ و٤ - مكارم الاخلاق / ٤٤ و٤٣ - ٤٤ .

٥- الوسائل ٣ / ٥٥٨ .

والرَّجُلُ يُرْزَقُ مَعِيشَتُهُ، يَغْدُو عَلَى إِصْلَاحِهَا وَيَرْوِحُ إِلَى عِيَالِهِ^١.

* هذه التَّعَالِيمُ أَيْضاً تَشْجُبُ الْفَقْرَ وَتَرْفُضُهُ، إِذْ مِنْ شَأْنِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ أَنْ يَكُونَ فَقْرًا وَمَسَاكِينًا أَيْضًا مُتَمَكِّنِينَ مِنَ التَّجْمُلِ وَالتَّعَطُّرِ، وَلَا سِيَّمَا فِي الصَّلَاةِ وَالْجَمَاعَاتِ (لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ، بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَهَلْ تَكُونُ هَذِهِ الْأَخُوَّةُ أَمْرًا لَفْظِيًّا يَتَّقَلُّ عَلَى اللِّسَانِ؟ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَكَذَا فَالْيَ أَيِّ مَدَى يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ؟) فَلَا يَسْعُنَا أَنْ نَدَّعِي أَنَّ هَذِهِ الْمَزَايَا تَكُونُ وَقْفًا عَلَى الْإِغْنِيَاءِ وَالْمُوسِرِينَ . وَلَقَدْ رَأَيْنَا الْإِمَامَ جَعْفَرَ الصَّادِقَ «ع» يَقُولُ بِحَقِّ الْفَقِيرِ: «... فَلْيُعْطِهِ مَا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَكْتَسِي وَيَتَزَوَّجُ وَيَتَصَدَّقُ وَيَجِجُ»^٢. وَحِينَمَا سَأَلَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَابِرٍ: يَجِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَأْخُذَ الزَّكَاةَ وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فَيَتَصَدَّقُ بِهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»^٣.

تنبیه هام

إِنَّ الْإِخْلَاقَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ رُكْنٌ إِسْلَامِيٌّ فِي أَيِّ مَذْهَبٍ اِقْتِصَادِيٍّ . وَلَعَلَّنَا لِنَحْتَاجُ إِلَى عَقْدِ فِصْلِ أَوْ فِصُولٍ خَاصَّةٍ لِرَسْمِ خُطُوطِ تِلْكَ الْإِخْلَاقِ فِي الْإِسْلَامِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَ فِصُولِ هَذَيْنِ الْبَابَيْنِ تَرَسُّمُ هَذِهِ الْخُطُوطِ وَتُبَيِّنُ حُدُودَهَا وَمَحْتَوَاهَا بِوَضُوحٍ . وَلَعَلَّ هُنَاكَ فِصُولًا يَجْدُرُ بِهَا أَنْ تُسَمَّى «الْإِخْلَاقُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ»، غَيْرَ أَنَّا نَكُلُّ تَدْوِينَهَا وَاعْدَادَهَا بِصُورَةٍ عِلْمِيَّةٍ مَنْظُومَةٍ، إِلَى مَنْ لَهُ الْإِهْلِيَّةُ لِذَلِكَ - مِنْ مُخْتَلِفِ الْجِهَاتِ - مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْإِسَاتِذَةِ

١ - امالي الطوسي ١ / ٣٠٩.

٢ و٣ - الوافي ٢ (م ٦) ٢٥.

الباحثين والأخصائيين . ولاتوفيق الآ من الله العليم الحكيم .

ب - القوّة الغالبة

١ - القوّة والعزّة الشعبيّة

الكتاب

- ١ وُيَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالِ بَنِيكُمْ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا * ١
- ٢ .. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ .. ٢

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع» : آتت الموالى امير المؤمنين «ع» فقالوا : نشكو اليك هؤلاء العرب : ان رسول الله «ص» كان يعطينا معهم العطايا بالسوية، وزوج سلمان وبلالا وصهيبا، وابوا علينا هؤلاء، وقالوا : لا نفعل . فذهب اليهم امير المؤمنين «ع» فكلمهم فيهم، فصاح الاعاريب : ابينا ذلك يا

١ - سورة نوح (٧١) : ١٢ .

٢ - سورة هود (١١) : ٥٢ .

٣ - اي : الى العرب .

ابا الحسن، أبينا ذلك! فخرَجَ وهو مُغْضِبٌ يَجْرُ رِداءه، وهو يَقُولُ: يا معشرَ الموالِي، إنَّ هؤلاء قد صَيَّرُواكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، يَتَزَوَّجُونَ الْيُكُمَ وَلَا يُزَوِّجُونَكُمْ، وَلَا يُعْطُونَكُمْ مِثْلَ مَا يَأْخُذُونَ؛ فَاتَّجِرُوا بِأَرْكَ اللَّهِ لَكُمْ..^١

٢ الامام الصادق «ع» - عن المُعلّى بنِ خَنيس قال: رَأَى ابُو عَبْدِ اللَّهِ «ع» وَقَدْ تَأَخَّرْتُ عَنِ السُّوقِ، فَقَالَ: أُغْدُ إِلَى عِرْكَ.^٢

٣ الامام الصادق «ع» - الفُضيل بنُ يَسار قال: قال ابُو عَبْدِ اللَّهِ «ع»: أَيُّ شَيْءٍ تُعَالِجُ؟ قُلْتُ: مَا أُعَالِجُ الْيَوْمَ شَيْئاً. فَقَالَ: «كَذَلِكَ تَذْهَبُ أَمْوَالُكُمْ»، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ.^٣

٤ الامام الصادق «ع» - عن مَعاذِ بْنِ كَثِيرٍ، بَيَّاعِ الْأُكْسِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي - عَبْدِ اللَّهِ «ع»: إِنِّي هَمَمْتُ أَنْ أَدَعَ السُّوقَ، وَفِي يَدِي شَيْءٌ. فَقَالَ: إِذَا يَسْقُطُ رَأْيُكَ، وَلَا يُسْتَعَانُ بِكَ عَلَى شَيْءٍ.^٤

٢ - القُوَّةُ وَالْمَنْعَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ

الكتاب

١ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ، اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي

١ - الكافي ٥ / ٣١٨ - ٣١٩.

٢ - الرسائل ١٢ / ٣.

٣ و ٤ - الكافي ٥ / ١٤٩.

سبيلِ الله يُوفِّ اليكُم وانتم لا تظلمون *^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّةُ^٢.
- ٢ النبي «ص»: اِرْبِطُوا الْخَيْلَ فَإِنَّ ظُهُورَهَا لَكُمْ عِزٌّ، واجوافها كنز^٣.
- ٣ الامام علي «ع» - في العهد الاštري : .. فالجنودُ باذنِ اللهِ حصونُ الرعيَّةِ، وزينُ الولاةِ، وعزُّ الدينِ، وسبيلُ الأمنِ، وليس تقومُ الرعيَّةُ الا بهم . ثم لا قوامَ للجنودِ الا بما يُخرجُ اللهُ لهم من الخراجِ، الَّذي يَقوون به على جهادِ عدوِّهم، وَيَعْتَمِدُونَ عليه فيما يُصلِحُهُم، وَيَكُونُ من وراءِ حاجتِهِم^٤ ..
- ٤ الامام علي «ع»: كُلُّ مَقْدَرَةٍ يَحْتَاجُ الى بَدَلٍ^٥.
- ٥ الامام السجاد «ع» - جاء في دعائه لاهلِ الثُّغورِ ما يَدُلُّ على اهميةِ المالِ ودوره في تجسيدِ الأمنِ والسَّلامِ وحفظِ ثُغورِ الاسلامِ: اللَّهُمَّ! صلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَحَصِّنْ ثُغورَ المسلمين بِعِزَّتِكَ، وَايِّدْ حُماتها بِقوَّتِكَ، وَأَسْبِغْ عطاياهم من جِدَّتِكَ .. و واثرُ بينِ مِيرِهِم .. وَأَسْبِغْ عليه (الغازي) في النَّفَقَةِ .. اللَّهُمَّ! وَايُّما مسلمٍ خَلَفَ غازياً او مُرابطاً في دارِهِ، او تَعَهَّدَ خالفيه في غيبَتِهِ، او أَعانَهُ بِطائفةٍ من مالِهِ، او أَعَدَّهُ بِعِتادٍ .. فَأَجِرْ له مثلَ أَجرِهِ وزناً

١ - سورة الانفال (٨) : ٦٠.

٢ و ٣ - مجمع البيان ٤ / ٥٥٥.

٤ - نهج البلاغة / ١٠٠٣ : عبده ٣ / ١٠٠.

٥ - البحار ٧٨ / ٧ : عن «مطالب السُّؤل».

بوزنٍ ومِثلاً بمثلٍ ١.

* بما أن هذه الدار دار الأسباب، نُشاهدُ أن إمدادَ الله لاهلِ
الثُّغورِ والمُرابطينِ ايضاً يَكونُ باموالٍ تَجري لهم على ايدي
النَّاسِ، فيكونُ المالُ، من هذه الجهة، ايضاً قواماً للنَّاسِ وقياماً.
ومن هنا، يدعُو القرآنُ الكريمُ النَّاسَ الى الجهادِ في «سبيلِ الله»،
بالأموالِ (يعني: «الإنفاق»)، و بالأنفُسِ (يعني: «الجهاد»).

نظرة الى الفصل

١ - الاقتصاد وصلته بالعمودين (الاخلاق والقوة): إن صلة الاقتصاد بالاخلاق والقوة، وتشابك المادّة والمعنى والمعنى والمادّة في حياة الانسان، الفردية والاجتماعية، والدينية والسياسية، والتربوية والثقافية، امرٌ واضح لا يحتاج الى تجشّم التدليل عليه؛ إذ الانسان يعمل كل ما يعمل، بوجوده الطبيعيّ، وهو يحتاج الى ما في الطبيعة من الموادّ والمواهب، ولا فرق في ذلك الاحتياج الفطريّ المُبرّم، أكان ذلك العمل مادياً ايضاً ام معنوياً. فمادام الانسان حياً، يسكن روحه في بدنه، فهو يحتاج الى المادّة والغذاء، حتى للفكر والخلوة والمناجاة، فضلاً عن غيرها. ولا بيان لهذه الحقيقة الراهنة أصرح وأكثراً حسماً من قول النبيّ المرشد الاكبر «ص»: «اللّهم بارك لنا في الخبز، ولا تفرّق بيننا وبينه، فلو لا الخبز ما صُمنا، ولا صلّينا، ولا أدينا فرائض ربنا عز وجلّ»^١. فوجود الصّلات الطبيعيّة الجذريّة بين المون المادّية والحياة الروحيّة، امرٌ مسلم لا يُنكر^٢، حتى أنّ التعلّم الصادقيّ يقول: «رَكَعَتَانِ يُصَلِّيهِمَا مُتَعَطِّراً أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً يُصَلِّيهِمَا غَيْرَ مُتَعَطِّراً»^٣. وهل العطر والطيب يحصل بلا مؤونة ودفع ثمن. وهل يصح ان تكون هذه الامور موقوفة على الاغنياء، ولا يكون للفقراء فيها نصيب؟

١ - الكافي ٦ / ٢٨٧.

٢ - راجع: الفصل ٥، من هذا الباب ايضاً.

٣ - مكارم الاخلاق / ٤٤.

٢- القوَّة والمُنعة العسكريَّة : نُشيرُ هنا في اقتضابٍ، الى دورِ المالِ في تحصيلِ القوَّة العسكريَّة . من المعلومِ أنَّ القوَّة العسكريَّة الجاهزة من اهمِّ ما يلزمُ لحفظِ الاسلامِ وكيانهِ وتحصينِ المسلمين وعزِّهم وبلادهم ومناجهم وكلِّ ما يكونُ بحضرتهم من حولِ وطولِ . وهذه القدرة لا تحصلُ الا بالتقدُّمِ البالغِ في العلومِ والصناعاتِ العسكريَّة والتقنيَّة الحربيَّة، وبصنعِ واعدادِ احدثِ الآلاتِ الحربيَّة المعاصرة واقدرها وادقها . وهذه القوَّة، هي التي يُحفظُ بها سائرُ قوَّاتِ المسلمين وقدراتهم، من الدنيَّة والثقافيَّة والاقتصاديَّة والعلميَّة والفنيَّة والزراعيَّة والصناعيَّة . فالتأكيدُ الذي جاء به الاسلام، بهذه القولة المُرنة في جوِّ عالمِ الاسلام : «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ»، انما جاء به ليقاظِ الشعورِ ولفتِ الانظارِ الى هذه الناحية العظيمة، من كسبِ القوَّة العسكريَّة واجهزتها، فانَّ القوَّة الرمي، كما روي عن النبي «ص» . وان رمي كلِّ زمانٍ ما يناسبه، وهو ما يكونُ مانعاً حريزاً، بل على المسلمين وحُماة القرآن ان يكونوا اشدَّ تقدُّماً في كسبِ القوَّة والمُنعة من غيرهم، واجدين لاحدِ الاسلحةِ العصريَّة، وان يزودوا الشعوبَ المُستضعفةَ ويسلِّحوها ايضاً، حتى تُثورَ في وجهِ المستكبرين .

تذييل

لقد تكلمنا في الفصلِ الاوَّل، من هذا الباب، عن اهميَّة المالِ وقواميَّته، وفي الفصلِ الثاني عن دورِ المالِ في بقاءِ المجتمع، في جريانه المتوازن، وفي الفصلِ الثالثِ عن حرمةِ المالِ وعن الغاياتِ الصالحةِ لطلبه، واهميَّة كسبه وصيانته، وبعضِ آثاره الايجابيَّة الفرديَّة والاجتماعيَّة، وفي الفصلِ الرابعِ عن الامدادِ الالهيِّ بالاموال، وفي

نظرة الى الفصل الثاني والاربعين ..

الفصل الخامس عن دور المؤمن الماديّة في الحياة الرُوحية وفي اداء الفرائض واقامة الشعائر؛ وكلّ ذلك قد عقّدنا له فصلاً لاهميته المسلّمة، فراجع تلك الفصول والنظرات اليها اذا شئت .

والآن نقول ايضاحاً لهذه المسائل، إنّ للغنى والمال دوراً ايجابياً يجب أن لا ننساه، وإنّ الاسلام لا يرفض المال وطلبه وجمعه اذا كان لغاياتٍ صالحة وفي حدودٍ قوامية من غير ظلمٍ ولا عدوان، وأما ما خالف ذلك فلا يُقرّه . فكلّما وُجد اغنياء متمولون، اكتسبوا اموالاً وحازوها وتجنّبوا سلبات التكاثر والارستقراطية، ووعوا احكام دين الله في المكسب والمتجر وفي الجمع والانفاق وراعوها، ولم يظلموا احداً في الاستيراد والانتاج والتوزيع والاستثمار والتسعير، ولم يستغلّوا الكادحين، ولم يضيّقوا على الأجراء والعمال ولم يبخسوا حقّ احد، ولم يسرفوا ولم يقتروا وكان امرهم بين ذلك قواماً، إنّ هؤلاء اذا كانوا غير متكاثرين ولا مدخّرين وكانوا متجنّبين الآثرة، ولم يجنّحوا الى الاستكبار والبخل، ولم يعثوا ولم يفسدوا ولم يبطّروا، وأنفقوا جميع ما عليهم من الحقوق الفردية والعائلية والاجتماعية، الظاهرة منها والباطنة، واجتنبوا الترف والبذخ، ولم يفرضوا شيئاً على الحكم والتشريع، فلعلّ الاسلام لا يرفضهم، غير أنّ هذا النوع من الغنى لا يبلغ حد التكاثر والرأسمالية المصطلحة ابدأً، لا كمّاً ولا كيفاً^١، وان بلغ فهو ليس هذا المذكور .

١ - جاء في «النالي الاخبار» (ص ١٦٤ - ١٦٥) : «... ومن مفسده (الغنى)، أنّ فيه الخطر من ترك مواساة الإخوان سيّما الفقراء والمساكين والارحام .. قال بعض الاكابر : "لولم يكن في الغنى الآ الخطر من ترك مواساة الفقراء والمساكين ومساعدة الضعفاء، لكان كافياً؛ إن هو قام بها ذهب بماعه وصار في الناس فقيراً.." وقال بعض آخر : "الاغنياء اشقى الاشقياء واحمق الحنفاء، يجمعون الاموال بانواع المرارات والزحمت وصرف الاوقات التي هي اعزّ الاشياء، ويحفظونها بانواع المشقات والخطرات والصدمات، ويتركونها بالف حسرة.." ومن الواضح، أنّ هذه التنديدات والتفريعات، إنّما ترجع الى جمع المال وحبّه والأدخار، لا الى الكسب والطلب للاستهلاك السالم والانفاق .

ولأجل استثناء ما ذُكِرَ من الغنى المحدود، الحائز للشرائط، المؤدي للحقوق، يقول النبي «ص» عند ذم الغنى والغني: «كلُّ غنيٍّ مُتَرَفٍ»، فيُضِيفُ الى الغنيِّ وصفَ الاتراف، ويُسمِّي كلَّ غنيٍّ مُتَرَفٍ مِتّاً. ويقول الامام عليُّ بنُ ابي طالب «ع»: «مَنْ يَسْتَأْتِرُ مِنَ الْاَمْوَالِ يَهْلِكُ»، فيُنِيطُ الهلاكَ بالاستتار.

نعم، بهذا القسم من الغنى المشروع، الذي يُشَدُّ به ظهْرُ المجتمع، حيث يُحَفَظُ فيه موضعُ المالِ الالهيِّ القواميِّ، ويكونُ مبدولاً لادولة، يُقامُ العمودان:

١ - الاخلاقُ الفاضلة .

٢ - القوَّةُ الغالبةُ .

١ - راجع أيضاً، بروح الملاحظة والإمعان: «التأشير الرئيسي البات»، الذي مرَّ في منتهى النظرة إلى الفصل السابق.

الفصل الثالث والأربعون

أصالة التذرع بالمواهب الطبيعية والاستمتاع الملتزم منها
للفرد والمجتمع

الكتاب

- ١ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا، فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ..^١
- ٢ .. هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ..^٢
- ٣ وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا
أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ..^٣
- ٤ .. وَلِنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ *^٤

الحديث

-
- ١ - سورة الملك (٦٧) : ١٥ .
 - ٢ - سورة هود (١١) : ٦١ .
 - ٣ - سورة القصص (٢٨) : ٧٧ .
 - ٤ - سورة النحل (١٦) : ٣٠ .

أ - قيمة الحياة وأهميتها

١ النبي «ص»: لا تَسُبُّوا الدُّنْيَا، فَنِعَمْتُ مَطِيَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَعَلَيْهَا يَبْلُغُ الْخَيْرَ، وَبِهَا يَنْجُو مِنَ الشَّرِّ.^١

* يعني : بطلب المعرفة الصحيحة عن الله تعالى وعن النفس والعالم، والحصول على علم صادق، وبفعل الصالحات وترك السيئات .

٢ النبي «ص» - لابي ذر الغفاري : كُنْ عَلَى عَمْرِكَ اشْحَ مِنْكَ عَلَى دَرْهِمِكَ.^٢

٣ الامام علي «ع»: اِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صَدَقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهَمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ اَحْبَاءِ اللهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ، وَمَتَجَرُّ اَوْلِيَاءِ اللهِ، اِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهِ الْجَنَّةَ..^٣

٤ الامام الباقر «ع» - في تفسير قوله تعالى : «وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ»، قال :
الدُّنْيَا.^٤

٥ الامام الباقر «ع»: نِعَمَ الْعَوْنُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ.^٥

١ - البحار ٧٧ / ١٧٨، عن «اعلام الدين».

٢ - سفينة البحار ٢ / ٢٥٨.

٣ - نهج البلاغة / ١١٤٨ : عبده ٣ / ١٨٢.

٤ - المستدرک ٢ / ٤١٦.

٥ - الوسائل ١٢ / ١٧.

ب - حثّ وتحضيض

- ٦ الامام السجاد «ع» : مَنِ اتَّخَذَهَا دَارَ قَرَارٍ وَمَنْزَلَ اسْتِيطَانَ، فَإِنَّهَا دَارُ قُلْعَةٍ وَمَنْزَلُ بُلْغَةٍ وَدَارُ عَمَلٍ ، فَتَزَوَّدُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، قَبْلَ تَفَرُّقِ أَيَّامِهَا ١.
- ٧ الامام الصادق «ع» : كَانَ فِيمَا وَعَظَ بِهِ لِقَمَانُ ابْنِهِ : يَا بُنَيَّ ! .. إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ مُسْتَأْجَرٌ قَدْ أَمَرْتُ بِعَمَلٍ ، وَوَعِدْتُ عَلَيْهِ اجْرًا ، فَأَوْفِ عَمَلَكَ ، وَاسْتَوْفِ اجْرَكَ ٢.

ج - التزام وتيقظ

- ٨ الامام علي «ع» - من دعاء له : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْزُقْنِي رِزْقًا وَاسِعًا، حَلَالًا طَيِّبًا، تُؤَدِّي بِهِ أَمَانَاتِنَا، وَنَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى زَمَانِنَا، وَنُنْفِقُ مِنْهُ فِي طَاعَتِكَ، وَفِي سَبِيلِكَ ٣.
- ٩ الامام السجاد «ع» : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي لِأَنَّ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِي مَنْ هَجَرَنِي بِالْبُرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَدَلِ، وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصَّلَةِ .. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَالْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسَطِ الْعَدْلِ .. وَابْتِثَارِ التَّفَضُّلِ .. وَالْإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ ٤.
- ١٠ الامام السجاد «ع» - من دُعَائِهِ لَجِيرَانِهِ وَأَوْلِيَائِهِ : .. وَفَقَّهُمْ لِإِقَامَةِ سُنَّتِكَ،

١ - تحف العقول / ١٨٢.

٢ - الوافي ١ (م ٣) / ٧٧.

٣ - البحار ٩٠ / ١٧٥.

٤ - الصحيفة السجادية / ١٣٣ (الدعاء ٢٠).

والأخذ بمحاسن ادبِك، في ارفاقِ ضعيفهم، وسدِّ خَلَّتِهِم، وعبادة مريضهم،
وهداية مسترشديهم، ومُنَاصِحَةِ مُسْتَشِيرِهِم، وتَعَهُدِ قَادِمِهِم، وكتمانِ
اسرارهم، وسترِ عوراتِهِم، ونصرة مظلومهم، وحسنِ مُواساتِهِم بالماعون،
والعودِ عليهم بِالجِدَّةِ والافضال، واعطاء ما يَجِبُ لهم قبل السَّوَالِ ..^١

د - اغتنم، ثم اغتنم

١١ النبي «ص» - فيما أوصى به ابان الغفاري: يا ابان! اغتنم خمسا قبل
خمسٍ: شبابك قبل هَرَمِك، وصحتك قبل سُقْمِك، وغناك قبل فقرك،
وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.^٢

هـ - المحاولة ودورها الهام

١٢ الامام علي «ع»: ان الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما؛ وبأخذان
منك، فخدمتهما.^٣

١٣ الامام الصادق «ع»: .. يا ابن جندب! بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم: لاتذهبن
بكم المذاهب، فوالله لاتنال ولايتنا الا بالورع، والاجتهاد في الدنيا، و..^٤

* ولعل هذا الاجتهاد يعم كل ما يتصل بحياة الانسان من
طلب معرفة حقة، وعلم ناجع، وعمل فردي او اجتماعي.

١ - الصحيفة السجادية / ١٧٧ (الدعاء ٢٤).

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٤٠.

٣ - غرر الحكم / ١٢٠.

٤ - تحف العقول / ٢٢٣.

نظرة الى الفصل

اصالة التذرع بالموهب الطبيعية: يدعو القرآن الكريم الانسان الى التفاعل مع الطبيعة وما اودع الله تعالى فيها، تفاعلاً نشيطاً مستمراً؛ نعم، إن القرآن - وهو كتاب «الحياة» - إنما يحض الانسان فيما يحض، على:

- ١ - تميم الانتفاع بالارض^١.
- ٢ - اتخاذ الارض مهدياً للسلوك في سبلها والارتزاق من نباتها^٢.
- ٣ - الاستمتاع بالبان الانعام والانتفاع بفوائدها الكثيرة وقطف ثمر النخيل والعنب لما فيه من المآرب^٣.
- ٤ - الاستفادة من النحل وعسلها^٤.
- ٥ - المشي في مناكب الارض والانتشار فيها لطلب المعيشة^٥.
- ٦ - اتخاذ الامتعة اللازمة للعيش من الطبيعة^٦.
- ٧ - الاستفادة من المياه المختلفة، من البحار والانهار والثلوج والامطار^٧.

-
- ١ - سورة الرحمن (٥٥) : ١٠.
 - ٢ - سورة طه (٢٠) : ٥٣ - ٥٤؛ سورة الانبياء (٢١) : ٣١؛ سورة الزخرف (٤٣) : ١٠.
 - ٣ - سورة النحل (١٦) : ٦٦ - ٦٧؛ سورة المؤمنون (٢٣) : ١٩ و ٢١.
 - ٤ - سورة النحل (١٦) : ٦٩.
 - ٥ - سورة الجمعة (٦٢) : ١٠؛ سورة الملك (٦٧) : ١٥.
 - ٦ - سورة البقرة (٢) : ٣٦ و ١٦٨.
 - ٧ - سورة البقرة (٢) : ٢٢ و ١٦٤، سورة الانعام (٦) : ٩٩؛ سورة الاعراف (٧) : ٥٧؛ سورة نوح (٧١) : ١١ - ١٢، ..

- ٨ - اتّخاذُ القصورِ من سُهولِ الارضِ وَنَحْتُ البيوتِ من جبالِها ١.
- ٩ - عمرانُ الارضِ وبسطُ عمارتِها، للاستفادةِ منها باشكالٍ مختلفة ٢.
- ١٠ - اجراءُ الفُلُكِ في البحرِ وسُلوُكُ الطُّرُقِ البحريّةِ، والحصولُ على ما في نواحي الارضِ المختلفةِ من المعاشِ والموادِّ والمؤن ٣.
- ١١ - اتّخاذُ المراكبِ البرّيّةِ والبحريّةِ لقطعِ المسافاتِ بسرعة ٤.
- ١٢ - اتّخاذُ المراكبِ البرّيّةِ (والبحريّةِ) للرُّكوبِ ولحملِ الاتِّقالِ ٥.
- ١٣ - الاستفادةُ من أقطارِ الارضِ الواسعةِ وقِطْعِها المُتجاوِراتِ وغيرِ المُتجاوِراتِ ٦.
- ١٤ - استخراجُ الموادِّ البروتينيّةِ من الحيواناتِ البرّيّةِ ٧.
- ١٥ - استخراجُ الموادِّ البروتينيّةِ من الحيواناتِ البحريّةِ ٨.
- ١٦ - استخراجُ الموادِّ التَّجمليّةِ من البحارِ ٩.
- ١٧ - اتّخاذُ الملابسِ من الأنعامِ، جلودِها وأوبارِها ١٠.
- ١٨ - رَعْيُ الأنعامِ والمواشيِ وسَوْمُ الشِّياهِ في مَنابِتِ الارضِ ١١.
- ١٩ - الاستفادةُ من النُجومِ والأهْلَةِ لمعرفةِ الطُّرُقِ والجِهاَتِ

١ - سورة الاعراف (٧) : ٧٤.

٢ - سورة هود (١١) : ٦١.

٣ - سورة النحل (١٦) : ١٤؛ سورة الحج (٢٢) : ٤٥؛ سورة الرحمن (٥٥) : ٢٤.

٤ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٢٢؛ سورة فاطر (٣٥) : ١٢.

٥ - سورة النحل (١٦) : ٦ - ٨.

٦ - سورة الرعد (١٣) : ٤؛ سورة العنكبوت (٢) : ٥٦.

٧ - سورة النحل (١٦) : ٥؛ سورة فاطر (٣٥) : ١٢.

٨ - سورة النحل (١٦) : ١٤.

٩ - سورة النحل (١٦) : ١٤؛ سورة الرحمن (٥٥) : ٢٢.

١٠ - سورة النحل (١٦) : ٥.

١١ - سورة النحل (١٦) : ١٠.

والمواقيتِ والسَّنينِ والحسابِ ١.

٢٠ - الاستفادة من الحداثتي ذات بهجة والجَنَاتِ الألفاف، للتنشيط

والإجمام ٢.

أضف الى ما ذكرنا، أن الاسلام يحض الانسان على الاستفادة الكافية من مواهبه الشخصية ووقاته وصحته وشبابه؛ فالاسلام حينما يتكلم عن الاقتصاد والمسائل المالية يعمد الى بيان فناء الدنيا وتفرق ايامها. وحينما يتكلم عن تفرق الدنيا وايامها يعمد الى لفت الانتظار الى التزود منها بالكد والعمل والسعي وكسب المال الحلال ودفعه لمصالح المجتمع وسد اعواز المعدمين، بعد انفاق المقدار اللازم منه على النفس والعائلة.

وهذا المنهج الذي تبناه الاسلام، هو ارقى منهج تربوي بناء للحياة المادية والمعنوية للافراد والمجتمعات، اذ الانسان اذا تذكر ان العمر فان، وان ايامه ايام قلائل متصرّمات، يساق الى التزود منها بالجهد والكد، فيعمل ويسعى، ويحسن العمل ويتقنه طلباً لمرضاة الله، ويواصل السعي فيصبح مفيداً مثمراً، يعمل لخير الناس، ولتطوير المجتمع، ولتموين ابناء جنسه، ولتسليح شعبه بالسلاح الاقتصادي، مما يصنع وينتج.

وهذه الناحية الهامة يجب ان يؤكد عليه في الحقل التربوي. ومما هو معلوم ان المجتمع الاسلامي، يجب ان يكون بحيث يسع لكل ان يقوموا بالتزود لانفسهم، وبتطوير مجتمعهم، وتقوية بنيتهم الاقتصادية، فلا يجوز ان يهمل الفقير والبائس على حالهما، اذ مع تلك الحالة لا يتاح لهما اي عمل او تزود او تطوير، فان تركا سدى ظلما.. وهذا ما لا يجوز بوجه ابدًا.

١ - سورة الانعام (٦): ٩٧؛ سورة النحل (١٦): ١٦؛ سورة البقرة (٢): ١٨٩؛ سورة بونس (١٠)

: ٥.

٢ - سورة النمل (٢٧): ٦؛ سورة النبا (٧٨): ١٦.

ومن هنا ننتقل ايضاً، الى أنَّ التَّعاليمَ الاسلاميَّةَ يرمي كُلهَا الى
غرضٍ واحد، هو إسعادُ الانسان، في حالة الانفرادِ والاجتماع . وهذه
التَّعاليمُ متماسكةُ الأبعاض، مُترابطةُ المباني، لانفصالَ لايِّ منها عن
سائرِها .

الفصلُ الرَّابِعُ والأربعون

الاقتصاد، أصالة إسلامية

يُستَشَفُّ من الآياتِ السَّماويَّةِ - المبيَّنةِ في القرآنِ الكريمِ - التي تحكي سيرةَ الانبياءِ «ع» في نهضاتهم وشعاراتهم، أنهم كانوا يدعون الناس - أول ما يدعون - إلى عبادةِ اللهِ تعالى، وإيفاءِ الكيلِ والميزانِ وعدمِ بَخسِ النَّاسِ أشياءهم؛ ويتبعون ذلك بخطابهم للاغنياء، في صرخةٍ جليلةٍ: «لا أسألكم عليه مالاً»^(١).
فهذه ثلاثة شعاراتٍ حيَّةٍ رئيسية، كانت تتلأأ في جبهةِ الدَّعواتِ النَّبويَّةِ، وتملأ الأجوأَ أيامَ كان الانبياءُ «ع» يقومون بانقاذِ الجماهيرِ البشريَّةِ من مخالبِ الطَّواغيتِ:

- ١ - الدَّعوةُ إلى عبادةِ اللهِ تعالى، بإيمانٍ وإخلاصٍ.
- ٢ - الدَّعوةُ إلى دَعْمِ نظامِ اقتصاديٍّ سالمٍ، بفضلِ تصحيحِ الصَّلاتِ الاقتصاديَّةِ والتَّبادليَّةِ بين النَّاسِ، وشجبِ العُدوانِ الماليِّ عن الجماهيرِ، في جميعِ صُورِهِ وأشكالِهِ، من المُعلنةِ وغيرِها، وردِّعِ الطَّواغيتِ الاقتصاديِّينَ والمستكبرينَ الماليِّينَ، في أحسَمِ شكلٍ.

- ٣ - العَمْدُ إلى مقاطعةِ أصحابِ الاموالِ والثَّرَواتِ، حتى لا يطمعوا في تحريفِ الدَّعوةِ وغاياتِها.

١ - سورة هود (١١) : ٢٩ .

نعم، فهناك طاغوتان : سياسيٌ واقتصاديٌ . فيجبُ أن يكون هناك شَجْبَان ايضاً - تَبَعاً للانبيا «ع» - حتى يَتِمَّ امرُ الدَّعوةِ الالهيةِ والثَّورةِ الدِّينيةِ . فكما أنَّ الانبياءَ «ع» كانوا يَشْجُبُونَ الطَّاغُوتَ الأوَّلَ، باخراجِ النَّاسِ من عبادةِ العبادِ واطاعةِ قواينهم الى عبادةِ اللهِ تعالى واطاعةِ احكامه؛ وَيَشْجُبُونَ الطَّاغُوتَ الثَّانِيَّ بِالْأَمْرينِ المذكورينِ، فكذلك يجبُ على الدُّعاةِ الدِّينيينِ أن يَشْجُبُوهُمَا جميعاً .

ولا يُمكنُ أن يَتَجَسَّدَ أيُّ اصلاحٍ دينيٍّ او ثورةٍ دينيةٍ، اذا لم يَعمِدِ القائدون الى هذين الشَّجْبَيْنِ بصمودٍ واستمرارٍ . ولا يُوجدُ هناك ايمانٌ توحيدِيٌّ مُستتَبِعٌ للعملِ الآ في مجتمعاتٍ سالحةٍ . ولا صلاحٌ الآ بالعدل^١، ولا عدلٌ مع حضورِ الطَّاغُوتَيْنِ في المجتمعِ او حضورِ احدهما، ولا سيما الثَّانِي، حيث إنَّه اذا لم يُشْجَبْ يَخْلُقُ الأوَّلَ ايضاً باسمِ سالحةٍ ومموَّهةٍ .
وهذه الامورُ كُلُّها من اهمِّ الشَّواهدِ القاطعةِ على أنَّ للاقتصادِ وتقويمه السَّالمِ العادلِ، اصالةً دينيةً اسلاميةً، لا تقبلُ أيَّ بَدَلٍ او اهمالٍ .

الكتاب

١ واقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ *

١ - لا تُنس قول مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع» : «الرَّعِيَةَ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ» - راجع :

الفصل ٤٧، من الباب ١٢ .

٢ - سورة البقرة (٢) : ٤٣ .

- ٢ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ ١
- * قد جعل أداء الزكاة ردفاً للصلاة والركوع مع الراكعين واطاعة الرسول «ص». وقد جاء ذكرها والامر بها في القرآن في موارد عديدة وكثيرة . ومن هنا نعلم أن القضية المالية في الاسلام لها اصاله هامة كالقضية العبادية، بل هي أيضاً من العبادة .
- ٣ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ، يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ ۚ ٢
- ٤ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * ٣
- ٥ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ، قُلْ : الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۚ ٤
- ٦ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا ۚ ٥
- ٧ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ۚ ٦
- ٨ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ ٧
- ٩ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۚ ٨

١ - سورة النور (٢٤) : ٥٦.

٢ - سورة الانفال (٨) : ٤١.

٣ - سورة المعارج (٧٠) : ٢٤ - ٢٥.

٤ - سورة الانفال (٨) : ١.

٥ - سورة النساء (٤) : ٣٢.

٦ - سورة النساء (٤) : ٥.

٧ - سورة الحشر (٥٩) : ٧.

٨ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥.

١٠ .. قال: يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ، مَا لَكُمْ مِنْ آلِهَ غَيْرِهِ، وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ
والميزان ..^١

* قد جاء ذكر المكيال والميزان والنهي عن نقصهما، بعد
ذكر العبادة لله تعالى. وهذا يرمي الى اهمية القضية المالية
والاقتصادية.

١١ ويا قوم أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ..^٢

١٢ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ * وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً *^٣

* والآيات التي مرّت في مُسْتَهَلَّ الفصلِ الاوّلِ من هذا
الباب، تَمَّتْ الى هذا الموضوعِ ايضاً، وكذلك كثيرٌ من الآيات التي
جاءت في سائرِ الفصول. وذلك لأنَّ اهمية الاقتصاد وأصالته في
الاسلام امرٌ قطعيٌّ، كما أنَّ الامرَ كذلك في الحياةِ والفترةِ والتجربةِ
والعقلِ والمجتمعِ.

الحديث

١ النبي «ص»: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْخُبْزِ، وَلَا تَفَرِّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَلَوْلَا الْخُبْزُ

١/٢ - سورة هود (١١): ٨٤-٨٥.

٢/٣ - سورة نوح (٧١): ١١-١٢.

- ما صُمنا ولا صَلَّينا ولا أَدَّينا فرائضَ ربِّنا عزَّ وجلَّ^١.
- ٢ النبي «ص» - في واقعة الرجل الانصاري مع سمرّة بن جندب، المشهورة، فقال «ص» للانصاري : «إِذْهَبْ فَأَقْلَعِهَا وَأَرْمِ بِهَا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»^٢.
- ٣ النبي «ص» : خَصَلْتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا مِنَ الشَّرِّ شَيْءٌ، الشَّرْكَ بِاللَّهِ، وَالضُّرُّ لِعِبَادِ اللَّهِ^٣.
- ٤ النبي «ص» : الْفَقْرُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ^٤.
- ٥ النبي «ص» : فِيمَا قَالَهُ بِحَقِّ وَالِي الْمُسْلِمِينَ : .. لَمْ يُفْقِرْهُمْ فَيُكْفِرْهُمْ ..^٥
- ٦ الامام علي «ع» : فِيمَا كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ : أَدِقُّوا أَقْلَامَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَ سَطُورِكُمْ، وَأَحْذِرُوا مِنْ فُضُولِكُمْ، وَأَقْضُوا قِصْدَ الْمَعَانِي، وَإِيَّاكُمْ وَالْأَكْثَارَ، فَإِنَّ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ لَا تَحْتَمِلُ الْإِضْرَارَ^٦.
- ٧ الامام علي «ع» : - فِي الْعَهْدِ الْإِشْتِرَائِيِّ : وَتَفَقَّدُوا أَمْوَالَهُمْ (التُّجَارَ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ) بِحَضْرَتِكُمْ، وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكُمْ، وَأَعْلَمُ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا، وَشُحًّا قَبِيحًا، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبَيْعَاتِ. وَذَلِكَ بَابُ مُضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوَلَاةِ؛ فَامْنَعُوا مِنَ الْإِحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمِحًا، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ

١ - الكافي ٦ / ٢٨٧.

٢ - الكافي ٥ / ٢٩٣.

٣ - تحف العقول / ٣١.

٤ - البحار ٧٢ / ٤٧.

٥ - الكافي ١ / ٤٠٦.

٦ - مستدرک نهج البلاغة / ١١١.

لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ، مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُتْبَاعِ ١.

٨ الامام السجاد «ع»: .. أَمَا حَقُّ الْمَالِ، فَإِنَّ لَا تَأْخُذَهُ الْإِمْنِ حِلَّهُ، وَلَا تُنْفِقَهُ

إِلَّا فِي حِلِّهِ، وَلَا تُحَرِّفَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا تَصْرِفَهُ عَنْ حَقَائِقِهِ ٢.

٩ الامام السجاد «ع» - فيما رواه الامام موسى الكاظم «ع»: .. إِسْتِمَارُ

الْمَالِ تَمَامَ الْمَرْوَةِ ٣.

١٠ الامام الباقر «ع»: - فيما رواه الامام الصادق: إِنَّهُ سُئِلَ عَنِ الدَّنَائِرِ

وَالدِّرَاهِمِ وَمَا عَلَى النَّاسِ فِيهَا؟ فَقَالَ: هِيَ خَوَاتِيمُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، جَعَلَهَا

اللَّهُ مِصْحَةً لَخَلْقِهِ، وَبِهَا تَسْتَقِيمُ شُؤْنُهُمْ وَمَطَالِبُهُمْ ٤.

١١ الامام الباقر «ع»: كَانَ عَلِيٌّ «ع» كُلُّ بُكْرَةٍ يَطُوفُ فِي اسْوَاقِ الْكُوفَةِ، سَوْقًا

سَوْقًا، وَمَعَهُ الدَّرَّةُ عَلَى عَاتِقِهِ - وَكَانَ لَهَا طَرْفَانِ وَكَانَتْ تُسَمَّى السَّبِيْبَةَ -

فَيَقِفُ عَلَى كُلِّ سَوْقٍ سَوْقٍ فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! قَدِّمُوا الْإِسْتِخَارَةَ،

وَتَبَرَّكُوا بِالسُّهُولَةِ، وَأَقْرَبُوا مِنَ الْمُتْبَاعِينَ، وَتَزَيَّنُوا بِالْحِلْمِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ

الْكَذْبِ وَالْيَمِينِ، وَتَجَافَوْا عَنِ الظُّلْمِ، وَأَنْصِفُوا الْمَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْرُبُوا الرَّبَّاءَ،

(و) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ ٥.

١٢ الامام الصادق «ع»: إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ هَذِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْأَمْوَالِ، لِتُوجِّهُوهَا

حَيْثُ وَجَّهَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُعْطِكُمْوهَا لِتَكْنِزُوهَا ٦.

١ - نهج البلاغة / ١٠١٨: عبده ٣ / ١١٠.

٢ - تحف العقول / ١٩١.

٣ - تحف العقول / ٢٨٧.

٤ - امالي الطوسي ٢ / ١٣٣.

٥ - سفينة البحار / ١ / ١٢٠.

٦ - الكافي ٤ / ٣٢.

١٣ الامام الصادق «ع» - قال له رجلٌ : يا جعفر! الرَّجُلُ يَكُونُ له (مالٌ) فَيُضِيعُهُ فَيَذْهَبُ؟ قال : اِحْتَفِظْ بِمَالِكَ فَإِنَّهُ قِوَامُ دِينِكَ، ثُمَّ قَرَأَ : «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ اِمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا»^١.

١٤ الامام الصادق «ع» : اِنَّ مِنْ بَقَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبَقَاءِ الْاِسْلَامِ، اَنْ تَصِيرَ الْاِمْوَالُ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ، وَيَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ .. وَاِنَّ مِنْ فَنَاءِ الْاِسْلَامِ وَفَنَاءِ الْمُسْلِمِينَ، اَنْ تَصِيرَ الْاِمْوَالُ فِي اَيْدِي مَنْ لَا يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ، وَلَا يَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ^٢.

١٥ الامام الصادق «ع» - الْفُضَيْلُ بْنُ يَسَارٍ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ «ع» : اَيُّ شَيْءٍ تُعَالِجُ؟ قُلْتُ : مَا أُعَالِجُ الْيَوْمَ شَيْئًا . فَقَالَ : كَذَلِكَ تَذْهَبُ اِمْوَالُكُمْ؛ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ^٣.

١- امالي الطوسي ٢ / ٢٩٢.

٢- الوسائل ١١ / ٥٢١: الوافي ٢ (د) ٦ / ٦٢.

٣- الكافي ٥ / ١٤٨.

نظرة الى الفصل

الاقتصاد، اصالة اسلامية : ما كنا نحسب أنفسنا محتاجين الى عقد فصلٍ عن «الأصالة الاقتصادية في الاسلام»، بعد الفصول والابحاث التي مضت وما يأتي الى نهاية الباب الثاني عشر، فإن من وقف على التعاليم الاسلامية، ذات الصلة والاسر التنظيمي العميق، وخصوصاً على عشرات عشرات من التعاليم الاقتصادية في القرآن والحديث، يعلم أن من أجلى الواضحات أن هذا الدين يركز للاقتصاد مركزاً أصلياً، ويتبنى اصالته تبنياً لا محيد عنه .

فالدين الذي يجعل الزكاة ردف الصلاة، ويقول تنزيهه السماوي : «ولا توتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً»^١، ويقول : «للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن»^٢، ويقول : «والذين في اموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم»^٣، ويقول : «وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة»^٤، ويصرخ بأن الاموال «لا تكون دولة بين الاغنياء»^٥، كيف لا يعطي الاقتصاد اصالة ؟

والدين الذي يقول نبيه الصادع به جهاراً : «اللهم بارك لنا في الخبز، ولا تفرق بيننا وبينه، فلولا الخبز ما صمنا ولا صلينا ولا ..»^٦ ويقول الامام علي بن ابي طالب «ع» : «.. إن اموال المسلمين لا تحتمل

١ و ٢ - سورة النساء (٤) : ٥ و ٣٢ .

٣ - سورة المعارج (٧٠) : ٢٤ - ٢٥ .

٤ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥ .

٥ - سورة الحشر (٥٩) : ٧ .

٦ - الكافي ٦ / ٢٨٧ .

نظرة الى الفصل الرابع والاربعين ..

الإضرار»^١، ويقولُ الامامُ السَّجَّادُ «ع»: «وَأَمَّا حَقُّ الْمَالِ، فَأَنْ لَا تَأْخُذَهُ إِلَّا مِنْ جِلَّةٍ .. وَلَا تُحَرِّفَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ»^٢، ويقولُ الامامُ الصَّادِقُ «ع»: «إِنْ مِنْ بَقَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبَقَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ تُصِيرَ الْأَمْوَالُ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ، وَيَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ»^٣ .. وَكَيْفَ لَا يُعْطَى الْاِقْتِصَادَ اصَالَةً؟

أَجَل، إِنَّ الشَّرْعَ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَيَرَى غَايَةَ الْغَايَاتِ لِرِسَالَةِ الْأَنْبِيَاءِ «ع» هِيَ أَنْ يُقَامَ الْعَدْلُ فِي الْجُمَاهِيرِ وَيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَيُكَافِحُ الْاِقْتِصَادَ الْحُرَّ (التَّكَاتُرَ) أَشَدَّ مَكَافِحَةٍ، وَيُعَدُّ الْمَالَ سَبَبًا لِقَوَامِ الدِّينِ^٤، لَا يُهْمَلُ الْقَضِيَّةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ، بَلْ يَدْعُو إِلَى إِرْسَاءِ الْقَوَاعِدِ الْعَادِلَةِ، وَيُزِمُّ النَّاسَ فِي الْأَمْوَالِ، وَيَرْفُضُ الطَّاعُوتِيَّةَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ، وَيُحَارِبُ سَبَابَ الْفَقْرِ وَعِلَلَهُ، وَيَحُضُّ النَّاسَ عَلَى إِحْقَاقِ حَقُوقِهِمُ الْمَالِيَّةِ - الَّتِي بَهَا يَكُونُ قَوَامُ دِينِهِمْ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ^٥ - وَيُطِيحُ بِالطَّاعُوتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِ الطَّاعُوتِيِّ، وَيَدْعُو عُلَمَاءَهُ وَحُكَّامَهُ إِلَى أَنْ لَا يُقَارُّوا عَلَى كِطَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، وَيُعَدُّ الظُّلْمَ الْاِقْتِصَادِيَّ أَحَمَّ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ وَمَصْدَرَهَا - كَمَا هُوَ كَذَلِكَ .

وَمِنَ الْمُسْلِمِ بِهِ، أَنَّ الدِّينَ الْفِطْرِيَّ الَّذِي يَرَى إِقَامَةَ الصَّلَاةِ وَإِتْيَانَ الصَّوْمِ مَنْوُطَةً بِالْخُبْزِ (الْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ)، لَا يُؤَاكِبُ الَّذِينَ يَسْتَغْلُونَ النَّاسَ وَيَسْرِقُونَ أَرْزَاقَهُمْ، بَلْ يَقِفُ بِجَانِبِ الْمُضْطَهَّدِينَ لِكَيْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ حَقَّهُمُ الْمُضَيِّعَ .

إِنَّ الْإِسْلَامَ بِاعْتِدَالِهِ الْفِطْرِيِّ، يُرَاعِي فِي بَرْمَجَةِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ كُلَّ الْجَوَانِبِ الَّتِي يَنْبَغِي مَرَاعَاتُهَا، فَهُوَ كَمَا يَدْعُو إِلَى تَأْمِينِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ

١- مستدرک نهج البلاغة / ١١١ .

٢- تحف العقول / ١٩١ .

٣- الوسائل ١١ / ٥٢١ .

٤ و٥- امالي الطوسي ٢ / ٢٩٢، من حديث الامام الصادق «ع» .

الرّوحية يدعو الى تأمين حياته المادّية، وكما يدعو الى تأمين حياته المادّية يدعو الى تأمين حياته الرّوحية، وكما يدعو الى الصّلاة ويعدّها عمود الدين يأمر بالزّكاة، وتلفتُ الانظار الى اهمية المادّة الغذائيّة لاقامة ذلك العمود، ويسوّغ للمسلم أن يقتل من يمنعه من القوت فيما يحتاجُ اليه .. يقول الفقهاء: «لو وجدَ طعامَ الغير، فإن كان صاحبه مضطراً فهو اولى . ولو كان يخافُ الاضطرارَ فالمضطّرُّ اولى، فإن لم يكن له ثمنٌ، وجبَ على المالكِ بذله . فإن منعه غصبه، فإن دفعه جاز قتل المالك في الدّفع ..»^١. فالمسلم يقتل من يمنعه مما يقوم به صلّبه ويتوسّل به الى ادامة الحياة. وهذه الكيفيّة تنبع من جامعية الاسلام ونظريته الصّحيحة الى واقع الحياة والقضية الاقتصادية. ففي هذا الضّوء، إنّ الاسلام لا يدعو الناس الى الصّبر على الظلم والمحرومية، واحتمال الاحتكار والاجحاف، بل هو يرفض الاضطهاد الاقتصادي كما يرفض الاضطهاد السياسي، ويحضّ الناس على مكافحة المظالم كلّها. والظلم الاقتصادي اهم انواع الظلم - كما سلف القول - لانه يؤدّي الى سائر المظالم حتى الظلم السياسي . فالذي يشجّع الجماهير على تحمّل الاعتداء الاقتصادي والظلم المالي، باسم الموعظة الدّينية، والانقطاع الى الآخرة وأنّ الدنيا امر زائل، وأنّ المحتكر والمجحف بالسّعر سيجزيهما الله تعالى في الآخرة، فهو يتعدّ عن روح الاسلام بهذا الاتّجاه . وإنّ لهذا النوع من الفكر والاتّجاه - سواء كان ذلك من الغفلة ام من التّغافل - مفسدٌ عظيمٌ تُشير الى عدّة منها: أ - انه يؤدّي الى توسيع نطاق الظلم الاقتصادي، لأن الطّاغوت الاقتصادي اذا شاهد أنّ الناس يدعون الى احتمال مظالمه بدل أن يدعوا الى كفاحه، فإنه يشجّع بذلك على تماديه في غيّه وعدوانه ويصرّ عليهما

١ - المبسوط ٦ / ٢٨٦ (طبعة طهران): شرائع الاسلام / ٢٣٨ (طبعة ١٣١١ هـ.ق): القواعد ٢ / ١٦ (طبعة ١٣٢٩ هـ.ق): مُستند الشيعة ٢ / ٣٩٧ (طبعة ١٣٧١ هـ.ق): وسيلة النّجاة ٢ / ١٨٩.

مستكبراً - كما هو واضح مجرب .

ب - أن الانقطاع الى الآخرة لا يتحقق إلا بالمال، وأن العمل الاخروي كالدنيوي يحتاج الى القوت والمواد الحياتية والمعيشية، فاي فقر او حرمان او احتمال محرومية يؤدي الى عمل الآخرة، مع أن النبي الأسوة «ص» يقول: «فلولا الخبز ما صلينا...».

ج - أن قبول الحكرة والمغلاة بالاسعار، يضاد القيام بالنهي عن المنكر والكفاح في وجه الظلم والظالمين، ويكون مصداقاً لما يقول الامام الصادق «ع»: «من أحب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصي الله».

د - أن جزاء الآخرة وعذابها لا يسقط به التكليف الديني الاجتماعي لشجب المنكرات؛ فالمحتكر والطاغوت الاقتصادي لا يخلني سبيله لأن يتمادى في غيئه وعدوانه، ولأن يقضي على كيان المجتمع باسم أنه يعذب في الآخرة . والعقوبة العاجلة والنهي والردع عن الظلم هي روح الاسلام ايضاً، لصلاح حال الانسان، والأفحج أن لا يكون في الاسلام قصاص ولا حد ولا تعزير، لمكان عذاب الآخرة. ولقد ورد في الاحاديث الحضر على مجابهة الحكرة والتنكيل باصحابها.

هـ - واذا علمنا أن الله تعالى لا يرضى بالظلم، فكيف نقول إنه يحب التقرب اليه بقبوله؟ ففي هذا الضوء، لا يصح لمن يتكلم باسم الاسلام، أن ينحرف عن محض الحق ومُره، لبعض الملاحظات الخارجية والبعيدة عن روح الاسلام، بل من الجدير أن يدعوا الناس الى مكافحة هذا الظالم ايضاً، فإن الدين الالهي له منهج واحد قويم، وإن الله قد أرسل موسى «ع» الى فرعون وهامان وقارون،^٢ وإن نبينا محمداً «ص» قد حارب الأرسطراطيين كما حارب الحكام السياسيين، بل كانت محاربتة ضد

١ - الوسائل ١٢ / ١٣٤ .

٢ - سورة غافر (٤٠) : ٢٤ .

الأولين أحسن وأجلى . فليكن دعاة الاسلام - أيدهم الله تعالى - على انتباه من الامر، وتيقظ لخطورة الموقف، واجتناب من غرض الطرف عن المظالم الاقتصادية، وعلى حذر من سوق الناس الى قبول هذه المظالم والسكوت عليها، حتى لا ينهار كيان الاسلام والمسلمين، ولا يُخدش نظر الاسلام الواقعي الى الانسان، وتوفره على تطوير الحياة البشرية بدفع انواع الظلم عنها، وإرساء دعائم القسط فيها؛ وحتى لا تنتلم الاصلة الاقتصادية في مذهب الاسلام الاقتصادي الرصين؛ فإنهم اذا نهجوا هذا المنهج المرضي لله والرسول «ص»، والمأمور به بحسب التعاليم الشرعية - من الآيات والاحبار - فسوف يصل المجتمع الى نتائج هامة بناءة، هذه بعضها:

- ١ - تقطع ايدي جبابرة التكاثر والاطراف، عن حياة الناس الاقتصادية، فالاخلاقية والدينية .
- ٢ - تفشل مساعي عمال الاجنحة الغربية والشرقية، للتغلغل في المجتمع الاسلامي الحرير وشؤونيه .
- ٣ - يشق الطريق الى اقامة القسط الاسلامي .
- ٤ - تمهد السبل لعباد الله وعباله الى الخير والفضيلة، والانفتاح والتقدم في دينهم ودنياهم .
- ٥ - يحصن الناشئة والشباب ضد الوقوع في شبكات المسالك الالحادية .

وبذلك كله يتقدم الاسلام، ويعلوه في العالم مقام .

تذييل

عمود العمود عمود

نظرة الى الفصل الرابع والاربعين ..

إِنَّ الصَّلَاةَ عَمُودُ الدِّينِ، فَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ «ص»، فِيمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ «ع»: «الصَّلَاةُ عَمُودُ دِينِكُمْ»^١، وَفِيمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ «ع» قَوْلُهُ: «مَثَلُ الصَّلَاةِ مَثَلُ عَمُودِ الْفُسْطَاطِ، إِذَا ثَبَتَ الْعَمُودُ نَفَعَتِ الْأَطْنَابُ وَالْأَوْتَادُ وَالْغِشَاءُ، وَإِذَا انْكَسَرَ الْعَمُودُ لَمْ يَنْفَعِ طُنْبٌ وَلَا وَتِدٌ وَلَا غِشَاءٌ»^٢. وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «ع»: «اللَّهُ! اللَّهُ! فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ»^٣. فَالصَّلَاةُ عَمُودُ الدِّينِ، وَالْعَمُودُ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ الشَّيْءُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا بِهِ؛ فَالدِّينُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِالصَّلَاةِ.

وَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ «ص» قَوْلُهُ: «... فَلَوْلَا الْخُبْزُ مَا صَلَّيْنَا...»^٤. وَلَقَدْ مَرَّ تَمَامُ الْحَدِيثِ فِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ^٥. وَهَذَا يُفِيدُ أَنَّ الْخُبْزَ عَمُودُ الصَّلَاةِ، الَّذِي لَا تَقُومُ إِلَّا بِهِ. وَهُوَ كَذَلِكَ، إِذْ لَوْلَا لَمَا تَكُونُ قَدْرَةٌ عَلَى إِدَاءِ صَلَاةٍ، فَلَا تَكُونُ صَلَاةً. فَالْخُبْزُ عَمُودُ الصَّلَاةِ، وَالصَّلَاةُ عَمُودُ الدِّينِ، فَالْخُبْزُ عَمُودُ الدِّينِ (بِهَذَا الْمَعْنَى)، إِذْ عَمُودُ الْعَمُودِ عَمُودٌ.

هَذِهِ هِيَ نَظْرَةٌ إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَى الْوَاقِعَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ، وَهَذَا هُوَ تَجَاوُزُهَا مَعَ الْوَاقِعِ الْبَشَرِيِّ. فَالْحَرْبُ ضِدَّ الْفَقْرِ (وَضِدَّ التَّكَاثُرِ وَالْإِتْرَافِ قَبْلَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا سَبَبُ الْفَقْرِ الْأَصْلِيِّانِ)، لِإِيصَالِ النَّاسِ إِلَى الْمَعِيشَةِ السَّالِمَةِ الْكَافِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلِمَعُونَةِ الْمُحْتَاجِينَ وَالْمَسَاكِينَ عَلَى دِينِهِمْ^٦، وَتَحْصِينِهِمْ ضِدَّ الْإِنْحِلَالِ الْعَقِيدِيِّ، أَوْ التَّمَيُّعِ الْخُلُقِيِّ^٧، هِيَ جَوْهَرُ

١ - الكافي ٢ / ١٩.

٢ - الكافي ٣ / ٢٦٦.

٣ - نهج البلاغة / ٩٧٨؛ عبده ٣ / ٨٦.

٤ - الكافي ٥ / ٧٣.

٥ - وجاء أيضاً قوله «ص»: «... وَبِهِ (أَيُّ بِالْخُبْزِ) صَلَّيْتُمْ، وَبِهِ صُمْتُمْ، وَبِهِ حَجَجْتُمْ بَيْتَ رَبِّكُمْ...» -

(الكافي ٦ / ٣٠٣). راجع: الفصل ٥، من هذا الباب، فقرة «أ»، رقم ٤ - ٦.

٦ - على حدِّ تعبيرِ مولانا الإمامِ أبي الحسنِ الرضا «ع» - (علل الشرايع / ٣٦٩)، يأتي الحديثُ في الفصلِ القادمِ.

٧ - كما قاله الإمامُ الصادقُ «ع» - (الوسائل ٦ / ١٥٩)، يأتي الحديثُ في الفصلِ القادمِ.

التكليف الديني الذي به يقوم الدين، ويصان عز المسلمين، واليه دعت
تعاليم الاسلام، وبها تقام فرائضه، من الصلاة، والصوم، والحج، والجهاد،
والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر..^١

١- راجع: الفصل ٥، من هذا الباب.

الفصل الخامس والأربعون

الأخوة الإسلامية والاقتصاد

الكتاب

- ١ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..^١
- ٢ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً، فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا..^٢
- ٣ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى؟ قُلْ: اصْلَحْ لَهُمْ خَيْرٌ، وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَارْحَمُواهُمْ..^٣

الحديث

نبذة من مظاهر الأخوة الإسلامية في الحقل الاقتصادي

١ - سورة الحجرات (٤٩) : ١٠.

٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٠٣.

٣ - سورة البقرة (٢) : ٢٢٠.

أ - اداء حاجة المسلم

- ١ النبي «ص»: المسلمُ اخو المسلم، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسَلِّمُهُ . من كانَ في حاجةِ اخيه، كان اللهُ في حاجتِهِ . ومن فرَّجَ عن مسلمٍ كُربةً، فرَّجَ اللهُ بها عنه كُربةً من كُروبِ يومِ القيامةِ . ومن سترَ مسلماً يسترهُ اللهُ يومَ القيامةِ .^١
- ٢ الامام علي «ع»: لا يَشْبَعُ المؤمنُ واخوه جائعٌ .^٢

ب - المؤاساة لاهل الحاجة

- ٣ الامام الصادق «ع»: يَحِقُّ على المسلمين الاجتهادُ في التَّواصِلِ، والتَّعاوُنِ على التَّعاطُفِ، والمؤاساةُ لاهلِ الحاجةِ، وتعاطُفٌ بَعْضُهُم على بَعْضٍ حتى تَكُونُوا كما أَمَرَكُم اللهُ عزَّ وجلَّ: «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»^٣، مُتْرَاحِمِينَ، مُغْتَمِّينَ لما غابَ عنكُم من امرِهِم، على ما مَضَى عليه معشرُ الانصارِ، على عهدِ رسولِ اللهِ «ص»^٤.

* يُفِيدُنَا هذا التَّعليمُ، أنَّ كَوْنَ المسلمين رُحَمَاءَ بَيْنَهُم، إِنَّمَا يَتَجَسَّدُ على اساسِ مَبْدِئِ المؤاساةِ والتَّعاضِدِ الاقْتِصادِيِّ المعيشِيِّ، والتَّواصِلِ والتَّعاطُفِ، ممَّا يُؤَدِّي الى البذلِ والانفاقِ وإِدالَةِ المالِ بَيْنَ النَّاسِ، لاعلى اساسِ التَّكاثُرِ والفقرِ، وانقسامِ النَّاسِ الى حَفْنَةٍ آكِلَةٍ وجماهيرٍ مَأْكُولَةٍ .

١ - مجمع البيان ٩ / ١٣٤ .

٢ - غرر الحكم / ٣٤٨ .

٣ - سورة الفتح (٤٨) : ٢٩ .

٤ - الكافي ٢ / ١٧٥ .

ج - الاخوة والحق العظيم الاقتصادي والمعيشي

٤ الامام الصادق «ع»: المسلمُ اخو المسلم . وحقُّ المسلمِ على اخيه المسلمِ
أَنْ لَا يَشْبَعَ وَيَجُوعَ اخوه، وَلَا يَرُوءِي وَيَعْطَشَ اخوه، وَلَا يَكْتَسِبِي وَيَعْرِئِي
اخوه؛ فما أعظمَ حقَّ المسلمِ على اخيه المسلم؟!^١

٥ الامام الصادق «ع» - ابوالمأمون الحارثيُّ قال : قلتُ لابي عبدالله «ع» : ما
حقُّ المؤمنِ على المؤمنِ؟ قال : .. والمؤاساة له في ماله^٢.

د - الاخوة والايثار المالي

٦ الامام الصادق «ع» - أبانُ بنُ تغلب قال : .. سألتُه فقلت : أَخْبِرْ نِي عَنْ حَقِّ
المؤمنِ على المؤمنِ؟ فقال : «.. يا أبان! تُقاسِمُهُ شَطْرَ مالِكَ؟»، ثم نَظَرَ اليَّ
فَرَأَى ما دَخَلَنِي فقال : «يا أبان! أما تَعَلَّمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ، قَد ذَكَرَ الْمُؤَثِّرِينَ
عَلَى انْفُسِهِمْ؟»، قلت : بَلَى جُعِلَتْ فِدَاكَ! فقال : «أما إذا انتَ قاسَمْتَهُ فلم
تُؤَثِّرْهُ بعدُ، إنَّما انتَ وهو سَواءٌ. إنَّما تُؤَثِّرُهُ إذا انتَ أَعْطَيْتَهُ مِنَ النِّصْفِ
الآخر»^٣.

هـ - الملكية الأخوية

٧ الامام علي «ع»: لا يُكَلِّفُ المرءُ أخاه الطَّلَبَ اليه، إذا عَرَفَ حاجتَه^٤.

١ - سفينة البحار ١ / ١٣ .

٢ - الكافي ٢ / ١٧١ .

٣ - الكافي ٢ / ١٧٢ .

٤ - تحف العقول / ٧٥ راجع ايضاً: الفصل ٥٠، من الباب ١٢ .

٨ الامام الصادق «ع»: المؤمنون خَدَمُ بعضهم لبعض . قال راوي الحديث :
فقلت : كيف يكون خَدَمُ بعضهم لبعضٍ ؟ قال : «نَفَقَتْهُمُ بعضهم لبعض»^١.

٩ الامام الكاظم «ع»: يا عاصم! كيف انتم في التّواصلِ والتّواصي؟ قلت : على
افضلِ ما كان عليه احدٌ . قال : أَيَأْتِي احدُكم الى دُكَّانِ اخيه او منزله عندَ
الضّائقة، فيسْتَخْرِجُ كيسَه ويأخذُ ما يَحْتَاجُ اليه فلا يُنْكَرُ عليه؟ قال : لا.
قال : فَلَسْتُمْ على ما أُحِبُّ في التّواصلِ^٢.

و - رفض الاستئثار على الأخ الدينيّ

١٠ الامام الصادق «ع» سُئِلَ ابو عبدِالله «ع»: ما أدنى حقِّ المؤمنِ على اخيه؟
قال : أن لا يَسْتَأْثِرَ عليه بما هو أَحوجُ اليه منه^٣.

ز - حفظ الاخوة بالمؤاساة

١١ الامام علي «ع»: ما حَفِظَتِ الأُخُوَّةُ بِمِثْلِ المؤاساة^٤.

* هذا الكلامُ العلويّ، يُعَدُّ تفسيراً لآيةِ الأُخُوَّةِ القرآنيّة،
ورسماً لمنهجها التّجسّديّة، فلاحظه بامعان .

ح - نظام الدين بمؤاساة الإخوان

١ - البحار ٧٤ / ٢٢٤ .

٢ - البحار ٧٤ / ٢٣٢، عن كتاب «قضاء الحقوق» .

٣ - البحار ٧٤ / ٣٩١، عن «الخصال» .

٤ - غرر الحكم / ٣٠٩ .

١٢ الامام علي «ع» : نظام الدين خصلتان : انصافك الناس من نفسك، ومؤاساة
إخوانك^١.

* يفيدنا هذا التعليم، أن المجتمع الاسلامي - الذي يقوم على
النظام القرآني - هو المجتمع الذي يسوده اصل المؤاساة
الاقتصادية والمعيشية . والمجتمع بهذا يصبح مصداقاً لقول الله
عز وجل : «إنما المؤمنون إخوة»، لا بدونه مما لا ينطبق عليه، فضلاً
عما يضافه .

ط - الإخاء الصادق والمستوى المعيشي

١٣ الامام الصادق «ع» : الإخوان ثلاثة : مواس بنفسه، وآخر مواس بماله .
وهما الصادقان في الإخاء . وآخر يأخذ منك البلغة ويريدك لبعض اللذة،
فلا تعدّه من اهل الثقة^٢.

ي - المساواة المالية

١٤ النبي «ص» : يا علي ! سيّد الاعمال ثلاث خصال : انصافك الناس من
نفسك، ومساواة الاخ في الله، وذكر الله على كل حال^٣.

* راجع : الفصل السابق ايضاً .

١ - غرر الحكم / ٣٢٣ .

٢ - تحف العقول / ٢٣٩ .

٣ - تحف العقول / ١٤ .

يا - لا يُظلم الأخ المسلم، اجيراً كان او غيره (١)

١٥ النبي «ص»: المُسلمُ اخو المُسلم، لا يَظلمُه ..^١

يب - لا يظلم الأخ المسلم، اجيراً كان او غيره (٢)

١٦ الامام الصادق «ع»: المُسلمُ اخو المُسلم، لا يَظلمُه ..^٢

يج - لا إفسار ولا تضيق

١٧ الامام الصادق «ع»: .. وإياكم وإفسارٍ احدٍ من إخوانكم المسلمين، أن تُعسِرُوهُ بِالشَّيْءِ يَكُونُ لَكُمْ قَبْلَهُ وَهُوَ مُعْسِرٌ؛ فَإِنَّ أَبَانَ رَسُولَ اللَّهِ «ص» كَانَ يَقُولُ: لَيْسَ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُعْسِرَ مُسْلِمًا. وَمَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَظْلَمَهُ اللَّهُ بِظُلْمِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.^٣

يد - ثواب معونة المسلم وعقاب تركها

١٨ الامام الباقر «ع»: أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى «ع»: أَنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالْحَسَنَةِ، فَأَحْكَمُهُ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ وَمَا تِلْكَ الْحَسَنَةُ؟ قَالَ: يَمْشِي مَعَ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فِي قِضَاءِ حَاجَتِهِ، قُضِيََتْ أَوْ لَمْ تَقْضَ.^٤

١ - مجمع البيان ٩ / ١٣٤.

٢ - الكافي ٢ / ١٧٤.

٣ - الكافي ٨ / ٩.

٤ - الكافي ٢ / ١٩٥ - ١٩٦.

١٩ الامام الصادق «ع» : إن ابانا رسول الله «ص» كان يقول : «إن معونة المسلم خيراً واعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام»^١.

٢٠ الامام الصادق «ع» : من سعى في حاجة اخيه المسلم، فأجتهدها فيها، فأجرى الله على يديه قضاءها، كتب الله عز وجل له حجة وعمره واعتكاف شهرين في المسجد الحرام وصيامهما . وإن اجتهد ولم يجز الله قضاءها على يديه، كتب الله عز وجل له حجة وعمره^٢.

٢١ الامام الصادق «ع» : قال الله عز وجل : الخلق عيالي، فأحبهم اليّ الطّفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم^٣.

* يُفيدنا هذا التعليم، أن رشد الواقع الانساني للفرد، بتقرّبه الى المبدأ الحق، إنما يتاح له بعد رُشده الاجتماعي .

٢٢ الامام الصادق «ع» : ما قضى مسلم لمسلم حاجةً، الا ناداه الله - تبارك وتعالى - : «عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة»^٤.

٢٣ الامام الصادق «ع» - اسماعيل بن عمّار الصير فيّ قال : قلت لأبي - عبدالله «ع» : «جُعِلْتُ فداك! المؤمنُ رحمةٌ على المؤمن؟ قال : نعم . قلت : وكيف ذلك؟ قال : أيما مؤمنٍ أتى اخاه في حاجةٍ، فإنما ذلك رحمةٌ من الله ساقها اليه وسببها له، فإن قضى حاجته كال قد قبل الرحمة بقبولها؛ وإن رده عن حاجته - وهو يقدر على قضائها - فإنما رده عن نفسه رحمةً من الله جلّ وعزّ، ساقها اليه وسببها له .. يا اسماعيل! من أتاه اخوه في حاجةٍ يقدر

١ - الكافي ٨ / ٩ .

٢ و ٣ - الكافي ٢ / ١٩٨ - ١٩٩ .

٤ - الكافي ٢ / ١٩٤ .

على قضائها فلم يَقْضِهَا له، سَلَطَ اللهُ عَلَيْهِ شُجَاعاً يَنْهَشُ ابْهَامَهُ فِي قَبْرِه
الى يومِ الْقِيَامَةِ، مَغْفُوراً له او مُعَذَّباً.^١

يه - مسرّة رسول الله «ص» بقضاء الحاجات

٢٤ الامام الصادق «ع»: تَنَافَسُوا فِي الْمَعْرُوفِ لِأَخْوَانِكُمْ وَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ، فَإِنَّ
لِلْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ: «الْمَعْرُوفُ»، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنْ أَصْطَنَعَ الْمَعْرُوفَ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَمْشِي فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُوكَلُّ اللهُ عَزَّو
جَلَّ بِهِ مَلَكَينَ - وَاحِداً عَنْ يَمِينِهِ وَآخَرَ عَنْ شِمَالِهِ - يَسْتَغْفِرَانِ لَهُ رَبَّهُ
وَيَدْعُوَانِ بِقَضَائِ حَاجَتِهِ. ثم قال: والله، لَرَسُولُ اللهِ «ص» أَسْرُ بِقَضَائِ
حَاجَةِ الْمُؤْمِنِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ صَاحِبِ الْحَاجَةِ.^٢

* هذا التّعليمُ ايضاً يُشيرُ الى رُشدِ الواقعِ الانسانيّ من جهةٍ
أخرى، فإيُّ شَيْءٍ يُطَوِّرُ رُوحَ الْإِنْسَانِ وَيَصْعَدُ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ مَسْرَّةِ
الرّسولِ «ص»؟

١ - الكافي ٢ / ١٩٣ - ١٩٤.

٢ - الكافي ٢ / ١٩٥.

نظرة الى الفصل

لعلَّ المسلم النَّابِهَ يُذَعِنُ بَانَ «الأخوةَ الاسلاميَّة» التي جاءَ بها القرآنُ والاحاديثُ وهتفتَ بها، ليستَ مُجرَّدَ امرٍ لفظيٍّ ولقلقةٍ لسانٍ فحسبَ - كما أوغزنا اليه في مطاوي الفصل - بل هو امرٌ يُعمُّ شؤونَ حياةِ المسلمِ عامَّةً، فليس من الأخوةِ أن يكونَ هناكَ مسلمٌ محتاجٌ يَفقِدُ الحاجاتِ الحياتيَّةَ، وهناكَ غنيٌّ لا يَفقِدُ ايَّ شيءٍ يهواه . ومع ذلكَ يكونُ كلُّ منهما اخاً للآخر .

ومما ينبغي أن نُشيرَ اليه، أن الأخوةَ الاسلاميَّةَ اذا أصبحتَ معتقداً فللواقعِ الاقتصاديِّ دورٌ هامٌ في تعيينِ صدقِ هذا المُعتقدِ وعدمه . وفي الحقلِ الاقتصاديِّ والماليِّ ولدى دفعِ الأدواتِ المعيشيَّةِ وانفاقِ المالِ، تتحقَّقُ الارضيَّاتُ المناسبةُ لتطبيقِ الاعتقادِ وتصديقه، او هدمه واختزاله . ولقد مرَّ في الاحاديثِ أن ثبوتَ الايمانِ بمؤاساةِ الإخوانِ بالمالِ، وما حُفِظَتِ الأخوةُ بمثلِ المؤاساةِ . فيجبُ أن يسعى الساعون وأن يعملَ العاملون على إلغاءِ الفروقِ الباهظةِ بين الافرادِ والقطاعاتِ، وإرجاعِ المجتمعِ الى عائلةٍ أخويَّةَ، حتى تتمثَّلَ الأخوةُ بصورةٍ واقعيَّةٍ لالفظيَّةِ، والآفايةُ أخوةٌ ستكونُ وستبقى :

- بين سُكَّانِ القصورِ الشاهقة، وسكَّنةِ الاكواخِ البائسة ؟

- بين الآكلين الاقتصاديِّين، والمأكولين ؟

- بين المستكبرين الماليِّين، والمستضعفين ؟

- بين المُستغليِّين المُمتصِّين (بالكسر)، والمُستغليِّين المُمتصِّين

(بالفتح) ؟

- بين آكلي الرّبا الغاشمين، ومؤدّيه المقهورين ؟
- بين المحتكرين، والمفروضِ عليهم الاحتكار ؟
- بين المُسعّرين المعتدين (من المستوردين والمنتجين الذين يُضخّمون الأرباحَ ويُجحفون بالأسعارِ ما يشاؤون)، والمُشترين المحتاجين إلى البضائع والأمتعة ؟
- بين الذين يَمْتَلِكُون عدّةً من الدُّورِ هنا وهناك، والذين لا يَجِدُون ظِلَّةً لعائلتهم ؟
- بين اصحابِ المعاملِ الذين يُخْرِجُهُمُ الفَراغُ ورَغادةُ العيشِ الى الأَشْرِ والبَطَرِ، والعَمالِ المعذّبين الذين لا يَجِدُون سبيلاً الى دقائقِ اللَّبَثِ واستراحةٍ ضروريّةٍ ؟
- بين المالكين الكبارِ المنغمسين في النّعيمِ والرّفاهِ هم وذوؤهم، والفلايحِ الذين يَلْفَحُهُمُ وَهَجُ الهواجرِ ورمضاءِ الصّحاري هنا وهناك في المزارعِ والحقولِ ؟
- بين المُتَرَفِّين المُسْرِفينِ ونسائهم وأبنائهم وبناتهم الذين يتخيرون الا طعمةَ الجيّدةِ والوانِ الفواكهِ والحلوياتِ ويعيشون الأزياءِ الدّارجةِ ولا يَقْتَنِعُونَ، والبُؤساءِ الذين تَسْحَقُهُمُ الاعوازُ والحاجياتُ البسيطةُ كلَّ يومٍ وليلةٍ ؟
- بين الذين يُنْفِقُونَ مقاديرَ باهظةً لألعابِ اطفالِهِم، والذين لا يَقْدِرُونَ على شراءِ دواءٍ رخيصٍ لطفليهِمُ المُشرفِ على الموتِ ؟
- أفَيَكُونُ المجتمعُ الذي تَسُوْدُهُ هذه الحالاتُ والصّلاتُ، مجتمعاً اسلامياً أخوياً؟ وهل يدّعي الحكمُ الذي يَحْكُمُ على مجتمعٍ كهذا أنّه حكمٌ اسلاميٌّ يديرُ مجتمعاً أخوياً؟ فالواجبُ أن نَبْدَأُ اولا بتعديلِ الصّلاتِ الاقتصاديّةِ في المجتمعِ واخراجِ الاموالِ والمواهبِ من كونها دولةً بين حفنة، حتى يُصْبِحَ التّقاربُ الحياتيُّ بينَ الناسِ سبباً لتقاربِهِمُ الأَخويّ.

نظرة الى الفصل الخامس والاربعين ..

كما أَنَّ التَّقَارِبَ الرُّوحِيَّ يَجِبُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى التَّقَارِبِ المَعِيشِيِّ، وَالْأَفْهَى تَمْوِيَهُ وَدَجْلُ . فَالْأُخُوَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ أَمْرٌ يَتَعَدَّى إِلَى الْوَاقِعِ التَّجْسِيدِيِّ إِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً، فَكَمَا أَنَّ قِرَاءَةَ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ : «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» مَثَلًا، لَا تُفِيدُ - بِنَفْسِ الْقِرَاءَةِ - إِيْمَانًا بِالْغَيْبِ وَإِقَامَةً لِلصَّلَاةِ وَإِنْفَاقًا مِمَّا رَزَقُوا، بَلْ يَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى الْإِيْمَانِ الْمَوْجُودِ فِي الْقَلْبِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا فِي الْخَارِجِ، وَإِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ، كَذَلِكَ قِرَاءَةُ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ : «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»، لَا تُفِيدُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ حَالَةٌ حَيَاتِيَّةٌ وَمَعَاشِيَّةٌ وَرُوحِيَّةٌ تَصَدِّقُ عَلَيْهَا أَنَّهَا أُخُوَّةٌ .

وَلَقَدْ أَكَّدَتِ الْإِحَادِيثُ عَلَى الْأُخُوَّةِ الْمَالِيَّةِ أَيْضًا، وَعَدَّتْهَا مِنْ أَهَمِّ أِبْعَادِ الْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَجَعَلَتِ الْأُخُوَّةَ فِي الْبُعْدِ الْاِقْتِسَادِيِّ أَيْضًا مِنَ الْوَاجِبَاتِ، وَذَكَرَتْ حَقُوقًا لِلْمُؤْمِنِ عَلَى إِخِيهِ . وَإِنَّ مِنْهَا أَنْ يَبْذُلَ لِلْآخَرِينَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَطْعَمَةِ وَالْأَلْبَسَةِ وَالْأَدْوَاتِ وَالْأَسْكَانِ وَوَسَائِطِ النَّقْلِ، بَلْ أَنْ يُؤَاسِيَ إِخْوَانَهُ فِي الْمَسْتَلْزِمَاتِ الْمَعِيشِيَّةِ . وَإِنَّ لِحْنِ إِحَادِيثِ حَقُوقِ الْمُؤْمِنِ - مِضَافًا إِلَى كَثْرَتِهَا - لِحْنٌ مُؤَكَّدٌ حَاسِمٌ، لَا يَقِلُّ عَنِ الْلِزُومِ وَالْحَتْمِ^١ .

تذنيب

جاءَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الْمَذْكُورِ فِي الْفَصْلِ - بِرَقْمِ ١٤ - هَذِهِ التَّعْبِيرَةُ : «.. مَسَاوَاةُ الْآخِ فِي اللَّهِ ..» . وَجَاءَ فِي «الْكَافِي» (١٤٥ / ٢) : «مُؤَاسَاةُ الْآخِ فِي اللَّهِ» بَدَلُهَا . وَلَعَلَّ الْكَلِمَتَيْنِ تَرْمِيَانِ فِي الْمَقَامِ إِلَى غَرَضٍ وَاحِدٍ أَوْ مُتَقَارِبٍ .

١ - راجع أيضاً: الفصل ٥٠، من الباب ١٢.

قال الفيض الكاشاني: «المؤاساة - بالهمزة - بين الإخوان، عبارة عن إعطاء النُصرة بالنفسِ والمالِ وغيرهما، في كلِّ ما يَحْتَاجُ الى النُصرة فيه؛ يُقال: آسَيْتُهُ بمالي مؤاساةً، أي: جَعَلْتُهُ شريكِي فيه على سويّةٍ. وبالواو لغةً. وفي القاموس في فصلِ الهمزة: آسَاهُ بماله مؤاساةً: أَنالَه منه. ولا يكونُ إِلَّا من كَفَافٍ؛ فإن كان من فَضْلَةٍ فليس بمؤاساة. وجعلها بالواو لغةً رديّةً»^١.

١ - راجع: «الكافي» ٢ / ١٤٥، الهامش.

الفصلُ السادس والأربعون

المؤاساة، أصل عظيم

الكتاب

١ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلنَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ *^١

* المؤاساة هي اشراكُ الغيرِ في المال، وجعله أُسوةً فيه .

راجع ايضاً : كلام ابن منظور، الذي سيأتي في هذا الفصل .

الحديث

أ- المؤاساة والإيمان

١ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الصادق: من واسى الفقيرَ من ماله، وأنصفَ

النَّاسَ من نفسه، فذلك المؤمن حَقًّا.^٢

١- سورة المعارج (٧٠): ٢٤ - ٢٥ .

٢- الكافي ٢ / ١٤٧ .

- ٢ الامام علي «ع» : خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ وَاسَاكَ بِخَيْرِهِ، وَخَيْرٌ مِنْهُ مَنْ أَغْنَاكَ عَنْ غَيْرِهِ .^١
- ٣ الامام علي «ع» : خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ وَاسَاكَ، وَخَيْرٌ مِنْهُ مَنْ كَفَاكَ .^٢
- ٤ الامام علي «ع» : اَفْضَلُ الْمُرُوَّةِ مَوَاسَاةُ الْإِخْوَانِ بِالْأَمْوَالِ، وَمَسَاوَاتُهُمْ فِي الْأَحْوَالِ .^٣
- ٥ الامام الصادق «ع» : إِنَّا لَنَأْمُرُ بِظُلْمٍ، وَلَكِنَّا نَأْمُرُكُمْ بِالْوَرَعِ، الْوَرَعِ، وَالْمَوَاسَاةِ، الْمَوَاسَاةِ لِإِخْوَانِكُمْ .^٤
- ٦ الامام العسكري «ع» : قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : «وَأَتُوا الزَّكَاةَ»، أَي مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَقُوَّةِ الْبَدَنِ، فَمِنَ الْمَالِ مَوَاسَاةُ إِخْوَانِكَ الْمُؤْمِنِينَ ..^٥

ب- المَوَاسَاةُ، الرَّشْدُ الْعَقْلِيُّ

- ٧ الامام الباقر «ع» : أَيَجِيءُ أَحَدُكُمْ إِلَى إِخِيهِ، فَيُدْخِلُ يَدَهُ فِي كَيْسِهِ فَيَأْخُذُ حَاجَتَهُ فَلَا يَدْفَعُهُ؟ قَالَ الرَّأْوِيُّ : فَقُلْتُ : مَا أَعْرِفُ ذَلِكَ فِينَا . فَقَالَ : فَلَاشِيءَ إِذَا . قُلْتُ : فَالْهَلَاكُ إِذَا؟ فَقَالَ : إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُعْطُوا أَحْلَامَهُمْ بَعْدُ؟^٦

* يُفِيدُنَا هَذَا التَّعْلِيمُ الْعَظِيمُ، أَنَّ الْمَوَاسَاةَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ وَالْمَعِيشِيَّةَ هِيَ مِنْ آثَارِ الرَّشْدِ الْعَقْلِيِّ، وَتَكَامُلِ الْإِنْسَانِ

١ و ٢ - غرر الحكم / ١٧٢ .

٣ - غرر الحكم / ٩٨ .

٤ - البحار ٦٨ / ١٥٤ .

٥ - البحار ٧٤ / ٢٢٨، عن «تفسير الامام العسكري - ع -» .

٦ - الكافي ٢ / ١٧٤ .

الاجتماعي، وتعالى المجتمع الانساني، وأنَّ المجتمعَ القرآنيَّ
يَتَوَقَّفُ تحقُّقه على تجسيدِ اصلِ المؤاساة .

ج- المؤاساة، العمل الصّالح

٨ الامام الصادق «ع» - في تفسير قوله تعالى : «وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ»، من سورة
«العصر»، قال : يعني بمؤاساة الإخوان .^١

د - مساءلة الإخوان وزيارتهم وتعاهدهم

٩ الامام علي «ع» : تَزَاوَرُوا، وَتَعَاظَفُوا، وَتَبَادَلُوا، وَلَا تَكُونُوا بِمَنْزِلَةِ الْمُنَافِقِ،
الَّذِي يَصِفُ مَا لَا يَفْعَلُ .^٢

* لَعَلَّ ذَكَرَ الْمُنَافِقِ فِي الْكَلَامِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْكُونِ مِثْلَهُ، إِشَارَةً
إِلَى أَنَّ الْأُخُوَّةَ الدِّينِيَّةَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُجَسَّدَةً فِي الْخَارِجِ بِحَسَبِ
الْمَعَامَلَةِ وَالسُّلُوكِ فِي الصَّلَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ وَالْحَاجَاتِ الْمَعِيشِيَّةِ، لَا
أَمْرًا دَائِرًا عَلَى اللِّسَانِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ أَثَرٌ فِي الْعُرْصَاتِ
الْفَعْلِيَّةِ، وَكَذَلِكَ التَّعَاهُدُ وَالتَّعَاوُنُ وَمَا إِلَى ذَلِكَ .

١٠ الامام الصادق «ع» : .. أَحِبَّ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَإِذَا احْتَجَّتْ
فَسَلَّهُ، وَإِنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ ..^٣

١ - تفسير البرهان ٤ / ٥٠٤ .

٢ - تحف العقول / ٧٥ .

٣ - الكافي ٢ / ١٧٠ .

هـ - دور الواقع الاقتصادي في فعليّة الإيمان واستقراره

- ١١ النبي «ص»: ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره طاوياً^١.
- ١٢ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: قال رسول الله «ص»: قال الله - تبارك وتعالى - : «ما آمن بي من بات شبعان واخوه المسلم طاوياً^٢.
- ١٣ النبي «ص»: ما آمن بالله من شبع واخوه جائع، ولا آمن بالله من اكتسى واخوه عريان^٣.
- ١٤ الامام الصادق «ع»: قال رسول الله «ص»: من واسى الفقير من ماله، وأنصف الناس من نفسه، فذلك المؤمن حقاً^٤.

و - حبّ الإخوان واهميّته من الجهة الاقتصاديّة

- ١٥ الامام الصادق «ع» - حسين بن نعيم الصحاف قال: قال ابو عبدالله «ع»: أتجيب إخوانك يا حسين؟ قلت: نعم. قال: تنفع فقراءهم؟ قلت: نعم. قال: أما إنه يحق عليك أن تجب من يحب الله، أما والله لا تنفع احداً منهم حتى تجبه. أتدعوهم الى منزلك؟ قلت: نعم، ما آكل إلا ومعي منهم الرجالن والثلاثة والاقل والاكثر. فقال ابو عبدالله: أما، إن فضلهم عليك اعظم من فضلك عليهم. فقلت: جعلت فداك، أطعمهم طعامي وأوطئهم رحلي، ويكون فضلهم عليّ اعظم؟ قال: نعم، إنهم اذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك، واذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب

١ - مكارم الاخلاق / ١٥٧.

٢ - الوسائل ١٦ / ٥٦٤.

٣ - مكارم الاخلاق / ١٥٣.

٤ - الكافي ٢ / ١٤٧.

عيالك ١.

* يُفِيدُنَا هَذَا التَّعْلِيمُ مَسَائِلَ تَرْبَوِيَّةَ وَاجْتِمَاعِيَّةَ وَانْسَانِيَّةَ
وَمَعِيشِيَّةَ مَهْمَةً، مِنْهَا :

- ١ - أَنَّ الْمُسْلِمَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحِبَّ إِخَاهَ الدِّينِيِّ حَتَّى يَنْفَعَهُ .
- ٢ - أَنَّ مَحَبَّةَ الْإِخْوَانِ لَا تَكُونُ أَمْرًا مَجْرَدًا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَتَبِعَ
الانْفَاقَ عَلَيْهِمْ .

٣ - أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَظْهَرَ آثَارُ الْمَحَبَّةِ وَالْأُخُوَّةِ الدِّينِيَّةِ فِي الْأُمُورِ
الْاِقْتِسَادِيَّةِ وَالْقَضَايَا الْمَعِيشِيَّةِ وَالْحَاجَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ، حَتَّى تَكُونَ
مَحَبَّةً صَادِقَةً وَأُخُوَّةً اِسْلَامِيَّةً .

ز - هذه هي الأخوة..

١٦ النبي «ص» - فيما رواه الامام امير المؤمنين :.. من كسى اخاه المؤمن من
عُرِّي، كساه الله من سُندسِ الْجَنَّةِ .. ولم يَزَلْ يَخُوضُ فِي رِضْوَانِ اللَّهِ
مَادَامَ عَلَى الْمَكْسُوفِ مِنْهُ سِلْكٌ . وَمَنْ أَطْعَمَ إِخَاهَ مِنْ جُوعٍ ، أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ
طَيِّبَاتِ الْجَنَّةِ . وَمَنْ سَقَاهُ مِنْ ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ رِيَّةً ..
وَمَنْ حَمَلَ إِخَاهَ الْمُؤْمِنَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، حَمَلَهُ اللَّهُ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ ..
وَمَنْ زَوَّجَ إِخَاهَ الْمُؤْمِنَ امْرَأَةً يَأْنَسُ بِهَا .. زَوَّجَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ٢ .

* يُفِيدُنَا هَذَا التَّعْلِيمُ النَّبَوِيُّ، أَنَّ أَمْرَ الْأُخُوَّةِ الدِّينِيَّةِ لَا يَتِمُّ

١ - الكافي ٢ / ٢٠١ - ٢٠٢ .

٢ - البحار ٧٧ / ١٩٢ .

- كما اشرنا اليه ايضاً - باللفظ المُجَرَّد بَل يَسْتَتَبِعُ المسائلَ الحياتية، كالكسب والإطعام والسقي والحمل على المركوب والتزويج وما الى ذلك. هذه هي الأخوة الاسلامية التي يرسم ملامحها النبي «ص».

ح - الأخوة الاسلامية والتحذير من الخيانة الاقتصادية فيها

١٧ الامام الصادق «ع»: يا باهارون! إن الله - تبارك وتعالى - آلى على نفسه أن لا يُجاوِرَهُ خائن. قال: قلت: وما الخائن؟ قال: من ادخر عن مؤمنٍ درهماً، او حبس عنه شيئاً من امر الدنيا. قال: قلت: أعودُ بالله من غضبِ الله. فقال: إن الله - تبارك وتعالى - آلى على نفسه أن لا يُسكنَ جنته اصنافاً ثلاثة: رادُّ على الله عزَّ وجلَّ، اورادُّ على امامٍ هُدَى، او من حبسَ حقَّ امرئٍ مؤمن. قال (ابوهارون): قلت: يُعطيه من فضلِ ما يملك؟ قال: يُعطيه من نفسه وروحه، فإن بخلَ عليه بنفسه فليس منه، إنما هو شركٌ شيطانٍ^١.

ايقاظ هام

الاسلام العلوي، بعض ملامحه وسماته في المجالات الاقتصادية والمعيشية
مما يجسد الإسلام المحمدي المحض

١ - البحار ٧٥ / ١٧٣. عن «الخصال».

الحديث

١ - الايثار على النفس (الاقتصاد والمعيشة)

١ الامام الحسن «ع» - للرجل الذي قال إنه من شيعة علي «ع» : يا عبدالله، لست من شيعة علي! إنما انت من محبيه؛ إنما شيعة علي .. هم الذين يؤثرون إخوانهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة . وهم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدتهم حيث أمرهم؛ وشيعة علي هم الذين يقتدون بعلي «ع» في إكرام إخوانهم المؤمنين .^١

٢ - تعهد الجيران (الاقتصاد والمعيشة)

٢ الامام الباقر «ع» : ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه؛ وما كانوا يعرفون الا بالتواضع والتخشع، واداء الامانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة، والبر بالوالدين، وتعهد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والايتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف اللسن عن الناس الا من خير؛ وكانوا أمناء عشائريهم في الاشياء .^٢

٣ - التواصي المالي (الاقتصاد والمعيشة)

٣ الامام الباقر «ع» - قال راوي الحديث : قلت لابي جعفر «ع» : جعلت فداك! إن الشيعة عندنا كثير، فقال : [ف-] يهمل يعطف الغني على الفقير؟ وهل

١ - البحار ٦٨ / ١٦٢ - ١٦٣ .

٢ - تحف العقول / ٢١٥ .

يَتَجَاوَزُ الْمُحْسِنُ عَنِ الْمَسِيءِ؟ وَيَتَوَاسُونَ؟ فَقُلْتُ : لَا. فَقَالَ : لَيْسَ هَؤُلَاءِ شِيعَةً، الشَّيْعَةُ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا.^١

٤ - حَبِّ الانْفَاقِ عَلَى الْآخِرِينَ (الاقتصاد والمعيشة)

٤ الامام الباقر «ع» - في خطابه «لرَجُلٍ فَاخْرَجَ عَلَيَّ آخِرَ بَآئِهِ مِنْ شِيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ الطَّيِّبِينَ» : .. اَمَّا لَكَ مَعَكَ تُنْفِقُهُ عَلَيَّ نَفْسِكَ اَحَبُّ إِلَيْكَ، اَمْ تُنْفِقُهُ عَلَيَّ اِخْوَانِكَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ : بَلِ اُنْفِقُهُ عَلَيَّ نَفْسِي . قَالَ : فَلَسْتَ مِنْ شِيعَتِنَا، فَاِنَّا نَحْنُ مَا نُنْفِقُ عَلَيَّ الْمُتَنَحِّلِينَ مِنْ اِخْوَانِنَا اَحَبُّ إِلَيْنَا، وَلَكِنْ قُلْ : اَنَا مِنْ مُحِبِّكُمْ، وَمِنَ الرَّاجِينَ النَّجَاةَ بِمُحِبَّتِكُمْ.^٢

٥ - الْعِيَادَةُ وَالصَّلَاةُ (الاقتصاد والمعيشة)

٥ الامام الصادق «ع» - مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع»، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ : كَيْفَ مَنِ خَلَّفْتَ مِنْ اِخْوَانِكَ؟ .. فَاَحْسَنَ الثَّنَاءَ وَزَكَى وَأَطْرَى، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ عِيَادَةُ اَغْنِيَائِهِمْ عَلَيَّ فَقَرَائِهِمْ؟ فَقَالَ : قَلِيلَةٌ . قَالَ : وَكَيْفَ مُشَاهَدَةُ اَغْنِيَائِهِمْ لِفَقَرَائِهِمْ؟ قَالَ : قَلِيلَةٌ . قَالَ : فَكَيْفَ صَلَاةُ اَغْنِيَائِهِمْ لِفَقَرَائِهِمْ فِي ذَاتِ اَيْدِيهِمْ؟ فَقَالَ : اِنَّكَ لَتَذْكُرُ اخْلَاقًا قَلَّ مَا هِيَ فِيمَنْ عِنْدَنَا . قَالَ : فَقَالَ : فَكَيْفَ تَزْعَمُ هَؤُلَاءِ اَنَّهُمْ شِيعَةٌ؟^٣

٦ - الْقَنَاعَةُ، حَتَّى تَصِلَ الْمَعَايشُ إِلَى الْآخِرِينَ (الاقتصاد والمعيشة)

١ - الكافي ٢ / ١٧٣ .

٢ - البحار ٦٨ / ١٥٦٠ .

٣ - الكافي ٢ / ١٧٣ .

٦ الامام الباقر «ع» - فيما خاطب به الشيعة : .. وإن اغنياءكم لاهل القناعة ..^١

٧ - نيل الولاية بالمؤاساة (الاقتصاد والمعيشة)

٧ الامام الصادق «ع» : .. يا ابن جندب! بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم : لا تذهبَنَّ بكم المذاهب، فوالله لا تُنال ولا يُتنا الآ بالورع؛ والاجتهاد في الدنيا؛ ومؤاساة الإخوان في الله . وليس من شيعتنا من يظلم الناس .^٢

* النَّاسُ فِي هَذَا التَّعْلِيمِ عَامٌّ، يَشْمَلُ كُلَّ انْسَانٍ، مِنْ أَهْلِ أَيِّ مِلَّةٍ أَوْ نِحْلَةٍ كَانَ . فَلَيْسَ مِنْ شِيعَتِهِمْ مَنْ يَظْلِمُ أَحَدًا، كَائِنًا مَنْ كَانَ الْمَظْلُومِ .

٨ - المؤاساة ترادف الصلوة في المواقيت (الاقتصاد والمعيشة)

٨ الامام الصادق «ع» : خصلتان من كانتا فيه، والآ فاعزب، ثم اعزب، ثم اعزب! قيل : وما هما؟ قال : «الصلوة في موقيتها والمحافظة عليها، والمؤاساة».^٣

٩ - المؤاساة ممايمتحن به (الاقتصاد والمعيشة)

٩ الامام الصادق «ع» : اِمْتَحِنُوا شِيعَتَنَا عِنْدَ ثَلَاثٍ : عِنْدَ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، كَيْفَ

١ - الكافي ٨ / ٢١٤ .

٢ - تحف العقول / ٢٢٣ .

٣ - البحار ٧٤ / ٣٩١ .

محافظةً عليهم عليها؛ والى اسرارهم، كيف حفظهم لها عند عدونا؛ والى
اموالهم، كيف مؤاساتهم لاخوانهم فيها؟^١

* قال جمال الدين ابن منظور: «آسأه بماله : أَنالَهُ مِنْهُ وَجَعَلَهُ
فِيهِ أُسْوَةً . وَقِيلَ : "لَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَّا مِنْ كَفَافٍ، فَإِنْ كَانَ مِنْ
فَضْلَةٍ فَلَيْسَ بِمُؤَاسَاةٍ"»^٢.

١٠ - المؤاساة مما أمروا به (الاقتصاد والمعيشة)

١٠ - الامام العسكري «ع» - قال كامل ابن ابراهيم المدني : .. يَأْمُرُنَا نَحْنُ
بِمُؤَاسَاةِ الْإِخْوَانِ^٣.

* ومن كلمات المجاهد العلوي الكبير، يحيى بن أم الطويل
المطعمي - وهو من خواص اصحاب الامام علي بن الحسين
السجاد «ع» - فيما خاطب به شيعة آل محمد «ص»، في كُنَاسَةِ
الكوفة : «... وَمَنْ أَحْتَاَجَ إِلَى مَسْأَلَتِكُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ، فَقَدْ
خُنْتُمُوهُ...»^٤.

تربية عظيمة

١ - البحار ٧٤ / ٣٩١، عن «قرب الاسناد».

٢ - لسان العرب ١ / ذيل «اسأ». وقال في معنى «الأسوة»: «القوم أسوة في هذا الامر، اي حالهم فيه
واحدة».

٣ - البحار ٥٠ / ٢٥٣.

٤ - الكافي ٢ / ٣٨٠.

١ الامام الصادق «ع» : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، بنو ابٍ وأمٍّ . واذا ضَرَبَ على رجلٍ منهم عِرْقٌ، سَهَرَ له الآخرون ١.

٢ الامام الصادق «ع» - قال ابوبصير : سمعتُ ابا عبد الله «ع» يقول : المؤمنُ أخو المؤمنِ كالجسدِ الواحدِ، إِنْ اشْتَكَى شيئاً منه وَجَدَ أَلَمَ ذلكِ في سائرِ جسده ٢.

* قُلْ وَرَبِّكَ - أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ - : هل يُوجَدُ هناك اختلاجُ عِرْقِ أَلَمٍ من اوجاعِ الفقرِ والمسكنةِ وشدائدِ العوزِ والعُدْمِ؟ فلماذا لا يَسْهَرُ هؤلاء الإخوةُ الاغنياءُ لاولئك الإخوةِ الفقراءِ، وهم يَحْسِبُونَ أَنفُسَهُمْ ابْناءَ الاسلامِ وَاتِّبَاعِ الْقُرْآنِ؟ هل يكونُ من الدِّينِ مُحَمَّدِيٍّ أَنْ نَعُدَّ أَنفُسَنَا مُؤْمِنِينَ إِخْوَةً، بني ابٍ وأمٍّ، ومِنَّا الاغنياءُ المتكاثرونَ الَّذِينَ لا يُعِدُّونَ أَيَّ شَيْءٍ يَشَاوُونَ وَيَشَاءُ ابْنَاؤُهُمْ وبناتهم، ومِنَّا المُعْدِمُونَ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ أَيَّ شَيْءٍ يَشَاوُونَ وَيَشَاءُ ابْنَاؤُهُمْ وبناتهم؟ وهل يُعَدُّ من التَّربِيَةِ الجَعْفَرِيَّةِ أَنْ يَغْمُرَ تِيَّارَاتُ الغنى التَّكاثُرِيَّ المُطغني بلوازمه حَفَنَةً، وَيَغْمُرَ تِيَّارَاتُ الفقرِ المُفْجِعِ المُبِيدِ بلوازمه حَفَنَاتٍ؟ ونحن مسلمون؟ قرآنيون؟ محمديون؟ علويون؟ جعفريون؟

نظرة الى الفصل

إنَّ المجتمعَ الانسانيَّ الاسلاميَّ الَّذي عَمَدَ القرآنُ لُصْنِعه، لا بدَّ من أن تكون صلته الاقتصادية أيضاً خاضعةً للنواميسِ الانسانيةِ ولتأثيراتِ الاسلامِ التوجيهيةِ .

ففي هذا الضوء، هل يكون حملُ المسلمِ على أن يُؤاسيَ اخاه وأن يبدلَ له بعضَ ماله، امرأً بدعاً من هذا الصُّنع؟ وهل من السَّائغِ أن يُبرَّرَ الاسلامُ أن يبيِّنَ فرداً داراً في الفِ مِترٍ واكثر - مثلاً - ولا يُؤاسيَ اخاه، الَّذي لا يجدُ ظلَّ رأس، هو واهله وذووه، باعطائه مئةَ مِترٍ منه حتى يبيِّنَ الأخُ فيه داراً، فيأمنَ بوائِقَ التَّشُرُّدِ والتَّسكُّعِ، وما يلحقُه واهله - من بنين وبنات - من جرَّاء الحالة؟

فيجب علينا أن لا نُكايِدُ انْفُسَنَا، وأن نُمعِنَ النَّظَرَ في الاحاديثِ الواردةِ في الفصل - وهي نموذج - حتى نَقِفَ على واقعِ نظرةِ الاسلامِ الى قضايا الحياةِ والاقتصادِ والمالِ، وصلتها بتبنيِّ الدينِ واعتناقه .
نعم، وإنَّ المؤاساةَ امرٌ لا يرضى الاسلامُ الأخويُّ باقلِّ منه، مع أنَّه يدعو الى دعمِ مبدأِ «المساواة» - كما يأتي في الفصلِ التَّالي .

١ - وهناك بيوتٌ لهؤلاءِ الإخوانِ تُناهِزُ عشرةَ آلافِ مِترٍ واكثرِ سوى مُتَنَزَّهاتِهِمُ الأخرى .. وبإلهذه الأخوة!..

الفصل السابع والأربعون

مبدأ المساواة في الاسلام

لم نَعْقِدْ هذا الفصلَ لآن ندعو الى تجسيدِ المساواةِ الاسلاميّة، بجميع اشكالها وشؤونها في المجتمعات، فإن ذلك لا يكون إلا في زمان اكتمالِ البشرِ وتبلورِ فطريّاته، وانعتاقِ عقله، وانصياغه الى عمودِ القسطِ المُشعّ، بظهورِ «المصلحِ الفاطميِّ»، الذي يُحيي احكامَ القرآنِ الكريم، ويُجددُ معالمَ التربيةِ الاسلاميّة ويستنُّ بسُنّةِ النبيِّ «ص» ويسيرُ بسيرته، ويعملُ على هديه - كما وردَ عن النبيِّ «ص» في احاديثِ المسلمين عامّة .

بيدَ انا عَقَدنا هذا الفصلَ للتدليلِ على أنّ الدينَ الذي يتبنّى «المساواة» قاعدةً اصليّةً لقسمٍ عظيمٍ من صلاته الاقتصادية، وتوزيعه الماليّ، وسلوكه المعاشيّ، لا يعترفُ البتّة بالفروقِ النادرة، والتضادّ المعيشيّ الفاحش بين شِرْذِمَةٍ وجماهير .. واليك البيان:

الكتاب

١ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكرٍ وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا،

- ١ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ..^١
- ٢ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيَّ مَن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا، فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، سِوَاءً لِلسَّائِلِينَ *^٢
- ٣ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ، أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ *^٣؟
- ٤ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ : أَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ..^٤

الحديث

أ - ان الله تعالى يدعو الى المساواة

- ١ الامام الصادق «ع» - في «الحديث القدسي» : قال الله عز وجل : «إِفْتَرَضْتُ عَلَى عِبَادِي عَشْرَةَ فَرَائِضَ، إِذَا عَرَفُوهَا أَمَكَّنْتُهُمْ مَلَكَوتِي وَأَبَحْتُهُمْ جَنَانِي . أُولَئِهَا مَعْرِفَتِي .. وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَكُونَ هُوَ وَآخُوهُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا شَرْعاً سِوَاءً» .^٥

* تَأَمَّلْ فِي عَطْفِ كَلِمَةِ «الدُّنْيَا» عَلَى «الدِّينِ»، فِي هَذَا

١ - سورة الحجرات (٤٩) : ١٣ .

٢ - سورة فصلت (٤١) : ١٠ .

٣ - سورة النحل (١٦) : ٧١ .

٤ - سورة الشورى (٤٢) : ١٥ .

٥ - سفينة البحار ٢ / ١٧٩ .

الحديث القدسي . فالدعوةُ الى «تبني مبدأ المساواة» وتركيزه بين المسلمين، دعوةُ نابعةٌ من صميمِ دينِ اللهِ تعالى ودعوتهِ .

ب- إن أولياء الله تعالى يدعون إلى المساواة، أو واقع التسوية في العهد الإسلامي

١- في العهد النبوي

- ٢ النبي «ص»: إنَّ النَّاسَ من عهدِ آدمَ الى يومنا هذا مِثْلُ أَسْنَانِ المُشْطِ، لافْضَلُ للعربيِّ على العجميِّ، ولا للاحمرِّ على الاسود، الا بالتقوى^١.
- ٣ النبي «ص»: يا عليّ! سيّدُ الاعمالِ ثلاثُ خِصالٍ : انصافُك النَّاسَ من نَفْسِكَ، ومساواةُ الأخرِ في الله، وذكرُ اللهِ على كلِّ حالٍ^٢.
- ٤ النبي «ص»: إنّما انتم من رجلٍ وَامرأةٍ، كجُمَامِ الصّاعِ، ليس لاحدٍ على احدٍ فضلٌ الا بالتقوى^٣.
- ٥ الامام علي «ع»: .. اليس كان رسولُ اللهِ «ص»، يَقْسِمُ بالسّويّةِ بين المسلمين^٤.
- ٦ الامام الصادق «ع»: أتتِ الموالي اميرَ المؤمنين «ع» فقالوا: نَشْكُو اليك هؤلاءِ العربِ، إنّ رسولَ اللهِ «ص» كان يُعطينا معهم العطايا بالسّويّةِ ..^٥

١- الاختصاص / ٣٣٧.

٢- تحف العقول / ١٤.

٣- مجمع البيان ٩ / ١٣٨.

٤- المناقب ٢ / ١٠٨.

٥- الكافي ٥ / ٣١٨ - ٣١٩.

٢ - في العهد العلوي

٧ النبي «ص» - في ذكر مواصفات الامام علي بن ابي طالب : إنه أولكم
إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية،
وأقسمكم بالسوية^١.

٨ النبي «ص» : يا علي! انت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم
بأمر الله، وأقسمهم بالسوية^٢.

الفات نظر

نشاهد النبي الهادي «ص» في مقام كهذا - في مجتمعات
الصحابة - يعدد مواصفات الامام علي «ع» ومزاياه العظيمة التي
تؤهله للامامة الكبرى، وصاية عن النبي «ص»، فيعد من غيرها
القسم بالسوية. افليس هذا من أدل الدلائل على تبني الاسلام
لمبدأ المساواة كاصل؟

٩ الامام علي «ع» : .. من استقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، وآمن بنبينا، وشهد
شهادتنا، ودخل في ديننا، أجرنا عليه حكم القرآن، وحدود الاسلام؛ ليس
لاحد على احد فضل الا بالتقوى .. لم يجعل الله - تبارك وتعالى - الدنيا
للمتقين ثواباً، وما عند الله خير للابرار^٣.

١ - الغدير ٢ / ٥٧.

٢ - المراجعات / ١٦٠، الطبعة العشرون، القاهرة (١٣٩٩).

٣ - الكافي ٨ / ٣٦١.

القات نظر

يَدُلُّ هَذَا التَّعْلِيمُ العَلَوِيُّ بِالصَّرَاحَةِ عَلَى أَنَّ مِنْ حَكْمِ القُرْآنِ
وحدودِ الاسلام، رعايةَ المساواةِ وشجَبَ الميزاتِ وانكارَ اِيّ فضلٍ
لاحدٍ على احدٍ، الا ما كان من التَّقْوَى، وهولا يَسْتَتَبِعُ امراً مادياً
وأثرَةً دنيويَّةً، كما صرَّحَ به الامامُ في كلامِهِ .

١٠ الامام علي «ع» - فيما جرى بينه وبين اخيه عقيل بن ابي طالب : .. ما انا
وانت فيه (يعني في بيت المال وبالنسبة اليه)، الا بمنزلة رجل من
المسلمين ..^١

١١ الامام علي «ع» - في بيان عمله الحاسم بسنة الرسول «ص» و رده
المستحدثات اليها : .. وأعطيت كما كان رسول الله «ص» يُعطي بالسوية،
ولم أجعلها دولةً بين الاغنياء .^٢

١٢ الامام علي «ع» - لما عوتب على تصديره الناس أسوة في العطاء، من غير
تفضيل اولي السابقات والشرف : أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن
وليت عليه؟ والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أم نجم في السماء نجماً .
ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله ..^٣

١٣ الامام علي «ع» - إن قبراً قدّم الى امير المؤمنين «ع» جامات من ذهبٍ
وفضة في الرحبة، وقال : «إنك لا تترك شيئاً الا قسّمته، فخبأت لك هذا» .
فسل سيفه وقال : «ويحك! لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً» . ثم
استعرضها بسيفه فضربها حتى انتثرت من بين اناء مقطوع بضعة وثلاثين،

١ - المناقب ٢ / ١٠٨ - ١٠٩ .

٢ - الكافي ٨ / ٦٠ - ٦١ .

٣ - نهج البلاغة / ٣٨٩ - ٣٩٠ : عبده ٢ / ١٠ .

وقال : «عَلِيٌّ بِالْعُرَفَاءِ!»؛ فجاؤوا، فقال : «هذا بِالْحِصَصِ ..»^١

١٤ الامام علي «ع» - مما قاله لابنته (أم كلثوم)، حينما أخذت من بيت المال عِقْدُلُوْلُوْ - عاريةً مضمونةً مردودةً بعدَ ثلاثةِ أيّامٍ - في أيّامِ الاضحى وراه عليها : .. يا بنتَ عليّ بن ابي طالب! لا تذهبنَ بنفسِكِ عن الحقِّ، أكُلُّ نساءِ المهاجرين تزيّنُ في هذا العيدِ بمثلِ هذا؟^٢

١٥ الامام علي «ع» - في قومٍ من اهلِ المدينةِ لحقوا بمعاويةَ بنِ ابي سفيان : إنّما هم اهلُ دنيا، مُقبِلون عليها ومُهْطِعُونَ اليها، قد عَرَفُوا العَدْلَ ورَأَوْه، وَسَمِعُوهُ ووَعَوْه، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الحَقِّ أُسْوَةٌ، فَهَرَبُوا الى الأَثَرَةِ، فَبُعِدًا لَهُمْ وَسُحْقًا ..^٣

١٦ الامام علي «ع» - فيما رواه الامامُ الصّادق : لَمَّا وُلِّيَ عَلِيٌّ «ع» صَعِدَ المَنبِرَ فَحَمِدَ اللّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِنِّي وَاللّهِ لَا أَزْرَأُكُمْ مِنْ فَيْئِكُمْ دَرَهْمًا، مَا قَامَ لِي عِدْقٌ يَشْرِبُ، فَلْيَصُدُّكُمْ أَنْفُسُكُمْ، افْتَرَوْنِي مَا نَعَا نَفْسِي وَمُعْطِيَكُمْ؟ قَالَ : فَقَامَ اليه عَقِيلٌ - كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ - فَقَالَ لَهُ : وَاللّهِ لَتَجْعَلُنِي وَاسِدًا بِالمَدِينَةِ سَوَاءً؟ فَقَالَ : اجْلِسْ! أَمَا كَانَ هِيهنا أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ غَيْرُكَ؟ وَمَا فَضْلُكَ عَلَيْهِ الأَبْسَابِقَةُ أَوْ بَتَقْوَى .^٤

١٧ الامام علي «ع» - قَالَ لِلصّحَابِيِّينَ، طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللّهِ وَالزُّبَيْرِ بنِ العَوّامِ، لَمَّا طَلَبَا مِنْهُ الفَرْقَ وَالتّفْضِيلَ : سَابِقْتُكُمْما اقْرَبُ أَمْ سَابِقْتِي؟ قَالَا : سَابِقْتُكَ . قَالَ : فَفَرَأَبْتُكُمْما اقْرَابَتِي؟ قَالَا : قْرَابَتُكَ . قَالَ : فَعَنَاؤُكُمْما اعْظُمُ أَمْ عَنَايِي؟ قَالَا : عَنَاؤُكُمْ . قَالَ : فَوَاللّهِ، مَا أَنَا وَأَجِيرِي هَذَا الا بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ . وَأَوْمَى

١ و ٢ - المناقب ٢ / ١٠٨ و ١١٠ - ١١١ .

٣ - نهج البلاغة / ١٠٧٢ : عبده ٣ / ١٤٤ .

٤ - الكافي ٨ / ١٨٢ .

بيده الى الاجير.^١

٣- خطّ ذهبيّ في جبين التاريخ

١٨ الامام علي «ع» : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ آدَمَ لَمْ يَلِدْ عَبْدًا وَلَا أَمَةً، وَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ احرارٌ. ولكنَّ اللهَ خَوَّلَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَلَاءٌ فَصَبِرْ فِي الْخَيْرِ، فَلَا يَمُنُّ بِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. الا! وقد حَضَرَ شَيْءٌ وَنَحْنُ مُسَوُّونَ فِيهِ بَيْنَ الْاَسْوَدِ وَالْاَحْمَرِ. فقال مروانٌ لطلحةَ والزبيرِ : ما ارادَ بهذا غيرَ كما .. فاعطى كلَّ واحدٍ ثلاثةَ دنانيرٍ، واعطى رجلاً من الانصارِ ثلاثةَ دنانيرٍ، وجاءَ بعدُ غلامٌ اسود، فاعطاه ثلاثةَ دنانيرٍ. فقال الانصاريّ : يا اميرَ المؤمنين! هذا غلامٌ بالامس، تَجْعَلُنِي وَايَاهُ سَوَاءً؟ فقال : اِنِّي نَظَرْتُ فِي كِتَابِ اللهِ، فَلَمْ اَجِدْ لُوْلِدِ اسْمَاعِيلَ عَلَى وُلْدِ اسْحَاقَ فَضْلًا.^٢

تنبيهان هامان

١ - يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا التَّعْلِيمِ بوضوحٍ ، أَنَّ الَّذِينَ خَدَمُوا الدِّينَ بِعَمَلٍ ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِهِ بِجِهَادٍ ، او دَفَعُوا لَهُ نَفَقَاتٍ ، او سُجِنُوا فِي طَرِيقِ الدَّفَاعِ عَنْهُ وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَمُنُوا بِمَا فَعَلُوا عَلَى الدِّينِ وَاهْلِهِ ، وَأَنْ يَتَوَقَّعُوا ذَلِكَ جِزَاءً مَادِّيًّا ، مِنْ مَالٍ ، او جَاهٍ ، او تَدْخُلٍ فِي الْحُكْمِ ، او نَفُوزٍ فِي التَّقْنِينِ ، او تَغَلُّبٍ عَلَى التَّرْشِيحِ وَالتَّصْوِيتِ فِي اوانِهِمَا ، او تَقَدُّمٍ فِي تَشْكِيلِ احْزَابٍ وَمُنْظَمَاتٍ ، او نَشْرِ صُحُفٍ وَمَجَلَّاتٍ ، او شَقِّ طَرِيقٍ إِلَى مَنَافِعٍ وَدُخُولٍ ، او حُضُورٍ

١ - المناقب ٢ / ١٠٨ : ومن طبعة / ١١١ .

٢ - الكافي ٨ / ٦٩ .

مُنحازٍ في البرامجِ الاقتصاديةِ وما الى ذلك، حيث إنَّ امامنا عليّ بنَ ابي طالب «ع» يقول: «فَمَنْ كَانَ لَهُ بَلَاءٌ فَصَبْرٌ فِي الْخَيْرِ، فَلَا يُؤْمَنُ بِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». فمن كان معتقداً به فليُفعلْ هكذا .. وسيأتي ايضاً قولُ اميرِ المؤمنين «ع» هذا: «.. اَتَمُنُّونَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِاسْلَامِكُمْ؟ بَلِ اللَّهُ يُؤْمِنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

٢- لا يَسْتَدِلُّ الامام «ع» في جوابِ الانصاريِّ الذي اعترضَ عليه لتسويته بينه وبين غلامه .. بأنَّ هذه اموال بيتِ المالِ تُوزَعُ جَرَايَاتٍ .. ولا فرقَ فيها بين الافراد، لا، لا يَسْتَدِلُّ بهذا الكلام، بل يَسْتَدِلُّ عَلَى التَّسْوِيَةِ بِـ «اصْلِ قُرْآنِيٍّ»، يعني عدمَ الفرقِ بين انسانٍ وانسانٍ في دينِ القرآن، اسماً عيلاً كان او اسحاقياً؛ وما ذَكَرَ ذلكَ الاً مثلاً، يعني لا فرقَ بين الأناسيِّ من ايِّ ابٍ وامٍّ كانوا، ومن آيةٍ جنسيَّةٍ ولونٍ وقومٍ وارضٍ . فالملاكُ هو الانسانيَّةُ العامَّةُ والوحدةُ في الخلقِ والخالقِ - كما ورد في احاديثٍ اخرى .

ومن هذه التعاليم العظيمة البناءة، يُدْرِكُ أَنَّ الاسلامَ الاصيلَ - الذي لم يَنْطَرِّقْ اليه أيدي بُغَاةِ الأثرَةِ والتَفْضِيلِ - يَسْتَهْدَفُ مساواةَ ابناءِ الانسان - وهم من ابٍ واحدٍ وامٍّ واحدةٍ وخلقهم الله واحد - كمبدأٍ واصلٍ . ولقد وَرَدَتْ في تعاليم النبيِّ الاعظمِ «ص» والائمةِ الهادينِ «ع» ارشادات كثيرة الى تبني ذلك الاصل الانسانيِّ والاسلاميِّ العظيم . ولقد جاءت نبذةٌ منها في هذا الفصل، ممَّا مرَّ وسيأتي . فعلى المسلمين - وخصوصاً الفقهاء واصحاب الاجتهاد والافتاء - ان يَعْمِدُوا الى تلكم التعاليمِ الالهيةِ، ولا يَجْعَلُوهَا خَلْفَ الظَّهْرِ، ولا يَرَكُنُوا الى المستأثرين، حتى يَنْجَحُوا في صُنْعِ مجتمعٍ تلوِّحُ عليه آثارُ الاسلام، وتنعكسُ فيه تعاليمُ آلِ محمد «ص» .

٤ - شعاع الهبي على قمة الاعصار

١٩ الامام علي «ع» - أوردَ ابنُ أبي الحديدِ المدائني، في شرحِ «نهج البلاغة»، أنه لم يكن (عليُّ) يُفضِّلُ شريفاً على مشروفٍ، ولا عربياً على عجميٍّ، ولا يُصانعُ الرؤساءَ وأمراءَ القبائل - كما يصنعُ الملوك - ولا يستميلُ أحداً إلى نفسه . وكان معاويةً بخلاف ذلك . فتركَ الناسُ عليّاً والتحقوا بمعاوية . فشكا علي «ع» إلى الأشرِ تخاذلُ أصحابه وِفْرارَ بعضهم إلى معاوية، فقال الأشر: يا أميرَ المؤمنين : .. أنت تأخذهم بالعدل، وتعملُ فيهم بالحقِّ، وتُنصفُ الوضيعَ من الشريف، فليس للشريفِ عندك فضلٌ منزلةً على الوضيع، فضجَّت طائفةٌ ممن معك من الحقِّ إذ عُموأ به، واغتموا من العدلِ إذ صاروا فيه .. فقال :... فقد علمَ اللهُ أنهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل ..^١

٢٠ الامام علي «ع» : إنَّ امرأتين أتتا عليّاً «ع» عند القسمة، إحداهما من العربِ والأخرى من الموالي، فأعطى كلَّ واحدةٍ خمسةً وعشرين درهماً وكراً من الطعام . فقالتِ العربيَّةُ : يا أميرَ المؤمنين : إنِّي امرأةٌ من العربِ وهذه امرأةٌ من العجم؟ فقال عليُّ «ع» : والله لا أجِدُ لبني اسماعيلَ في هذا الفئءِ فضلاً على بني اسحاق .^٢

٢١ الامام علي «ع» - قال عاصمُ بنُ ضَمرةَ : إنَّ عليّاً «ع» قَسَمَ قَسْماً، فسَوَّى بين الناسِ .^٣

١ - شرح نهج البلاغة ٢ / ١٩٧ - ١٩٨ . راجع ايضاً : «الغارات» ١ / ٥٢ - ٥٣ .

٢ - الوسائل ١١ / ٨١ .

٣ - الوسائل ١١ / ٨١ .

٥ - تعاليم و هدايات

- من التّعليم السّجّاديّ

٢٢ الامام السّجاد «ع» - قال جابر الجعفيّ: قلتُ لعلّي بن الحسين «ع»: يا ابن رسول الله! ما حقّ المؤمن على اخيه المؤمن؟ قال: يُفْرِحُ لفرّحه اذا فرِحَ .. ولا يَغْتَمُّ لشيءٍ من حُطامِ الدّنيا الفانية الاّ واساه، حتّى يجريان في الخير والشرّ، في قرَن واحد!

- من التّعليم الباقرّيّ

٢٣ الامام الباقر «ع» - ابو حمزة (الثّماليّ) قال: سألتُ ابا جعفر «ع»: ما حقّ الامام على النّاس؟ قال: «حقّه عليهم أن يسمّعوا له ويطيعوا». قلت: فما حقّهم عليه؟^٢ قال: «يَقْسِمُ بينهم بالسّويّة، ويعدّل في الرّعيّة...»^٣.

* وهذا التّعليم - وقد وردت بصدده احاديث متعدّدة - يرشدنا

الى تجسيد العدلين: الاقتصاديّ والقضائيّ.

- من التّعليم الصّادقيّ

١ - المستدرک ٢ / ٦٣.

٢ - جاء ضبط هذه اللفظة في مطبوع «الكافي»، بصيغة الجمع (عليهم)؛ ولعله من سهو النّاسخين، او الطّابعين.

٣ - الكافي ١ / ٤٠٥.

٢٤ الامام الصادق «ع»: اهل الاسلام هم ابناء الاسلام، أسوي بينهم في العطاء؛ وفضائلهم بينهم وبين الله، أحملهم كبني رجل واحد، لا يفضل أحد منهم لفضله وصلاحه، في الميراث، على الآخر ضعيف منقوص . قال : وهذا هو فعل رسول الله «ص» في بدو أمره . وقد قال غيرنا : أقدمهم في العطاء بما قد فضلهم الله بسوابقهم في الاسلام .^١

* وهذا التعليم يدلُّ بدوره على تبنِّي الاسلام لمبدأ المساواة، في العطاء الحكومي وغيره، حيث ذُكر فيه الميراث . وهذا هو الاصل . وكذلك يدلُّ على أن متبعي السيرة العلوية في الاسلام، لا يُشبتون للسوابق المعنوية تأثيراً في القضايا المادية لأن هذا خروج عن مسلك «التوحيد»، الذي يجعل تلك الأجور أخروية يعطيها الله تعالى .

تنبیه

نُشهدُ الامام جعفرًا الصادق «ع» (المعلم المعصوم، والمرشد الالهي، والحجة الكبرى، الذي لا ينطق الا عن مُراد الله المحض، ولا تمثلُ تعاليمه الا حقائق القرآن وتعاليم الوحي السماوي)، يقول: «اهل الاسلام هم ابناء الاسلام ..». ابعده هذا التعليم والتوجيه - وما ورد بصدد الموضوع نفسه من احاديث متعدده ذات تعابير موجّهة، والقرآن الوارد بحق الأخوة الايمانية - كيف يُقرأ أي مسلم نابِه - فضلاً عن علماء المسلمين وافاضلهم - تلك الفروق الباهظة والساحقة، بين هؤلاء الابناء، في شتى نواحي المعيشة والحياة ..؟

هذه الاموال الطائلة، والاملاك العقارية، والقصور الكبيرة ذات آلاف من الامتار، مع ما أعدت فيها من المروج والبساتين والمسابع والحمامات المختلفة والقاعات وغرف النوم والزينة والمدافئ والمكيفات والموائد والسُّمَطِ الملوّنة والثلاجات والبرادات والبُسطِ والفُرشِ والأزِياءِ وسائر الرفاهيات الحديثة والخيالية هنا وهناك وما اليها لحفنة ..

وتلك الاكواخ البائسة المليئة بالكُدودِ والمعاناة والعوز والمرض والشقاء والجوع والآلم والذنس وما اليها لحفنت .. هذه الاوقات الفارغة، في حياة هادئة، التي تملأها الراحة والرفاه المادي ورحلات النزهة في المدائن الفخمة والفنادق الممتازة والسواحل النزهة وما اليها ..

وتلك الاوقات التّعسة التي يستولي عليها القلق والعُدم وضغطات العمل المرهق، وما تستتبعه كثرة ساعات العمل وطوارئه وعدم العطلة الكافية وما اليها ..

ولا تنس الحياة الريفية وما يكتنفها، من انواع التعس والشقاء والعوز وعدم الامكانيات الاولية .. فضلاً عن الرفاهية .. وحياة من يبحث عن العمل ولا يجد، ومن لا سبيل له الى ظلّة رأس ولماظة عيش، ومن اليهم ..

اهؤلاء الطوائف كلها ابناء الاسلام، ويعيشون كابناء رجل واحد، كما يريدُه الامام الصادق «ع»؟

اهؤلاء يكون كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وتربُّهم بمنزلة الاخ، كما يريدُه الامام السَّجَّاد «ع»؟

اهؤلاء اعضاء جسد واحد، اذا اشتكى تداعى له سائر الجسد،

١ - فيما قاله لمحمد بن مسلم الزهري: راجع: البحار ٧١ / ٢٣٠، عن «تفسير الامام العسكري».

كما يُريدُ الامام الباقر «ع»؟^١

اهؤلاءِ إِخْوَةٌ بَرَّةٌ، كما تدعو اليها القرآنُ الكريمُ؟ وهل نحن مع هذه الحالة نُقيمُ «القرآن» ونكونُ «أُمَّةً مُقْتَصِدَةً»، ام نَنصُوي الى اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: «وَكثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ»؟^٢

اهكذا نغضُ الطَّرْفَ عن هذه الجنَاياتِ الهائلةِ بحقِّ الانسانِ والانسانيَّةِ والاسلامِ والاسلاميَّةِ، ونُري للناسِ اَنّ الاسلامَ يُقرُّها أو لا يَجِبُها؟

اهكذا نَسوقُ النَّاهين الى الفشلِ واليأسِ، والمُعذِّبين والكادحين الى الخيبةِ والسَّقوطِ، والشَّبَابِ الحساسين الى الوقوعِ في شَرِكِ المدارسِ الالحاديَّةِ والافكارِ المُضَلِّلةِ او المُمَيِّعةِ، ونَحسبُ اَنّنا نُحسِنُ صُنْعاً؟

او هل يُقرُّ الاسلامُ هذه الأثراتِ الجهنميَّةِ والواقعيَّاتِ اللانسانيَّةِ المعتديَّةِ باسمِ كذا وكذا..؟ ان كان هذا فماذا يكونُ محلُّ تلكِ التَّعاليمِ: «اهلُّ الاسلامِ هم ابناءُ الاسلامِ..»؟ .. و.. وماذا يكونُ محلُّ القسطِ والعدلِ القرآنيِّين؟

وهل بعدَ ذلكِ، يُعدُّ من النِّصْفَةِ والانسانيَّةِ والدينِ، اَن يَتَّهَمُوا الذين يُدافعون عن المحرومين وحقوقهم وكرامتهم - تبعاً للانبيا «ع» والاوصياء «ع» - ويرفضون تلكِ الفروقَ النَّائيَّةَ عن الموازينِ الالهيةِ، باليساريةِ وامثالها، حتى يصيرَ ذلكِ سبباً لتشجيعِ هؤلاءِ الطَّواغيتِ الاقتصاديِّين، الذين هم مصيبةُ المجتمعِ

١ - البحار ٧٤ / ٢٣٤، من حديثِ الامامِ الباقر «ع»: الكافي ٢ / ١٦٦، والبحار ٧٤ / ٢٣٣، من

حديثِ الامامِ الصادق «ع».

٢ - سورة المائدة (٥): ٦٦.

الاسلامي، على حدّ تعبيرِ مولانا الامام عليّ بن الحسين

السّجّاد «ع»؟^١

غفرانك اللهم ربنا واليك المصير ..

- ٢٥ الامام الصادق «ع»: الناس سواءٌ كاسنانِ المُشطِ .^٢
- ٢٦ الامام الصادق «ع» - حمادُ بن عثمان قال : اصابَ اهلَ المدينةِ قحطٌ .. وكان عندَ ابي عبدالله «ع» طعامٌ جيّدٌ قد اشتراهُ اوّلَ السّنةِ، فقال لبعضِ مواليه : «اشتر لنا شعيراً، فاخْلطْهُ بهذا الطّعامِ اوبعْهُ؛ فإنا نكرهُ أن نأكلَ جيّداً ويأكلَ الناسُ رديئاً».^٣
- ٢٧ الامام الصادق «ع» - قال ابو بصير : سألتُ ابا عبدالله «ع» عن رجلٍ له ثمانُ مئةِ درهم، وهو رجلٌ خفاف، وله عيالٌ كثير، ألّه أن يأخذَ من الزّكاةِ؟ فقال : «يا ابا محمّد! أيربُحُ في دراهمه ما يقوتُ به عياله ويفضّلُ؟». قال : نعم! قال : «إن كان يفضّلُ عن القوتِ مقدارُ نصفِ القوتِ فلا يأخذُ من الزّكاةِ. وإن كان اقلّ من نصفِ القوتِ أخذَ الزّكاةِ ..». قال : قلت : كيف يصنعُ؟ قال : «يوسّعُ بها على عياله في طعامهم وكسوتهم ويبقي منها شيئاً يناولُه غيرهم، وما أخذَ من الزّكاةِ فضّه على عياله حتى يلحقهم بالناس».^٤
- ٢٨ الامام الصادق «ع» - عن معلّى بن خنيس قال : خرَجَ ابو عبد الله «ع» في

١ - في قوله «ع»: «أيها المؤمنون! مصيبتكم الطواغيت من اهل الرّغبة في الدّنيا ..» - (امالي المفيد /

١١٧). راجع ايضاً: الفصل ٧، من هذا الباب .

٢ - تحف العقول / ٢٧١.

٣ - الوسائل ١٢ / ٣٢١.

٤ - كنية ابي بصير الثانية.

٥ - الوسائل ٦ / ١٥٩.

ليلةٍ قد رَشَّت - وهو يُريدُ ظُلَّةَ بني ساعدة - فَاتَّبَعْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ فَقَالَ : «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ رُدَّهُ عَلَيْنَا». قَالَ : فَاتَيْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : «أَنْتَ مُعَلِّي؟» قُلْتُ : نَعَمْ، جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَقَالَ لِي : «الْتَمِسْ بِيَدِكَ فَمَا وَجَدْتَ مِنْ شَيْءٍ فَأَدْفَعْهُ إِلَيَّ»، فَإِذَا أَنَا بِخُبْزٍ مُنْتَشِرٍ (مُنْتَشِرٍ) كَثِيرٍ، فَجَعَلْتُ أَدْفَعُ إِلَيْهِ مَا وَجَدْتُهُ؛ فَإِذَا أَنَا بِجِرَابٍ أَعْجُزُ عَنْ حَمَلِهِ مِنْ خُبْزٍ. فَقُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَحْمِلْهُ عَلَيَّ رَأْسِي. فَقَالَ : «لَا، أَنَا أَوْلَىٰ بِهِ مِنْكَ، وَلَكِنْ أَمْضِ مَعِي». قَالَ : فَاتَيْنَا ظُلَّةَ بني ساعدة، فَإِذَا نَحْنُ بِقَوْمٍ نِيَامٍ، فَجَعَلَ يَدُسُّ الرَّغِيفَ وَالرَّغِيفِينَ،^١ حَتَّىٰ أَتَىٰ عَلَيَّ آخِرَهُمْ، ثُمَّ أَنْصَرَفْنَا. فَقُلْتُ : جَعَلْتُ فِدَاكَ، يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْحَقَّ؟ فَقَالَ : «لَوْ عَرَفُوهُ لَوَاسَيْنَاهُمْ بِالذُّقَّةِ»؛ وَالذُّقَّةُ هِيَ الْمِلْحُ.^٢

- من التَّعْلِيمِ الْكَاطِمِيِّ

٢٩ «الامام الكاظم «ع» - رُوِيَ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ، دَمِيمِ الْمَنْظَرِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَنَزَلَ عِنْدَهُ وَحَادَثَهُ طَوِيلًا، ثُمَّ عَرَضَ «ع» عَلَيْهِ نَفْسَهُ فِي الْقِيَامِ بِحَاجَةٍ إِنْ عَرَضَتْ لَهُ؛ فَقِيلَ لَهُ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! أَتَنْزِلُ إِلَىٰ هَذَا، ثُمَّ تَسْأَلُهُ عَنْ حَوَائِجِهِ، وَهُوَ إِلَيْكَ أَحْوَجُ؟ فَقَالَ : عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ، وَأَخٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَجَارٌ فِي بِلَادِ اللَّهِ، يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُ خَيْرُ الْأَبَاءِ آدَمُ «ع» وَأَفْضَلُ الْأَدْيَانِ الْإِسْلَامُ، وَلَعَلَّ الدَّهْرَ يَرُدُّنِي حَاجَاتِنَا إِلَيْهِ.^٣

- من التَّعْلِيمِ الرَّضَوِيِّ

١ - في ثواب الاعمال (٧٩) هنا زيادة : «تحت ثوب كل واحد منهم».

٢ - الوسائل ٦ / ٢٧٨ - ٢٧٩ و ٢٨٤.

٣ - تحف العقول / ٣٠٥.

٣٠ الامام الرضا «ع»: ... ومواسأتهم (الاخوان) ومساواتهم، في كل ما يجوز فيه المساواة والمواساة ..^١

٣١ الامام الرضا «ع» - عن عبد الله بن الصلت، عن رجلٍ من اهل بلخ، قال: كنت مع الرضا «ع» في سفره الى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له، فجمع عليها موالیه من السودان وغيرهم. فقلت: جعلت فداك! لو عزلت لهؤلاء مائدة؟ فقال: «مه! إن الرب - تبارك وتعالى - واحد، والأم واحدة، والاب واحد، والجزء بالاعمال»^٢.

٣٢ الامام الرضا «ع» - عن محمد بن سنان، أن ابا الحسن علي بن موسى الرضا «ع» كتب اليه فيما كتب، من جواب مسائله: إن علة الزكاة من أجل قوت الفقراء، وتحصين اموال الاغنياء. لأن الله تعالى كلف اهل الصحة القيام بشأن اهل الزمانة من البلوى .. والحث لهم على المساواة، وتقوية الفقراء، والمعونة لهم على امر الدين^٣.

* يُستفاد من هذا التعليم القيم امور:

- ١ - أن قوت الفقراء ومعيشتهم في اموال الاغنياء، فالفقراء شركاؤهم في تلك الاموال - كما ورد في احاديث عديدة اخرى - فما دام الفقر موجوداً في الناس، يعد الاغنياء ظالمين غاصبين.
- ٢ - أن تحصين اموال الاغنياء يتوقف على ادائهم ما فيها من الحقوق الظاهرة والباطنة، حتى تزاح المسكنة والفقير عن عرصات المجتمع؛ فلا قداسة لتلك الاموال اذالم تؤد حقوقها جميعاً.

١ - البحار ٧٤ / ٢٢٧.

٢ - الكافي ٨ / ٢٣٠.

٣ - علل الشرايع / ٣٦٩.

الفصل السابع والاربعون : مبدأ المساواة ..

٣- أَنَّ الْفَقْرَ الَّذِي يُسَدُّ بِالزَّكَاةِ، هُوَ الْفَقْرُ الطَّبِيعِيُّ، النَّاشِئُ مِنَ
الامراضِ والعاهاتِ والتّصادمِ وما الى ذلك، لا الفقرُ الاجتماعيُّ
المفروض .

٤- أَنَّ ادَاءَ الزَّكَاةِ مَقْدَمَةٌ لِتَبْنِي مَبْدَأِ الْمَسَاوَاةِ وَالْوَصُولِ إِلَيْهِ،
وَبُخُوعِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ بِهِ .

٥- أَنَّ أَمْرَ الدِّينِ وَالْقِيَامَ بِهِ وَبِحَاكِمِهِ، يَتَوَقَّفُ عَلَى الْمَعُونَةِ
المَادِّيَّةِ، فَالَّذِينَ يَمْنَعُونَ الْفُقَرَاءَ وَالْمَحْرُومِينَ مِنْ حَقِّهِمْ لَيْسَ
فَسَادِهِمْ مَنْحَصراً فِيمَا يُصِيبُ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْجِهَةِ الْمَادِّيَّةِ
فحسب، بَلْ يَضُرُّونَ بِهِمْ مِنَ الْجِهَةِ الدِّينِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ أَيْضاً،
وَيَضُرُّونَ بِالذِّينِ وَيُضَعِّضُونَ قَوَاعِدَهُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ .

٦- في العهد المهديّ

٣٣ النبي «ص»: أَبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ، يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ ..
يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صَاحِحاً . فَقَالَ لَهُ
رَجُلٌ : وَمَا صَاحِحاً؟ قَالَ : «التَّسْوِيَةُ بَيْنَ النَّاسِ»^١ .

ج - مَعْلَمٌ وَضَّاحٌ (١)

٣٤ النبي «ص» - فِيمَا وَصَفَ «ص» بِهِ الْإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ «ع» : أَنْتَ
الْإِمَامُ لِأُمَّتِي، وَأَنْتَ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ فِي رِعْيَتِي ..^٢

١- مُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ٣/ ٣٧؛ الْبَحَارُ ٥١/ ٨١ و ٩٢؛ كَشَفُ الْغُمَّةِ ٣/ ٢٦١ (من طبعة دارالكتاب

الإسلامي، بيروت، في ثلاث مجلدات)؛ مَتَخَبُ الْأَثَرِ / ١٤٧ .

٢- الْمَرَاجِعَاتُ / ١٩٢ .

* يُسْتَنْبَطُ من ملاحظَةِ ما جاءَ في هذا الكلامِ النَّبَوِيِّ بحقِّ
الامامِ عليِّ بنِ ابي طالبٍ «ع»، من أَنَّهُ القائمُ بالقسطِ في الأُمَّةِ، وما
جاءَ في احاديثِ نَبَوِيَّةٍ متعدِّدةٍ أُخرى، من أَنَّهُ الأَقْسَمُ بالسَّوِيَّةِ، اصلُ
اسلاميِّ هامٍّ. و هو أَنَّ القيامَ بالقسطِ له وشيخُ صلَةٍ بتبنيِّ مبدأِ
المساواةِ. والامرُ كذلكِ.

وبما أَنَّ الهدفَ الغائيَّ للدينِ هو قيامُ الناسِ بالقسطِ - كما
صُرِّحَ به في القرآنِ الكريمِ - يَتَّضِحُ أَنَّ تَبَنِيَّ مبدأِ المساواةِ من
الاصولِ الاصليةِ للدينِ لتجسيدِ غاياتهِ المختلفةِ في المجتمعِ
والحياةِ.

د - مَعْلَمٌ وَضاحٌ (٢)

٣٥ النبي «ص»: يَقْسِمُ (المهديُّ) المالَ بالسَّوِيَّةِ ١.

* لقد جاءَ في احاديثِ نَبَوِيَّةٍ متعدِّدةٍ مشهورةٍ بينَ المسلمينِ :
أَنَّ المهديَّ «ع» اذا قامَ يَمَلَأُ الارضَ قسطاً وعدلاً بعدَ ما مُلِئَتْ
ظُلماً وجوراً؛ وجاءَ عن الامامِ الباقرِ «ع»: أَنَّهُ يَهْدِمُ ما كانَ قبلَه - كما
صَنَعَ رسولُ اللهِ «ص» - وَيَسْتَأْنِفُ الاسلامَ جديداً؛^٢ وعن الامامِ
الصَّادِقِ «ع»: أَنَّهُ يَسِيرُ في الناسِ بسيرةِ رسولِ اللهِ «ص» وَيَعْمَلُ
فيهمِ عَمَلَه.^٣ ولقد قرأتُ نماذجَ من الاحاديثِ التي تقولُ إِنَّ
المهديَّ «ع» يُسَوِّي بينَ الناسِ، وَيَقْسِمُ المالَ صَحاهاً (بالسَّوِيَّةِ)،

١ - كشف الغمّة ٣ / ٢٦٤ .

٢ - البحار ٥٢ / ٣٥٢ - ٣٥٣، عن «الغيبة» للنعمانيّ .

٣ - كشف الغمّة ٣ / ٢٥٤ .

وَيُرَكِّزُ مَبْدَأَ الْمَسَاوَاةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ .

وإن مقتضى الجمع بين هذه الاخبار والاحاديث وفقهها، هو أنَّ الواقع المطلوب للاسلام الاصيل هو المساواة . وهذا الاصل هو الذي يُهْمَلُهُ المسلمون ولا يَعْتَدُّون به فيُحْيِيهِ القائم المنتظر «ع» وَيَسْتَأْنِفُ به الاسلامَ جديداً، كأنَّ ما كان قبله باسم «الاسلام»، لم يَكُنْ من الاسلام .

هـ - الوضع المطلوب للنظام الاقتصادي في الاسلام

٣٦ الامام علي «ع» : لَوْ اِقْتَبَسْتُمُ الْعِلْمَ مِنْ مَعْدِنِهِ .. وَسَلَكْتُمُ الْحَقَّ مِنْ نَهْجِهِ ..
أَضَاءَ لَكُمْ الْاِسْلَامَ، فَأَكَلْتُمْ رَغَدًا، وَمَا عَلَّالٌ فِيكُمْ عَائِلٌ ..^١

٣٧ الامام الباقر «ع» : .. يُسَوِّي (المهدي) بَيْنَ النَّاسِ، حَتَّى لَا تَرَى مَحْتَاجًا
إِلَى الزَّكَاةِ .^٢

* الَّذِي يُسْتَفَادُ مِنْ صَرِيحِ هَذِهِ التَّعَالِيمِ، هُوَ أَنَّ الْاِسْلَامَ يَشَاءُ
لِلْمَجْتَمَعِ الْاِنْسَانِيَّ أَنْ يَأْكُلَ النَّاسُ جَمِيعًا رَغَدًا، وَأَنْ لَا يَكُونَ فِيهِمْ
عَائِلٌ، وَأَنْ لَا يُرَى فِيهِمْ مَحْتَاجٌ . وَحَيْثُ نَجَدُ أَنَّ التَّكَاتُرَ وَالْفَقْرَ
هُمَا الدَّاهِيَتَانِ الْعَظِيمَتَانِ فِي تَارِيخِ الْاِنْسَانِ، نُسَاهِدُ الْاِسْلَامَ
يَسْعَى لِإِزَاحَتِهِمَا عَنْ عَرَصَاتِ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ، بِاقَامَةِ الْقِسْطِ
وَالتَّوَاظُنِ، وَدَعْمِ مَبْدَأِ الْمَسَاوَاةِ .

١ - الكافي ٨ / ٣٢ .

٢ - البحار ٥٢ / ٣٩ .

و - ايقاظ ديني وتربوي واجتماعي واصلاحي هام

٣٨ الامام علي «ع»: الا! وأيما رجلٍ من المهاجرين والانصار، من اصحابِ رسولِ الله، يرى أنَّ الفضلَ له على مَنْ سِوَاهُ لصحبته، فإنَّ له الفضلَ النَّيِّرَ غداً عندَ الله، وثوابه واجره على الله. وأيما رجلٍ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وللرَّسولِ، فَصَدَّقَ مَلَّتْنَا ودَخَلَ فِي دِينِنَا واسْتَقْبَلَ قِبَلْتَنَا، فقدِ اسْتَوْجَبَ حقوقَ الاسلامِ وحدودَه . فانتمُ عبادُ الله، والمالُ مالُ الله، يُقَسَّمُ بينكم بالسَّوِيَّةِ، لا فضلَ فيه لاحدٍ على احد، وللمتقين عندَ الله غداً احسنُ الجزاءِ وافضلُ الثَّوابِ . لم يجعلِ اللهُ الدُّنيا للمتقين اجراً ولا ثواباً، ما عندَ الله خيرٌ للابرار . واذا كان غداً - إن شاء الله - فاغذوا علينا! .. فلما كان من الغدِ غداً وغدا الناس، فقبضَ المالَ فقال لعبيدِ اللهِ بن ابي رافع - كاتبه - : ابدأ بالمهاجرين فنادهم، وأعطِ كلَّ رجلٍ مَمَّنْ حَضَرَ ثلاثةَ دنانير، ثم ثنَّ بالانصار، فأفعلَ معهم مثلَ ذلك، ثم من لَمْ يَحْضُرْ من الناسِ كلَّهم، الاحمرِ والاسود، فأصنعَ به ذلك .. (ولما كَلَّمَهُ جمعٌ في تصييره الناسَ أسوةً في العطاءِ وعدمِ رعايته السيرةَ السياسيَّةَ التي يسير عليها الساسةُ والملوكُ والحُكَّام في أمثالِ هذه الموارد، قال :)..

هذا كتابُ اللهِ بينَ أظهرنا، وعهدُ رسولِ اللهِ وسيرتهُ فينا، لا يجهلُ ذلك الا جاهلٌ عاندٌ عن الحقِّ مُنْكَرٌ . قال اللهُ تعالى : «يا أيُّها الناسُ! انا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا، انَّ اَكْرَمَكُمْ عندَ الله اتقاكم»، ثمَّ صاحَ با على صوتِه : «أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرّسولَ! فإنَّ تَوَلَّيْتُمْ فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكافرين». ثمَّ قال : يا معشرَ المهاجرين والانصار! اتمنُّون على الله ورسوله بإسلامكم؟ بل اللهُ يَمُنُّ عليكم أن هداكم للإيمان، إن كنتم صادقين ..^١

١ - البحار ٨ / ٣٩٣ - ٣٩٤ (طبعة الكمباني); راجع ايضاً: الكافي ٨ / ٣٦٠ - ٣٦٢.

الفات نظر

أنظروا الى هذه اللوحة الرائعة العظيمة، واللحظة العملاقة في التاريخ الانساني، مما سنحت في الخلافة الاسلامية العلوية :

قد شرقت شمس الكوفة وأرسلت انوارها الذهبية على البلدة بنخيلها وانهارها ودورها وسككها .. وغدا الناس وبرزوا، ذاهبين الى بيت مالهم، واثقين مطمئنين، لا يطمع قوي في حيف، ولا يئأس ضعيف من عدل .. وعلي بن ابي طالب - عملاق العدالة والحق وحارس الكرامة الانسانية وحامي العساء الوحيد - قائم .. وابن ابي رافع يقسم المال بين الناس ويعطي كل واحد منهم ثلاثة دنانير .. الاحمر والاسود .. الشريف والوضيع .. الحر والعبد، العالم والجاهل، الرئيس والمرؤوس ..

وتشاهد هناك - في مزدحم الجماهير - ضمن صفوف الناس، أن قد حضر اولوا السابقات والشرف والسادة والكبراء، واعاظم رجال المسلمين، وصناديد قريش من المهاجرين الذين أسلموا .. وكذلك شجعان المسلمين وامراء جيوشهم المشاهير، وعلمائهم وفضلاؤهم .. ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، حيث تبصر الناس جنبا الى جنب حتى غلام سهل بن حنيف الانصاري .. كل يأتي ويأخذ سهمه المساوي للآخرين : ثلاثة دنانير، وترى الناس كاسنان المشط، وفضائلهم بينهم وبين الله .. لا مزية هناك ولا فرق، ولا اثر ولا محاباة، لا يكرم الشريف لشرفه، ولا يهان الوضيع لخموله .. بل الكل ينظر اليهم بعين واحدة، نظرة

١ - على حد تعبير الامام الصادق «ع»، كما مر في الحديث ٢٤، من الفصل.

تخلُق للانسانية قِيماً لا يَأْتِي عليها مرُّ الحِقْبِ والاعوام ..
 وشمسُ الكوفةِ تَشْرُقُ على هذه القِطعةِ من الارض، التي
 تَتَقَدَّسُ فيها العدالة .. وَتَمْتَرِجُ اشعُتها بِاشعَّةِ شمسِ العدالةِ
 الكلِّيةِ، فتَبْقَى مُشْرِقةً خالدةً الى ان يَرِثَ اللهُ الارضَ وما عليها ..
 .. فما أَجَلُهُ من يوم، وما أَعْظَمُهُ من صَباح ..؟ فلِما ذا لا يُعيدُ
 التاريخُ أَياماً مثله، أليس يقولون إنَّ التاريخَ يُعيدُ نفسه، فلِماذا
 لا يُعيد، لِماذا؟..

ويُستفادُ من هذه التَّربيةِ العلويةِ البِناءِ امورٌ نُشيرُ الى نبذةٍ

منها:

١ - لا يَجوزُ لِمَن آزرَ المبدأَ الحقَّ وقَوَّاه، ان يَطْلُبَ على ذلك
 اجوراً مادِّيَّةً . فهناك في النَّاسِ اشخاصٌ يَتَوَقَّفُونَ لَانِ يُؤازِرُوا
 دعوةً سالحةً، او ثورةً ناجحةً، باموالهم واوراقاتهم وامكانياتهم،
 ولكن ليس لهم عند النَّجاحِ ودخولِ النَّاسِ فيها ان يَتَطَلَّبُوا لذلك
 مزايا مادِّيَّةً، مُعلنةً او غير مُعلنة، لانه نقضٌ لأهدافِ الدَّعوةِ وغاياتِ
 الثَّورةِ (من اقامةِ العدلِ وبسطِ القسطِ)، واستغلالُ القِيمِ على
 حسابِ الجماهيرِ .

٢ - انَّ المُؤازرةَ المذكورةَ، لا تَسْتَتِيعُ اجراً مادِّيَّاً، ولا تُوجِبُ
 اَثراً وفرقاً، وان كانت في صُحبةِ الرِّسولِ «ص» وخدمته، فضلاً
 عن غيرها .

٣ - انَّ اجْرَ الاعمالِ بيدِ اللهِ تعالى، وما عنده خيرٌ للابرار،
 وللمجاهدين الصَّامدين الصَّادقين الفضلُ النَّيرُ غداً عند الله، ولم
 يَجْعَلِ اللهُ الدُّنيا للمتقين اجراً ولا ثواباً .

٤ - انَّ مُؤازري الحقِّ والدين، لا يَطْلُبُونَ الاجورَ المادِّيَّةَ، ان
 كانت مُؤازرتهم وقَعَتْ عن تقوى وصدق .

٥- لا يَجُوزُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْحَقِّ وَيَتَّبِعُهُ وَيَسْعَى لَهُ، أَنْ يُمَنَّ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى أَهْلِ الْحَقِّ وَتَابِعِيهِ وَالْعَامِلِينَ بِهِ، بَلْ لِلَّهِ الْمِنَّةُ عَلَيْهِ، حَيْثُ فَهَمَهُ الْحَقُّ وَيَسَّرَ لَهُ الْإِهْتِدَاءَ إِلَيْهِ وَالْإِيمَانَ بِهِ، وَالْعَمَلَ لِمُؤَاذِرِيهِ .^١

٦- أَنَّ رِعَايَةَ الْمَسَاوَاةِ وَتَبْنِيَّهَا الْحَاسِمَ، وَالصُّمُودَ لِتَطْبِيقِهَا أَمْرٌ قُرْآنِيٌّ يَدْعُو إِلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ وَسِيرَتُهُ .

ز- الفقه القديم يؤكد على تبني «مبدأ المساواة»

من المُشجِّعِ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى تَبْنِيِّ مَبْدَأِ الْمَسَاوَاةِ وَتَجْسِيدِهِ فِي النَّاسِ، مَا نُشَاهِدُهُ فِي كَلَامِ فُقَهَائِنَا الْقُدَامِيِّ مِنَ التَّنْصِيصِ عَلَيْهِ، إِضَافَةً إِلَى الْكَثِيرِ الْوَارِدِ فِي التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ . قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ الْبَرَّاجِ الطَّرَابُلْسِيُّ :

«وَيَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقِسْمَةِ، وَلَا يُفْضِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، لِشَرَفٍ فِيهِ، أَوْ زَهْدٍ، أَوْ عِلْمٍ، عَلَى مَنْ هُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ»^٢.

وَنَجِدُ الْفَقْهَ الْقَدِيمَ، أَقْرَبَ إِلَى رُوحِ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، وَأَشَدَّ وَشَجًّا بِالَّذِي عَلَّمَهُ الْأَئِمَّةُ الطَّاهِرُونَ «ع» فَكَانَ أَدْعَى إِلَى النَّزْعَاتِ الشَّعْبِيَّةِ وَأَقْوَى عَلَى تَلْبِيَةِ الْجَمَاهِيرِ فِي مُتَطَلِّبَاتِهَا . وَذَلِكَ لِأُمُورٍ : مِنْهَا : قَرُبُ عَهْدِهِمْ بِعَصْرِ الْمَعْصُومِينَ «ع» وَإِنْصَهَارُهُمْ بِتِلْكَ الْأَجْوَاءِ .

ومنها : معنوياتهم الغالبة من الزهد والتورع والالتزام .
ومنها : بساطة المنظمات والمؤسسات الدينية وحياتها، وقلة

١- لاهمية هذه الامور المذكورة قد اشرنا اليها في الكلام على الحديث ١٨، من هذا الفصل ايضاً .

٢- المهذب ١ / ١٨٦ .

النّفقاتِ اللّازمةِ لها، فكانوا لا يَحْتَاجُونَ لأن يَرَكُنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا
النَّاسَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَالْمَتَكَاثِرِينَ، فَيَبْتَعِدُوا عَنِ الْجَمَاهِيرِ وَحَاجَاتِهَا
وَأَلَمِهَا ..

ح- الثّورات الدّامية تتبنّى «مبدأ المساواة».

ولِما يَتَمَتَّعُ «مبدأ المساواة» به، من أصالةٍ إسلاميّة، نُشاهدُ أن
التّغييريين من الثّوار المسلمين يُنَوِّهون به، في طليعةِ ثوراتهم التي
تَزَخُرُ بمياهِ الحياةِ القرآنيّة، و تَنْطَلِقُ عن بذلِ الدّمِ الطّاهرِ
لاستخلاصِ النَّاسِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَتَحْصِينِهِمْ ضَدَّ الْحَاجَةِ
وَالْفَقْرِ، في تضحياتٍ كبيرةٍ تُشكّلُ سلسلةَ مآسي الطّيبين، وتَصْبِغُ
الفجرين لأن يبقى صُراخاً خالداً على صفحاتِ الدّهر، في سبيلِ
تلكم المبادئ السّامية .

قالوا: «لَمَّا كَانَتْ بَيْعَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، صَاحِبِ فَخٍّ^١، قَالَ:
”أَبَايِعُكُمْ عَلَى:

[أ] - كِتَابِ اللَّهِ ،

[ب] - وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ،

[ج] - وَعَلَى أَنْ يُطَاعَ اللَّهُ وَلَا يُعْصَى ،

[د] - وَأَدْعُوكُمْ إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ،

[هـ] - وَعَلَى أَنْ نَعْمَلَ فِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ «ص» ،

[و] - وَالْعَدْلَ فِي الرَّعِيَّةِ ،

١ - فَخٌّ، بِالْفَتْحِ فَالْتَشْدِيدِ، بِثُرُقْرَبِ مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ يُسَمَّى الْمَوْضِعُ بِهَا؛ فَاتَّلَ جَمْعُ مِنَ الرَّبِيِّينَ - مِنَ الثُّوَارِ
الْعُلُوِّينَ - الْجَبَابِرَةِ الْعَبَّاسِيِّينَ هُنَاكَ، وَاسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ مَبَادِنِهِمُ الْقُرْآنِيَّةِ . وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ فِي
سَنَةِ ١٦٩، مِنَ الْهَجْرَةِ الْقَادِسَةِ . وَالْمَكَانُ يُسَمَّى الْيَوْمَ: «الشُّهْدَاءُ» .

[ز] وَالْقَسْمِ بِالسَّوِيَّةِ .

[ح] - وَعَلَى أَنْ تُقِيمُوا مَعَنَا وَتُجَاهِدُوا عَدُوَّنَا .

[ط] - فَإِنْ نَحْنُ وَفِينَا لَكُمْ وَفَيْتُمْ لَنَا .

[ي] - وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَفِ لَكُمْ فَلَا بَيْعَةَ لَنَا عَلَيْكُمْ .^١

ومن أهم ما جاء في هذا الخطاب، الفقرتان الأخيرتان، حيث تُقيدان طاعة الناسِ للتأثير القرآني بوفائه بجميع ما وَعَدَ به الناسِ وإلا فلا .

والحسينُ بنُ عليِّ الحسينيِّ هذا، من أعظمِ المؤمنين المجاهدين ضدَّ الطَّاغوتيةِ والظُّلم . ولقد أثنى عليه النبيُّ «ص» قبلَ أوَانِهِ بِأَكْثَرِ مِنْ سِتِّينَ وَمِئَةِ عَامٍ؛ وَلَقَدْ نَوَّهَ بِذِكْرِهِ الْإِمَامُ الصَّادِقُ «ع» وَصَلَّى فِي مَشْهَدِهِ قَبْلَ شَهَادَتِهِ؛ وَقَالَ عَنْهُ الْإِمَامُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ الْكَاطِمِ «ع» بَعْدَ مَقْتَلِهِ : «... مَضَى وَاللَّهِ مُسْلِمًا صَالِحًا، صَوَّامًا قَوَّامًا، أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ...»^٢.

وروى ابوالفرجِ الاصفهانيُّ باسناده، بصدِّ سخائه ورعايته المحتاجين، أَنَّهُ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَضْرَمِيُّ : «سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ هَذِيلٍ يَقُولُ : "بِعْتُ لِحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ صَاحِبِ فَيْحٍ، حَائِطًا بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَفَتَّرَهَا عَلَى بَابِهِ، فَمَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْهَا حَبَّةٌ؛ كَانَ يُعْطِينِي كَفًّا كَفًّا فَأَذْهَبُ بِهِ إِلَى فُقَرَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ..."».

ط - مثال أعلى

١ - مقاتل الطالبيين / ٢٩٩، الطبعة الثانية، النجف الأشرف (١٣٨٥ هـ. ق).

٢ - مقاتل الطالبيين / ٣٠٢؛ راجع أيضاً: «الكافي» ١ / ٣٦٦؛ «البحار» ٤٨ / ١٦٠ : «سفينة

البحار» ١ - ٢٧٥ : «بطل فَيْحٍ»، للشيخ محمد هادي الأميني النجفي .

٣٩ الامام عليّ «ع» : .. يا بنت عليّ بن أبي طالب! لا تذهبنّ بنفسك عن الحقّ،
أكلُ نساءِ المهاجرين تتزيّنُ في هذا العيدِ بمثلِ هذا؟^١

* هذا كلامُ قاله الإمام لإحدى بناته، لما أخذت عِقْدَ لؤلؤٍ من
بيتِ المال، عاريةً مضمونةً مردودةً بعد ثلاثة أيامٍ - في أيامِ الأضحى -
فراه عليها فرَفَعَهُ ..

وما أعظمه من صُمودٍ في الحقِّ والعدل، وما أرقاه من اتِّجاهٍ في
جَعَلِ النَّاسَ أُسْوَةً! حيث لا يرضى بأن يرى على ابنته ما لا يرى على
غيرها، من سائر البناتِ والنساءِ .
فيا تاريخ! أليس لك أن تُعيدَ مثلَ تلكم الأيامِ؟..

ي - أصلان تربويان عظيمان

الأصلُ الأوّل: المساواةُ في التّعليم

٤٠ الامام الصادق «ع» - عن حَسَّانِ المَعْلَمِ قال: سَأَلْتُ ابا عَبْدِالله «ع» عن
التّعليم؟ فقال: «لا تَأْخُذْ على التّعليمِ أَجْرًا»^٢ قلتُ: فَالشُّعْرُ والرِّسَائِلُ وما
أشَبَّهُ ذلكَ أَشَارِطُ عليه؟ قال: «نَعَمْ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الصَّبِيانُ عِنْدَكَ سَوَاءً فِي
التّعليمِ، لا تُفَضِّلُ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ»^٣.

١ - المناقب ٢ / ١٠٨ .

٢ - يُقْصَدُ بهذا النّهْي، اخذُ الأجرِ على تعليمِ ما هو الواجب .

٣ - الوسائل ١٢ / ١١٢ .

الفصل السابع والأربعون : مبدأ المساواة ..

* يُرشدنا المعلمُ الالهي، في هذا التعليم، الى امرٍ تربويٍّ عظيم، تبتني عليه سعادةُ المجتمعاتِ وصيانةُ قدرِ الانسانِ وكرامته . وهذا الامرُ يرجعُ الى تربيةِ الناشئةِ من أولِ مراحلِ التربيةِ والتعليم . وذلك لآنَ الفواصلَ المائيَّةَ والفروقَ المعيشيَّةَ والمظاهرَ الترفيَّةَ، تتجلىُ للانسانِ أولَ ما تتجلىُ في المدارسِ الابتدائية، من جهةِ تفاوتِ الاطفالِ في اللباسِ والغذاءِ وأدواتِ المكتبِ والرفاهِ المعيشيِّ وما الى ذلك . فمن هنا يضعُ المعلمُ الالهيُّ الإصبعَ على هذا المقطعِ الحساسِ بماله من دورِ بناء، فيشترطُ على حسانِ المعلمِ لجوازِ شغله، أن يكونَ الصبيانُ عنده سواءً في التعليم، من غيرِ أن يُفضلَ بعضهم على بعضٍ ، لآيةِ جهةِ كانت، وأن يحطمَ كلُّ ما هنالك من فرقٍ ماليٍّ وترفيٍّ في حياتهم و حياةِ عائلاتهم، وما يُبدونه من تغطُّرسٍ او تفاخرٍ او تسامٍ ، حتى يتغلغلَ اصلُ المساواةِ والنظرُ الى الاناسي بعينٍ واحدةٍ في نفوسِ الناشئةِ بادئِ بدءٍ، وحتى تجفَّ جذورُ النظرةِ الفارقةِ - غيرِ الانسانيةِ وغيرِ الاسلاميةِ - من ارضِ نفوسهم وافكارهم، ويصبحَ ذلك مقياساً رئيسياً لحياتهم الاجتماعيةِ وسلوكهم الاسلاميِّ في المستقبل .

ويجبُ أن يتخذَ هذا التعليمُ دستوراً حاسماً في كلِّ مراكزِ التربيةِ والتعليم، ولدى المدرِّسينِ والاساتذة، وان يجعله المبرمجون ركناً للمنهاجِ التربويِّ .

وعلى هذا الاساس، يجبُ ان لا يكونَ في المجتمعِ الاسلاميِّ مدارسٌ ممتازة، يرُدُّها صبيانٌ وناشئةٌ ولا يرُدُّها غيرهم .. الا ما اذا كان من جهةِ الاستعدادِ والطاقةِ الزائدةِ في التعلمِ والتدربِ ..

الاصل الثاني: المساكين ولزوم تعليمهم وتثقيفهم

٤١ الامام الصادق «ع»: .. من العلماء مَنْ يَرى ان يَضَعَ العلمَ عند ذوي الثروة والشرف، ولا يَرى له في المساكينِ وضعاً؛ فذاك في الدَّرِكِ الثالثِ من النار.

* يُرشدنا هذا الحديث الى أنّ تعليم المساكينِ وتثقيفهم امر لازم. وهذا التّعليمُ وامثاله ناظر الى الوضع القائم لا المطلوب - كما اشرنا اليه ايضاً - وهذا من عظامِ انسانيّاتِ الاسلامِ وارشاداته البناءة والمنقذة، حيث إنّ المساكينِ إذا عُلِّموا وثقّفوا يهتدوا بالطريق الى احقاقِ حقوقهم واعادة كرامتهم والحاقِ نفوسهم وذويهم بمستوى الآخرين؛ اذ التثقيفُ يُمكنهم من الحضورِ النّشيطِ والتّعضّي الفعّالِ في المجتمعاتِ والاحزابِ وما الى ذلك. وكلّ ذلك من حقوقهم.

نظرة الى الفصل

مبدأ المساواة في الاسلام: اذا لا حَظْنَا واقع المساواة في تقسيم الاموال عند النبي «ص»، وعند امير المؤمنين «ع»، وعند الامام المهدي القائم «ع» (الذي بشر به النبي الاعظم «ص» وقال: «انه سيخرج فيملا الارض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً»، وهو الذي يؤسس الحكم القرآني الفعلي)، ونظرنا فيما جاء في تعاليم الائمة الطاهرين «ع» بهذا الصدد بيانات مؤكدة، نعلم بوضوح، ان مبدأ التسوية في القضايا المالية مبدأ جوهري في الدين وتعاليمه. وبما ان الدين الحق السماوي، انما يدعو الى دعم نظام شامل وحكم رصين، اذا لا يصح ان نقول ان هذا النظام يسوي في الاموال العامة الى حد يكسر رغيماً واحداً سبع كسرات، ولا يعمد في سائر الاموال والامتلاكات - التي تدور عليها رحي حياة الناس - الى اي تجاوب مع هذا المبدأ، ولا يرى اي حد كمي للملكية واي ميزان للفروق المالية والمعيشية بين الناس. ان هذا الزعم لا يمكن ان يصار اليه، لانه يؤدي، بدءاً ذي بدء، الى:

١ - خور النظام الديني في تعاليمه وعدم انسجامه وتشابكه.

٢ - تقوض اركان المجتمع وتوتر الصلات الانسانية فيه.

اجل، ان الدين انما يعمل بالتسوية ويسوي بين الناس ويحملهم سواءً، ويدعو الى المبدأ الالهي والانساني القويم، لان يقوم القسط في الناس ويقوم الناس به. وهل قيام القسط ينحصر بقسم محدود من الاموال وبحفنة محدودة ممن يمت الى الحكم والى بيت ماله، ولا يعدوها الى سائر الموارد ولو بصورة أخف؟ وان الناس في المجتمع احرار لان

يَمْتَلِكُوا مَا يَشَاءُونَ، وبمقدارِ ما يَشَاءُونَ، وان تَهَاوُوا فِي دَرَكَاتِ الْاِقْتِصَادِ
التَّكَاثِرِيِّ الْحُرِّ وَجَهِيمِ الْاِسْتِهْلَاكِ التَّرْفِيِّ وَالْاِسْرَافِ، وَاحْتَرَقُوا فِي نِيرَانِ
الْاَثَرَةِ؟ لا، هذا امرٌ لا يَصِيرُ اليه اَيُّ مذهبٍ اِقْتِصَادِيٍّ وَاِجْتِمَاعِيٍّ مُلتَزِمٍ - ولو
كان التَّزَامُهُ ضئيلاً - فضلاً عن الاسلام، لَانَ ذَلِكَ يُورِثُ انْهِيَارَ الدِّينِ،
وَخِذْلَانَ الْحُكْمِ، وَتَهَافَتَ التَّعَالِيمِ، وَفَسَلَ الْغَايَاتِ، وَهَدَمَ اَرْكَانَ الْمَدِينَةِ
وَالْاِجْتِمَاعِ، وَتَخَلَّفَ الْجُمَاهِيرِ، وَسَقُوطَ الْبِلَادِ، وَفَنَاءَ الْاِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ
- كما مرَّ عن الامامِ الصَّادِقِ «ع»^١.

الأصول الرئيسية التي تدعو الى «المساواة»

وَإِنَّ لِلْمَسَاوَاةِ فِي التَّصَوُّرِ الْاِسْلَامِيِّ جُذُوراً رَاسِخَةً وَقَوَاعِدَ اِسَاسِيَّةً
وَاصُولاً بِنَائِيَّةً، يَنْبَغِي أَنْ نَلْفِتَ اليهَا الْاِنْظَارَ:

- ١ - اصلُ التَّوْحِيدِ .
- ٢ - اصلُ تَسَاوِيِ النَّاسِ فِي الْخَلْقِ، مِنْ اِبِّ وَاُمِّ وَاحِدَيْنِ .
- ٣ - اصلُ كَرَامَةِ الْاِنْسَانِ .
- ٤ - اصلُ الْاُخُوَّةِ الْاِيْمَانِيَّةِ .
- ٥ - اصلُ مَحْدُودِيَّةِ الْاِنْسَانِ التَّكْوِينِيَّةِ فِي اسْتِغْلَالِ الْمَوَاهِبِ .
- ٦ - اصلُ رَفْضِ التَّكَاثِرِ (الْاِقْتِصَادِ الْحُرِّ) .
- ٧ - اصلُ الْبُنُوَّةِ الْاِسْلَامِيَّةِ^٢ .
- ٨ - اصلُ شَجَبِ الْاَثَرَةِ وَالْمُحَابَاةِ .
- ٩ - اصلُ تَعْمِيمِ الْمَوَاهِبِ الْمَعِيشِيَّةِ .
- ١٠ - اصلُ قَوَامِيَّةِ الْمَالِ وَتَسَاوِيِهَا لِلْكَلِّ .

١ - راجع الفصل ٢، من هذا الباب .

٢ - هذا الاصلُ مُتَّخَذٌ مِنْ كَلَامِ الْاِمَامِ الصَّادِقِ «ع»: «اهلُ الْاِسْلَامِ هُم اِبْنَاءُ الْاِسْلَامِ .. اَحْمِلُهُمْ

كَبْنِي رَجُلٍ وَاحِدٍ» - لَاحِظْ تَمَامَ الْحَدِيثِ بِرَوِّهِ ٢٤ .

نظرة الى الفصل السابع والاربعين ..

- ١١ - اصلُ محدودية الامتلاك .
 - ١٢ - اصلُ محدودية الاستهلاك .
 - ١٣ - اصلُ الانفاق .
 - ١٤ - اصلُ الاقتصاد في المعيشة .
 - ١٥ - اصلُ العدلِ (التوازن الاقتصادي للجماهير)
 - ١٦ - اصلُ الاحسانِ (الانسجام المعيشي).
 - ١٧ - اصلُ إسنادِ الفضلِ والميزة الى التقوى .
 - ١٨ - اصلُ رابطة العدلِ والتسوية .
 - ١٩ - اصلُ رفضِ الاسرافِ والتبذيرِ والتقتير .
 - ٢٠ - اصلُ كِفاحِ الفقرِ واستئصاله .
 - ٢١ - اصلُ شجبِ الاستضعافِ والاستكبارِ .
 - ٢٢ - اصلُ تمويلِ الفقيرِ لَانِ يُلْحَقَ عِيَالُهُ بِالنَّاسِ .
- واليك ايضا مقتضياً لكل من هذه الاصول :

١ - اصلُ التوحيد: إِنَّ قَائِمَةَ الدِّينِ وَقَاعِدَةَ تَعَالِيمِهِ وَاحْكَامِهِ هِيَ التَّوْحِيدُ، وَالْإِيمَانُ بِآلِهِ وَاحِدٍ أَحَدٍ، خَلَقَ الْخَلَائِقَ وَبَرَأَ النُّفُوسَ، فَهُوَ إِلَهُ الْكُلِّ وَخَالِقُ الْكُلِّ وَرَازِقُ الْكُلِّ، وَمُقَدِّرُ الْارْزَاقِ وَالْمَعَايِشِ لِلْكُلِّ، وَالْكَلُّ عَيْدُهُ وَالْمَرْتَزِقُونَ مِنْ مَوَائِدِنَعِمِهِ وَفَضْلِهِ . وَهُوَ يُجِبُّ الْكُلَّ مَحَبَّةَ الْمُؤَثَّرِ لِلْآثَرِ وَالْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِينَ وَالرَّبَّ لِلْمَرْبُوبِينَ .

وإنَّ هَذَا الْمُعْتَقَدَ وَالْإِيمَانَ، لَا يَكْتَمِلُ إِلَّا بِأَنْ يَسْرِيَ فِي صِلَاتِ الْإِنْسَانِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَمُلْتَقَى كُلِّ إِنْسَانٍ مَعَ السَّائِرِينَ فِي عَرِصَةِ هَذِهِ الْحَيَاةِ . وَإِنَّ مِنْ أَمِّهِمْ مَظَاهِرَ الْمُعْتَقَدِ التَّوْحِيدِيِّ وَمَجَالَاتِهِ الْعَمَلِيَّةِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، هُوَ تَسَاوِي النَّاسِ فِي الْمَسْتَوِيَّاتِ الْمَعِيشِيَّةِ، خُضُوعاً لِلَّهِ وَاعْتِرَافاً بِكِبْرِيَاةِ؛ وَطَلَباً لِمَرْضَاتِهِ، وَعَدَمَ تَفْرِيقٍ بَيْنَ خَلْقِهِ شَجَباً لِلْإِسْتِكْبَارِ،

وعملًا بكتابه - كما مرَّ عن الامام عليّ «ع». ومن هنا قال الامام الصادق «ع»: «كان رسول الله «ص» يقسم لحظاته بين اصحابه، فينظر الى ذاوينظر الى ذا بالسوية»^١. وقال امير المؤمنين «ع»: «... وأن تكونوا عندي في الحق سواء»^٢، و«علموا أن الناس عندنا في الحق أسوة»^٣. ولقد قال رجل للامام الصادق «ع» في كلام جرى بينهما وقد سأله عن مسائل: «... فتقول إن ولد آدم كلهم سواء في الاصل، لا يتفاضلون الا بالتقوى؟»، قال: «نعم، اني وجدت اصل الخلق التراب، والاب آدم، والام حواء، خلقهم اله واحد، وهم عبيده...»^٤ وقال الامام ابوالحسن الرضا «ع»، في جواب من يشير عليه بأن يعتزل مائدة السودان من جمعه: «مه! إن الرب - تبارك وتعالى - واحد، والام واحدة، والاب واحد...»^٥. فنشاهد من هذين التعليمين - وهما متعاضدان بتعاليم واحاديث اخرى وبالآيات القرآنية - أن الامامين، الصادق «ع» والرضا «ع»، يجعلان وحدة الخالق - جل اسمه - وتساوي المخلوقين في الاصل والاب والام، مستنداً لتساوي الناس، وتركيز مبدأ المساواة الاجتماعية والاقتصادية.

ولقد عمّد الى بيان هذا الاصل وكشف عنه، احد النابيين المتفتحين من الفقهاء، حيث قال:

«... فالتوحيد هو جوهر العقيدة الاسلامية، وبالتوحيد يُحرر الاسلام الانسان من عبودية غير الله (لا اله الا الله)، ويرفض كل اشكال الالهية المزيفة على مر التاريخ. وهذا هو تحرير الانسان من داخل، ثم يقرر

١ - الوسائل ٨ / ٤٩٩.

٢ - نهج البلاغة / ٩٨٢: عبده ٣ / ٨٩.

٣ - نهج البلاغة ١٠٧٢: عبده ٣ / ١٤٥.

٤ - الاحتجاج ٢ / ٨٣.

٥ - الكافي ٨ / ٢٣٠.

نظرة الى الفصل السابع والاربعين ..

كنتيجة طبيعية لذلك تحرير الثروة والكون من أي مالك سوى الله تعالى^١. وهذا هو تحرير الانسان من خارج .

«وقد ربط الامام امير المؤمنين «ع» بين الحقيقتين حين قال: "العباد عباد الله، والمال مال الله"^٢. وبذلك حطم الاسلام كل القيود المصطنعة والحواجر التاريخية التي كانت تعوق تقدم الانسان وكدحه الى ربه وسيره الحثيث نحوه، سواء تمثلت هذه القيود والحواجر على مستوى آلهة ومخاوف واساطير وتحجيم للانسانية بين يدي قوى أسطورية، او تمثلت على مستوى ملكيات تُكرسُ السيادة على الارض لطاغوت، فرداً كان او فئة او طبقة، على حساب الناس، وتحويل دون نموهم الطبيعي، وتفرض عليهم بالتالي علاقات التبعية والاستعباد .

«ومن هنا، كان الاسلام - الذي كافح من اجله الانبياء - ثورة اجتماعية على الظلم والطغيان، وعلى ألوان الاستغلال والاستعباد. ومن هنا ايضاً، كان الانبياء - وهم يحملون هذا المشعل - يستقطبون دائماً المعدبين في الارض والجماهير البائسة التي مزقتها اساطير الآلهة المزيفة روحياً، وشنتها الجاهلية فكرياً، ووقعت فريسة اشكال مختلفة من الاستغلال والظلم الاجتماعي»^٣.

٢ - اصل تساوي الناس في الخلق : هذا الاصل ايضاً اصل اساسي وبديهي، يقول القرآن الكريم : «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. ان اكرمكم عند الله اتقاكم، ان الله عليهم خبير»^٤. وهذا دعاء الى رفض الفروق والامتيازات، فالله الخالق

١ - راجع : الفصل ١، من هذا الباب، والفصل ١، من الباب ١٢.

٢ - لاحظ : الحديث ٣٨، من الفصل .

٣ - الاسلام يقود الحياة / ٢٦ - ٢٧.

٤ - سورة الحجرات (٤٩) : ١٣.

المتعال إنما فرّق بين الناس في انسابهم وبلدانهم ليتعارفوا، لا ليتفاخروا ويجنحوا إلى الاستكبار والاستعلاء، فلا فرق ولا امتياز..^١ ويقول النبي «ص»: «أيها الناس! إنكم من آدم، وآدم من تراب»^٢. ولقد أوردنا كلام الامام الصادق «ع» وكلام الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا «ع» بهذا الصدد، في الاصل السابق فلاحظهما بامعان.

٣- أصل كرامة الانسان: الانسان في «التصور الاسلامي» هو خليفة الله في الارض، وأن الله تعالى أعطاه الكرامة وكرّمه (ولقد كرّمنا بني آدم)^٣. ومن المعلوم، أن هذه الكرامة لا تخصّ احداً دون احد، بل انها تعمّ جميع ابناء الوالدين: آدم وحواء. ومقتضى ذلك أن يكون الناس كلهم متساوين في الاستمتاع بالموهب التي خلقها الله لهذا الموجود المكرّم عنده وخوله اياها (كما ورد في الحديث المفضلي عن الصادق «ع»)^٤، فإن منشأ ذلك التّكريم هو انسانية الانسان وكونه ابن آدم «ع». وهذا في الكلّ موجود على السواء. وهذه الحالة هي التي ستتجسّد نموذجها العالي والمستوعب في عصر الحكم القرآني الفعلي. لأن في ذلك العصر يشجّب الاستضعاف بصورة فعلية مستوعبة، ويصبح المستضعفون ائمةً وحكاماً واقعاً. ومن الواضح، أن الاستكبار والاستضعاف الاقتصاديّين من اهمّ اسباب نفي كرامة الانسان وسلبها، فماداما سائدين على المجتمع فلا كرامة للانسان مصنونة.

١- كما جاء الاستدال بالآية على ذلك، في كلام امير المؤمنين «ع»، فلاحظ: الحديث ٣٨، من

الفصل.

٢- البحار ٢١ / ١٣٨: الكافي ٨ / ٢٤٤.

٣- سورة الإسراء (١٧): ٧٠.

٤- البحار ٣ / ٤١.

نظرة الى الفصل السابع والاربعين ..

٤ - اصلُ الأُخُوَّةِ الايمانيَّة: إِنَّ القرآنَ الكريمَ يَقولُ: «إِنَّمَا المؤمنون إِخوةٌ»، فيؤسَّسُ بهذه الدَّعوةِ والتَّعليمِ اصلاً اساسياً لِصِلاتِ الانسانِ الاجتماعيَّة، وللحُضِّ على التَّراحمِ والتَّبارُّ. ولقد أَكَّدَتِ التَّعاليمُ على تعزيزِ هذه الأُخُوَّةِ، ودَعَتِ المعتقدين الى العملِ بالمؤاساةِ والمساواةِ والايثار. ولقد تكلمنا عن هذا الاصلِ ومقتضاه في الفصلِ الخامسِ والاربعين .

٥- اصلُ محدوديةِ الانسانِ التَّكوينيَّةِ في استغلالِ المواهب: إِنَّ الانسانَ محدودٌ، بمقتضى فطرته وطبيعته، بحدودٍ. ولقد فَصَّلنا الكلامَ عنها سابقاً. وكذلك المواهبُ الطَّبيعيَّةُ محدودةٌ بالنَّسبةِ الى كلِّ احدٍ، لِأَنَّها وُضِعَتْ للكلِّ. فمقتضى هاتين المحدوديتين أَن يُراعِيَ كلُّ انسانٍ جانبَ الاعتدالِ والقصد، في الاستفادةِ من المواهب. وهذا جُنوحٌ الى مبداءِ المساواة، بل سَوَقٌ اليه وتعييدٌ لُطُرُقِها العمليَّة، اذا الفطرةُ في الكلِّ واحدة، ولها اقتضاءٌ واحد. وحثُّ القصدِ لا يَتَفَاوَتُ في هذا الانسانِ وذاك بكثير.

٦- اصلُ رفضِ التَّكاثرِ (الاقتصادِ الحُرِّ): إِنَّ الفرقَ المعيشيَّ إِنَّمَا يَنشأُ من تكدُّسِ المالِ والثَّروةِ عندَ حفنةٍ. وهذا ما يَرُفُضُه الاسلامُ بنصِّ «سورةِ التَّكاثرِ» و«آيةِ الحديدِ» الحاسمين. واذا رُفِضَ التَّكاثرُ، وحُمِلَ النَّاسُ على حفظِ الحدِّ الاسلاميِّ في الامتلاكِ، يُساقُ المجتمعُ بصورةٍ طبيعيَّةٍ وموضوعيَّةٍ الى مَقْرَبَةٍ من الحدودِ الاسلاميَّةِ والانسانيَّةِ وتبنيها.

٧ - اصلُ الصَّلَةِ الاسلاميَّة: إِنَّ صِلَةَ الاسلامِ بالنَّاسِ، صِلَةُ الأبِ والابناء. وهل تَقْتَضِي هذه الصِّلَةُ الا المساواةَ والتَّأكيدَ الفعليَّ على تركيزها

وارسأء قواعدها الاقصادية والمعيشية في الجماهير؟ يقول المعلم المعصوم، الامام جعفر الصادق «ع»: «اهل الاسلام هم ابناء الاسلام، اُسوي بينهم في العطاء . وفضائلهم بينهم وبين الله، اجعلهم كبنى رجل واحد..»^١. وهذه البُنة لا تخصُّ بعضاً دون بعضٍ .

٨ - اصل شجب الأثرة والمحاباة: إن هدف الدين الالهي أن يُنقذ الانسان من التهلكة؛ وإن الأثرة من اسباب التهلكة كما يعلمنا الامام عليّ «ع»: «من يستأثر من الاموال يهلك»^٢. فالاسلام يعارض الأثرة ويرفضها. وهذا طريق من طرق الوصول الى امبدا المساواة وسوق المجتمع اليه . وذلك لان المجتمع يجب أن يمان بقاءه وكيانه الانساني والاسلامي . وإن هذا الكيان لا يبقى الا اذاروعى فيه القانون السائد على العالم كله . وهو قانون التوازن والقصد، فبهما يضمن للمجتمع نجاته وخلاصه من الاستبدال والسقوط، فيجب أن يكون الناس واعين لاهمية مبدأ المساواة، داعين اليه، ساعين لتجسيده، مجابهين للاستثار والمحاباة . وإن الحفنة المستكبرة التي تطلب الأثرة وتسعى لها، لو علمت ما فيها من خطر الزوال والاستبدال، ترفضها وتفيء الى مبدأ المساواة الانساني والاسلامي .

٩ - اصل تعميم المواهب المعيشية: لقد تكلمنا عن هذا الموضوع، في الفصل السادس والثلاثين، من الفصول العشرة التي عقدها عن كفاحات الاسلام الرحبة ضد الفقر، وعنوانه بـ «الكلُّ مهيأ للكلِّ، لا مدخر للبعض»، فراجع .

١ - الوسائل ١١ / ٨١ .

٢ - راجع: الفصل ٢، من هذا الباب، بند «ب»، الفقرة ٣ .

١٠- اصل قوامية المال وتساويها للكل : لقد بحثنا عن قوامية المال في الاسلام، في الفصل الاول من هذا الباب . وهذا الاصل الاسلامي الاقتصادي (يعني قوامية المال)، ينفي الأثرة والامتياز المالي الباهظ، لأن قوامية المال لحياة الانسان وما يلزمه لها متساوية في كل احد تقريباً (لو لم يسد المجتمع، الاستبكار المعيشي والاستثثار) . وهذا كما رأينا أن امير المؤمنين «ع» كان يسوي بين اجيره وبين نفسه، ولا يقول : انا امير المؤمنين، ولي تكاليف ونفقات، وهو اجير بسيط، اذ التثبت بهذه المعاذير تمويه ودجل؛ فقوامية المال لا تخص شخصاً دون شخص، فكما أن الغني يحتاج الى الغذاء واللبوس والدواء والمسكن والمركوب .. كذلك الفقير يحتاج الى كل ذلك . وكما أن اولاد الاغنياء، من بنين وبنات، يحتاجون الى الصحة والتربية والتعليم .. كذلك اولاد الفقراء، من بنين وبنات، يحتاجون الى كل ذلك . وكما أن المال قوام ولازم لحياة المهندس كذلك لازم لحياة العامل . وكما أنه قوام ولازم لحياة صاحب المعمل واولاده وذويه، كذلك قوام ولازم لحياة بواب المعمل واولاده وذويه وهكذا، فهو لازم وقوام لحياة العالم والجاهل، والامير والمأمور، والقاضي وبائع التذكرة، والفنان والفلاح، والدكتور والسوقي، والغني والمسكين ..

إن الواقع هكذا . وإن احتياج الانسان الى المال لا يخص الابيض بل يعدوه الى الاسود والاحمر والاصفر ايضاً، فما الفرق بين انسان وانسان، اذا نشاهد أن انساناً عظيماً كعلي بن ابي طالب «ع» - وهو امير المؤمنين ورئيس رُقعة كبيرة من الارض، يحكمها الاسلام - يسوي بين نفسه وبين اجيره . وحينما يسوي بين رجل انصاري وغلام اسود، فيعترض عليه الانصاري قائلاً : «يا امير المؤمنين! هذا غلام اعتقته بالامس، تجعلني واياه سواء؟» فيقول : «اني نظرت في كتاب الله، فلم اجد

لَوْلِدِ اسْمَاعِيلَ عَلَى وُلْدِ اسْحَاقَ فَضْلًا^١. ومن الواضح، أَنَّ ذِكْرَ «وُلْدِ اسْمَاعِيلِ» و«وُلْدِ اسْحَاقَ»، إِنَّمَا جَاءَ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، فَالْمَقْصُودُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَرْقًا بَيْنَ وُلْدِ آدَمَ، مِنْ اسْمَاعِيلِيِّينَ أَوْ اسْحَاقِيِّينَ أَوْ غَيْرِهِمْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، كَمَا سَلَفَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ .

وهذا الموقفُ الَّذِي اتَّخَذَهُ الْإِمَامُ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» يَكْفِي بِنَفْسِهِ لِلتَّذْهِيبِ عَلَى جَوْهَرِيَّةِ مَبْدِئِ الْمَسَاوَاةِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ أَصُولِ هَذَا الدِّينِ، التَّرْبُويَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِسَادِيَّةِ وَالْمَعِيشِيَّةِ وَالْحَقُوقِيَّةِ .

فبناءً على ذلك، لو رُوِيَ هَذَا الْأَصْلُ فِي أَيِّ مَجْتَمَعٍ، لَا يُتَّخَذُ فِيهِ لِأَصْحَابِ الْمَوَاهِبِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْجِسْمِيَّةِ الْمَتَفَاوِتَةِ، أَنْ يُحْرَفُوا الْأَمْوَالَ عَنْ مَوَاضِعِهَا وَأَنْ يُجَرَّدُوا مِنْ فَوَائِدِهَا الْقَوَامِيَّةِ، وَلَا يُتَسَنَّى لَهُمْ أَنْ يُبَدِّلُوا مَا هُوَ قَوَامٌ لِحَيَاةِ الْكُلِّ إِلَى دَوْلَةٍ بَيْنَ حَفَنَةٍ أَوْ طَبَقَةٍ خَاصَّةٍ .

١١ - أصلُ محدوديةِ الامتلاكِ في التشريعِ الإسلاميّ: سَلَفَ الْقَوْلُ عَنْ مَحْدُودِيَّةِ الْاِمْتِلَاقِ فِي مَذْهَبِ الْاِسْلَامِ الْاِقْتِسَادِيّ، فِي الْفَصْلَيْنِ، الثَّلَاثِ وَالْعَشْرِينَ وَالرَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ، مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَفِي الْفَصْلِ الثَّانِي أَيْضًا، فَرَاغَ . وَإِنَّ صِلَةَ هَذَا الْأَصْلِ بِمَبْدِئِ الْمَسَاوَاةِ وَتَرْكِيْزِ هَذَا الْمَبْدِئِ غَيْرُ خَافِيَةٍ .

١٢ - أصلُ محدوديةِ الاستهلاكِ في التشريعِ الإسلاميّ: هَذَا الْمَوْضُوعُ الْهَامُّ الَّذِي يُتَبَنَّى الْاِسْلَامُ وَيَدْعُو إِلَيْهِ بِصُورَةٍ حَاسِمَةٍ، مِنْ أَهَمِّ الْأَصُولِ الَّتِي تَسُوقُ النَّاسَ - غَنِيَّهُمْ وَفَقِيرَهُمْ - إِلَى الْمَسَاوَاةِ فِي الْاِسْتِهْلَاكِ وَلَوْ بِالتَّقْرِيْبِ . وَلَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ عَنْهُ فِي الْفَصْلِ السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ، مِنْ هَذَا الْبَابِ .

نظرة الى الفصل السابع والاربعين ..

١٣ - اصل الانفاق : إذا كان الانفاقُ الَّذِي يَدْعُو الاسلامُ النَّاسَ اليه وَيُحْضُهُمْ عليه، يَتَعَلَّقُ بما فَضَلَ من المال - على صورةٍ تَفْصِيلِيَّةٍ بَحَثْنَا عنها في الفصولِ العشرة التي عقدناها في البابِ الثاني عشر - فهو من عمدة ما يُعْبَدُ طُرُقَ المساواة في الجماهير، إذ النَّاسُ إذا راعوا الحدودَ الاسلاميةَ التي بُنِيَتْ على مقدارِ القصدِ والتوازن، وإذا أنفقوا بعدَ ذلك ما فَضَلَ لديهم من الاموال، لا تحصلُ لديهمُ الفروقُ الباهظةُ التي تقضي على المساواة - كما هو واضح .

١٤ - اصل الاقتصاد في المعيشة : هذا اصلٌ عظيمٌ في الاقتصادِ الاسلاميِّ، وفي التربيةِ الاسلاميةِ ايضاً. وهو شقيقُ اصلٍ آخر، وهو «التقدير في المعيشة». وهذان الاصلان، يعكسان نظرةَ الاسلامِ الى المالِ وموضِعهِ والمعاشِ وغايةَ طلبِها . ولعلَّ الوقوفَ عندَ الحدودِ التي يَدْعُمُها هذان الاصلان يُرَكِّزُ اصلَ المساواة احسنَ تركيز . ومما يَجِبُ أن يُراعى في المجتمعِ الاسلاميِّ اشدَّ رعاية، تربيةُ النَّاسِ على العنايةِ العمليةِ بهذين الاصلين، والرقابةُ الاجتماعيةُ على العملِ بهما هنا وهناك، سواءً أكان في الحكمِ وأجهزتهِ ومُنظَّماتِهِ، ام في المُؤَسَّساتِ الدِّينيةِ وحياتِ اصحابِها، ام في سائرِ قطاعاتِ المجتمعِ . والمجتمعُ يتبعُ في ذلك رجالَ الحكمِ والدينِ . ولقد سَلَفَ القولُ عن «اصلِ الاقتصادِ في المعيشة»، في الفصلِ الثامنِ والعشرين، وفي الفصلِ الرابعِ ايضاً، فراجعُهما إذا شئت .

١٥ - اصل العدل (التوازنِ الاقتصاديِّ) وتقريبِ مستوى العيشِ للجميعِ : فَصَّلْنَا الكلامَ عن «مستوى العيشِ للجماهير»، في الفصولِ الخمسةِ المعقودةِ لهذا الموضوعِ، في البابِ الثاني عشر، من الفصلِ السابعِ والعشرين الى الحادي والثلاثين . وسنتكلمُ عنه في الفصلِ الخاصِّ

بالعدل، وهو الفصلُ السّادسُ والاربعون، من الباب الثاني عشر.

١٦- أصلُ الاحسان (الانسجام المعيشي): نَبَحْتُ عن هذا الاصل، في الفصلِ السّابعِ والاربعين، من الباب الثاني عشر، وتوضّحُ هناك أنّ الاحسان امرٌ زائدٌ على العدل، فهو كما قيل: «أَنْ يَنْصِفَ وَلَا يَنْتَصِفَ». فعلى هذا يكونُ من أقوى العواملِ التي تدفعُ النَّاسَ الى رعايةِ التّقريبِ والتّساوي في الانتفاعِ بالنّعمِ والاستفادةِ من الفرصِ.

١٧- أصلُ إسنادِ الفضلِ والميزةِ الى التّقوى: إنَّ التي يُقرّها الاسلامُ لِأَنْ يمتازَ بها النَّاسُ ويتسابقوا اليها هي التّقوى والاخلاقُ الصّالحةُ الانسانيّةُ، ولذلك يَهْتَفُ القرآنُ الكريمُ هُتافه الرّنانَ الشّهيرَ: «أَنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ»^١. وكذلك يُصرُّ الاسلامُ اصراراً حاسماً على أن لا تُجعلَ تلك الميزةُ سبباً للاستثثارِ الاقتصاديّ، فإنَّ ذلك نقضٌ لغايةِ التّقوى والاخلاقِ. ومن هنا يتوقّفُ الاسلامُ لتركيزِ اصلِ المساواةِ برفضِ تدخُلِ القِيمِ المعنويّةِ في الحَقْلِ المادّيّ. ولقد أشرنا الى هذا الموضوعِ البالغِ الاهميّةِ، هنا وهناك، خلالَ الفصولِ.

١٨- أصلُ رابطةِ العدلِ والتّسويةِ: لَعَلَّ أقربَ العواملِ الرّئيسيّةِ لتركيزِ مبدأِ المساواةِ في النَّاسِ، تربيّةً وتنفيذاً، إنّما هو العدلُ. نعم، إنَّ العدلَ لا يُساوي «المساواة» مفهوماً ومصداقاً، بيدَ أنّه يسوقُ العاملينَ به والمُجسّدينَ له، اليها والى إرساءِ قواعدِها. وذلك لِأَنَّ الفُروقَ الباهظةَ التي مُنيتَ بها الجماهيرُ إنّما نشأَ أكثرُها الغالبُ من الظُّلمِ والحيْفِ والاعتداء، فإذا شجِبَ كُلُّ ذلك، يصيرُ سبباً لِأَنْ يُصبحَ النَّاسُ على مقربةٍ

١ - سورة الحجرات (٤٩): ١٣.

من المساواة .

على أن رسالة القسطِ الاسلاميِّ إنما هي ايجادُ التوازنِ الاقتصاديِّ بين الناسِ، بازاحةِ الاستكبارِ والاستضعافِ . وهذه الرسالةُ لا تُجسَّدُ بصورةٍ مطلوبةٍ إلا بالعملِ بمبدأِ المساواة . وهو مرحلةُ كمالِ الاقتصادِ الاسلاميِّ .

١٩ - اصلُ رفضِ الاسرافِ والتبذيرِ والتقتيرِ: إن كثيراً من مظاهرِ اللامساواةِ ومصاديقها يمتُّ الى وجودِ «الاسرافِ» و«التبذيرِ» او «التقتيرِ» في الاستهلاكاتِ، فإذا رُفِضَ ذلك كله يقتربُ الناسُ في معاشِهِم الى مبدأِ المساواةِ وتبنيه . فالقرآنُ الكريمُ حينما يقولُ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا»، فإنه يدعوُ الناسَ الى الأكلِ والشربِ المقتصدِين . وحينما يدعوُ الموسرينِ واهلَ المُكْنَةِ الى تأديةِ حقوقِ المحرومينِ وتأمينِ معاشِهِم، فإنما يدعوهم الى تأمينِ معاشِ المحرومينِ في حدِّ مقتصدٍ (لا الى طرحِ لقمةٍ في أفواههم لنلايموتوا)، فالغنيُّ لا يأكلُ إلا مقتصدًا، والفقيرُ هكذا، وهذا هو المساواة . ولقد مرَّت احاديثُ تنهى الغنيَّ عن الأكلِ الزائدِ وإن كان المالُ ماله . فراجع: الفصلين، السادس والعشرين والسابع والعشرين، من هذا الباب .

٢٠ - اصلُ كفاحِ الفقرِ واستئصاله: إن الفقرَ من اهمِّ العواملِ الهدامةِ لُأسسِ المساواة - كما أن الغنيَّ التكاثريَّ ايضاً كذلك - والاسلامُ بكفاحِهِ ضدَّ الفقرِ وشجبه، والدعوةُ الى تموينِ المحتاجينِ بما تقومُ به حياتُهُم من المعاشِ، بصورةٍ تُمكنُهُم من اشتراءِ الدارِ ومن الزواجِ ومن الحجِّ و.. يقومُ بحملِ الناسِ على دعمِ مبدأِ المساواةِ بشكلٍ جذريٍّ - وهذا واضح .

ولقد وَضَحْنَا موقفَ الاسلامِ تجاهَ الفقرِ، ورفضه الحاسمَ له، وسحقه بوصفه ظاهرةً اجتماعيةً، وإشعاله الحربَ ضدهُ بشتى الصورِ والاشكالِ لِإِزاحتِهِ عن ساحةِ الحياةِ الانسانيةِ، ولا سيما بعدهُ سبباً من اسبابِ ضعفِ العقلِ ووَهْنِ الدينِ والكفرِ والمُروقِ، فراجع: الفصولَ العَشْرَةَ المعقودةَ لكِفاحِ الاسلامِ ضدَّ الفقرِ. وإنَّ كثيراً من فصولِ هذينِ البابينِ إنما يُدُلُّ على رفضِ الاسلامِ للفقرِ وتَفَشِّيه في النَّاسِ، خصوصاً فصولَ الكِفاحِ ضدَّ التَّكاثُرِ، لِأَنَّهُ عِلَّةُ الفقرِ الاصليةِ، كما أَوْضَحْنَاهُ.

٢١ - اصلُ شَجَبِ الاستضعافِ: لقد مرَّ الكلامُ عن هذا الموضوعِ، في النظرةِ الى الفصلِ الأَسْبَقِ، ولعلَّ عمدةً ما يُسْتَفَادُ ممَّا جاءَ في فصولِ هذينِ البابينِ من الآياتِ والاحاديثِ، هي محاربةُ الاسلامِ للاستضعافِ، لقلعِ جُذوره عن كلِّ عرصاتِ الحياةِ الانسانيةِ .
والاستضعافُ لا يُشَجَبُ إلا إذا شُجِبَ الاستكبارُ. إذاً فالاسلامُ بتوفُّره على شَجَبِ الاستضعافِ ودعوتهِ النَّاسَ للقتالِ في هذهِ السَّبيلِ، فقد توفَّرَ على شَجَبِ الاستكبارِ ايضاً. وكم وكَم آيةٌ جاءت في القرآنِ تُنددُ بالمستكبرين وحياتهم وتُحُضُّ الأمةَ المسلمةَ على كِفاحِهِم، سواءً أكانوا من المسلمين انفسِهِم ام من غيرِهِم. ومن اللَّاحِبِ أنَّ اهمَّ مصاديقِ المستكبرِ هو الاقتصاديُّ منه، فلاحظ. واذا شُجِبَتِ الدَّاهيتانِ: الاستكبارُ والاستضعافُ، تَقَرَّبُ حياةُ النَّاسِ الى المساواةِ والتَّوفُّرِ عليها - كما لا يَخْفَى.

٢٢ - اصلُ تمويلِ الفقيرِ لِأَن يُلِحِقَ عِيالَهُ بالنَّاسِ: وهذا ما دَعَتُ اليه التَّعاليمُ الاسلاميةُ، كالا حاديثِ الواردةِ بشأنِ الزَّكَاةِ ومستحقِّيها وكيفيةِ

نظرة الى الفصل السابع والاربعين ..

ومقدار استفادتهم منها . ولعلك لم تنسَ كلام الامام الصادق «ع»، الذي قاله لابي بصير: «... وما اخذ من الزكاة فضة على عياله حتى يلحقهم بالناس»^١. ولقد نقلناه بتمامه في الفصل السابع والعشرين، من الباب الثاني عشر. وهناك احاديثُ اخرى ترمي الى الهدف المذكور، فراجع.

تنبيه

بعد أن وصلنا، إثر مطالعاتنا في التعاليم القرآنية والحديثية وملاحظتنا، الى أن الاسلام إنما يدعو الناس لتبني مبدأ المساواة، ولتركيز مستوى معيشي «متساو» او «متقارب» للكل، وحمل الناس على قبول هذا المبدأ والجري عليه، بعد ذلك كله، وقفنا على كلام الفقيه المتفتح الذهن، والعالم المفكر الشهيد، السيد محمد باقر الصدر، فرأينا أن نقله هنا ايقافاً للقراء عليه . يقول الشهيد الصدر - أعلى الله درجته في الشهداء - :

«إن نصوص الزكاة صرحت بأن الزكاة ليست لسد حاجة الفقير الضرورية فحسب، بل لإعطائه المال بالقدر الذي يلحقه بالناس في مستواه المعيشي، اي لأبّد من توفير مستوى من المعيشة للفقير يلحقه بالمستوى العام للمعيشة، الذي يتمتع به غير الفقراء في المجتمع . وهذا معنى أن توفير مستوى معيشي «مُوحد» او «متقارب» لكل افراد المجتمع هدف اسلامي، لأبّد للحاكم الشرعي من السعي في سبيل تحقيقه»^٢. ولعلّ الفصل التالي، الذي يبحث عن «الأخوة الاسلامية والاقتصاد»، يدعّم مبدأ «المساواة الاسلامية» دعماً، فأية أخوة أصح واثق

١ - الوسائل ٦ / ١٥٩.

٢ - الاسلام يقود الحياة / ٤٥.

من مساواة الاخ للاخ؟ إن لم نُردَّ «الأخوة القرآنية»، التي نزلت به آيةُ السماء، ودَعَمَتُها الاحاديثُ الكثيرةُ في ابعادٍ مختلفةٍ مستوعبة، الى قوله لفظيةً فحسب؟!!

تذكير

الظاهر أن المساواة التي يدعو الإسلام إلى تبنيها كمبدأ، إنما هي في «الاستهلاك»، لا في «الامتلاك»، إذا كان الثاني كفاً، أو غير تكاثري - على الأقل - بأن يكون غير مُجاوِزٍ حدودَ الاقتصاد والاعتدال، غير مقترِبٍ من الكثرة المرفوضة بوجه .

الفصل الثامن والأربعون

القسط الاسلامي

الكتاب

١ يا أيها الذين آمنوا، كونوا قوامين بالقسط، شهداء لله ..^١

* قال الطبرسي: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط،

اي دائمين على القيام بالعدل . ومعناه وَلْتَكُنْ عَادَتُكُمُ الْقِيَامَ

بالعدل في القول والفعل»^٢.

٢ يا أيها الذين آمنوا، كونوا قوامين لله، شهداء بالقسط ..^٣

٣ قل : أَمَرْتُ بِالْقِسْطِ ..^٤

٤ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ *^٥

١ - سورة النساء (٤) : ١٣٥ .

٢ - مجمع البيان ٣ / ١٢٣ .

٣ - سورة المائدة (٥) : ٨ .

٤ - سورة الاعراف (٧) : ٢٩ .

٥ - سورة الرحمن (٥٥) : ٩ .

- ٥ ويا قومِ أوفُوا المِكيالَ والمِيزانَ بالقِسطِ ..^١
- ٦ وأوفُوا الكيلَ والمِيزانَ بالقِسطِ ..^٢
- ٧ .. وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسطِ ..^٣
- ٨ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ، لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسطِ ..^٤
- ٩ .. وَأَقْسِطُوا، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *^٥
- ١٠ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسطِ مِنَ النَّاسِ، فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *^٦

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الكاظم، عن آباؤه : .. بِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ لَا يَقُومُونَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِالْقِسطِ. بِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسطِ فِي النَّاسِ ..^٧

* إِنَّ الْجُمْلَةَ الْآخِرَةَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ «ص»، إِشَارَةٌ إِلَى الْآيَةِ الْآخِرَةِ . وَهَذِهِ الْآيَةُ السَّمَاوِيَّةُ تَرَسُّمُ أَمَانَا أَتْجَاهَيْنِ لَطَائِفَتَيْنِ مِنْ

١ - سورة هود (١١) : ٨٥.

٢ - سورة الانعام (٦) : ١٥٢.

٣ - سورة النساء (٤) : ١٢٧.

٤ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٥ - سورة الحجرات (٤٩) : ٩.

٦ - سورة آل عمران (٣) : ٢١.

٧ - البحار ٧٢ / ٩٨، عن «نوادير الراوندي».

الناس :

١ - الآمرون بالقسط، المُقاتلون في سبيلِ الله لتجسيدِ
العدالةِ والقسطِ ..

٢ - الكافرون بآياتِ الله، قاتلوا النبيين ودعاةِ القسطِ
المصلحين ..

فَلتَكُنِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وخصوصاً علماءها ودعاتها ونابيهها
وشبابها وثوارها ورجالَ حكمِها، ملتحمين مع الصَّفِّ الأوَّل، في
كُلِّ وِرْدٍ وَصَدْرٍ، قائمين لله تعالى بالقسط، شهداء على الناس .

٢ الامام علي «ع» : .. إن للذِّكرِ لأهلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً .. يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ
وَيَأْتِمُرُونَ بِهِ ..^١

٣ الامام علي «ع» : .. لِيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ، أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَاعْمَهَا فِي
الْعَدْلِ .^٢

٤ الامام علي «ع» : .. فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَحْوَلَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ
فَصِيلِهَا، وَلَا يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بَوْلِدَهَا، وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً؛ وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ
صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرْفَهُ عَلَى اللَّأْغِبِ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقَبِ وَالظَّالِعِ،
وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدْرِ، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنِ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ
الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيَمْهَلْهَا عِنْدَ النَّطَافِ وَالْأَعْشَابِ ..^٣

٥ الامام الصادق «ع» - في بيانِ قولِهِ تعالى : «وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ
فِي الرِّزْقِ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، فَهُمْ فِيهِ

١ - نهج البلاغة / ٧٠٤ : عبده ٢ / ٢٣٨ .

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٦ : عبده ٣ / ٩٥ .

٣ - نهج البلاغة / ٨٨١ : عبده ٣ / ٢٩ .

سواء ..»: لا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَخُصَّ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَأْكُولِ دُونَ عِيَالِهِ ١.

* إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَيْنِ الْبَابَيْنِ يَدْعُو إِلَى دَعْمِ أُسُسِ الْقِسْطِ وَتَرْكِيزِهَا فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، فَلَاحَاجَةٌ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ التَّكْرِيرِ.

القسط القرآني، تجسيد وتجسيد

١- النبي الأعظم «ص» والقسط

الكتاب

- ١ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ .. ٢
- ٢ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، وَقُلْ: آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ .. ٣
- ٣ .. عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ .. ٤

١ - تفسير القمي ١ / ٣٨٧.

٢ - سورة البقرة (٢): ٢٨٥.

٣ - سورة الشورى (٤٢): ١٥.

٤ - سورة التوبة (٩): ١٢٩.

* لا نحتاج هنا إلى إيراد كثيرٍ من الآيات، فإنَّ القرآنَ هو كتابُ الله تعالى، النازلُ على نبيِّه، وهو قد آمنَ بما أنزلَ إليه من ربه، بشأنِ العدلِ والقسطِ وقيامِ الجماهيرِ بهما، فقام بتجسيده الفعليِّ، فقاطعَ الأغنياءَ والمستكبرين - أضدادَ العدالةِ الاقتصاديةِ والقسطِ - وخالطَ المعذِّبينَ والمضطَّهدينَ والمحقوقينَ والمحرومينَ والتَّحَمَ معهم ودافعَ عنهم؛ وهذه أمورٌ لا ريبَ فيها، والسَّيرةُ المُثلَى شاهدةٌ عليها.

الحديث

١ النبي «ص»: أوصاني ربِّي بتسعٍ: .. والعدلِ في الرِّضا والغضبِ ..١

* إنَّ الدَّعوةَ إلى «العدلِ» في الرِّضا والغضبِ، دعوةٌ إلى مطلقِ العدلِ والعدلِ المطلقِ، حيث لا يبقى معها مجالٌ لأيِّ ظلمٍ أو اعتداء، في أيِّ حالةٍ من الحالات .

٢ الامام علي «ع»: إنَّ يهودياً كان له على رسولِ الله «ص» دنانير، فتقاضاه فقال له: «يا يهوديُّ ما عندي ما أعطيك!» فقال: فإنِّي لا أفارقك يا محمَّد حتى تقضيني، فقال: «إذا أجلسُ معك»، فجلَسَ معه حتى صلَّى في ذلك الموضعِ الظُّهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ الآخرةَ والغداةَ، وكان أصحابُ رسولِ الله «ص» يتهدَّدونه ويتواعدونه، فنظرَ رسولُ الله «ص»

إليهم فقال: «ما الذي تَصْنَعُونَ به؟» فقالوا: يا رسول الله يهوديٌّ يَحْبِسُكَ؟ فقال «ص»: «لَمْ يَبْعَثْنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ أَظْلِمَ مُعَاهِدًا وَلَا غَيْرَهُ»..^١

٣ الامام علي «ع»: وَأَعْطَيْتُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» يُعْطِي بِالسُّوْيَةِ..^٢

* ولقد أوردنا تعاليم النبي «ص» وأقواله في الكتاب . وإنَّ الانحيازَ إلى مبدأ المساواة، يندمجُ على أفضلِ شكلٍ من أشكالِ القسط .^٣

ولقد جاءت هذه الجملةُ في زيارةِ الرسولِ «ص» من بعيدٍ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَائِمًا بِالْقِسْطِ».^٤ فَيَصِفُ الْمُسْلِمُ الزَّائِرُ نَبِيَّهٖ وَهَادِيَهٗ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الْمَوَاصِفَةِ، حَتَّى يَعْتَقِدَ قَلْبُهُ بِالْقِسْطِ، وَتَنْطَبِعَ عَلَيْهِ أَحَاسِيْسُهُ، وَتَصْطَبِغَ بِهِ أَعْمَالُهُ وَاتِّجَاهَاتُهُ .

ولعلَّ السَّرَّ في ذِكْرِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ فِي زِيَارَةِ الْبَعِيدِ، أَنْ يَنْفُذَ هَذَا الْوَاقِعَ الدِّينِيَّ فِي أَرْوَاحِ أَحَادِ الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ هُنَا وَهَنَّا، فِي أَرْجَاءِ الْعَالَمِ وَأَصْقَاعِ الْبَسِيطَةِ، وَخُصُوصًا فِي حَالَةِ يَتَوَجَّهُ الْمُسْلِمُ إِلَى أَبِيهِ الرَّوْحِيِّ وَمُنْقِذِهِ الْإِلَهِيِّ وَمُنْعِمِهِ الْمَعْنَوِيِّ وَمُرِيَّهِ الْإِنْسَانِيَّ، بِقَلْبٍ شَاهِدٍ وَإِحْسَاسٍ صَادِقٍ، فَيَصْنَعُ ذَلِكَ الْوَضْعُ كُلُّ مُسْلِمٍ مُحَمَّدِيٍّ صُنْعًا لَا يَدَّعُهُ إِلَّا مُعْتَقِدًا بِالْقِسْطِ، صَامِدًا فِي تَجْسِيدِهِ، طَالِبًا مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ وَحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا قَائِمِينَ بِالْقِسْطِ، اتِّبَاعًا لِسِيرَةِ الرَّسُولِ «ص» (وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) .

١ - البحار ١٦ / ٢١٦، عن «أمالِي الصَّدُوقِ».

٢ - الكافي ٨ / ٦٠ - ٦١ .

٣ - راجع: الفصل ٤٧، من هذا الباب .

٤ - البحار ٩٤ / ١٨٣ .

الفصل الثامن والاربعون : القسط الاسلامي

وواضحٌ أنّ هذا المسلم النَّابِهَ لا يَعْتَرِفُ لغيرِ القائمين بالقسط، المُجَسِّدين للعدل، بأيةِ حرمةٍ أو كرامةٍ، كائنين من كانوا، من علماء أو أمراء؛ ولقد صدق رسولُ الله «ص» حيث قال : «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَتِ أُمَّتِي، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَتِ أُمَّتِي». قيل : يا رسولَ الله وَمَنْ هُمَا؟ قال : «الفقهاءُ والأُمراءُ» .^١

وأبى فسادٍ أعظمٍ من إهمالِ جانبِ العدلِ وَخَذَلِ دُعَاةِ القسطِ وقيامِ الجماهيرِ به، والسَّكوتِ أمامِ طواغيتِ الثَّروَةِ والمالِ وفراغَةِ التَّكاثُرِ والإِترافِ والإِسرافِ، وإِطلاقِ سَراحِهِم هُنا وهُنَا، في الإِنْتاجِ والاسْتيرادِ والتَّسعيرِ والتَّوزيعِ، حتَّى يَمْتَصُّوا النَّاسَ وَيَرْضُوا العِظامَ؟

والوَضْعُ المذكورُ يُشيعُ الأَثَرَ الممقوتَةَ والتَّبَعِيضَ الفاحشَ والفُروقَ النَّادِرَةَ في النَّاسِ . وكلُّ ذلكِ يَبْثُ الظُّلْمَ وَيَدْعُمُ قواعِدَهُ . ولا حياةَ موضوعيَّةً للدينِ واحكامِهِ في مجتمعاتٍ يَسودُها الظُّلْمُ، فَإِنَّ «العدلَ حياةَ الأحكامِ» - على حدِّ تعبيرِ مولانا أميرِ المؤمنين «ع» . وعند ذلكِ تَتَقَوَّضُ أركانُ الدينِ في القِطاعاتِ، ولا سِما النَّاشِئَةِ والبُعداءِ عن فهمِ صورةِ الدينِ الواقعيَّةِ، ويؤدِّي إلى عجزِ المحرومينِ عن التَّدِينِ المُثَمِّرِ والقيامِ بما هو واجبٌ عليهم وعلى ذويهم ..

وهذه الأمورُ كُلُّها معلومةٌ مجرَّبةٌ، لو عَقَلَهَا المتأملونَ، ولو أعارَ المسؤولونَ من العلماءِ وغيرِهِم لها سمعاً؟ ولو انْتَبَهَ لها الرَّجعيُّونَ والمتخلفونَ؟

وليس لتغلغلِ الأفكارِ الإلحاديةِ، أو التَّمييعِ، في الأوساطِ الدِّينيَّةِ (في أبناءِ البيوتِ المبتنيةِ على التَّوْحِيدِ والآهْلِ بالسُّنَنِ الإِسْلامِيَّةِ و

١ - الخصال ١ / ٣٧، من طبعة الففاري .

بناتها)، سبب رئيسي في الأغلب إلا التبعض والحرمان والظلم، فكاد الفقر والحرمان والاضطهاد أن يكون كل شيء غير السلامة الخلقية والدين. ولولا ذلك فآية فكرة تقدر أن تصول في جو القرآن - لو كان الجو قرانياً - وتبدي صفحاتها لحقائق المعارف الإسلامية، النيرة المشرقة الهادية المنقذة؟ وتضل أبناء القرآن وأعضاء الإسلام؟

٢- الإمام علي بن أبي طالب «ع» والقسط

لقد قام الإمام علي بن أبي طالب «ع» بتجسيد القرآن النازل في القسط وقيام الناس به، تأسياً بالنبي «ص» واتباعاً له حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، حتى صارت سيرته سيرة العدل. ولقد أصبح أمثلة الأماثل في عدالة العادلين، وصار «صوت العدالة الإنسانية» في الآفاق، وصراخ القسط القرآني في التاريخ.

الحديث

- ١ النبي «ص»: إنه .. أعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية ..^١
- ٢ الامام علي «ع» - في العهد الأشترى: .. وليكن أحب الأمور إليك، أوسطها في الحق، وأعمها في العدل ..^٢

١ - المراجعات / ١٦٠ .

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٦: عبده ٣ / ٩٥ .

- ٣ الامام علي «ع» : العدل حياة الأحكام .^١
- ٤ الامام علي «ع» : الرعية لا يصلحها إلا العدل .^٢
- ٥ الامام علي «ع» : ما أصبح أحد بالكوفة إلا ناعماً؛ إن أدناهم منزلة لياكل البر، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات .^٣

* وإن من القسط، أن لا يُغفل رئيس «المدينة القرآنية» أحداً من الناس، ولا يُغطي على أفكارهم بالمواعد الأخروية، ويجعل كلهم ناعمين مُسترغدين، بحيث يصبح أدناهم منزلة يأكل البر، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات .
وهذا بدوره يدل على أن «المدينة القرآنية»، قابلة للتجسيد بصورة فعلية .

ولقد بثنا تعاليم الإمام علي بن أبي طالب «ع» في فصول كتاب «الحياة»، ويجد القارئ جوامعها في «نهج البلاغة»، ولا سيما في خطبه وكتبه التي يؤشر بها المنهج لعماله، ويخطط لهم أصول صنع المجتمع القرآني ومنهاج معاملته الناس، السالم الرّاقى .

نعم، «وفي نهج ابن أبي طالب هذا، من الخير للقومية مقداراً ما فيه من الخير للناس بوصفهم ناساً، وللمجتمع الذي يضم على وحدة العمل والغاية، بشراً متفاهمين متعاونين مخلصين . ذلك لأنّ الصّدق لا يتجزأ، وكذلك المنهج» .

«فالذي لا يُفضل في المجتمع الواحد عربياً على أعجمي إلا

١ - ٢٠١ - غرر الحكم / ٢٩ - ٣٠ .

٣ - البحار / ٤٠ / ٣٢٧، عن «المناقب» .

بالعملِ النَّافعِ، هو نفسه الذي لا يُفْضَلُ شريفاً من قومه على مشروف. وهو نفسه الذي لا يَخُصُّ أخاه بمنفعةٍ يَمْنَعُها عن غريب. وهو نفسه الذي يَحُولُ دونَ استغلالِ عربيٍّ لعربيٍّ أو لأيِّ إنسانٍ آخر. وهو نفسه الذي يَسْعَى في أن يَجْعَلَ النَّاسَ أحراراً متساوين. وهو نفسه الذي يَعْمَلُ جاهداً، بما تَسْمَحُ به طاقةُ الزَّمانِ والمكانِ، في أن يَرْفَعَ الفقرَ والحاجةَ عن جميعِ النَّاسِ، لَعَلَّهُم يَعْشُونَ سَعْداءَ مطمئنين. وهو نفسه الذي يَكْرَهُ الحربَ والقتالَ والعُدوانَ، ويدْعُو إلى الأمنِ والسَّلامِ والتَّأخِي في ظلِّ عدالةٍ اجتماعيةٍ صريحةٍ لا تَتْرُكُ النَّاسَ بينَ آكلٍ ومَأْكولٍ. وهو نفسه الذي يُريدُ من الإنسانِ أن يكونَ عادلاً حتَّى مع البهيمةِ، فلا تُسَلَبُ نَمَلَةٌ لُبَّ شَعيرةٍ ولا يُعْتَدَى على طيرٍ. وهو نفسه الذي يَقِفُ حياته على خدمةٍ هذه المبادئِ حتَّى الموتِ»^١.

ويَصِفُ أحدُ الشُّعراءِ المسيحيين^٢ الإمامَ علياً «ع» وكتابه «نهج البلاغة»، ويقولُ فيما يقولُ:

هُوَ لِلظَّالِمِ رَعْدٌ قَاصِفٌ
وَهُوَ لِلْمَظْلُومِ فِينا مُعْتَصِمٌ

وَهُوَ لِلْعَدْلِ جَمِيٌّ قَدِصَانَهُ
خُلُقٌ فِدٌّ، وَسَيْفٌ، وَقَلَمٌ

١ - الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية ٥ / ١٠٩١.

٢ - وهو فؤاد جرداق اللبناني.

مَنْ لِأَوْطَانٍ بِهَا الْعَسْفُ طَغَى
وَلأَرْضٍ فَوْقَهَا الْفَقْرُ جَثَمَ

غَيْرُ «نَهَجٍ» عَادِلٍ فِي حُكْمِهِ
يَرْفَعُ الْحَيْفَ إِذَا الْحَيْفُ حَكَمَ .

* لاحظ أيضاً : النظرة إلى الفصل .

٣- ثورة عاشوراء والقسط

* لقد كُتِبَتْ كُلُّ آيَاتِ السَّمَاءِ مَرَّةً أُخْرَى - بعد ما كَتَبَهَا كُتَابُ
الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ - بِالذَّمِّ الطَّاهِرِ، الذَّمِّ النَّبَوِيِّ
الْعَلَوِيِّ الْفَاطِمِيِّ، دَمِ الْحُسَيْنِ «ع» وَأَطْفَالِهِ وَأَصْحَابِهِ، فِي يَوْمِ
عَاشُورَاءَ، عَلَى سَاحِلِ الْفَرَاتِ الْجَارِي .. فِي رَمَضَانَ الطَّفِّ
الدَّامِي ..

لقد كُتِبَتْ تِلْكَ الْآيَاتُ الْحَيَّةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى الْحَيَاةِ وَالْقِسْطِ
وَالْقِسْطِ وَالْحَيَاةِ، بِذَلِكَ الذَّمِّ الزَّكِيِّ الطَّاهِرِ، عَلَى أَلْوَحِ الْفَجْرِ
وَالشَّفَقِ، وَعَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ وَأَجْوَاءِ الصَّحَارِي، لِأَنَّ «تُنَاقِلَهَا
الْفَيَافِي هُنَا وَهَنَّا، وَتَرْوِيهَا الْجَلَامِدُ لِلْجَلَامِدِ»، وَلِأَنَّ تَنْفُذَ فِي
اللَّحْظَاتِ فَتَبْقَى خَالِدَةً عَلَى صَفْحَاتِ الدَّهْرِ، فَتُطَلَّ عَلَى الْحَيَاةِ
الْبَشَرِيَّةِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، مِنْ الْآفَاقِ الَّتِي تَحْمَرُ وَتَحْمَرُ
فِي بَدَاةِ كُلِّ لَيْلٍ وَكُلِّ نَهَارٍ .

فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لَيْسَ حَيًّا بَاقِيًّا مِنْ خِلاَفَةِ يَزِيدٍ وَأَمْثَالِ يَزِيدٍ، بَلِ
هُوَ حَيٌّ بَاقٍ مِنْ شَهَادَةِ الْحُسَيْنِ «ع». وَلَقَدْ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»

حيث قال: «حسينٌ مني وأنا من حسين»^١.
وإنَّ شجَبَ الظلمِ والحيفِ وإقامةَ العدلِ والقسطِ، هو الهدفُ
الَّذي قد تَبَنَّا رَكْبُ عاشوراءِ، في سلوكِهِم ذلك النُّجْدَ الأبيضَ
المَلْحُوبِ ..

الحديث

- ١ الامام الحسين «ع» - في بيانِ حكمةِ «الأمرِ بالمعروفِ» و«النهيِ عن المنكرِ»
وأهميَّتِهِمَا البِنَاءُ: .. أَنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، دُعَاءٌ إلى
الإسلامِ، مع رَدِّ المظالمِ ومخالفةِ الظالمِ، وقسمةِ الفِيءِ والغنائمِ، وأخذِ
الصَّدَقَاتِ من مواضعِها ووضعِها في حقِّها ..^٢
- ٢ الامام الحسين «ع» - في تقريرِ العلماءِ الَّذِينَ لا تَسْتَشِيرُهُم آلامُ النَّاسِ
المضطهدينِ، فَيَسْكُتُونَ على الظلمِ، ولا يَقُومُونَ لإقامةِ القسطِ، ولا يُفَكِّرُونَ
بثورةٍ وتغييرِ، ولا يَلْتَحِمُونَ مع صفوفِ المحرومينِ والمحقوقينِ بصورةٍ
فعليةٍ: .. فَأَمَّا حَقُّ الضُّعْفَاءِ فَضِيعَتُهُم .. والعُمِّيُّ والبُكْمُ والزَّمْنِيُّ في المدائنِ
مُهْمَلَةٌ لا تَرَحُّمُونَ ..^٣ مَكُنْتُمْ الظُّلْمَةَ من منزلتِكُمْ .. فَأَسْلَمْتُمْ الضُّعْفَاءَ في
أيديهِمْ .. والنَّاسُ لَهُم خَوْلٌ، لا يَدْفَعُونَ يَدَ لَامِسٍ ..^٤

١ - راجع لاسناد هذا الحديث وفقهه ومحتواه الهام: «يادنامة علامه أميني»، مقالة البحثة

المتتبع، الشيخ محمدباقر البهبودي الخراساني .

٢ - تحف العقول / ١٧١ .

٣ - والمفعول محذوف، أي: لا تَرَحُّمُونَهُمْ .

٤ - راجع لجمع هذا الخطابِ الموقظِ المثير: «تحف العقول» / ١٧٢ - ١٧٣؛ و ٢٧٢ - ٢٧٥، من طبعة

الغفاري .

٣ الامام الحسين «ع» - في إعلامِ الخطر بزوالِ الاسلام، إذا كان الحاكمُ خائراً النفس، غيرَ عادلٍ ولا قائمٍ بالقسط : إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلامِ السَّلام، إذ قد بُلِّيتِ الأُمَّةُ براعٍ مثلِ يزيدٍ..^١

٤ الامام الحسين «ع» : ... وإني لم أَخْرُجْ أَشْراً ولا بَطْراً ولا مُفسِداً ولا ظالماً، وإنما خَرَجْتُ لطلبِ الإصلاحِ في أُمَّةٍ جَدِّي «ص»، أريدُ أن أَمُرَ بالمعروفِ وأنهي عن المنكر، وأسيرَ بسيرةِ جدِّي وأبي عليِّ بنِ أبي طالب «ع»..^٢

٥ الامام الحسين «ع» - في التعريفِ الحاسمِ بالحاكمِ الإسلامي، حتى يَعْرِفَ النَّاسُ نظرةَ الإسلامِ إلى موضوعِ الإدارةِ والسِّياسة، وَيَقِفُوا على المقياسِ الَّذِي يَجِبُ على الحاكمِ أن يَسِيرَ عليه في معاملةِ الجماهير، فَيُطِيعُوا التَّابِعَ وَيُثَرُوا في وجهِ العاصي : .. لَعَمْرِي ما الإمامُ إلا الحاكمُ بالكتاب، القائمُ بالقسط، الدَّائِنُ بدينِ الحقِّ، الحابسُ نفسه على ذلك..^٣

٦ الامام الحسين «ع» : .. أما بعد، فقد عَلِمْتُمْ أَنَّ رسولَ الله «ص» قد قال في حياته : «مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جَائِراً مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللهِ، نَاكِثاً لِعَهْدِ اللهِ، مُخَالَفاً لِسُنَّةِ رسولِ اللهِ، يَعْمَلُ في عِبَادِ اللهِ بالإثمِ والعُدوانِ، ثُمَّ لَمْ يُغَيِّرْ بقولٍ ولا فعلٍ، كان حَقِيقاً على اللهِ أن يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ».^٤

* وهذا التَّأشيرُ النَّبويُّ الحسينيُّ، إعلانُ الجهادِ العامِّ، كَلِّمًا سَادَ المَجْتَمَعِ أَضْدَادَ العَدْلِ وأَعْدَاءَ القَسْطِ، ودَعْوَةٌ إلى دَعْمِ القَسْطِ الإسلاميِّ، وإشعالُ لِنيرانِ الثَّوراتِ التَّغييريةِ ضِدَّ الجَبابرةِ والطَّواغيتِ، الَّذينَ يُفْشِونَ الظُّلمَ، وَيَتَّخِذُونَ الظَّالِمينَ والمُسْتَأَثِرينَ

١ - البحار ٤٤ / ٣٢٦ : عن كتاب «الملهوف».

٢ و ٣ - البحار ٤٤ / ٣٢٩ - ٣٣٠، و ٣٣٤ - ٣٣٥.

٤ - البحار ٤٤ / ٣٨٢، عن المصادر القديمة.

عُضدًا، فَتَجِدُ الطُّغَاةَ الاِقْتِصَادِيّينَ وَمُسْتَكْبِرِي الثَّرْوَةَ وَالامْتِلاكِ
فِي حُكْمِهِمْ كُلِّ مَسْرَحٍ وَمَجَالٍ .

٧ الامام الحسين «ع» - في الدِّفاعِ عن المحرومين والالتحامِ الفعليِّ مع
صفوفهم : اللَّهُمَّ ! إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا تَنَافُسًا فِي سُلْطَانٍ، وَلَا
الْتِمَاسًا مِنْ فَضُولِ الحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنُرِيَّ المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإِصْلَاحَ
فِي بِلَادِكَ، وَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وَسُنَنِكَ
وَأَحْكَامِكَ ..^١

٨ الامام الحسين «ع» - في بيانِ مُواصِفاتِ الحُكْمِ الطَّاغُوتِيِّ الأُمويِّ اليَزِيدِيِّ،
وَإِلْقَاءِ الضُّوءِ عَلَى أَنَّهُ لِمَاذَا يُتَابَعُ الثُّورَةُ ضِدَّ ذَلِكَ الحُكْمِ، وَلَوْ مَعَ قَلَّةِ النَّاصِرِ
وَرُكُوبِ المَخَاطِرِ : .. بِغَيْرِ عَدْلِ أَفْشَوِهِ فِيكُمْ .. فَسُحِقًا وَبُعْدًا لَطَوَاغِيَتِ
الْأُمَّةِ، وَشُدَاذِ الأَحْزَابِ، وَنَبْذَةِ الكِتَابِ، وَنَفْثَةِ الشَّيْطَانِ، وَمُحَرِّ فِي الكَلَامِ،
وَمُطْفِئِي السُّنَنِ ..^٢

٩ الامام الحسين «ع» - في فِجْرِ الحَرَكَةِ القُرْآنِيَّةِ، الثُّورِيَّةِ التَّغْيِيرِيَّةِ : .. مَنْ كَانَ
فِينَا بِأَدْلَى مُهْجَتِهِ، مُوْطِنًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا، فَإِنِّي رَاحِلٌ
مُصْبِحًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ..^٣

١٠ الامام الحسين «ع» - في تَعْيِيرِ الحَيَاةِ تَحْتَ نِيرِ الظُّلْمِ وَالاسْتِسْلَامِ، وَتَشْجِيعِ
النَّفُوسِ عَلَى بَذْلِ الدَّمِ لِخِلاصِ الجَمَاهِيرِ : .. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ،
وَأَنَّ الباطِلَ لَا يُنْتَهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ المُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحِقًّا، فَإِنِّي لَا أَرَى

١ - تحف العقول / ١٧٢؛ و ٢٣٩، من طبعة الغفاري.

٢ - تحف العقول / ١٧٣.

٣ - البحار ٤٤ / ٣٦٧.

الموتُ إلا سعادةً، ولا الحياةُ مع الظالمين إلا برماً..^١

* هذا هو الحسين «ع»، «حسينُ السُّودِدِ والشَّرفِ، حسينُ الإباءِ والشَّهامةِ، حسينُ المجدِ والامامةِ، حسينُ الدِّينِ واليقينِ، حسينُ الفضلِ والعظمةِ، حسينُ الحقِّ والحقيقةِ»، حسينُ القسطِ والعدالةِ .

وهذا هو الدرسُ الذي أَلَقْتُ ثورتهُ على الأمةِ، و«هو وجوبُ النهوضِ في وجهِ كلِّ باطلٍ، ومُناصرةِ كلِّ حقٍّ، لإبقاءِ هيكلِ الدِّينِ، ونشرِ تعاليمِهِ، وبَثِّ أخلاقِهِ؛ نَعَمْ، يُعَلِّمُنَا هَذَا التَّارِيخُ المَجِيدُ النُّزُوعَ الى إِيثارِ الخلودِ في البقاءِ - ولو باعْتِناقِ المَنِيَّةِ - على الحياةِ المُخَدَّجَةِ تحتِ نيرِ الاستعبادِ، والمبادرةِ إلى الانتِهالِ من مَناهلِ الموتِ لتخليصِ الأمةِ من مَخالِبِ الجورِ والفجورِ، ويُلزِمُنَا بِسُلوِكِ سَنَنِ المُفاداةِ دونَ الحنيفةِ البيضاءِ، والنُّزولِ على حكمِ الإباءِ دونَ مَهاويِ الدُّلِّ»^٢.

- فالغاياتُ الَّتِي قد دعا إليها ثائرُ الإسلامِ الكبيرِ، هي :
- أ- إحياءُ العِمادِينِ : الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ و
 - ب - ردُّ المظالمِ و
 - ج - مخالفةُ الظَّالمِ و
 - د - قسمةُ الفِئِءِ والغنائِمِ و
 - هـ - أخذُ الحقوقِ ووضْعُها في مواضعِها و
 - و - حضُّ العلماءِ على الثَّورَةِ والتَّغييرِ و
 - ز - تخليصُ المضطَّهَدينِ من أيدي الظَّالمينِ و

١ - تحف العقول / ١٧٦ .

٢ - الفدير ٣ / ٢٥٩ و ٢٦٤ .

- ح - التحذيرُ الحاسمُ من الحكمِ الفاسدِ الغاشمِ و
ط - طلبُ الإصلاحِ في الأُمَّةِ الاسلاميّةِ و
ي - السّيرُ بسيرةِ الرّسولِ «ص» والوصيّ «ع» و
يا - التّعريفُ بالحاكمِ الإسلاميّ، وهو القائمُ بالقسطِ و
يب - الدّعوةُ إلى مجابهةِ المُستجِلِّ لحُرْمِ الله تعالى، و
العاملُ بالإثمِ والعدوانِ و
يج - إرائةُ المعالمِ الإلهيّةِ، بعدَ ما غَطَّها المُعتدون و
يد - إسعافُ المظلومين وإعادةُ كرامتهم الإنسانيّةِ و
يه - العملُ بالحقِّ وإفشاءِ العدلِ ..

وإذا كانت هذه القيمُ الخالدة، هي الحقائقُ الثّابتةُ من غاياتِ
عاشوراء، فما أحرى بالمسلمين، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بالقرآن، وَيُحِبُّونَ
أعدالَ القرآن - يعني أئمةَ أهلِ البيتِ «ع» - وَيُكْرِمُونَ القبلةَ - قبلةَ
ابراهيم «ع» - أَنْ يَهْتَمُّوا بتجسيدها الباتِّ، بإزاحةِ الظلمِ وإقامةِ
القسطِ، ومقاطعةِ المستكبرين الاقتصاديين وشجبهم، وإنعاشِ
المحرورين وردِّ حقوقهم، ورفعِ مكانتهم الاجتماعيّةِ على مختلفِ
المستويات .

وعلى الَّذِينَ يَنْتُمُونَ إلى الإمامِ السَّبِّطِ، أبي عبد الله الحسين
الشَّهيدِ «ع»، بصورةٍ خاصّة، وَيُقِيمُونَ مَا تَمَّه، أَنْ يَكُونُوا مُهْتَمِّينَ
بالغاياتِ المذكورةِ أكثرَ وأشدَّ من غيرهم، اهتماماً تَحْتِمُهُ عليهم
دِماءُ عاشوراء ..

٤- الإمام الصادق «ع» والقسط

لقد قامَ الإمامُ ابو عبد الله جعفرُ الصادق «ع» بالإمامةِ

التعليمية (بعد ما حال الجبارةُ بينه وبين الإمامة التجسيدية) أكثر من ثلاثين سنة،^١ فنشر المعارف القرآنية، وألقى أضواء الآيات السماوية على الأجواء هنا وهناك، فكان هو ومدرسته تجسماً حياً للقرآن الكريم بتعاليمه وأصوله، أمام التيارات الفكرية المختلفة والمدارس المدسوسة والسياسة الغاشمة والإدارة الجائرة، وبذلك علم ورَبَّى أربعة آلاف رجل، قد حملوا على أكتافهم مشاعل العلم والهداية القرآنيين .

وكان في قمة تعاليمه دعوة الناس إلى رعاية الحق والعدل، والمؤاساة في الأموال والمعاش، وأداء الحقوق إلى الضعيف والقوي، والردع عن أي ظلم أوحيف، ولو كان حقيراً، والتأكيد على تصحيح الصلات التبادلية، وإيفاء الكيل والميزان، وتخفيف الربح والسعر، وما إلى ذلك، مما جاء في تعاليمه، وقد أوردنا شذوراً منها في فصول الكتاب .

ومما يتجلى في غرة تعاليمه القرآنية القادسة، دعوة الناس إلى إقامة أفضل أشكال القسط، وهو تبني «مبدأ المساواة» و تجسيده، والحسم على تربية الناشئة على ذلك السنن الإنساني اللأحب، في مراحل التعليم والتربية الابتدائية^٢.

الحديث

١ - من سنة ١١٤ هـ. ق، إلى سنة ١٤٨ هـ. ق.

٢ - راجع : الفصول ٤٦ و ٤٧، من هذا الباب ، و ٤٧، من الباب ١٢ .

- ١ الامام الصادق «ع»: النَّاسُ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ.^١
- ٢ الامام الصادق «ع»: أَهْلُ الْإِسْلَامِ هُمْ أَبْنَاءُ الْإِسْلَامِ، أُسْوَى بَيْنَهُمْ فِي الْعَطَاءِ ..^٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: .. وَمَا أَخَذَ مِنَ الزَّكَاةِ فَضَهُ عَلَى عِيَالِهِ، حَتَّى يُلْحِقَهُمْ بِالنَّاسِ.^٣

٥- الحكم المنتظر والقسط

الكتاب

- ١ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً، وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ *^٤

الحديث

- ١ النبي «ص»: أَبَشَّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ، يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي، عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ

١ - تحف العقول / ٢٧١؛ راجع أيضاً: النظرة إلى الفصل ٢١، من هذا الباب .

٢ - الوسائل ١١ / ٨١؛ راجع لتمام الحديث: الفصل السابق .

٣ - الوسائل ٦ / ١٥٩؛ راجع: الفصل السابق .

٤ - سورة القصص (٢٨) : ٥ .

وزلازل، فَيَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجورًا.^١

* هذا مضمون متواتر إجمالاً، منقول عن النبي
الاعظم «ص»، في صحاح الفريقين ومسانيدهم.

٢ النبي «ص» - ابو سعيد الخدري قال : قال رسول الله «ص» : «أبشركم
بالمهدي .. يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا ..^٢

٣ الامام الصادق «ع» : .. أما والله! لَيَدْخُلَنَّ عَلَيْهِمْ عَدْلُهُ، جَوْفَ بُيُوتِهِمْ، كَمَا
يَدْخُلُ الْحَرُّ وَالْقُرَّ.^٣

* فالإسلام دين القسط والعدل، العدل في جميع الشؤون
والأمور. فهذا كتابه القرآن يأمر بالعدل ويدعو إلى القسط .
وهذا نبيه الهادي يقوم بالقسط ويجسده حتى في نظره إلى
أصحابه، حيث «كان يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا
وينظر إلى ذا بالسوية».^٤

وهؤلاء أوصياء نبيه يقومون بالقسط تجسيدا أو تعليما، وقد
وصفوا بأنهم «القوامون بالقسط» - كما سيأتي .
وهذا مهديه المنتظر «ع» - وهو مسيح المسايح ونتيجة
النتائج - يأتي ليملا الأرض قسطاً وعدلاً،^٥ ويقسم الأموال

١ - البحار ٥١ / ٨١، عن «كشف الغمة»، عن أحاديث الحافظ الثقة، أبي نعيم الإصفهاني (م) - ٤٣٠ هـ . (ق)، صاحب «جليه الأولياء».

٢ - المُسند ٣ / ٣٧، لأحمد بن حنبل (م) - ٢٤١ هـ . (ق)؛ منتخب الأثر / ١٤٧ .

٣ - البحار ٥٢ / ٣٦٢، عن «الغيبة»، للنعمان .

٤ - الوسائل ٨ / ٤٩٩؛ راجع : النظرة الى الفصل السابق .

٥ - راجع : النظرة الى الفصل ٣٩، من هذا الباب .

والإمكانيات بشكل لا يُرى معه محتاج إلى الزكاة ..
ففي هذا الضوء - النير الراهن - فأئى فقه، او حكم، او مجتمع
لا يخضع فعلياً لمبدأ القسط، ولا يجسده في جميع الأجواء
والقطاعات، فليس له أن ينتمي إلى الإسلام، صوناً لِسْمَعَةِ دِينِ اللَّهِ
الخالد عن التشويه .

وَمَنْ زَعَمَ أَنْ تَجْسِيدَ الْآيَةِ (آيَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَحُكُومَتِهِمْ)،
إِنَّمَا يَقَعُ بِإِسْقَاطِ نِظَامٍ، بِدُونِ تَغْيِيرِ لِلْوَضْعِ الْحَيَاتِيِّ وَالْمَعِيشِيِّ،
وَبِدُونِ أَنْ يُصْبِحَ الْمَحْرُومُونَ وَالْمُسْتَضْعَفُونَ حُكَّامًا سَائِدِينَ،
مَرْدُودَةً إِلَيْهِمْ حَقُوقَهُمْ، فَهُوَ غَارِقٌ فِي الْأَوْهَامِ، مَبْتَعِدٌ عَنِ فَهْمِ وَاقِعِ
الإسلام .

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقِسْطَ يُجَسَّدُ، وَأَنَّ النَّاسَ يَقُومُونَ بِهِ، بِدُونِ إِبَادَةِ
التكاثر (واللّبيرالية الاقتصادية) وإزاحة الفقر من عرصات الحياة،
فِيحْلُمُ أَحْلَامَ نَائِمٍ، أَوْ يُمَوِّهُ الْأَمْرَ عَلَى الْجُمَاهِيرِ، أَوْ يَنْخَرِطُ مَعَ
المتكاثرين والمترفين في سلك، او يجبن من الصمود في وجه
الظالمين .

إلماح إلى سرّ كبير

الحديث

١ الامام علي «ع»: العدل حياة الأحكام. ١

* لقد فَصَّلنا الكلامَ عن العدلِ وأهميته في إصلاحِ المجتمعِ وبقاءِ الدينِ فيه، في الفصولِ السادسِ والأربعينِ إلى الثامنِ والأربعينِ، من البابِ الثاني عشرِ، في الجزءِ السادسِ، فليُراجِعْها القارئُ الكريمُ .

وهذا - لَعَمْرُ الحقِّ والعدلِ - من عظامِ تعاليمِ أميرِ المؤمنين «ع». نَعَم، لِحياةِ واقعيةٍ لأحكامِ الدينِ، ولُبُخوعِ الجماهيرِ الفعليِّ بها في جميعِ قطاعاتِهِم، إلّا في أوساطِ لا يَسُوذُها إلّا القسطُ، ولا يَصنَعُها إلّا العدلُ .

وهذا المطلبُ واضحٌ لمن عَرَفَ شيئاً من المجتمعِ والحياةِ والإنسانِ والغرائزِ. وأما الضَّغَطُ على الناسِ بحملِهِم على رعايةِ ظواهرِ بعضِ الأحكامِ الشرعيةِ - في المعابرِ والشوارعِ - مع التَّساهلِ في قيامِ المجتمعِ بالقسطِ في جميعِ صلاتِهِ، والتسامحِ في إحياءِ كرامةِ المحقورينِ وردِّ حقوقِ المحرومينِ المختلفةِ إليهِم ورفِعِهِم إلى مستواهِمِ الإنسانيِّ اللائقِ، فأمرٌ لا يَجْنَحُ إليه أيُّ مُصلِحٍ حَصيفِ الرَّأيِ، يَتَطَلَّبُ الإصلاحَ في واقعِ حياةِ الناسِ .

ولولا ذلك لم يَجْعَلِ اللهُ تعالى غايةَ بعثةِ الأنبياءِ «ع» وإنزالِ الكتبِ والحديدِ قيامَ الناسِ بالقسطِ، فإنَّ اللهَ سبحانه، شاءَ أن يَعمَلَ الجماهيرُ بأحكامِ دينِهِ، وَعَلِمَ أنَّ الطَّرِيقَ الموصِلَ إلى ذلك المقصدِ هو فُشُوُّ القسطِ والعدلِ فيهِم وسيادتهما عليهِم، ففَرَضَهما على الناسِ . وبذلك يُصرِّحُ وليُّ اللهِ الكاملِ، الواقفُ على أسرارِ دينِ اللهِ وطبائعِ خلقِ اللهِ وموضوعياتِ الحياةِ وحقائقِ المجتمعاتِ، فيقولُ بملءِ فيه الطَّاهرُ: «العدلُ حياةُ الأحكامِ»، لا «الضَّغَطُ حياةُ الأحكامِ».

وهذا سرُّ عظيمٌ، أباخه كلامُ إمامِ الإنسانيةِ العظيمِ، في سبيلِ

صُنِعَ المجتمعات البشرية وإسعادِ الجماهير .
وبما أن إحياء الأحكام الإلهية واجب، فالقيام بالقسطِ
والعدل واجب، لتوقُّفه عليه، وفشله بدونه . ومن هنا يُصيِّح السَّعِيُّ
والمجاهدةُ لإقامة العدلِ أوَّل واجبٍ على أيِّ حكمٍ أو فقهٍ
إسلاميين، قبلَ كلِّ شيءٍ . ولذلك نجدُ أميرَ المؤمنين «ع» قد أقدمَ
على إرساءِ قواعدِ العدلِ - ولا سيَّما الاقتصاديِّ منه - وإقامةِ الأمتِ
والعِوجِ في توزيعِ الأموالِ وامتلاكِها، في أوَّلِ أيامِ خلافتهِ -
كما هو معروف .

الحيف يدعو إلى السيف

الحديث

١ الامام علي «ع» - فيما قاله لأحدِ عمَّاله، وقد نَهَاهُ عن تقديمِ الخراجِ :
إِسْتَعْمِلِ العَدْلَ، وَاحْذَرِ العَسْفَ والحَيْفَ؛ فَإِنَّ العَسْفَ يُعَوِّدُ بِالْجَلَاءِ،
والحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ .^١

* قال الشيخ محمد عبده المصري: «الحيف الميلُ عن
العدلِ إلى الظلم، وهو يَنْزَعُ بالمظلومين إلى القتالِ لإنقاذِ
أنفسِهِم».

وما أعظمَ الكلامَ من تعليمٍ، حيثُ يُشجِّعُ المظلومين

والمقهورين على أخذ حقوقهم بالقهر؛ ويُرِيهم طريقَ الخلاص،
وما هو إلا الثَّورَةُ والتَّغيير .

المقياس الفاصل بلاريب

الحديث

١ الامام الصادق «ع» : إِنَّ النَّاسَ يَسْتَعْنُونَ إِذَا عُدِلَ بَيْنَهُمْ .^١

٢ الامام الكاظم «ع» : لو عُدِلَ فِي النَّاسِ لَأَسْتَعْنُوا ..^٢

* قد عرّفوا العدلَ تعاريفَ مختلفةً، توسيعاً وتضييقاً، بحسبِ
فلسفاتٍ نظريّةٍ متفاوتة . وفي النَّاسِ مَنْ يَجْنَحُ إِلَى جَانِبٍ وَيَدْعُ
الجانبَ الآخرَ، لعدمِ الإحاطةِ بحقيقةِ الموضوع، أو لأغراضٍ
وغاياتٍ أشرنا إليها في مواضعٍ أُخرى .
والصَّحِيحُ أَنْ نَقْسِمَ العَدْلَ أَوَّلًا إِلَى أَقْسَامِهِ، كالاقتصاديِّ
والقضائيِّ والأخلاقيِّ والإداريِّ والسياسيِّ و.. ثمَّ نأتي لكلِّ واحدٍ
منها بتعريفٍ جامعٍ مانعٍ .^٣

١ - الكافي ٢ / ٥٦٨؛ راجع أيضاً: النظرة إلى الفصل ٣٩، من هذا الباب، والفصول ٤٦ إلى ٤٨،

من الباب ١٢ .

٢ - الكافي ١ / ٥٤٢ .

٣ - والواجبُ الثاني أَنْ نَعِمِدَ إِلَى التَّرتيبِ، وَنوضِّحَ أَنَّ الأهمَّ والأقدمَ من أقسامِ العدلِ ما هو؟ ولعلَّ
العدلَ الاقتصاديَّ هو الأوَّلُ والأهمُّ، الَّذِي يُوطِئُ لِسائِرِ الأقسامِ . ولذلك نجدُ الأنبياءَ «ع» يدعونُ
النَّاسَ - بعدَ الدَّعوةِ إِلَى معرفةِ اللَّهِ تعالى وعبادتهِ - إِلَى إيفاءِ الكيلِ والميزانِ وعدمِ بَخْسِ النَّاسِ
أشياءَهُمْ (كما في القرآنِ الكريمِ) . وما ذلك إلا الدَّعوةُ إِلَى العدلِ الاقتصاديِّ وتقديمه .

والحقُّ في تعريفِ «العدلِ الاقتصاديِّ» أن نقول - اقتباساً من المعصوم «ع» و تعلماً من ذي علم - : «العدلُ ما تُزاحُ به حاجاتُ الجماهيرِ بأسْرِها».

ولقد أبدعَ الإمامان، أبو عبد الله جعفرُ الصادق «ع» وأبو- إبراهيم موسى الكاظم «ع»، في إرشادِ آلهيِّ قِيَمٍ، انعكسَ فيه نفسُ الأنبياء «ع»، حيث جعلوا في بيانهما للعدلِ ملاكاً محسوساً ملموساً لا يعدوه، وبه يُتاحُ لكلِّ أحدٍ تشخيصَ العدلِ وحضوره في الناسِ أو غيابه وفقده . والملاكُ هو استغناءُ الناسِ كلِّهم أجمعين (لعمومِ «الناسِ»). وهذا أمرٌ لا يتسنَّى لأحدٍ أن يجهله، أو يتجاهلَ عنه، أو يُموهَ أو يُداهنَ فيه . فالعدلُ إذا تجسَّدَ لا يُوجدُ في الناسِ ذوحاجةٍ أبداً، بل يُصبحُ الكلُّ مُستغنين^٢.

فالإسلامُ يقول: اذهب إلى الناس، وتصفحِ الجماهيرَ وحياتهم هنا و هناك، في الطُّرُقِ والشُّوارعِ، في المحلاتِ والسُّككِ، في المنازلِ والبيوتِ، في الأمصارِ والرِّسَاقِ، فإن وجدتَ فيهم فقيراً واحداً، فهناك الظلمُ قائمٌ ولا عدل .

وإذا كان الأمرُ على هذا الشكلِ في الإسلام، فما ظنُّك بمجتمعاتٍ يُكابِدُ قطاعاته الكثيرةُ والكثيرةُ آلامَ صُورِ الفقرِ والحاجةِ والحرمانِ - مُعلنةً وغيرَ مُعلنة - فهل هناك يُوجدُ أثرٌ من عدل، أو رائحةٌ من قسط؟ وهل يسوغُ لأحدٍ أن يُسمِّيَ تلكَ المجتمعاتِ وحكوماتهم إسلاميةً؟

١ - ولعلَّ السَّرَّ في الإتيانِ بالفعلِ المجهولِ (عُدل)، هو أن الأمرَ لا يَتِمُّ على أيدي الناسِ، لو لم يكن العلماءُ عارفينَ بالعدلِ قائمينَ به، والحُكَّامُ والأمرأُ مُجسِّدينَ له .

٢ - وهذا معنى كلامِ أميرِ المؤمنين «ع»، الذي جاء في المصادرِ (الكافي / ٨ / ٣٢، وراجع: الفصل ٥، من الباب ١٠، فقرة «د»، في الجزء الثاني). وحاصله «أنَّ المجتمعَ الإسلاميَّ لا يُوجدُ فيه عائلٌ أو محتاجٌ أو مظلومٌ، مُسلماً كان أو غيره». وذلك أن الحاكمَ الإسلاميَّ الحقَّ يَعِدُّ وَيَعْدِلُ، ولا يُوجدُ - مع العدلِ - عائلٌ أو محتاجٌ أو مظلومٌ . فماذا تَدْعُونَ، وأنَّى تُؤفِّكون، وأين تَدْهَبُونَ؟ ..

نظرة الى الفصل

سنفصلُ الكلامَ عن القسطِ الاسلاميِّ والعدالةِ الاجتماعيةِ في الاسلام، في الفصولِ التي نتناولُ فيها العدلَ والاحسانَ والتوازنَ الاقتصاديَّ والتَّعادُلَ المعيشيَّ، يعني الفصلَ السَّادسَ والاربعين الى الثَّامنِ والاربعين، من البابِ الثَّاني عشر، غيرَ أنَّنا نُشيرُ هنا الى امرِ هامٍّ في البشريَّةِ والتَّاريخ، فنقولُ: إِنَّ مشكلَةَ البشريَّةِ، عبْرَ تاريخِها الطَّويلِ المرير، هو الظُّلمُ الاقتصاديُّ والماليُّ والمعيشيُّ،^١ واستيلاءُ الطَّواغيتِ الاقتصاديِّين على النَّاسِ المضطَّهدين والمعدَّيين والمظلومين (مصيبتكمُ الطَّواغيتُ من اهلِ الرِّغبةِ في الدُّنيا..)^٢. نَعَم، إِنَّ من اكبرِ انواعِ الظُّلمِ وأشكاليه - بل اهمُّها واكبرُها - هو الظُّلمُ الاقتصاديُّ السَّائدُ في النَّاسِ، وهو يُضادُّ القسطَ ويَمَحِّقُه. وَإِنَّ الظُّلمَ المذكورَ هو الَّذي يَجُرُّ الى البشريَّةِ كلِّ اقسامِ الفِتَنِ والوَيَلاتِ والاضطهادِ والمُيوعةِ والسُّقوطِ والتَّخلفِ والالحداد. ولأجل ذلك نُشاهدُ أَنَّ الانبياءَ «ع» قَدِ اسْتَهْدَفُوا، بادئِ ذي بَدْءٍ، شجَبَ هذا الظُّلمِ وسحقَه، باقامةِ القسطِ وبسطه في الجماهير، فكانوا يَدْحَرُونَ الاغنياءَ والمستكبرين الاقتصاديِّين، وَيَلْتَجِمُونَ مع صفوفِ المحرومين والمُعدَّيين. وقد عَدَّ القرآنُ الكريمُ، قيامَ النَّاسِ بالقسطِ، غايةَ

١ - كما أوغزنا اليه في المقدمة ايضاً: الفقرة ٢، وفي مواضع أخرى. وذلك لاهمية توعية المجتمع بالنسبة الى هذا الموضوع. فعلى الجماهير ان يعرفوا المستكبرين وحياتهم واضرارهم وظلمهم حق المعرفة، حتى تمهّد هذه المعرفة للاطاحة بقواعدهم وانقاذ النَّاسِ من مخالبتهم.

٢ - امالي المفيد / ١١٧، من حديث الامام علي بن الحسين السَّجاد «ع»، راجع: الفصل ٧، من هذا الباب.

الغايات الاجتماعية لبعثة الانبياء «ع»^١.

ومما يجب أن ينتبه له الضمائر - وخصوصاً ضمائر المسلمين - أن الاحاديث النبوية التي تبشّر بأن المهدي المنتظر «ع» اذا ظهر يملأ الارض قسطاً وعدلاً .. ترشدنا الى امرين عظيمين :

١ - أن مشكلة الانسان الاصلية، هي الظلم والجور. والاصل فيها الاقتصادية منها .

٢ - أن اصل الاصلاح الديني الاجتماعي واسبابه، هو تطبيق القسط وتجسيده، لا غير .

اذاً، فالجهل بهذين الامرين الرئيسيين او الغفلة عنهما واهمالهما، يؤدي الى فشل الثورات، وفتور الهمم، وخيبة الآمال، وضياع الجهود، وهنّ المعتقدات، وهدر الدماء، واستيلاء المتخلفين، وخنق اصوات التغييريين .

ومن هنا، تصبح تأكيدات الاسلام الحاسمة - بشتي الاساليب والصّور - على اهمية القسط ووجوب دعمه وتوسيع نطاقه في حياة الناس، وعده العدل السبب الوحيد لاصلاح المجتمع الانساني^٢، من اهم ميزات هذا الدين الهامة والعميقة . فعليه يجب أن يكون اول الاهداف واهمها لاية ثورة من الثورات الاسلامية، هو شجب الظلم الاقتصادي والعدوان المالي، ودعم نظام العدل وإرساء قواعد القسط القرآني^٣.

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥ .

٢ - راجع : الفصل ٤٧، من الباب ١٢ .

٣ - ولاجل ذلك نشاهد أن الامام علي بن ابي طالب «ع» حينما يأخذ بزمام الحكومة الاسلامية - بعد حركة ثورية - ينطلق من اول الامر الى ارساء هذه الدعامة، فيصرخ صراخه التاريخي المعروف، الذي لا يخرج صداه من سمع التاريخ، ولا تنمحي صبغته من لوحات الشفق والفجر : «والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته، فإن في العدل سعة . ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيء» - (نهج البلاغة / ٦٦ : عبده / ١ / ٤٢) . وقالوا : إن الامام خطب بهذه الخطبة في ثاني يوم من بيعته في المدينة .

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

وإنَّ القسَطَ والجِهَادَ في سبيلِ تجسيدِهِ في حياةِ النَّاسِ، هو السَّمَةُ
الاصليَّةُ لكلِّ ثورةٍ اسلاميَّةٍ، او حكمٍ اسلاميٍّ، او فقاہةٍ قرآنيَّةٍ،^١ ولا يسُدُّ
فراغهما أيُّ شيءٍ .

والعجبُ من الذين يُعدُّونَ الكِفاحَ ضدَّ التَّكاثُرِ والفقرِ - الذي به
تُضمَّنُ اقامةُ القسطِ - من الامورِ الاخلاقيَّةِ التي لا ضمانَ لتطبيقها . فاذا
كانت هذه الامورُ اخلاقيَّةً - إن شاء قومٌ عملوا بها وإن لم يشاؤوا لم يعملوا
- فماذا تكونُ ميزةُ أيِّ حكمٍ اسلاميٍّ قرآنيٍّ من غيره؟..

أيقنُ الانسانيونَ، والنَّابِهونَ، والمصلحون الصَّامدونَ، وطلَّابُ
العدالةِ والحقِّ الصَّادقونَ، والشَّبابُ الثَّائرونَ، من الحكمِ الاسلاميِّ بأنَّ
يُغضُّ الطرفَ عن التَّكاثُرِ ويُخَلِّي سبيلَهُ (فضلاً عن أن يُواكبَهُ ويُطلقَ
سراحَهُ، ويكونَ في رجالِهِ من يَجْنَحُ الى المتكاثرينَ والمُترَفينَ)، وأنَّ
يُهْمَلُ جانبَ مكافحةِ الفقرِ وازاحتهِ، وأنَّ لا يجدُ كلَّ الجِدِّ لقيامِ النَّاسِ
بالقسَطِ في عرصاتِ الواقعِ القائمِ؟ مع أنَّه من اللَّاحِبِ الواضحِ أنَّ النَّاسَ
إن لم يَقوموا بالقسَطِ، وأنَّ العدالةَ الاجتماعيَّةَ إن لم تُجسَّدَ، وأنَّ
الطَّاغوتَ الاقتصاديَّةَ ان لم يُشجَبَ، فلا فائدةَ اساسيَّةَ في مكافحةِ
المفاسدِ والسُّلبيَّاتِ الاجتماعيَّةِ الأخرى، لأنَّها اذا لم يكنِ المجتمعُ
مجتمعَ عدلٍ وقسَطٍ تَكْمُنُ وتَبْطُنُ، او تَظْهَرُ في الوانٍ أخرى، وتَعْمَلُ عملها
وتَخْلُقُ سلبيَّاتها السَّاحقةَ، في تمييعِ ارواحِ النَّاسِ وأخلاقِهِم هنا
وهناك .. ولاجلِ هذه الحقيقةِ الرَّاهنةِ في حياةِ المجتمعاتِ والبُخوعِ بها
بصمودٍ واخلاصٍ، يُنادي امامُ الانسانِ والانسانيَّةِ وتمثالُ الحقِّ والعدالةِ،
الامامِ عليِّ بنِ ابي طالبٍ «ع» بهذا النداءِ: «الرَّعيَّةُ لا يَصْلِحُها الاَّ
العدلُ»^٢.

١ - راجع : الإيقاظ ٧، من هذه النظرة .

٢ - غرر الحكم / ٢٩ .

إيقاظ هام (١)

الحكم الاسلامي والقسط

لقد جاءت في الاسلام تعاليم كثيرة - في القرآن والحديث - وتأكيدات حاسمة على موضوع الولاية والحكومة . ودرّسوا مواصفات من يصلح لها ومؤهلاته ومن لا يصلح، بصورة واعية، لاهمية هذا الامر الحياتية في الاسلام . وقد عدّوها من اركان الاسلام الخمسة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الولاية)، بل جعلوها اهمها الذي به تقام الاربعة الأخرى . قال الامام ابو جعفر الباقر «ع»: «بُنِيَ الاسلام على خمسٍ، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية . ولم يُنادَ بشيءٍ كما نُودي بالولاية»^١ . والمراد بالولاية هنا، هو الحكومة القرآنية^٢ واقامتها بين الناس نيابة عن النبي «ص» . ومن الأدلة الواضحة عليه ما جاء في حديث آخر، عن زرارة بن أعين، عن الامام الباقر «ع» ايضاً: «بُنِيَ الاسلام على خمسة اشياء، على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية . قال زرارة : فقلت : واي شيء من ذلك افضل؟ فقال : الولاية افضل، لانها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ ..»^٣

فالتعبير بـ «الوالي»^٤، وعده الدليل على الاركان الاربعة الباقية، يدلُّ بوضوحٍ على أن المراد به هو الحاكم والسائس^٥ والقائد والمدير

١ - الكافي ٢ / ١٨ .

٢ - وهذا المعنى للولاية لا تُنافي الولاية الباطنية، بل تنشأ منها وتواكبها .

٣ - الكافي ٢ / ١٨ .

٤ - والوصف من الولاية، بمعناها الجامع، يجيء على صيغة «الولي»، كما في الآية ٥٥، من سورة المائدة .

٥ - ولقد وُصف اوصياء النبي «ص» بأنهم «ساسة العباد». وجاء فيما شرحه الامام ابو الحسن علي بن

الاجتماعي والمربي الانساني، حيث يدلُّ الناس بالطرق المناسبة - تعليماً وتربيةً وارشاداً وتمهيداً - على اقامة الصلاة واخواتها .
وانما اشرنا الى هذا الموضوع، اشارةً مقتضبةً بهذا الايقاظ، لأن نقول إن الهدف الغائي (من الجهة الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية) لهذه الحكومة والولاية، التي دعا الاسلام اليها بهذه الصورة المؤكدة وعدّها من اهمّ الاركان الخمسة ومقيّمها، إنّما هو تجسيد القسط والقيام به . لأننا نشاهد أنّ القرآن الكريم يقول : «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ..»^١ . ومن هنا نعلمُ بيقين أنّ اوصياء النبي «ص» - وهم اعدال القرآن - يكونون في الرتل المقدّم ممّن يلبّون هذا النداء، بل هم المخاطبون الاصليون به، فهم قوامون بالقسط؛ ولقد وُصفوا في بعض التعاليم ايضاً بهذه المواصفة : «القوامون بالقسط». ويصفُ الامام عليّ بن ابي طالب «ع»، الحكم الاسلاميّ بأنّه حكمٌ لا يوجد فيه عائلٌ ولا محتاجٌ ولا يُظلم فيه مسلمٌ ولا معاهدٌ^٢ . ولا يكون ذلك الا باقامة القسط . ويصفُ الامام الصادق «ع» الامام (الوالي الاسلامي) بأنّه يقوم بالعدل^٣ . ويقول في خطبة له، يذكر فيها حال الائمة «ع» : «... جعلهم الله حياةً للانام ..»^٤ . وكونهم حياةً للانام لا يخصُّ البعض دون الآخرين، فهم اذا كانوا حاكمين يكونون حياةً للقطاعات والجماهير (ويدلّ عليه التعبير بالانام، سوى العمومات الاسلامية والواقع الذي نعقله من الدين الالهي) . ولا تكون حياةً الا باقامة العدل والقسط، كما يقول الامام عليّ بن ابي طالب «ع» :

موسى الرضا «ع»، من مواصفات الامام : «... عالمٌ بالسياسة» - (الكافي ١ / ٢٠٢).

١ - سورة النساء (٤) : ١٣٥ .

٢ - الكافي ٨ / ٣٢ .

٣ - الكافي ١ / ٢٠٤ .

٤ - الكافي ١ / ٢٠٤ .

«العدلُ حياةٌ»^١.

ويقول الامام ابوالحسن عليُّ بنُ موسى الرضا «ع» - فيما وَصَفَ به الامام (من مقالِ ألقاهُ بمدينة مَرُو، في يومِ جمعةٍ، على بعضِ اصحابه، إشعاعاً على طريقِ الحقِّ الخالد، وتبييناً للوصايةِ وآفاقها وأغوارها): «.. وأمرُ الامامةِ من تمامِ الدينِ .. إنَّ الامامةَ أُسُّ الاسلامِ النَّامي، وفرعُه السَّامي؛ بالامامِ تمامُ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والصَّيَامِ والحجِّ والجِهَادِ، وتوفيرُ الفِيءِ والصَّدَقَاتِ، وامضاءُ الحدودِ والاحكامِ، ومنعُ الثُّغُورِ والاطرافِ . الامامُ يُحِلُّ حلالَ الله، وَيُجَرِّمُ حرامَ الله، ويقيمُ حدودَ الله، ويذُبُّ عن دينِ الله .. الامامُ الماءُ العذبُ على الظَّمَا .. والهوالدُ الشَّفِيقُ .. والأمُّ البرَّةُ بالولدِ الصَّغِيرِ ..»^٢.

ومن الواضح، أنَّ من تمامِ الدينِ، إقامةُ القسطِ في الناسِ، لأنَّها غايةُ الغاياتِ الاجتماعيَّةِ لبعثةِ الانبياءِ «ع» - كما صرَّحَ به القرآن - ولأنَّ إقامةَ الصَّلَاةِ وتامَّها واداءَ الزَّكَاةِ والصَّيَامِ والحجِّ والجِهَادِ، وتوفيرِ الفِيءِ والصَّدَقَاتِ .. لا تَتَجَسَّدُ الآ في مجتمعٍ اسلاميٍّ صالحٍ . وهذا المجتمعُ لا يُضَعُّ الآ باقامةِ القسطِ^٣ . وكذلك تحليلُ حلالِ الله وتحريمُ حرامه، لا يواكبُ الحياةَ التَّكاثِريَّةَ والتَّرفِيفَةَ وحضورهما في المجتمعِ، لأنَّهما تضادانِ القسطِ والعدلُ الاقتصاديَّ . فالامامُ هو الحاكمُ المُزيحُ لكلِّ ذلك باقامةِ القسطِ، ويذُبُّ بذلك عن دينِ الله ويكلِّأُ عباده، ويمنعُ من تطرُّقِ الانحلالِ العقيديِّ او العمليِّ الى الجماهيرِ .

وكذلك من الواضح، أنَّ كَوْنَ الامامِ الماءِ العذبِ، يُعْمُ جميعَ الناسِ وابناءهم وبناتهم واطفالهم؛ وكذلك برُّه ورحمته يسعُ الجميعِ .. فهو لا يُقَارُّ

١ - غرر الحكم / ١٥ .

٢ - الكافي / ١ / ١٩٩ - ٢٠٠ .

٣ - راجع: الفصل ٤٧، من الباب ١٢ .

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

على حرمانِ السَّاعِبِينَ وَكِطَّاتِ الظَّالِمِينَ .. وَيَكُونُ الْقَوِيُّ (اي الطَّاغُوتُ
الاقتصاديُّ، المُسْتَكْبِرُ المُتْرَفُ، وَالمُسْرِفُ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَلْبَسُ
وَيَرْكَبُ وَيَسْكُنُ مَالِ الْآخِرِينَ)، عِنْدَهُ ضَعِيفًا حَتَّى يَأْخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ، وَيَكُونُ
الضَّعِيفُ (المسكين، الفقير، المُعَذَّبُ، العامل، الكادح، الزَّارِعُ، الاجير،
اليتيم ومن اليهم)، عِنْدَهُ قَوِيًّا حَتَّى يَأْخُذَ الْحَقَّ لَهُ ..

ففي هذا الضَّوءِ، إِنَّ الْحُكُومَاتِ الَّتِي تُؤَسَّسُ اسْتِنَادًا إِلَى الْوَلَايَةِ
الْإِلَهِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، يَجِبُ عَلَيْهَا - أَوَّلَ مَا يَجِبُ - أَنْ تَعْمَدَ إِلَى إِقَامَةِ الْقِسْطِ
فِي النَّاسِ وَتَطْبِيعِ حَيَاتِهِمْ بِهِ وَسَوْقِهِمْ إِلَى تَبْنِيهِ بِصُورَةٍ فَعْلِيَّةٍ وَاسِعَةٍ
وعميقة، مِنْ غَيْرِ أَيِّ عَذْرٍ، أَوْ فِتْوَرٍ، أَوْ مَدَاهِنَةٍ، أَوْ دَجَلٍ، أَوْ خَوْفٍ، أَوْ تَأْجِيلٍ،
حَتَّى تَظْهَرَ سِمَاتُ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى عُرْصَاتِ الْمَجْتَمَعِ .

وهذا أصلُ رِئِيسِيَّةِ تَحْتَاكِ الْبَشَرِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ إِلَى تَجْسِيدِهَا أَشَدَّ
أَحْتِيَاجٍ، فَيَكُونُ الْقِيَامُ بِهِ سَبَبًا قَوِيًّا لِلتَّعْرِيفِ بِالْإِسْلَامِ عَلَى الْمُسْتَوَى
الْعَالَمِيِّ، كَمَا أَنَّ إِهْمَالَهُ يُصْبِحُ سَبَبًا قَوِيًّا لِدَهَابِ رِيحِ الْإِسْلَامِ وَدَحْضِ
مِرَامِيهِ فِي إِسْعَادِ الْإِنْسَانِ وَأَعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا .
بَلِ الْحَقِيقَةُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ لَا نَفْعَلَ عَنْهَا، هِيَ أَنَّ الْإِهْمَالَ الْمَذْكُورَ، يُؤَدِّي
إِلَى ضَعْفِ مَعْتَقَدَاتِ النَّاسِ وَتَرْكِهِمْ التَّعَبُّدَ وَالْأَعْمَالَ الدِّينِيَّةَ أَحْيَانًا، وَلَوْ
فِي قِطَاعَاتٍ .

وذلك لأنَّهم إذا شاهدوا من الحكم الذي أُقيمَ باسمِ الإسلامِ وَاتَّبَاعِهِ
(وَأَرِيقَتِ الدِّمَاءُ لِتَعْبِيدِ الطُّرُقِ لَهُ، وَاسْتُهْلِكَتْ فِي سَبِيلِ إِرْسَائِهِ أَعْمَارُ
ثَمِينَةٍ وَأَمْوَالٌ لِلأَفْرَادِ أَوْ الشَّعْبِ طَائِلَةٌ)، أمثالَ هذه الأمور:

- لا يهتمُّ بالمسائلِ الرَّئِيسِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ؛

- لا يَخْضَعُ لِنَامُوسِ الْقِسْطِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَلَا يَجِدُ

لتجسيده؛

- لا يَجْنَحُ الى اقدمِ تغييري وحركة جذرية تتجاوز حدَّ الهتاف،
لازاحة الوان الحرمان والمسكنة والجور المعيشي في الجماهير؛
- لا يَقْطَعُ ايدي اولئك المتكاثرين الذين تَتَضَخَّمُ لديهم الثروات يوماً
فيوماً، من امتصاص الناسِ بالوانٍ وصور؛
- لا يُكافِحُ المستكبرين ولا يُنافِحُ حياتهم، حتى يُتاحَ له انقاذ
المستضعفين واسعادهم.

- ولا يَمْنَعُ من نفوذهم في أَجْهَزَتِهِ وفي البرمجة والتقنين ..
نعم، إنَّ الناسَ اذا وَقَفُوا على تلكم الفواحش والفواقر وعرفوها وقاسوا تلكم
المصائب والمصاعب، يَحْسَبُونَ أنَّ الاسلام يُقِرُّ الظلمَ ولا يُؤَكِّدُ على
العدل، بل يُبرِّرُ هذه الامور وما اليها، فيَضْعِفُ عندئذٍ معتقدَهُمُ الديني ..
اذالجماهير تَلْمَسُ - اول ما تَلْمَسُ - القضايا الحياتية والاقتصادية وتَحْسُ
بآثارِ التَضَخُّمِ والعدوانِ الاقتصادي، وتُرَضُّ عِظَامُهُ تحت نيرِ الغلاء ..
وليست لكلِّ الناسِ مُنَّةُ الرَّجوعِ الى القرآن والحديث وما هناك من
تعاليم، حتى يَعْرِفُوا واقِعَ الاسلامِ واحكامه في العدالة والقسطِ ورفضِ
المظالمِ الاقتصادية والمعيشية والفروقِ السَّاحِقة، فيَقْعُوا عند ذلك في
شَبَكَاتِ الانحلالِ العقيدي او الاخلاقي او العملي، ولا سِيَّما الشبابِ
الذين لم تَتَرَسَّخْ الاصولُ الاعتقادية في قلوبهم كلَّ الرُّسوخِ، ولا يَقْدِرُونَ
على ان يَفْصِلُوا الدينَ عن عملِ المدَّعين، او قصورِ الواعين، او تخلفِ
الرَّجعيين، او ضعفِ ومداهنةِ العاملين، او حِيلِ المُنتَمين اليه من طواغيتِ
اهل الدنيا المستكبرين ..

وفي هذه الاحوال، يُصْبِحُ من الواجبِ على كل عالمٍ ضليعٍ في
معرفةِ الاسلامِ بابعاده، واقفٍ على مصدرِيه الاصليين (القرآن والحديث)
بصورةٍ مستوعبة، ولاسيما ما جاء في تعاليمِ العترة الهادية «ع» لتفسير
القرآن وتبيينِ الاسلام، ان يَبُتَّ علمه في الناس، حتى يُحْصِنُوا ضَدَّ

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

الانحلاليين، العقيدِيّ والعملِيّ، ويَحْصَنُ الشَّبَابُ ضَدَّ الارتباكِ في سُركِ
المدارسِ والاتِّجاهاتِ الالْحَادِيَّةِ، او المُضَلَّلَةِ، او المُمَيِّعَةِ، من الشَّرْقِيَّةِ او
الغَرْبِيَّةِ؛ وحتى تَعَلَّمَ الجُمَاهِيرُ أَنَّ الاسلامَ «دينُ الحَيَاةِ»، وَأَنَّ هذا الدِّينَ
هو الَّذِي دعا اليه اللهُ والرَّسُولُ «ص» لَأَن يُحْيِيَ البَشَرِيَّةَ كَافَّةً، وَأَنَّ كُلَّ
وَضَعٍ يُشَاهِدُ مُخَالَفَةً لِتَأْشِيرَاتِ الاسلامِ الاَصْلِيَّةِ، اِنَّمَا وَقَعَ لضعفٍ في
الوَعْيِ او التَّجْسِيدِ، لافي التَّشْرِيعِ او التَّأْشِيرِ، ولعقبَاتٍ تُثَارُ في سبيلِ
التَّطْبِيقِ، لا في اصلِ المنهاجِ المُخَطَّطِ ..

وانما قصدنا بهذا التذكير ايقاظ الضمائر وصيانة المعتقدات وانقاذ
الشباب .. ولا نبوح هنا بخبيثة اسرارنا اكثر من هذا الالمام .. ولا حول
ولا قوة الا بالله ..

إيقاظ هام (٢)

التقنين الاسلامي والقسط

يَتَّضِحُ من الامعانِ في البحثِ السَّالِفِ وما يُمْتُ اليه في كلِّ فصولِ
هذين البابين، أَنَّ القسْطَ واقامته بين الناس، هو قِمْةُ الهَرَمِ في تعاليمِ
الدِّينِ الالهي . ومن اللاّحِبِ أَنَّ القسْطَ انَّمَا يُطَبَّقُ اذا صارَ اصْلاً ومقياساً
للتقنينِ الاسلامي، بل للفقاهةِ الاسلاميَّةِ والافتاء، وَجَرَتِ الاحكامُ عليه
وأصْدِرَتِ الفتاوى لتطبيقه . فالقسْطُ هو المقياسُ الوحيدُ في كلِّ حكمٍ
من الاحكامِ الاسلاميَّةِ، به يُقاسُ ومنه يُسْتَلْهَمُ . والامر في الواقعِ ايضاً
كذلك، حيثُ أَمَرنا القرآنُ بأن نكونَ قوامين بالقسط . والقواميَّةُ بالقسطِ
ليست أمراً هيناً . وكذلك أَمَرنا بان نكونَ شُهَداءَ بالقسط . وكلُّ ذلك لا

١ - وسيأتي الكلام عن اهمية توعية الناس بواقع الدين في الايقاظ «٥»، فلاحظ .

يَتَجَسَّدُ الْإِلَهَ بِأَنْ يُتَّخَذَ الْقِسْطُ مَقْيَاسًا بَاتًا فِي عَامَّةِ أَبْوَابِ الْفِقْهِ وَالتَّقْنِينِ،
وَيُخَضَّعُ بِشَكْلِ لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَلَا بَدَلَ مِنْهُ؛ وَالْأَفْلَانُكَونَ الْبَتَّةَ مِنْ
الْقَوَامِينِ بِالْقِسْطِ، شَهْدَاءَ عَلَى النَّاسِ، بَلْ نُصِبُ مِنْ الَّذِينَ لَا يَقُومُونَ لِلَّهِ
تَعَالَى بِالْقِسْطِ؛ وَهُمْ بِئْسَ الْقَوْمُ - عَلَى حَدِّ قَوْلِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ «ص»، كَمَا
مَرَّ فِي الْمَتْنِ .

إيقاظ هام (٣)

العدل والتوحيد علويان

إِنَّ وَجُوبَ اتِّخَاذِ الْقِسْطِ مَقْيَاسًا رَئِيسِيًّا لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَلَا بَدَلَ مِنْهُ، فِي
الْأُمُورِ وَالْأَتِّجَاهَاتِ وَالْأَحْكَامِ وَالْإِدَارَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْاِقْتِصَادِ عَامَّةً، أَمْرٌ
يَتَأَكَّدُ فِي الْفِقْهِ الْعَلَوِيِّ الْجَعْفَرِيِّ، بِصُورَةٍ جَذْرِيَّةٍ وَحَاسِمَةٍ، لِأَنَّ هَذَا
الْمَذْهَبَ مَذْهَبَ الْعَدْلِ، وَمِنْ هُنَا قَالُوا مِنْ قَدِيمٍ: «التَّوْحِيدُ وَالْعَدْلُ
عَلَوِيَّانٌ...». وَلَقَدْ جَاءَ فِي الْإِدْبِ الْعَلَوِيِّ أَيْضًا:

فَلَا وَاللَّهِ لَا تَزُكُّ صَلَاةٌ
بِغَيْرِ وِلَايَةِ الْعَدْلِ الْإِمَامِ .

إيقاظ هام (٤)

الايمان بالبعض والكفر بالبعض الآخر

الكتاب

١ .. أفتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض^١ ..؟

* نَدَّتِ الْآيَةُ السَّمَاوِيَّةُ بِالتَّبَعِيضِ فِي المَعْتَقِدِ والعمل (اذ
الايان المذكور فيها يشمل العمل ايضاً)، وجعلت جزاء ذلك خِزياً
في الحياة الدنيا واشد العذاب في الحياة الأخرى ..^٢ وذلك لأن
هذا التبعض، يعني الايمان ببعض الكتاب والدين والشريعة
والاحكام والقيام به، والكفر ببعض الآخر واهماله، يساوق
الكفر بالجميع (كما صرح به في سورة النساء)^٣، خصوصاً اذا كان
ذلك البعض جزءاً رئيسياً اساسياً. وائي شيء اهم واشد اساسية في
المجتمع الاسلامي المدعي لاتباع القرآن - بعد التوحيد والصلاة
والولاية - من قيام الناس فيه بالقسط، وادارته بموازن العدل؟
نعم، إن التعاليم الاسلامية - من القرآنية والحديثية - تُرشدنا،
في صراحة وحسم، الى أن التوحيد الصادق والصلاة الصحيحة، لا
يَتَجَسَّدان إلا بإقامة القسط، فما آمن بالله ولا بمحمد «ص»، من
بات شبعان وجاره جائع، ولا صلاة لمن لا يؤدي حقوق ماله ..

إيقاظ هام (٥)

اهمية توعية الناس بواقع الدين

١ - سورة البقرة (٢) : ٨٥.

٢ - نزلت الآية في اليهود، غير أن المغزى عام.

٣ - لاحظ: الآيتين، ١٥٠ و ١٥١.

إِنَّ مِمَّا يُسَبِّبُ تَغْلُغَلَ الدِّينِ فِي النُّفُوسِ، وَحُضُورَهُ فِي الْاَوْسَاطِ، وَبِقَاءِ النَّاسِ عَلَى مَعْتَقَدَاتِهِمُ الْحَقَّةِ، هُوَ اِيْقَافُ النَّاسِ عَلَى وَاقِعِ مَا جَاءَ فِي الدِّينِ، حَوْلَ دَقِيقِ الْحَقِّ وَصَرِيحِ الْعَدْلِ، وَالذَّعْوَةَ الصَّامِدَةَ إِلَى اِقَامَةِ الْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ وَرَفْضِ الْعُدْوَانِ الْمَالِيِّ وَالاسْتِكْبَارِ الْمَعِيشِيِّ، سَوَاءً اَنْجَحَ الْعَامِلُونَ عَلَى تَطْبِيقِهِ فِي الْوَاقِعِ الْقَائِمِ ام لَا .

وهذا من اهم ما يجب على اي عالم نابه، او داعية مخلص في الاتجاه والعمل، او مسلم ملتزم. وذلك لان الناس اذا عرفوا حقائق تعاليم الدين واحكامه، وعلموا ان تجسيد العدل بادق صورته، وشجب الظلم في جميع الوانها، والدفاع عن المحرومين والمُعذَّبين واسترداد حقوقهم، ورفض الاستتار والاستكبار المعيشي، هي من اهم اجزاء الدين الاصلية وغاياته الانسانية والاجتماعية، فعند ذلك لا يرتبِقون في اشراك الضلال ولا يتدهورون في هوات التسيب والفتور، بل يصونون ايمانهم ولا يتملصون عن اعمالهم الدينية، حيث عرفوا كفاية المناهج والمخططات الاسلامية لصنع «الحياة» السالمة العادلة، الزاخرة بالمثل والقيم، الطافحة بالعدل والاحسان، القائمة بالحق والقسط .. ويرون ان زيغ صلات المجتمع الاقتصادية وعدم اسلامية الجو الحياتي وما يوجد فيه منتبهاً عن الاسلام واحكامه، انما جاء ونشاكل ذلك من هنا وهناك .. لامن اصل الاسلام وتعاليمه .

ومما يجب ان نحترز منه اشد الاحتراز، في اعلام الدين وترويجه، هو البيان المعسول لواقع فارغ، فان ذلك يهدم اساس الدين هدماً .

١ - لقد عقد شيخنا الحرُّ العالمي، باباً في كتابه «الفصول المهمة في اصول الانمة - ع -»، بالعنوان التالي: «باب استحباب هداية الناس الى احكام الدين ودفع الشكوك والشبهات عن المؤمنين» / ٧٨، من الطبعة الحجرية. ولعل الموضوع الذي نبحت عنه يعدو حكمه حد الاستحباب، لوجوب حفظ الدين - كما هو واضح .

ايقاظ هام (٦)

القوامية بالقسط واجب من؟

اذا كان القرآن يدعُو الذين آمنوا، بصورة عامة، الى أن يكونوا قوامين بالقسط، شهداء لله .. وَيَجْعَلُ هذه الدَّعوة تَعْمُ الجميع و تَسْتَوْعِبُ الحالاتِ كُلِّها، فماذا يكونُ عندئذٍ واجبُ اهل الخاصَّة والنَّاهيين؟ الجوابُ على هذا السَّؤال معلوم، إِنَّ كونهم قوامين بالقسطِ يَجِبُ عليهم بشكلٍ أَكْثَرٍ وَأَحْسَمٍ ..

ففي هذا الضَّوء، يَجِبُ على علماء الدِّين ورجال الحكمِ الاسلاميِّ الملتزمين، أن يَقوموا بهذا الواجبِ بصورة جذريَّةٍ وجديَّةٍ لا تَقْبَلُ البَدَلَ ولا تَرْضَى بالفتور؛ نعم، عليهم أن يكونوا قوامين بالقسط، غيرَ مُقَارِنين على كِظَاتِ الظَّالِمين وسُغُوبِ المظلومين، حتى يَتَأَسَّى بهم سائر النَّاسِ، فيُصْبِحَ المجتمعُ مجتمعاً قواماً بالقسط، شاهداً لله - تعالى شأنه .

ايقاظ هام (٧)

القرآن، كَلِّه لابعضه

لقد مرَّت في أوَّلِيَّاتِ هذه النَّظرةِ هذه التَّعبيرةُ : «فَقَاهَةٌ قرآنيَّةٌ»، فجئنا للفقاهةِ الاسلاميَّةِ بتلك المواصَفة . والآن نوضِّحُ مرادنا منها، لالْفَاتِ الانظارِ الى امرِ هامٍّ - ربما صارَ مَغْفُولاً - تَنَدِمُجُ هي عليه . وما هو الا التَّأكيدُ على أنَّ «الفَقَاهةَ الاسلاميَّةَ»، اذا شاءت أن تَتَجَاوَزَ الأطْرَ الفرديَّةَ وما يَضاهيها وَيَقْتَرِبُ منها، وتَصْنَعُ المجتمعَ الانسانيَّ العامَّ بجميعِ ابعاده -

بصورةٍ لائقةٍ مُتجاوِبةٍ - وتغلغلَ في الاوساطِ المختلفةِ والجماهيرِ البشريّةِ المتنوّعةِ في مختلفِ المناطقِ والبلادِ والجنسيّاتِ، فعليها أن تستندَ الى كلّ آياتِ القرآنِ (او الاكثريّةِ الغالبةِ منها، بما فيها ما يُحيي النَّاسَ من شتّى المناحيِ البناءةِ للحياةِ الانسانيّةِ) وتجعلها ملحوظةً فيما تستنبطه منها وتُفتي به، تأشيراً، او تأكيداً، او فتحِ افقٍ، او رسمِ خُطّةٍ، او تأسيسِ اصلِ وقاعدةٍ، وما الى ذلك؛ اذ الكتابُ السّماويُّ بكلّه (وبجميعِ اشاراتهِ وقصصهِ و اتجاهاتهِ، وما فيها من الحكمةِ التّجسيديةِ والتّوجيهِ الفرديِّ والاجتماعيِّ، والاخلاقيِّ والاقتصاديِّ، والتنظيميِّ والدّفاعيِّ و..) هدى للنّاسِ، ويهدي للّتي هي أقوم، لا يبعثه المُستبَلُّ منه، المفصولِ من كلّ - في مواضعٍ اصطلاحيةٍ - كآياتِ الاحكاميةِ المصطلحة، التي لا تعدو خمسَ مئةٍ (٥٠٠) آيةٍ، من بين ما يزيدُ على ستّةِ آلافٍ (٦٠٠٠) آيةٍ، اي بنسبةِ الجزءِ الى اثني عشرَ جزءاً بل ثلاثة عشرَ جزءاً^١.

وهذا الاتّجاهُ لتوسيعِ دائرةِ الفقهِ الإسلاميِّ، ولبسطه على جميعِ المسائلِ المستحدثةِ والقضايا الحديثةِ والمتطوّرةِ^٢، دليلٌ على اعتقادٍ عظيمٍ بحقِّ هذا الفقهِ ومصادره الغنيّةِ الغزيرةِ، وعقليةِ الفقهاءِ المسلمين النّاضجةِ وانتباههم الواعي .

ومن اللّاحِبِ لدى النّابهيّن، هو أنّ الفقهَ الإسلاميَّ يجبُ عليه، أن لا تبقى هناك مسألةٌ واحدةٌ (في آفاقِ الحياةِ البشريّةِ، وأواصرِها المستجدّةِ، وصلاتها المتشابكةِ والوسيعَةِ، في كلّ ما تنطوي عليه تلك الحياة)، إلا وله عليها إجابةٌ حاضرةٌ راقيةٌ، تلتجُمُ مع أحوالِ الإنسانِ الحديثِ، وتخضعُ لناموسِ التّجسيدِ هنا وهناك، من غيرِ أيِّ تخلفٍ أو إهمالٍ؛ فإلى الملتقى القرآنيّ :

١ - كما اشرنا اليه في النّظرةِ الى البابِ ٨، الفقرة ٤، فلاحظ الجزءَ الثّاني .

٢ - يعني : «الحوادثُ الواقعة»، في لسانِ «الأخبار» .

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

إِنَّا نُشَاهِدُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُؤَكِّدُ عَلَى قِيَامِ النَّاسِ بِالْقِسْطِ،
بشكلٍ يَسْتَرَعِي الانظار، حَيْثُ يَجْعَلُهُ غَايَةً وَضَعَ الدِّينَ وَتَشْرِيعَهُ وَارْسَالَ
النَّبِيِّينَ وَانزَالَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ .

وكذلك نُشَاهِدُهُ يُنَافِحُ التَّكَاثَرَ وَيُكَافِحُ التَّرَفَ، اشدُّ مُنَافِحَةٍ وَكِفَاحٍ،
وَيُعِدُّهُمَا سَبَبًا لِلْفُسْقِ وَالْفُجُورِ وَالدَّمَارِ وَالسَّقُوطِ .. : «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ
قَرْيَةً، أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا، فَفَسَقُوا فِيهَا، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا»^١.

وكذلك يُجَابِهُ الْإِسْرَافَ وَيُحَارِبُ الْبَذْخَ الْاِسْتِهْلَاقِيَّ، وَيَرَى
المُسْرِفِينَ مِنْ اصْحَابِ النَّارِ،^٢ وَيَجْعَلُ فِرْعَوْنَ مِنْ عِدَائِهِمْ،^٣ وَيُعِدُّهُمْ مِنْ
الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا،^٤ فَسَقَطَ مَجْتَمِعُهُمْ وَحُكْمُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَيُحَذِّرُ
مَنْ قَبُولِهِمْ وَاتِّبَاعِ خُطَّتِهِمْ، وَيَقُولُ بِصَدِيدِهِمْ: «وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ
الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ»^٥. فَيُعَرِّفُ بِهِمْ
بوصفهم «مفسدين في الارض»، لا يَجْنَحُونَ الى صلاحٍ او التزامٍ .

ابعدَ هذا الموقفِ القرآنيِّ الحاسمِ والمُوجِّهِ، في المسائلِ الهامَّةِ
المصيريَّةِ المذكورة، وما وَرَدَ بشأنها من الاحاديثِ والَاخْبَارِ، مِنْ
النَّبِيِّ «ص» والَاوصِيَاءِ «ع»، يَكُونُ عَكْسَ التَّوَقُّعِ او عَكْسَ الْأَنْظِمَةِ
وَالقَوَاعِدِ، أَنْ نُطَالِبَ الْفَقَاهَةَ الْاِسْلَامِيَّةَ - الْعَزِيْزَةَ، الْحَكِيْمَةَ، الْمُلْتَزِمَةَ - بِأَنْ
لَا تُهْمَلَ الدَّاهِيَتَيْنِ (التَّكَاثَرَ وَالْفَقْرَ وَمَا يَسْتَتْبِعَانِهِ مِنَ التَّرَفِ وَالْعُدْمِ)، فِي
كُتُبِهَا وَابْوَابِهَا، تَخْلِيصًا لِلْأُمَّةِ مِنْ اَضْرَارِهِمَا السَّاحِقَةِ، وَأَنْ تَزِيدَ عَلَى
كُتُبِهَا:

- كِتَابًا خَاصًّا بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ (الْعَدَالَةِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ

١ - سورة الإسراء (١٧) : ١٦.

٢ - سورة غافر (٤٠) : ٤٣.

٣ - سورة يونس (١٠) : ٨٣؛ سورة الدخان (٤٤) : ٣١.

٤ - سورة الانبياء (٢١) : ٩.

٥ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٥١ - ١٥٢.

والمعيشية) واحكامهما وطُرق اقامتهما، اذ «العدل حياة»^١، فلاحياة فعلية للدين والمجتمع بدون العدل؛ وهو «رأس الايمان»^٢، و«قوام للانام»^٣، و«الرعية لا يصلحها الا العدل»^٤. و

- كتاباً خاصاً بالتكاثر والاراف، لا ستفراغ الوسع واستيفاء البحث عنهما فيه، ورفضهما بصورة قاطعة قرآنية، وحكمية لا اخلاقية، اذ لا يصنع المجتمع - بما فيه من النفوس الكثيرة والمختلفة في الطبائع والنزعات - بمجرد الحكم الاخلاقي، فإن هناك افراداً كثيرين وخصوصاً في الاغنياء المترفين والمُسرفين، من لا يخضع للوعظ ولا يركن الى العمل الخُلقي؛ ولذلك أنزل الله الحديد، وجاءت في الشريعة الحدود والقصاص، وقالوا: «لا يُقيمُ الناس الا السيف»^٥، نعم، لا يُتاح كبح جماح النفوس المترفة الطاغية وردّها الى حدّها وحقّها الا بالقوة والقانون والتجسيد. و

- كتاباً خاصاً باستيفاء حقوق الجماهير المُعذبة، و المُمتصة، والمُستغلة، والمضطهدة، والمسلوبة الحقوق، والمسروقة الارزاق، والمرضوخة العظام، و المهذورة الكرامات .. واخراجها من حلقوم الاثرياء المستكبرين، المنغمسين في الوان الترف والسرف والبذخ والرفاه والنعيم، كأنّ الدنيا خلقت لهم ولا لغيرهم؛ حتى يتسنى بذلك تجسيد القسط القرآني في واقع حياة الناس. ولا سبيل الى ذلك الا بالافتاء والحكم والقوة والحديد. ولقد سلكت الفقاهاة هذه السبيل في كتاب الحدود والقصاص (ولكم في القصاص حياة)^٦، فلتسلكها في سبيل احقاق حقوق المظلومين والمحرومين، اذ في احقاق الحق ايضاً

١ و ٢ و ٣ و ٤ - راجع: الفصل ٤٦ و ٤٧، من الباب ١٢.

٥ - الوسائل ١١ / ٥، من حديث النبي «ص».

٦ - سورة البقرة (٢): ١٧٩.

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

حياة، كما يقول مولانا امير المؤمنين «ع»: «العدل حياة».
ففي هذا الضوء، فلتكن الموضوعات الحياتية الهامة المذكورة
متمتعة ايضاً، من الحسب الفقهي الذي نعهده في الحدود والقصاص، حتى
تطبق غاية الدين السماوي الحنيف.

اجل، فنحن كلما جننا بهذه المواصفة (القرآنية، القرآني)، انما
نقصد بها ايقاظ البصائر وحملها على الاستلham من آيات القرآن كلها - ما
تيسر الاستلham - والاستيحاء التام مما جاء فيه من بينات من الهدى
والفرقان.

ونحن على يقين، من أن القيام بهذا العبء، يعني زيادة كتب
المذكورات على الكتب الفقهية الموجودة، امرٌ صعبٌ باهظ، حيث
يتطلب عملاً توروباً وإكباباً مستمراً ومثابرةً جبارة، من الرجوع الى الآيات
والاحاديث وجمعها واستيعابها، ثم تدوينها وتنسيقها على نضد فقهي
رصين، وإعمال القواعد الاجتهادية فيها، من الفقهية والاصولية اللفظية
والعملية والرجالية واللغوية وما اليها من الدراسة والفحص والتحقيق
والعرض، غير أن هذا واجب هامٌ باقٍ على الارض، لم تمدد اليه يد
الفقهاء لحد الآن - على صورةٍ جديدة - ولا يسد فراغه أي شيء، ولا يخفى
ضررُ خلو فقهننا من الاجتهاد في هذه الموضوعات وما يتصل بها على
النابهن. ويشتد وضوح هذا الضرر العظيم ويشتد، لكل حكم او مجتمع
او تقنين يتبنى الاسلامية ويرى نفسه منتمياً الى الاسلام.^٢
فعلى هذا، هل يسع الفقهاء النابهن ان يدعوا هذا الجانب فارغاً،

١ - ولعل هذين البابين، من كتاب «الحياة»، قد خطيا خطوة في هذا السبيل، فيكونا عوناً
للقاصدين.

٢ - وهناك كلام عن هذا الموضوع، وابواب وكتب اخرى اشرنا اليها، في النظرة الى الفصل ٢٥، من
هذا الباب، فراجعها ايضاً، حتى تكتمل الدراسة نسبياً

ويشتغلوا بتأليف دوراتٍ في الفقه، بصورةٍ مكرّرة - من نقلِ الآراءِ والاستدلالات - وبشكلٍ تقليديٍّ مصبوبٍ في قالبِ الاجتهاد، مع وجود عشرات من الكتبِ الفقهيةِ المطوّلةِ والمتوسّطةِ والمختصرةِ، التّحقيقيةِ او التّتبعيةِ .. من التي ألفت بيد اكابرِ الفقهاء ولم تدع حاجةً الى تأليفِ دورةٍ جديدةٍ على الاسلوبِ المعهود .

وإذا كان هناك فقيهٌ ضليع، يرى أنّ له بعضَ آراءٍ او تحقيقاً له اهميةٌ التّسجيلِ والانتشار، فعليه ان يكتبها في كراسٍ او رسالة، لتطبع وتصل الى ايدي الطّالبيين، ويتحفّظ باوقاته واوراقِ المشتغلين واموالِ المسلمين عن البسطِ الزائدِ والعملِ المكرّر .

وعلى امثالِ هذا الفقيه، ان يتوفّر بدوره على سدّ هذا الفراغ، بكتابةِ فصولٍ ومقالاتٍ ورسائل، في تلکم الموضوعاتِ الحيةِ الحياتيةِ التي تحتاج اليها الأمةُ الاسلاميّةُ، احتياجها الى امسّ شيءٍ ببقائها وعزّها وسلامةِ صلاتها ونجاةِ شبابها ..

وانّ العاملَ على تجسيدِ هذه الغايةِ الاسلاميّةِ، لا يرجعُ الاّ ناجحاً، بفضلِ غنى الفقهِ الاسلاميِّ و غزارةِ مصادره، وما يمدُّ به العاملون الصّادقون من التّوفيق .

ولنا أملٌ وطيد، في ان يقومَ بهذه المهمةِ المصيريةِ وانجازها، ذوو الهمةِ القعساءِ، والعقلِ الواعي، والغيرةِ الدّينيةِ، والحنانِ الانسانيِّ، والافقِ المُتفتحِ، والرّساليةِ النّابهةِ، من شبابِ علماءِ الحوزاتِ العلميّةِ وطلابِ الفقهِ الاسلاميِّ النّاشطين، ان شاء الله تعالى .

ايقاظ هامّ (٨)

النّضال ضدّ الجوع

الكتاب

- ١ .. فَكُلُوا مِنْهَا، وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ *^١
- ٢ .. فَكُلُوا مِنْهَا، وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ .. *^٢
- ٣ او اِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * او مَسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ *^٣
- ٤ .. وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ .. *^٤
- ٥ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ، فَكَفَّارَتُهُ اِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ، مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ .. *^٥
- ٦ .. فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامِ سِتِّينَ مَسْكِيناً .. *^٦
- ٧ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِيناً وَيَتِيماً وَاسِيراً *^٧
- ٨ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ *^٨
- ٩ وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ *^٩
- ١٠ مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ؟ * قَالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ * وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ *^{١٠}

هذه عدّة من الآيات السّماويّة، ذات ألوانٍ من التّعبير، تَسْتَحِثُّ النَّاسَ على مكَافَحةِ الجوعِ بالنّسبةِ الى الوضعِ القائمِ البتّة، لا الوضعِ

١ و ٢ - سورة الحج (٢٢) : ٢٨ و ٣٦.

٣ - سورة البلد (٩٠) : ١٤ - ١٦.

٤ - سورة البقرة (٢) : ١٨٤.

٥ - سورة المائدة (٥) : ٨٩.

٦ - سورة المجادلة (٥٨) : ٤.

٧ - سورة الانسان (٧٦) : ٨.

٨ - سورة الحاقة (٦٩) : ٣٦؛ سورة الماعون (١٠٧) : ٣.

٩ - سورة الفجر (٨٩) : ١٨.

١٠ - سورة المدثر (٧٤) : ٤٢ - ٤٤.

المطلوب .^١ أضف إليها آياتٍ جاءت بصددِ الزكاةِ والانفاقِ، من الوافرِ الكثيرِ .

والذي يُهمُّ الباحثَ هنا، هو أن يعيَّ أن القرآنَ كيف يهتمُّ بمشكلةِ الجوعِ الانسانيةِ، ويدعوُ الى كِفاحِها في صُلبِ بلاغهِ المبينِ واتجاههِ المُحيي، ويجعلُها غرضاً من اغراضهِ التَّغييريةِ البناءةِ .

الحديث

- ١ النبي «ص»: ليس بمؤمنٍ من باتَ شبعانَ وجارهُ جائعاً^٢.
- ٢ النبي «ص»: من افضلِ الاعمالِ عندالله، اِبْرَادُ الاكبادِ^٣ الحارّة، وِاشْبَاعُ الاكبادِ^٤ الجائعة . والذي نفسُ محمّدٍ بيده، لا يُؤمنُ بي عبدٌ يبيتُ شَبْعانَ واخوه (او قال : جارهُ) المسلمُ جائع^٥.
- ٣ النبي «ص»: إِنَّ أَهْوَنَ اهلِ النَّارِ عذاباً، ابنُ جَدْعان . فقيل : يا رسولَ الله! وما بالُ ابنِ جَدْعانِ أَهْوَنَ اهلِ النَّارِ عذاباً؟ قال : إِنَّه كانَ يُطْعَمُ الطَّعامَ^٦.
- ٤ النبي «ص» - أَخَذَ رَجُلٌ بِلِجَامِ دَابَّةِ رَسولِ اللهِ «ص» فقال : يا رسولَ الله! ايُّ الاعمالِ افضلُ؟ فقال : اطْعَامُ الطَّعامِ، وِاطْيَابُ الكلامِ^٧.

١ - لانّ في الوضعِ المطلوبِ، الَّذي يَهْدَفُ اليه الإسلامُ، لا يُوجَدُ جائع .

٢ - مكارم الاخلاق / ١٥٧ .

٣ و ٤ - جاء في المصدر «الكباد» في الموضعين، وهو من سهو النَّاسخين .

٥ - سفينة البحار ١ / ١٩٦ .

٦ و ٧ - سفينة البحار ٢ / ٨٣ - ٨٤ .

٥ الامام علي «ع» - فيما كتبه الى قثم بن العباس، وهو عامله على مكة : ..
وانظُرْ الى ما اجتمع عندك من مالِ اللهِ فاصْرِفْهُ الى مَنْ قبلك، من ذوي
العِيالِ والمَجاعة، مصيباً به مواضعِ الفاقةِ والخَلاتِ . وما فضلَ عن ذلك
فاحمِلْهُ اليْنا لنُقْسِمَهُ فيمن قبَلنا .^١

٦ الامام الحسين «ع» : .. تكونُ الصَّنيعَةُ مثلَ وابلِ المطرِ، تُصيبُ البرَّ
والفاجر .^٢

٧ الامام السجاد «ع» : من اطعمَ مؤمناً من جوعٍ ، اطعمه الله من ثمارِ الجنة ..^٣

٨ الامام الصادق «ع» : اَكَلَةٌ يَأْكُلُهَا اخي المسلمُ عندي، احبُّ اليَّ من انْ اعْتِقَ
رقبة .^٤

٩ الامام الصادق «ع» - من وصاياه للثقة الجليل، عبدالله بن جندب الكوفي :
يا ابن جندب! قال الله جلَّ وعزَّ في بعضِ ما اوحى : «انما اقبلُ الصَّلَاةَ
ممن يتواضع لعظمتي، ويكفُّ نفسه عن الشهواتِ من اجلي، ويقطعُ نهاره
بذكرِي، ولا يتعظَّمُ على خلقي، ويطعمُ الجائع، ويكسو العاري، ويرحمُ
المُصاب، ويؤوي الغريب؛ فذلك يشرقُ نوره مثلَ الشمس، اجعلُ له في
الظلمةِ نوراً».^٥

جعَلَ اللهُ - تبارك وتعالى - في هذا الكلامِ الَّذي نقلَهُ الامامُ
الصّادق «ع»، «اطعامُ الجائع» من شروطِ قبولِ الصَّلَاة، فلاحظْ الاهميّة.

١ - نهج البلاغة / ١٠٦٢ - ١٠٦٣؛ عبده ٣ / ١٤٠.

٢ - تحف العقول / ١٧٦ . ومن اللاّحِب أن اطعامَ الجائع من افضلِ مصاديق «الصَّنيعَة».

٣ و ٤ - الكافي ٣ / ٢٨٨ و ٢٩٠.

٥ - تحف العقول / ٢٢٦ .

١٠ الامام الصادق «ع»: من أطعم ثلاثة من المسلمين، غفر الله له.^١

إن مشكلة الجوع والنضال ضدها، موضوع مهم جداً، في تاريخ الانسان المحروم، غير أنه من المؤسف أن المفكرين والمصلحين لم يهتموا بها في مستوى مناسب.^٢ أما الاسلام، فقد عمداً اليها واستهدف اجتثاث جذورها من أقدم أيامه؛ يوم سلب الايمان عن بات شعبان وجاره جانعاً،^٣ ووسّع حدّ الجوار الى «اربعين داراً» من «اربعة جوانب»، وقال عن اهل قرية يبيت فيهم جائع: «لا ينظر الله اليهم يوم القيامة»^٤.

وكان اولياء الاسلام يحملون الارزاق بشخصهم الى بيوت الجائعين، فيطعمونهم ويشبعونهم. ولعلنا لا نحتاج هنا الى ذكر نماذج لهذا الموضوع، حيث إن كثيراً من التعاليم الاسلامية - القرآنية والحديثية - في المؤاساة والانفاق وما الى ذلك، يستهدف - فيما يستهدف - سدّ خلّات المعدمين وإشباع بطون الجائعين. وفصول هذين البابين مشحونة بذكرها.

والفقه الاسلامي ايضاً قد اتخذ بالنسبة الى المسألة موقفاً حاسماً، حيث أفتى الفقهاء هكذا: «لو وجد طعام الغير، فإن كان صاحبه مضطراً فهو اولى. ولو كان يخاف الاضطرار فالمضطّر اولى. فإن لم يكن له ثمن وجب على المالك بذله. فإن منعه، غصبه. فإن دفعه جاز قتل المالك في الدفع...»^٥

١ - سفينة البحار ٢ / ٨٣؛ راجع ايضاً: الاحاديث التي مرّت في الفصل ٤٧، وفصول أخرى تناسب الموضوع.

٢ - لقد اقدم احد الانسانيين النابهين على طرح المسألة بالتحقيق والكتابة، في الخمسين سنة الاخيرة تقريباً. وهو مشكور على اقدامه.

٣ - راجع: الفصل ٤٧، من هذا الباب.

٤ - الكافي ٢ / ٦٦٨.

٥ - المبسوط ٦ / ٢٨٦؛ راجع لعدة اخرى من المصادر: الفصل ٤٤، من هذا الباب، النظرة اليه.

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

ولقد انعكس موضوعنا على الادب الاسلامي الشيعي ايضا: بصورة
لائقة، فلقد قال شاعرُها شميّات، الكميّتُ بنُ زيدِ الاسديّ (-م:
١٢٦ هـ.ق)، في العينيّة منها، هذه القولة الرّنانة:

فقلّ لبني أُميّة حيث حلّوا
وإن خفت المهند والقطيعة:

أجاع الله من أشبعتموه
وأشبع من بجوركم أجيعة

فهو بهذا الاسلوب الجسور المغري، يطرح مسألة الجوع، ويضع
الاصبع على المسؤولين الاصليين في زمانه، ويومي الى أن جوع الجائعين
تابع لشبع المشبعين والمتخومين . ويوقظ الافكار حتى تكون المسألة
عالقةً بذاكرة المجتمع لطلب التغيير لها وازاحتها عن حياة المضطهدين .
ويقول ايضا في القصيدة:

بمريضٍ السياسة هاشميّ
يكون حيا لأمته ربيعا

وليثا في المشاهد غير نكس
لتقويم البرية مستطيعا

يقيم أمورها ويذب عنها
ويترك جذبها أبدا مريعا

فَيرى الحاكم الإسلامي الحق، حياً للامة ومطراً يُحيي الأرض والناس،
ورببها يغدودق أمطاره فتوفر الخصب والأرزاق، ومقتدراً يستطيع تقويم
البرية عامة، واقامة أمورها والذب عنها، ولا يدعها محتاجة جائعة مُجدبة،
بل يجعل جذبها مريعاً خصيباً أبداً، حتى لا يبقى أثر من الجوع والحاجة
والإملاق .

ونجد دُعيل الخزاعي (- م: ٢٤٦ هـ . ق)، يقول في «التائبة»:

هُمُ أَهْلُ مِيرَاثِ النَّبِيِّ إِذَا اعْتَزَوْا
وَهُمْ خَيْرُ سَادَاتٍ وَخَيْرُ حُمَاةٍ

مطاعيم في الأعسار في كل مشهد
لقد شرفوا بالفضل والبركات^١

وقبلهما نجد الفرزدق^٢ يقول في «الميمية الخالدة» (التي مدح بها
الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجاد «ع»، إشادة بذكر الحق
وأهله، ودعماً لأسس الفضيلة والعدل، تجاه جبايرة الشام وطواغيت
الأمويين):

حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا فِدْحُوا
حُلُو الشَّمَائِلِ تَحَلُّو عِنْدَهُ نَعْمُ

عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَاَنْقَشَعَتْ
عِنَّا الْعِمَايَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعُدْمُ

١ - الغدير ٢ / ٣٥٧؛ البحار ٤٩ / ٢٤٤ - ٢٥١ .

٢ - وهو أبو فراس همام بن غالب بن صغصعة التميمي (م - ١١٠ هـ . ق) .

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

فیری أن إمامَ المسلمین وزعیمهم، هو الذي یحیلُ أثقالَ المفدوحین
ویتحملُها، ویمدُّهم بما یحتاجون الیه لکیلا تجدَ الحاجةُ فی حیاتهم مسلکاً؛
ویعمُّ الجماهیرَ بالإحسانِ لکیلا یبهظهم الإملاقُ والعُدْمُ، ولا تمدَّ إلیهم
العمایةُ والضلالُ آیةً ید.

ولا یتعدُّ عن الشاعرِ القديم، من عاش فی هذا القرنِ الاخیر، فیقول
عبدُ المهديّ مطرُ الخفاجیُّ :

ما سرّه أن یرى الدنیا له ذهبٌ
وفی البلادِ قلوبٌ شفّها السَّغبُ

ولا تضجُّ أكبادُ مُفتتةً
حتی یدوبَ علیها قلبه الحدبُ

إن یسقطِ الدَّمعُ من عینی مؤلّهةً
أجابها الدَّمعُ من عینی ینسكبُ

تهفو حشاهُ لآناتِ الیتیم بلا
أمُّ تناغی، ولا یحنو علیه أبُ

لا تکتسی وفتاةُ الحی عاریةً
ولا تعبٌ ومهزومُ الحشا سغبُ

ولعلَّ الفقاہةَ الاسلامیةَ المعاصرةَ ایضاً، تُحسُّ مسؤولیةً عمیقَةً
بالنسبةً الی مشكلةِ الجوعِ والنضالِ ضدها، لکیلا تتخلفَ عما قام به
الاسلامُ فی قرآنه وحديثه، وادبه وفقهه .

تنبيهات هامّة

١ - إشباع الجائعين، اصلٌ وتعميم (١): يُرشدُ نادلائلُ هامّة على حملِ الاخبارِ الواردةِ بصددِ اشباعِ الجائعين على العموم، وان ذُكرَ في كثيرٍ منها المؤمنُ او المسلمُ والمسلمون. وإليك الاشارة الى عدّة من الدلائل :

- العموماتِ القرآنيّةِ الواردةِ بصددِ العدلِ والاحسانِ والقسطِ والقيامِ به .

- العموماتِ الواردةِ بصددِ النهيِ عن الظلمِ والاعتداء .

- ما وَرَدَ عن النبيِّ «ص» في الحثِّ على الاحسانِ الى الناسِ عامّة .

- قولِ النبيِّ «ص»: «ما من مسلمٍ يَغْرِسُ غَرْساً او يَزْرَعُ زرعاً، فيأْكُلُ منه انسانٌ او طيرٌ او بهيمةٌ، الا كانت له به صدقة»^١.

- ما وَرَدَ عن اميرِ المؤمنين «ع» في تعميمِ البرِّ والاحسان .

- كلامه في أنّ «لكلّ ذي رمقٍ قوت»^٢.

- كلامه في العهدِ الأشترِيِّ في لزومِ حبِّ الناسِ عامّة وإشعارِ القلبِ الرَّحمةَ لهم؛ وتعليقه ذلك بقوله: «إمّا أخٌ لك في الدين، او نظيرٌ لك في الخلق»^٣.

- حديثه بصددِ الرّجلِ النّصرانيِّ وتموينه^٤.

- كلامِ الامامِ ابي عبدِاللهِ الحسين «ع»: «تكون الصّنيعةُ مثلَ وابلِ المطر، تُصيبُ البرَّ والفاجر»^٥.

١ - المستدرک ٢ / ٥٠١.

٢ - الكافي ٨ / ٢٣.

٣ - نهج البلاغة / ٩٩٣؛ عبده ٣ / ٩٣.

٤ - الوسائل ١١ / ٤٩.

٥ - تحف العقول / ١٧٦.

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

- اطلاق الحديث القدسي، المنقول عن الامام الصادق «ع».
- كلام الامام الصادق «ع» «الناس سواء كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ»^١.
- كلامه في احتياج الناس طرّاً الى الامن والعدل والخصب^٢.
- كلامه في تعميم الاحسان والانصاف^٣.
- حديثه مع المعلّى بن خنيس^٤.
- الملاك المذكور في كلام الامام ابي الحسن عليّ بن موسى الرضا «ع»: «مه! إِنَّ الرَّبَّ - تبارك وتعالى - واحد، وَالْأَبَ واحد، وَالْأُمَّ واحدة..»^٥

٢- اشباع الجائعين، اصل وتعميم (٢): لقد ورد في الدعاء: «اللَّهُمَّ! اشْبِعْ كُلَّ جَائِعٍ». ومن الواضح أَنَّ اشباع الجائعين لا يَقَعُ من الله بانزال الموائد من السماء، لَأَنَّ الدَّارَ دَارُ الاسباب. فهو يَقَعُ بايدي المطعمين، بتوفير الله وبركته في النعم. وعموم «كُلَّ جَائِعٍ» واضح. فالغاية التي تَسْتَهْدِفُهَا الاسلام للمجتمع الانساني، هو اشباع كُلِّ جَائِعٍ يَعِيشُ في الارض، بحيث لا يُصْبِحُ ولا يُمسي فيها بطنٌ جائع.

٣- اشباع الجائعين، صوراً فاضلة: قد يكتسب هذا العمل البار فضيلة رابيةً لجهاتٍ تُوجَدُ هناك، كإطعام المؤمن الجائع، او العالم، او الطالب، او المرابط ومن اليهم، مَن يَنْفَعُونَ المجتمع بامكانياتهم الروحية او المادية، او يكون إطعامهم وتخليصهم من مخالب الجوع وآلامه ودُّلَّهُ سبباً لتعزيز الحق واهله - كما سنشير اليه.

١ و ٢ و ٣ - تحف العقول / ٢٧١ و ٢٣٦ و ٢٣٥.

٤ - الوسائل / ٦ / ٢٧٨.

٥ - الكافي / ٨ / ٢٣٠.

٤ - اشباع الجائعين ودوره في تحكيم الصلات الاجتماعية: إن دعوة الجائعين الى موائد الطعام واجلاسهم على السُّمط لان يأكلوا ويشبعوا، يستتبع تأكّد الصلات بين افراد المجتمع، وتوفّرهم على اللقاء الأخوي، والاطلاع على احوال الآخرين، والاقتراب منهم والتأنس بهم، ممّا تتوشّح به الصلات، وتتهذّب به النفوس، وتتألف به القلوب، وتقلع عنها جذور التّسامي والكبر. ولذلك ورد في التعاليم:

الحديث

- ١ النبي «ص»: الطّعام اذا جمَعَ اربع خصالٍ فقد تمّ. اذا كان من حلالٍ؛ وكثرت الأيدي عليه؛ وسُمّي الله - تبارك وتعالى - في أوّله؛ وحمد في آخره.^١
- ٢ النبي «ص»: كلّوا جميعاً ولا تفرّقوا، فإنّ البركة مع الجماعة.^٢
- ٣ النبي «ص» - في بيان المقصود من «الكنود» في «سورة العاديات»: اتدرون من الكنود؟ قالوا: الله ورسوله اعلم. قال: الكنود، الذي يأكل وحده، ويمنع رّفده، ويضرب عبده.^٣
- ٤ الامام علي «ع»: اكثر الطّعام بركة، ما كثرت عليه الأيدي.^٤
- ٥ الامام علي «ع»: اذا وُضع الطّعام وجاء السائل، فلا تردّه.^٥

١ و ٢ - سفينة البحار ٢ / ٨٣.

٣ - مجمع البيان ١٠ / ٥٣٠.

٤ و ٥ - سفينة البحار ١ / ٢٥.

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

٥ - إشباع الجائعين ودوره في صيانة الكيان السياسي: من اللائح أن الكيان السياسي لأي بلد او مدرسة او دين او نظام، لا يتأخ بقاؤه وصيانته، إلا اذا كان اصحابه مستولين على الامر بشكل مُعترف به، قادرين على ادارة الناس بصورة صالحة؛ وذلك لا يمكن إلا اذا كان الناس كلهم ملتفتين حول القاعدة الرئيسية لذلك الكيان، غير محرومين من حقوقهم، غير محتاجين الى اللجوء الى غيرها في امورهم وحياتهم .
ففي هذا الضوء، إن حضور الجوع في افراد، هو الذي يشتت الناس ويغرس في نفوسهم روح اليأس، ويلجئ الجائعين الى الالتحاق الى هنا وهناك سداً لحاجة ضرورية كالجوع . وكفى بذلك زعزعة لتلك القاعدة الرئيسية، وسقوطاً للجائعين .
وهنا تعليم عظيم هام ورد عن الامام الصادق «ع»، نضعه تجاه باصرة القارئ :

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: لَأَطْعَمُ مُؤْمِنٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَتَقِ عَشْرٍ رِقَابٍ وَعَشْرٍ حَجَجٍ . قال (نصر بن قابوس، راوي الحديث) : قلت : عَشْرَ رِقَابٍ وَعَشْرَ حَجَجٍ؟ قال : فقال : يا نصر! إن لم تُطعموه مات، او تَدُلُونَهُ فَيَجِيءُ إِلَى نَاصِبٍ فَيَسْأَلُهُ . والموتُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ مَسْأَلَةِ نَاصِبٍ . يا نصر! مَنْ أَحْيَا مُؤْمِنًا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا .. ١

٦- اشباع الجائعين، الواجب الكبير .. : تتجلى من التعاليم الاسلامية المذكور بعضها، ان ايصال الغذاء الى الشعوب التي يسحقها الجوع يصبح من اهم التكاليف التي تقع على عاتق المسلمين . وذلك لان عادية الجوع ربما تجتر تلك الشعوب الى الركون الى اراض المعسكرين الغاشمين، الغربي والشرقي .
وذلك الركون يؤدي بالمسلمة منها الى الوهن في المعتقد والعمل، وبغير المسلمة الى الاقتراب الساحق منهما - كما هو واضح . فالمسلمون وعلمائهم واغنيائهم يجب ان لا يكونوا غافلين او متغافلين عن هذا الواجب العظيم .

٧- اشباع الجائعين ودوره في بناء الانسان الخلقى : لا يستريب اي عاقل في ان اهتمام الانسان بامور الآخرين وعدم صبره على معاناتهم الأذى والحاجة ولا سيما الجوع، يحكي عن انسانية قوية وحس مرهف والتزام ديني . واذا اردف الانسان ذلك الحس الانساني والالتزام الديني بالاقدام والعمل على سد حاجة المحتاج وجوعه الجائع، فقد اعان على :

- تشحيذ ملكات نفسه الانسانية ؛

- بلورة اخلاقه الفاضلة ؛

- تحكيم معتقده التوحيدي؛ حيث لا يخاف الاقلال حينما يأكل الآخرون طعامه، اتكالا على الله رازق الكل ورب العالمين ؛

- اسداء خدمة اقتصادية و.. الى المجتمع فيما امكنه من اشباع

جائع او جائعين ؛

- صيانة الجياع المطعمين عن السقوط والتميع .

ولذلك قد حثت التعاليم على الأكل مع الجائعين وعلى أن لا يأكل الانسان وحده، بل يؤاكل السائرين :

الحديث

١ الامام علي «ع» - من وصاياه لكميل بن زياد النخعي: يا كميل! .. آكلِ الطَّعامَ ولا تبخلْ عليه، فَإِنَّكَ لَنْ تَرزُقَ النَّاسَ شيئاً، واللَّهُ يُجزِلُ لك الثَّوابَ بذلك .^١

٨ - اشباع الجائعين ودوره في الكيان الديني: لقد اوردنا عن النبي الهادي «ص» قوله: «.. فلولا الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا ادينا فرائض ربنا». وقوله: «.. ان الخبز مبارك، ارسل الله عز وجل له السماء مدرارا، وله انبت الله المرعى، وبه صليتم، وبه صمتم، وبه حججتم بيت ربكم». ^٢ وكل ذلك يدل - سوى العقل والتجربة الموضوعية - على ان اقامة عمود الدين - الصلاة - وباقي الفرائض والشرائع، انما تتوقف على عدم الجوع باصابة المادة الغذائية . فلا كيان للدين في الجائعين، كما انه لا كيان له في المتخومين والشباع الذين يبست حولهم وفي جوارهم - بل وفي مصرهم - جياع .

٩ - اشباع الجائعين واطعام الآخرين، مكارم واداب: هناك آداب كريمة يجب ان يراعيها كل من يروم ان ينفق على الجائعين ويطعم الآخرين :

الحديث

١ - تحف العقول / ١١٩ . -

٢ - الكافي ٥ / ٧٣ و ٦ / ٢٨٧ .

٣ - الكافي ٦ / ٣٠٣ .

- ١ الامام علي «ع»: أَحْسِنُ عَلَيْهِ خُلُقَكَ، وَأَبْسُطْ جَلِيسَكَ، وَلَا تَتَّهَمُ خَادِمَكَ ١.
- ٢ الامام علي «ع»: يَا كُمَيْلُ! إِذَا أَكَلْتَ فَطَوَّلْ أَكْلَكَ، لِيَسْتَوْفِيَ مِن مَعَكَ، وَيُرْزَقَ مِنْهُ غَيْرُكَ ٢.
- ٣ الامام علي «ع»: يَا كُمَيْلُ! إِذَا اسْتَوْفَيْتَ طَعَامَكَ، فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى مَا رَزَقَكَ، وَارْفَعْ بِذَلِكَ صَوْتَكَ يَحْمَدُهُ سِوَاكَ فَيَعْظُمُ اجْرُكَ .
يَا كُمَيْلُ! لَا تُوقِرَنَّ مِعْدَتَكَ طَعَامًا، وَدَعْ فِيهَا لِلْمَاءِ مَوْضِعًا وَلِلرَّيْحِ مَجَالًا . وَلَا تَرْفَعْ يَدَكَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ؛ فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَانْتَ تَسْتَمِرُّهُ، فَإِنَّ صِحَّةَ الْجِسْمِ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ وَقِلَّةِ الْمَاءِ ٣.

١٠ - اشباع الجائعين، تجسيد مستوعب: من اللازم أن نلفت الانظار في ختام هذه التنبهات الى امر هام - ديني و اخلاقي واجتماعي وتربوي واقتصادي - وهو أن اطعام الجائعين لا يُراد به الى الغاية ان يكون باشكال فردية او مرحلية محدودة، كاطعام هذا الجائع او ذاك، او في هذا اليوم او ذاك، او الاكتفاء باعطائه خبزهِ اليومي، وما الى ذلك .. بل يجب أن يُوجدوا لذلك المقصد المجتمعي الكبير، موارد رئيسية ومستوعبة وبرامج تجسدية ذات مواد مختلفة وشاملة، ومواكبة للموازن الاقتصادية العامة، حتى تُزاح ظاهرة «الجوع»، من عرصات الحياة .

١ - تحف العقول / ١١٩؛ و ١٧٢، من طبعة الغفاري . وفي بعض النسخ: «ولا تنهرن خادمك» - وهو الانسب .

٢ و ٣ - تحف العقول / ١٢٠؛ و ١٧٢، من طبعة الغفاري .

الفصل التاسع والأربعون

مضادة التكاثر والفقير للقسط الاسلامي

الكتاب

- ١ لقد أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ، لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ..^١

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: وما أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ، أَنْ لَا يُقَارُوا عَلَى كِظَّةٍ ظَالِمٍ وَلَا سَغْبٍ مَظْلُومٍ..^٢
- ٢ الامام الكاظم «ع»: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً مِنْ صِنُوفِ الْأَمْوَالِ إِلَّا وَقَدْ قَسَمَهُ وَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ وَالْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ،

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٢ - نهج البلاغة / ٥٢ : عبده ١ / ٣٢.

وكلُّ صنفٍ من صنوفِ النَّاسِ . فقال : لو عُدِلَ في النَّاسِ لَأَسْتَغْنَوْا .
ثم قال : إِنَّ العَدْلَ أَحْلَى من العسل ، ولا يَعْدِلُ إِلَّا مَنْ يُحَسِّنُ العَدْلَ .^١

نظرة الى الفصل

لا حاجة بنا الى ان نُكثِرَ في هذا الفصل من ايراد الآيات والاحاديث، بصورة مبسطة، بعدما مضى ويأتي في غضون الفصول. ومن الجلي ان القسط امر لا يقوم الناس به عفواً، من غير حركةٍ تغييريةٍ وايجاد تربةٍ سالحةٍ له، فلا يجد في مجتمع يسوده التكاثر ويفشو في اجوائه الفقر سبيلاً الى التجسيد. ولا فرق في الفقر بين ما يكون منه معلناً وما يكون غير معلن - وكل ذلك واضح. فالخطوة الاولى لاقامة القسط في الناس، هي ازالة ما نعيه الكبيرين، وهما التكاثر والفقر. ففي ضوء هذا الموضوع - وما اوضحناه في فصول هذين البابين - يتبلور ان مضادة التكاثر والفقر للقسط الاسلامي امرٌ جوهريٌّ جذريٌّ، لا امرٌ عرضيٌّ سطحيٌّ.

ان الدين الذي يدعو الى:

- ١ - ان المال مال الله.
- ٢ - ان الاموال ودائع وعوارٍ.
- ٣ - ان الاموال قوامٌ وقيامٌ.
- ٤ - ان التصرفات في الاموال محدودة (امتلاكاً واستهلاكاً).
- ٥ - ان بقاء المجتمع بالمال، اذا كان بيد المختصين والملتزمين.
- ٦ - ان فناء المجتمع من المال، اذا كان بيد غير المختصين والملتزمين.
- ٧ - ان الدراهم والدنانير مصححة لشؤون الخلق.
- ٨ - ان الفقر سبيله سبيل التسبب بالكفر.
- ٩ - ان السلطات المالية والاسترقاق الاقتصادي مرفوضة.

- ١٠ - أَنَّ الاموالَ يَجِبُ أَنْ لَا تَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الاغنياءِ ..
 - ١١ - أَنَّ الْمُؤْنَ المَادِّيَّةَ لَهَا دَوْرٌ اِساسِيٌّ فِي اِقَامَةِ الدِّينِ، بِاِغْناءِ اهلِ الحَاجَةِ والمَحْرُومينِ .
 - ١٢ - أَنَّ الصَّلَاةَ والصَّوْمَ والحَجَّ والجِهَادَ والفرائضَ كُلَّها، لَا تُقَامُ وَلَا تُؤَدَّى الا بِالخُبْرِ (الغذاء).
 - ١٣ - أَنَّ الجُوعَ يَجِبُ ان يُناضَلَ ضَدَّه فِيزاح .
 - ١٤ - أَنَّ الطَّاعُوتَ الاقتصاديَّةَ يُشجَبُ، وَأَنَّ قارُونَ القومِ يَجِبُ أَنْ يُحارَبَ كما يُحارَبُ فرعونُهُم .
 - ١٥ - أَنَّ انفاقَ المالِ الفاضلِ اصلٌ .
 - ١٦ - أَنَّ الإِترافَ والاسرافَ مرفُوضانِ .
 - ١٧ - أَنَّ الرِّبَا والاكْتِنازَ مردودانِ .
 - ١٨ - أَنَّ التَّقْدِيرَ فِي المَعيشَةِ اصلٌ .
 - ١٩ - أَنَّ الكُلَّ مُهَيَّأً لِكُلِّ .
 - ٢٠ - أَنَّ المُواساةَ اصلٌ .
 - ٢١ - أَنَّ المِساواةَ مَبْدَأُ .
 - ٢٢ - أَنَّ مِستوى عِيشِ الجِماهيرِ، مِستوى مُوحَّدٌ او مُتقارِبٌ .
 - ٢٣ - أَنَّ الفُقراءَ شُرَكَاءُ فِي طِيبِ اِموالِ الاغنياءِ .
 - ٢٤ - أَنَّ الأُخُوَّةَ الدِّينِيَّةَ لَهَا واقِعٌ اِقتصاديٌّ، وَأَنَّها لَا تَتَحَقَّقُ الا بِتَجسِيدِها فِي الصَّلَاتِ المَعيشِيَّةِ والاِقتصاديَّةِ .
 - ٢٥ - أَنَّ المِجْتَمَعَ لَا يُصْلِحُهُ الا العَدْلُ .^١
- وما الى ذلك .. نَعَم ، إِنَّ هِذا الدِّينَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ ائِةً مِلائِمَةً بَيْنَ نِظامِهِ المِاليِّ (القِسطِ)، وَبَيْنَ فُشُوِّ التَّكاثُرِ فِي فِئَةِ والمِسْكِنَةِ والفُقَرِ فِي

١ - لَقَدْ مَرَّتْ عَدَّةٌ صالِحَةٌ مِنْ آياتِ واحادِيثِ هِذهِ المِواضِعِ، فِي الفِصولِ الماضِيَةِ، وَتاتِي عَدَّةٌ صالِحَةٌ أُخْرى مِنْها، فِي الفِصلِ الباقِي مِنْ هِذا البابِ، وَفِصولِ البابِ الثَّانِي عِشرِ .

نظرة الى الفصل التاسع والاربعين ..

فئات . وقِسْ على ما اشرنا اليه، تلك التّعاليم التي جاءت فيه بصددِ شجبِ التّكاثر، في الفصول التي عقّدها لذلك (من الفصل الثامن الى الثاني والعشرين، من هذا الباب)، والتي جاءت بصددِ رفضِ الفقر، في الفصول التي عقّدها لذلك المقصد (من الفصل الثلاثين الى التاسع والثلاثين، من هذا الباب).

تنبیه

من الواجب على أي باحثٍ نابه، أن لا يذهب عليه اصلا ن هأمان جاء ا في التعلیم الكاظمي (الحديث ٢)، ألا وهما :

١ - مضادة العدل للفقر، حيث قال: «لو عدل في الناس لآستغنوا». وهذا ما مرّت الاشارة اليه سابقاً.

٢ - صلة العدل بتجسيده الصحيح الحاسم، حيث قال: «ولا يعدل الا من يحسن العدل».

توضیحان

١ - جاءت في عدّة من الآيات والاحاديث كلمتا «الفقراء» و«المساكين»، وربما يظنّ الظانّون أنّ هذا تبرير لوجود الفقر والمسكنة في المجتمع الاسلامي، مع أنّ الواقع ليس كذلك - كما اشرنا اليه فيما مرّ - لأنّ هذه الكلمات وامثالها ترمي الى الواقع القائم، بما فيه الفقراء والمساكين، لا الواقع الاسلامي المطلوب، فلاحظ . ولذلك يصف الامام عليّ «ع» الحكم الاسلامي الصحيح، بأنّه لا يوجد فيه فقير ولا عائل -

كما اشرنا اليه فيما سلف ايضاً .

٢- أن ما جاء في التعليم الكاظمي، من أنه: «لا يعدل إلا من يحسن العدل»، يُشير الى اهمية المتصدّين لاجراء العدالة الاجتماعية وكيفية معرفتهم بالعدل وتلقّيهم عنه وحسّهم في تجسيده، فإن كل ذلك من الاسباب الرئيسية لقيام العدل في الناس وقيام الناس بالعدل . نعم، لا يعدل إلا من يحسن العدل، ولا يجسّد العدالة إلا من يعرفها جيداً ويُقيّمها حاسماً معتقداً، من غير ايّ تزلزلٍ او انحياز .

تذييل هام

تفسير الطبقات بمقياس التعاليم الاسلامية، وفي الانظمة التكاثرية .

إن معنى الطبقيّة والطبقات يَخْتَلِفُ في المجتمع الانساني السّالم، والمجتمع التكاثري الزائف . وبصورة كلية يوجد نوعان من الطبقيّة في المجتمعات الانسانية :

١ - الطبقيّة الاقتصادية، حيث يُقسَمُ الناسُ بها الى طبقات، على اساس الامتلاك وعدمه، وبمقدار المال الذي يتكدّس لديهم، فينقسمون، بصورة عامّة، الى طبقتين :

(١) - مستكبر ومتكاثر .

(٢) - مستضعف وفقير .

وهذا القسم من الطبقيّة يختصُّ النظم التكاثرية والرأسمالية .

٢- الطبقيّة المهنية (الصنفيّة)، حيث يُقسَمُ الناسُ بها الى صنوفٍ . والاختلاف بين الناس في هذا القسم إنما ينشأ من اختلاف المهن

نظرة الى الفصل التاسع والاربعين ..

والاشغالِ ولونِ العملِ الَّذِي يَتَصَدَّى له الانسان، لامن الثروةِ والمالِ .
وهذا القسمُ الاخيرُ من الطبقيَّةِ يَقُومُ على ثلاثة اصول :

(١) - اختلافُ مواهبِ النَّاسِ واستعداداتهم واختيارهم المِهَنَ
المختلفة، الَّذِي يُوجِبُ ان تَنَوَّعَ الحِرَفُ والمِهَنُ والاشغالُ الاجتماعية،
التي يَتَصَدُّون لها، بصورةٍ طبيعيَّة .

(٢) - الحوائجُ والضروراتُ المتنوعة، اذ المجتمعُ الانسانيُّ يَحْتَاجُ
الى ألوانٍ من الحِرَفِ والمِهَنِ والصناعاتِ المختلفة، من التي لا يَمْضِي امرُ
المجتمعِ بدونها ولا يَقُومُ الا بها .

(٣) - رعايةُ اصلِ «التقارب» في الاستهلاكِ المعيشيِّ، لجميعِ اصحابِ
المِهَنِ والاشغالِ المختلفة وعائلاتهم، من غيرِ ان يكونَ المقياسُ مقدارَ
دُخولهم.

١- تفسير الطبقيَّة في مفهومها الاسلامي

انَّ الواقعَ الَّذِي أَشْرنا اليه، يعني انقسامَ المجتمعِ الى طبقاتٍ
بحسبِ المِهَنِ والاشغالِ، هو المفهومُ الصَّحيحُ للطبقيَّة . وهو الَّذِي يَقْضُهُ
الامام عليُّ «ع» في كلامه : «وَاعْلَم ! أَنَّ الرعيَّةَ طبقات، لا يَصْلَحُ بعضها
الا ببعضٍ ، ولا غنى ببعضها عن بعضٍ : فمنها جنودُ الله، ومنها كُتَّابُ
العامةِ والخاصة، ومنها قضاةُ العدل، ومنها عمالُ الانصافِ والرَّفق،
ومنها اهلُ الجزيةِ والخراجِ من اهلِ الذِّمَّةِ ومُسلمَةِ النَّاسِ، ومنها التُّجارُ
واهلُ الصناعاتِ، ومنها الطبقةُ السُّفلى من ذوي الحاجة ..»^١

وهذا التعبيرُ الَّذِي جاء في كلامه «ع» : «لا يَصْلَحُ بعضها الا
ببعضٍ»، يُؤكِّد على ضرورةِ وجودِ الطبقاتِ المختلفةِ الشُّغليَّةِ في

١ - نهج البلاغة / ١٠٠٢ - ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ٩٩ - ١٠٠ .

المجتمع، كما أُشير الى هذا الموضوع في احاديث أُخرى، منها قولُ الامامِ الصادق «ع»: «النَّاسُ لَا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ»^١. ولقد أَوْضَحَ الامامُ عليُّ «ع»، تلك الصَّلَةَ الضَّرُورِيَّةَ بَيْنَ الاصْنَافِ والطَّبَقَاتِ الاجتماعيَّةِ - بالمعنى الَّذِي قُلناه - في مقاطعٍ أُخرى من كلامه حيث يَقولُ: «فَالجُنُودُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزِينُ الْوَلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ، وَليْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ»^٢. فَيُبَيِّنُ بِذَلِكَ، الصَّلَةَ الضَّرُورِيَّةَ وَالْحَاجَةَ الْقَوَامِيَّةَ الَّتِي تُوجَدُ بَيْنَ المَجْتَمَعِ وَالْقُوَّةِ الدَّفَاعِيَّةِ. وَإِنَّ هَذِهِ التَّعَابِيرَ: «حُصُونُ الرَّعِيَّةِ»، «زِينُ الْوَلَاةِ»، «عِزُّ الدِّينِ» وَ«سُبُلُ الْأَمْنِ»، يُومِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى فِلْسَفَةِ تِلْكَ الصَّلَةِ وَقَوَامِيَّتِهَا وَضُرُورَةَ تِلْكَ الْحَاجَةِ وَاهْمِيَّتِهَا. ثُمَّ يَقُولُ «ع»: «لَا قَوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ...»^٣، فَيُشِيرُ إِلَى حَاجَةِ الْجُنْدِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ إِلَى النَّاسِ، إِذَا الْجُنْدُ وَاهِلُهُ يَحْتَاجُونَ فِي مَعِيشَتِهِمْ إِلَى «الْخَرَاجِ الَّذِي يَقَوُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ»^٤. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ «ع»: «ثُمَّ لَا قَوَامَ لَهُذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّلَاثِ، مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَالِ وَالْكِتَابِ»^٥. وَفِي هَذَا المَقْطَعِ مِنْ كَلَامِهِ يُعَبَّرُ بِالصَّنْفِ وَالصَّنَفَيْنِ، مِمَّا يُوضِحُ بِجَلَاءٍ أَنَّ المَقْصُودَ بِالطَّبَقَاتِ، هِيَ الطَّبَقَاتُ الصَّنْفِيَّةُ وَالشُّغْلِيَّةُ وَأَصْحَابُ المِهَنِ المَخْتَلِفَةِ، وَمَا يَجْرِي فِيهِمْ مِنَ الْحَاجَاتِ وَالصَّلَاتِ المُتَشَابِكَةِ. فَهَذَا التَّعْلِيمُ العَلَوِيُّ يُفَسِّرُ الآيَةَ الْقُرْآنِيَّةَ الَّتِي تَقُولُ: «وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا...»^٦، حَيْثُ يَتَّضِحُ بِذَلِكَ أَنَّ «رَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ»، وَ«اتَّخَذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا

١ - الوسائل ٨ / ٣٩٩.

٢ و ٣ - نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠.

٤ و ٥ - نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠.

٦ - سورة الزخرف (٤٣): ٣٢.

نظرة الى الفصل التاسع والاربعين ..

سُخْرِيًّا»، لا يَكُونُ إِلَّا بِحَسَبِ الْأَشْغَالِ وَالْمِهَنِ الاجتماعيةِ وَالْحَوَائِجِ
الانسانيةِ، التي هي من الضَّرُورِيِّ لِتَشْكِيلِ المَجْتَمَعِ وَبِنَائِهِ وَقِوَامِهِ
وَتَنْظِيمِ أُمُورِهِ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى اسَاسِ حُدُودِ مَشْرُوعَةٍ جَدًّا، لَا
عَلَى اسَاسِ اسْتِغْلَالِيٍّ وَطَبَقِيٍّ بِمَعْنَاهُمَا الزَّائِفِ .

وَالصَّنْفَانِ الْمَذْكُورَانِ (يعني الجند واهل الخراج)، يَحْتَاجَانِ إِلَى
صِنْفٍ ثَالِثٍ «مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَالِ وَالْكَتَّابِ»، لِمَاذَا؟ «لِمَا يُحْكَمُونَ (يعني
القُضَاةُ) مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ (يعني الْعُمَالُ) مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ
(يعني الْكُتَّابُ) مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا». ^١ تَمَّ يَقُولُ: «وَلَا قِوَامَ لَهُمْ
جَمِيعًا إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاقِبِهِمْ،
وَيُقِيمُونَ مِنْ اسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفُقِ بِأَيْدِيهِمْ مِمَّا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ
غَيْرِهِمْ» ^٢ .

إِنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ: «لِقِوَامِ لَهُمْ»، يُؤَكِّدُ أَسْلَ الْحَاجَةِ الْمَتَشَابِكَةِ بَيْنَ
الصُّنُوفِ الاجتماعيةِ وَطَبَقَاتِهَا المِهْنِيَّةِ - كَمَا مَرَّ. وَإِنَّ قَوْلَهُ: «لِقِوَامِ لَهُمْ
جَمِيعًا إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ»، يُبَيِّنُ الْحَاجَةَ الاجتماعيةَ الهَامَّةَ فِي
حَيَاةِ كُلِّ صِنْفٍ وَفَرْدٍ، إِلَى نِظَامِي الْإِنْتِاجِ وَالتَّوْزِيعِ. وَهَذَا الْمَوْضُوعُ يَرْمِي
إِلَى دَعْمِ أَمْرَيْنِ:

(١) - اصَالَةُ الْاِقْتِصَادِ وَاهْمِيَّتُهُ ^٣.

(٢) - ضَرُورَةُ تَأْسِيسِ نِظَامِ اِقْتِصَادِيٍّ سَالِمٍ.

وَالنِّظَامُ الْاِقْتِصَادِيُّ السَّالِمُ - فِي حَقْلِي الْإِنْتِاجِ وَالتَّوْزِيعِ - هُوَ الَّذِي
يَعْمَلُ لِقِوَامِ المَجْتَمَعِ وَحَيَاتِهِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، لَا الَّذِي يَسْحَقُ قِوَامَهُ وَيُدْمِرُ
حَيَاتَهُ الْاِقْتِصَادِيَّةَ. وَبَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ يُشِيرُ الْاِمَامُ عَلِيٌّ «ع» إِلَى عَجْزَةِ
المَجْتَمَعِ وَضُعْفَانِهِ، فَيَقُولُ: «ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنَ اِهْلِ الْحَاجَةِ

١ و ٢ - نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠.

٣ - راجع: الفصل ٤٤، من هذا الباب.

والمسكنة، الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ ..». وليس المقصودُ بهذه الطبقة طبقةً مستضعفةً محرومةً محكومةً كثيرة العدد، قد أوجدها النظام الاقتصادي والاجتماعي الزائف، وفرض عليها الفقر والحرمان بالامتصاص والتكاثر، لا، إذ الطبقة بهذا المعنى لا يعرفها الاسلام ولا يعترف بها. ولأن نسلط الضوء على هذا الموضوع أكثر من ذي قبل، نُشيرُ الى مطلبين :

١ - أن الامام «ع» في هذا العهد - ولا سيما في أولياته - يتصدى للتعريف بطبيعة المجتمع الانساني ورسوم واقعه الطبيعي. ويبيّن بهذا الصدد الصنوف والطبقات التي توجد في المجتمع بصورة طبيعية، قبل أن يتصبغ بلون اقتصادي او تنظيمي خاص .

٢ - أن التقسيم الذي يتصدى الامام لبيانه، ناظرٌ الى الأشغال المختلفة والى اصل التنوع في الاقسام الاجتماعية، مما ينبع بالضرورة من القُدرو المواهب الانسانية المختلفة. ومن الواضح أن المجتمع من هذه الجهة ينقسم الى قسمين :

(١) - قسم ذو استعدادٍ وقدرةٍ على العمل والاستفادة من الادوات، مع ما فيه من الاختلاف في درجات هذه القدرة والاستفادة .

(٢) - قسمٌ فاقدٌ للاستعداد المذكور او القدرة المذكورة، لما فيه من نقصٍ بدنيٍّ او روعيٍّ، او عجزٍ او مرضٍ او عاهةٍ او احتمالٍ صدمةٍ وامثال ذلك. ومن الواضح أن هذه الطبقة قليلة العدد جداً، وأن حرمانها مسببٌ عما ذكرَ لاعن فرض الفقر والحرمان عليها بسبب اقتصادٍ استغلاليٍّ تفرضه الظروف غير الانسانية وغير الاسلامية. وهذا القسم قد اشار اليه الامام ابوالحسن عليُّ بن موسى الرضا «ع» في كلامه في تعليقه الزكاة: «.. لَانَّ اللّٰهَ كَلَّفَ اَهْلَ الصَّحَّةِ الْقِيَامَ بِشَأْنِ اَهْلِ الزَّمَانَةِ

والبلوى ..»^١.

فهذه التعاليم تُفيدُ أنّ في المجتمعِ افراداً كثيرين سالمين برآء من النقصِ والعاها، قادرين على العملِ والمِهنةِ في ألوانها .. وافراداً قليلين معلولين ومصدومين من الذين فقدوا السّلامةَ البدنيّةَ او الرّوحيّةَ . فأينَ هذه الطّبقيةُ المشار اليها في كلامِ الامامين، عليّ بنِ ابي طالب «ع» و عليّ بنِ موسى الرضا «ع»، من الطّبقاتِ البائسةِ والفقيرةِ الكثيرةِ والجماهيرِ المحرومةِ التي يخلُقها التّكاثرُ والاستغلالُ ويفرضُ حضورها في المجتمعات، باغتصابِ حقوقها وارزاقها .

ولقد تصدّى الامام عليّ «ع» لبيانِ مقصوده من «الطبقة السفلى» بقوله : «ثم الله! الله! في الطبقة السفلى، من الذين لا حيلة لهم، من المساكينِ والمحتاجينِ واهلِ البؤسى والزّمنى ..»^٢. ومن البين ان الطبقة بهذا المعنى والعدد، تُوجدُ في جميعِ المجتمعاتِ بصورةٍ طبيعيّةٍ - الغابرةِ منها والحاضرة - وسببُ وجودِ هذا النوعِ من الافرادِ قد ذُكرَ في كلامِ الامامِ في قوله : «لا حيلة لهم»، يعني اهلَ العاهةِ او المرضِ او النقصِ الطّبيعيِّ ممّا جعلَهُم غيرَ قادرين على التّصدّي للامور، وامتهانِ الحرفِ، وكسبِ المالِ^٣. وفي منطِقِ الاسلامِ يَجِبُ ان تُعاضدَ تلكَ الطبقةُ باداءِ

١ - عيون اخبار الرضا ٢ / ٨٩.

٢ - نهج البلاغة / ١٠١٩؛ عبده ٣ / ١١١.

٣ - وللإمام علي «ع» كلامٌ آخرٌ يبيّنُ مقصوده من «الطبقة السفلى» بوضوح، ويُدلُّ على أنّه المأمُ بالموضوعيّةِ في المجتمعات، بقدرها وحدودها، لا اقراراً لتلك الطبقة المشوومة التي أوجدها ظلمُ الظّالمين وذنوبُ الموسرين . واليك كلامُ الامامِ عليّ «ع»، في بيانِ اسبابِ معاشِ الخلقِ : «وأما وجهُ الصّدقاتِ فإنّما هي لأقوامٍ ليس لهم في الإمارة نصيبٌ، ولا في العِمارة حظٌّ، ولا في التّجارة مالٌ، ولا في الإجارة معرفةٌ وقدرة، ففرضَ الله في أموالِ الأغنياء ما يُقوتُهُم ويُقومُ به أوْدُهُم» - (الوسائل ٦ / ١٤٦).

وكذلك يُفهمُ معنى الطبقة في مفهومها الاسلامي، من تعاليم اخرى، منها ما اوردناه عن الامام ابي الحسن الرضا «ع»، في تعليلِ «الزّكاة»، حيث يُفصّدُ بالطبقة السفلى هؤلاءِ وامثالهم،

مالها من الحقوق المعينة المختلفة، ثم بتطبيق اصلِ المؤاساة والأخوة الإسلامية، والقيام بالتعاهد الإسلامي العام والتعاون والتوازن والعدل والاحسان، وأن يُعَدَّ لها جميع ما تحتاج إليه، حتى تخرج من كونها سُفلى الى مستوى معيشي يقترب من سائر المستويات المعيشية، كما جاء في كلام الامامين، ابي عبدالله جعفر الصادق «ع»^١، و ابي الحسن علي بن موسى الرضا «ع»^٢. وبهذا المنهاج ترتقي هذه الطبقة ايضاً الى مستويات تقرب من سائر القطاعات. ولقد اشرنا الى أن الفقر الناتج من الجهات المذكورة، في العجزة واهل العاهات، مما يستند الى العوامل الطبيعية، امرٌ محدود بالضرورة، ولا ربط له بالفقر الواسع المفروض المنتج من النظام التكاثري والرأسمالي، الذي يعم الجماهير.

ولأن نؤكد المفهوم الإسلامي عن الطبقة ونزيد الموضوع المبحوث عنه ايضاً نقول: إن صلات الطبقات في المجتمع السالم صلات حياتية وقوامية، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، كما مر في كلام الامام علي «ع». وفي ذلك المجتمع قد شغل كل طبقة موضعها اللائق بها، لتمرير امر الناس وحياتهم، وكل طبقة تكمل الطبقات الأخرى. فهذه الطبقة غيرها في المصطلح الحديث، الذي يقوم على الامتلاك ومقداره، او المسكنة والحرمان. والخلاصة أن الطبقات (الصنوف) في المجتمع السالم الطبيعي تكون على هذه الخصال:

١ - لا يصلح بعضها إلا ببعض.

وهذا يضاد الطبقة في المجتمع التكاثري، حيث يفسد بعضها

لا جماهير وجماهير من الناس يفرض عليها الفقر والحرمان، بسبب المظالم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية - كما مر.

١ - راجع: الفصل ٢٧، من الباب ١٢، فقرة «ج».

٢ - راجع: الفصل ٤٠، من الباب ١٢، فقرة «و».

نظرة الى الفصل التاسع والاربعين ..

البعض . ولقد مرَّ تفصيلُ الكلام في الفصولِ السَّالفةِ ذاتِ الارتباطِ
بالموضوع .

٢ - لاغنى ببعضها عن بعض .

وهذا ايضاً يُّضادُّ الطَّبَقِيَّةَ التَّكاثِرِيَّةَ، لِأَنَّ الطَّبَقَةَ المتكاثرةَ لا حاجةَ
بالمجتمعِ اليها، بل هي تَضُرُّ بالمجتمعِ وتَهْدِمُ سعادته ورُشدَه .

٣ - لا قوامَ لها جميعاً الاّ بها .

وهذا ايضاً يُّضادُّ الطَّبَقِيَّةَ التَّكاثِرِيَّةَ، اذ الطَّبَقَةُ المتكاثرةُ سببٌ لشجبِ
القوامِ الاجتماعيِّ لا لِذَعْمِهِ .

وجاء في كلامِ الامامِ عليٍّ «ع» قوله : «وفي الله لكلِّ سَعَةٌ»^١ . وهذا
يُفهِمُ أَنَّ كُلَّ فَرْدٍ من افرادِ المجتمعِ له سَعَةٌ معيشية . وقال «ع» : «ولكلِّ
على الوالي حقٌّ بقدرِ ما يُّصْلِحُه» . وهذا التَّأشيرُ يَنْفي الطَّبَقِيَّةَ التي تُقِرُّ
حضورَ المحرومين في المجتمعِ ويرْفُضُها، ويَدُلُّ على واجبِ الحكمِ
تجاهَ المحرومين والمساكين، من تَأْمِينِ عيشِ كَفافيِّ قواميِّ لهم بقدرِ ما
يُّصْلِحُهُمْ لا بصورةٍ زهيدة . فواجبُ الحكمِ الاسلاميِّ أَنْ يَنْظُمَ الصَّلَاتِ
الاقتصاديَّةَ ويَدْعَمَها على اصولِ اساسيةٍ تَسْتَبِعُ لكلِّ الناسِ حياةً
سالمةً كافية، على حَسَبِ ما يُّصْلِحُهُمْ كَمَا وكيفاً . وقبل ذلك يَجِبُ على
الفقاهةِ الاسلاميَّةِ أَنْ تَهْتَمَّ بحياةِ الناسِ الاقتصاديَّةِ بصورةٍ حاسمة، وَأَنْ
تَصُبَّ فتاواها مَصَبَّ اِحياءِ الناسِ جميعاً، حتى يَقومَ بتجسيدها الحكم .

٢- تفسير الطَّبَقِيَّةِ في مفهومها التَّكاثِرِيَّ

لقد مرَّتِ الاشارةُ الى مفهومِ الطَّبَقِيَّةِ، في المصطلحِ التَّكاثِرِيَّ
والرَّأسماليِّ، ممَّا يَقومُ على اساسِ الامتلاكِ وعدمه والاكثرِ من المالِ

١ - نهج البلاغة / ١٠٠٣ : عبده ٣ / ١٠١ .

والإقلال منه . وكما أن الطبقة بمفهومها الإسلامي، ما هي إلا أمر طبيعي وعامل لقوام المجتمع وسبب لتفتحه ورشده - إذا تجسدت بصورة بريئة من أي لونٍ من ألوان الامتصاص والاستغلال - فإن الطبقة بالمفهوم التكاثري ليست الا ظاهرة تُهدد كيان المجتمع الانساني وتعمل على تلاشي ابعاضه وقطاعاته وتضعيف الصلات الانسانية فيه، وتدور حول محور الفرض والاستغلال والاحافة والسلطة والجور وايجاد الحاجة والحرمان في الناس .

ولعل الامام المعلم، علي بن الحسين السجاد «ع»، قد اشار الى هذا النوع من الطبقة وابعاضها في حديث رواه زرارة بن أوفى . وهذا الحديث أوردهنا قبل ذلك، غير اننا نوردُه هنا تجلية للموقف ولأن نقوم بشرحه ايضاً :

الحديث

١ الامام السجاد «ع» : يا زرارة! الناس في زماننا على ست طبقات : أسد وذئب وتعلب وكلب وخنزير وشاة . فأما الاسد فملوك الدنيا، يحب كل واحد منهم أن يغلب ولا يغلب . وأما الذئب فتجاركم، يذمون إذا اشتروا ويمدحون اذا باعوا . وأما الثعلب، فهؤلاء الذين يأكلون بأديانهم، ولا يكون في قلوبهم ما يصفون بالسنتهم . وأما الكلب، (ف) يهر على الناس بلسانه، ويكرمه الناس من شر لسانه . وأما الخنزير، فهؤلاء المخشون واشباههم، لا يدعون الى فاحشة الا اجابوا . وأما الشاة، فالذين تجر شعورهم ويؤكل لحومهم ويكسر عظمهم، فكيف تصنع الشاة بين اسد

وذئبٍ وثعلبٍ وكلبٍ وخنزيرٍ؟^١.

هذا التعلیم الانساني السّامي، يُصوّرُ أماننا - بصورةٍ رمزيّةٍ - نَمَعِ التّكاثريّ الرّأسماليّ الآكلَ للضعفاء، الَّذي تُسَيِّطِرُ عليه صِلاتُ الآكلِ والمأكولِ الاقتصاديّة. وإنّ تعبيره «ع»: «في زماننا»، يُشيرُ الى عصره الَّذي قد غَمَرَه تيارُ الظلمِ والجورِ والفجورِ والتزويرِ والاضطهاد. وهذا يَشْمَلُ كُلَّ المجتمعاتِ والازمنةِ الّتي تُسودُها الصّلاتُ الفاسدةُ والعلاقاتُ الجائرةُ الاستغلاليّة، وتَدورُ على محورِ طلبِ المالِ الكثيرِ والتّكالبِ عليه، حينما يَتَّبِعُ متكاثرُها المالِ (المالُ يعسوبُ الفُجّارِ)^٢، ويَصْدِفُونِ عن اتِّباعِ دُعاةِ الحقِّ والانسانيّةِ والعدلِ (أنا يعسوبُ المؤمنين)^٣. فعلى هذا، تكونُ خصائصُ المجمعاتِ الفاسدةِ والصّالحةِ، في العصورِ المختلفةِ، متشابهةً ومتقاربةً، وإن كانت صُورُها وازمنتها متفاوتة. فد «زماننا» في كلامه «ع» يَشْمَلُ كُلَّ زمانٍ تكونُ سِماتُه سِماتَ زمانِه. واليك شرحاً وجيزاً بصدِّ الحديث :

قد قَسِمَ المجتمعُ في هذا الحديثِ الى حاكمٍ ومحكومٍ اقتصاديين (آكلٍ ومأكول). القسمُ الأوّلُ له خُمسُ شَعْبٍ، والقسمُ الثّاني له شعبةٌ واحدة (الشّاةُ في التّعبيرِ الرّمزيّ). والاستغلالُ يَقَعُ في صِلاتِ هاتين الطّائفتين، كما جاءَ في حديثٍ آخر: «يَأْكُلُ عزيزُها ذليلُها، وكبيرُها صغيرُها»^٤. والمظهرُ الاصليّ للمجتمعِ على مفهومِ هذا الحديث، هو الذّئبُ والشّاةُ، اللّذان يُعبّرُ عنهما في المصطلّحاتِ الحديثةِ بـ:

- الرّأسماليين (١) - الكادحين (٢).

١ - البحار ٦٧ / ٢٢٥ - ٢٢٦؛ راجع أيضاً: «الخصال» ١ / ٣٣٩، من طبعةِ الفقاريّ.

٢ و ٣ - نهج البلاغة / ١٢٣٦؛ عبده ٣ / ٢٢٩.

٤ - تحف العقول / ٥٧، من حديثِ الامامِ عليّ «ع».

وفي التعبيرات الإسلامية بـ :

- | | |
|-----------------------|----------------------------|
| - المستكبرين (١) | - المستضعفين (٢). |
| - المتكاثرين (١) | - المقتصدین (٢). |
| - المُتَرَفِينَ (١) | - المحرومين (٢). |
| - المياسير (١) | - المحاويج (٢). |
| - اولي النعمة (١) | - اهل الحاجة والمسكنة (٢). |
| - الاغنياء (١) | - الفقراء (٢). |
| - المملأ (١) | - الناس (٢). |
| - القوي (١) | - الضعيف (٢). |
| - الآكل (١) | - المأكول (٢). |
| - الطواغيت (١) | - المؤمنین (٢). |
| - الذئب (١) | - الشاة (٢). |
| - السادة والكبراء (١) | - الأتباع والضعفاء (٢). |

ومن الواضح، أن استمرار الحياة الآكلية والمأكولة في الطبقتين، يحتاج الى دعم نظام سياسي مُستغَلٌّ ومُستَبَدٌّ. ولتحقيق هذا النظام وتشبيد اركانه تمس الحاجة الى الاقسام الاربعة الأخرى المذكورة، التي يعمل كل منها عمله، فيحتاج استقرار الامر واستمراره الى :

١- النظام الطاغوتي السياسي، بماله من القوة والسلطة (أما الأسد فملوك الدنيا). وهذا النظام هو الدعامة الاصلية للاستغلال والاستكبار (يُحِبُّ كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَغْلِبَ وَلَا يُغْلَبَ).

٢- أجهزة التزوير وتخدير الضمائر والإعلام المموه، التي تلعب اهم الادوار لابقاء نظام الاستغلال والصلات الآكلية والمأكولة، حيث تعمل على تعمية الجماهير بتحريف الثقافة والدين ونشر الباطل وإظهار ما لا تعتقد (أما الثعلب فهؤلاء الذين يأكلون باديانهم، ولا يكون في

نظرة الى الفصل التاسع والاربعين ..

قلوبهم ما يصفون بالسنتهم).

٣ - السُّلْطَةُ التَّنْظِيمِيَّةُ والقَوَاتُ المسلَّحةُ، اي التي تُمهِّدُ للنَّظَامِ التَّكَاثُرِيَّ الرَّأْسِمَالِيَّ، فَتَدْمَغُ الحَقَّ وتُهَدِّدُ اهلَه وتَنْصُرُ الباطلَ وتُشجِّعُ اهلَه، لكي يَبْقَى وَيَسْتَمِرَّ الكيانُ الطَّاغُوتِيَّ في النَّاسِ . ولَعَلَّ ذَكَرَ الكَلْبِ في الحديثِ رَمَزٌ لهذا القسمِ، وله دَوْرانٌ في هذا المجال :

أ - اِحْيَاءُ الأَبْهَةِ الطَّاغُوتِيَّةِ وهيمنتها الاستكبارية الظاهرة، وتغطية واقعيها الفارغِ الواهي (يهرُّ على النَّاسِ بلسانِه).

ب - اِرْعَابُ النَّاسِ وتخويفهم لقبولِ الفروضِ التي تُفرضُ عليهم (يُكْرِمُهُ النَّاسُ من شرِّ لسانِه).

٤ - عناصرُ الفسادِ والفحشاءِ، من الذين يُشيعون المفاصدَ الخُلُقِيَّةَ في النَّاسِ وَيَجْرُونَهُم الي التَّسْيِبِ والانهلالِ الخُلُقِيِّ والاستسلامِ واحتمالِ الظُّلمِ. ولَعَلَّ الخنزيرَ رَمَزٌ لهؤلاءِ (الذين لا يُدْعُونَ الي فاحشةٍ الاّ اجابوا). وهذه الطائفةُ وجودُها ضروريٌّ للنَّظَامِ الرَّأْسِمَالِيَّ ولادامةِ حَيَاتِهِ التَّطْفُلِيَّةِ . ولقد فَصَّلْنَا الكلامَ عن هذا الموضوعِ في الفصلِ السَّادِسِ عَشَرَ، من هذا البابِ، فقرة «هـ»، فراجع .

وهذه الطَّبَقَاتُ كُلُّهَا تتَّجِدُ حَوْلَ محورِ المالِ والمالِ يَعْسُوبُهَا . وأما الشَّاةُ فهي الجماهيرُ المظلومةُ المضطَّهدةُ التي لا حيلةَ لها، فَتَصِيرُ ضَحيَّةَ مُيُولِ الطَّبَقَاتِ المذكورةِ ونَزَعَاتِهَا بما فيها الذُّنْبِ - ولا تَنْسَهُ - (وأما الشَّاةُ فالَّذينَ تُجَزُّ شُعُورُهُمْ وَيُؤَكَّلُ لِحُومُهُمْ وَيُكْسَرُ عَظْمُهُمْ). وهذا هو الواقعُ الَّذي تُشَاهِدُهُ في المجتمعاتِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ اليَوْمِ، وفي الأنظَمَةِ التَّكَاثُرِيَّةِ التي تَسُودُ البُلْدَانَ الاسلاميَّةَ، ممَّا يُعانيه النَّاسُ وَيَعيشونه بالمِ ومرارةٍ .. فكيف تَصْنَعُ الشَّاةُ بين اسدٍ وذئبٍ وثعلبٍ وكلبٍ وخنزيرٍ؟).

الفصلُ الخمسون

الإصلاح الاجتماعي، مقاطعة ودفاع

«... لا يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْحَقِّ، إِلَّا مَنْ وَرَعَهُمْ عَنِ الْبَاطِلِ»^١

- الامام علي «ع»

هذا دعوة صريحة الى أن الإصلاح الاجتماعي ليس الآ المقاطعة فالدفاع، وأن الجمع بين إبقاء الناس على الباطل (ولو في المجالات الاقتصادية والحقول المعيشية) وحملهم على الحق (في سائر المجالات والحقول)، امرٌ مُحال .

وإن من أجلى الواضحات، أن الباطل في قضايا الاقتصاد والأموال، هو التكاثر والفقير، بما لهما من التبعات المدمرة والساحقة - كما مرّت آياتها واحاديثها - فالذين لا يُورَعُونَ المجتمع عنهما بصمودٍ وتجسيد، ولا يشجّبون أسبابهما ضمن حركاتٍ تغييرية، ولا يدمرون قواعدهما بمقاطعة المستكبرين*

١ - الوسائل ١٨ / ١٥٥ .

* تنبيه : لا فرق في أضرار ترك المقاطعة، وتدميرها للمجتمع واركائه، وللذين وبقائه وبسطه، وللأخلاق وقوامها، وتشويهه سمعة الاسلام، بين أن يقع بهذا الداعي او ذاك . ومن أضرّ انواعه ما يكون عن سوء التشخيص الزمّني وضعف البصيرة المجتمعية، وقلة الإطلاع على ما هنالك من القضايا الموضوعية والامور الجذرية، والمصالح العامة والعالمية، وما يمتُّ الى التنمية الاقتصادية والعدل المعيشي واهميتها من شتى الجهات الدينية والدنيوية . ←

الفصل الخمسون: الاصلاح الاجتماعي ..

المُعتدين من الاغنياء والمتكاثرين ومدافعيهم ولا يسعون لدفع عاديّتهم عن الجماهير، ليس لهم ان يدعوا انهم يحملون الناس على دين الله الحق، وانهم يدافعون عن الفقراء المظلومين والمستضعفين المحرومين ..

فَمَنِ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا الْمُسْتَضْعَفِينَ وَحَرَمُوا الْمَحْرُومِينَ ؟
وَمَنِ الَّذِينَ مَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعُوا بِهِ ؟^١
وَمَنِ الَّذِينَ يَجْزُونَ شُعُورَ النَّاسِ وَيَأْكُلُونَ لُحُومَهُمْ
كَالذَّنَابِ ؟^٢

وَمَنِ الَّذِينَ مَا افْتَقَرَ النَّاسُ وَلَا اِحْتَاَجُوا وَلَا جَاعُوا وَلَا عَرُوا
إِلَّا بِذُنُوبِهِمْ ؟^٣

ومن الذين سرقوا زاد الفقراء ؟^٤ غير اولئك المستكبرين
الظالمين والطواغيت الإقتصاديين ؟ فكلما لم يقطعوا اولئك ولم
يطاردوا، لا يسع آية فئة ان تعدد نفسها مدافعة عن المستضعفين
والمحرومين، داعمة لدين الله واحكامه، مع ان العدل حياة
الاحكام، وان احياء عدة من الاحكام بالضغط، ليس الا ظاهرة

فهذا ايضا يضر بالدين والدنيا، وإن لم يكن هناك انحيار خاص، او كان المباسر من الوجها،
اذ الامر لا ينوط بالنية بل بالتفتح والوعي . وإن بقاء المجتمع وعزّه وكيانه بالاموال والاستفادة
الصحيحة والعدالة منها، وكذلك فناؤه وزواله وزوال قيمه ينوط بما يصادها - كما علمنا الامام
جعفر بن محمد الصادق «ع»؛ فراجع : الفصل ٢، من هذا الباب.

١ - على حدّ تعبير مولانا امير المؤمنين عليّ «ع»، في كلامه المعروف - (نهج البلاغة / ١٢٤٢) : عبده
٣ / (٢٣١) .

٢ - على حدّ تعبير مولانا الامام عليّ بن الحسين السّجاد «ع»، راجع : ما مرّ في أخريات الفصل
السّابق .

٣ - على حدّ تعبير النّبيّ الاعظم «ص» ومولانا الامام الصادق «ع»، راجع : التصدير، والفصل ٨، من
هذا الباب .

٤ - على حدّ تعبير مولانا الامام الحسن العسكري «ع»، راجع : الفصل ٨ .

جافةً سطحيةً لا تُؤدِّي إلا إلى رُسوبِ انواعِ الفسادِ في النفوسِ،
وتغلُّغِ المُميَّعاتِ النَّفسِيَّةِ والخُلُقِيَّةِ والدِّينيَّةِ والاجتماعِيَّةِ في
القِطاعاتِ، في أشكالٍ خفيَّةٍ، كما هو لاجِبٌ لِمَن يَطَّلِعُ على
المجتمعِ بأغواره والحياةِ بأشكالِها.

ولا جل ذلك كان الانبياءُ «ع» يبدؤون حركاتهم التَّغييرِيَّةَ -
في القضايا المجتمعيَّةِ والمعاشيَّةِ - بتصحيحِ الصِّلاتِ الاقتصاديَّةِ
والتَّبادليَّةِ، شجباً للظلمِ المُنصبِّ على الجماهيرِ في هذا المجالِ
الحياتيِّ الهامِّ.

ولعله باقٍ على ذكْرِ القارئِ ما أشرنا إليه في مُستَهَلِّ الفصلِ
الرَّابعِ والاربعين، بصدِّ الإلماجِ إلى سيرةِ الانبياءِ «ع»
ودعواتهم الثلاثةِ الرَّئيسِيَّةِ.

فهم كانوا يدعون النَّاسَ إلى عبادةِ اللَّهِ تعالى، فيشجَّبوا بذلكِ
الطَّاغوتَ السِّيَاسِيَّ (الفراعنة، كبيرهم وصغيرهم). ويدعون إلى
تصحيحِ الصِّلاتِ الاقتصاديَّةِ والتَّبادليَّةِ وإزاحةِ المظالمِ الماليَّةِ عن
الجماهيرِ، فيشجَّبوا بذلكِ الطَّاغوتَ الاقتصاديَّ (القوارنة، كبيرهم
وصغيرهم). وعند ذلك ينجحون بشجْبِ الطَّاغوتِ الثَّقافيِّ
والفكريِّ (الهوامنة، كبيرهم وصغيرهم)، لأنَّه يَعمِدُ عليهما، ويسعى
لهما، ويتقلَّبُ على موائدهما.

وكان المستكبرون الاقتصاديون والاغنياء والمترفون،
يُحْسِنون - من أوَّلِ الامر - بالخطرِ الَّذي يحدِّقُ بهم، حيث يرون من
كُتِّب، أنَّ أيديهم ستُقطَّعُ عن استعبادِ النَّاسِ واستغلالِهم، وأنَّ
قواعدهم ستُضعُضُ فلا أثرَ بعدها ولا امتصاص، فلذلك كانوا
يسعون لإبقائها فيبتدرون إلى تقديمِ مالٍ دفعاً لهجماتِ الثَّورةِ
والتَّغييرِ، ولكن هيهات أن تنطلي هذه الحيلُ لدى الدُّعاةِ الالهيين،

فُنشَاهِدُهُمْ قَدْ رَدَعُوا الْمُسْتَعْلِينَ وَالْفِرَاعِنَةَ الْاِقْتِصَادِيَّيْنَ، بِهَذِهِ الصَّرْحَةِ الثَّوْرِيَّةِ: «... لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا»^١.
ومن هنا كانت «المقاطعة» تتجلى وتترسخ في حياة اولئك
التأثرين الصامدين، وترسم خطوط الأمل والنور في حياة
المستضعفين .

والى القارئ نبذة من آيات «المقاطعة» واحاديثها :

الكتاب

- ١ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، بَلْ آتَيْنَاهُمْ
بِذِكْرِهِمْ، فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا؟ فَخَرَجُ رَبِّكَ خَيْرٌ،
وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ *^٢
- ٢ (نوح) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ: أَلَا تَتَّقُونَ؟ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * قَالُوا: أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْآرَ ذُلُونٌ؟ * قَالَ: وَمَا
عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ *^٣

* تدلنا هذه الآيات النوحية - في بلاغة وحسم - على اصولٍ

١ - سورة هود (١١) : ٢٩ .
٢ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٧١ - ٧٢ .
٣ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٠٦ - ١١٥ .

رئيسية تُركِّز المبدأين الهامين، اللذين عَقَدْنَا لهما هذا الفصل .
وهما :

(١) - المقاطعة،

(٢) - الدِّفاع .

أما المقاطعة، فالمقصودُ بها مقاطعةُ الظالمين الاقتصاديين
والطَّواغيتِ والمستكبرين؛ وبعبارةٍ أخرى : مقاطعةُ الطَّاغوتِ،
فرعونَ كان او قارون .

وأما الدِّفاع، فالمقصودُ به الدِّفاعُ عن المظلومين والمُعذِّبين
والمحرورين والمستضعفين . وهما (المقاطعة، الدِّفاع)، رُكْنَا
الاصلاحِ الاجتماعيِّ وجناحاه، ممَّا لا يتجسَّدُ اصلاحُ او تغييرُ
بدونهما معاً . فالآياتُ تُرشدنا الى أنَّ المصلحين والمُغيِّرين يجبُ
أَنْ يَكُونُوا :

أ - أَمْنَاءٌ .. والامينُ لا يُصانِعُ سالمي حقوقِ النَّاسِ وسارقي
ارزاقِهِم، ولا يُعَلِّقُ عليهم وعلى اموالِهِم الآمالَ، ولو دَفَعُوا نفقاتَ؛
ولا يُبْرِمُجُ بشكلٍ يُحوجُ الى اخذِ اموالِ مِنْهُم .

ب - داعينِ النَّاسَ الى التَّقوى .. وأينَ حياةُ التَّكاثُرِ
والإِترافِ، الَّتِي يَعِيشُهَا المُتَرَفُونَ، من حياةِ التَّقوى المقتصدة؟
ج - صامدينِ في الاتِّجاهِ، غيرَ طاردينِ لِلَّذِينَ يُلْبُونُ دعوةَ
الاصلاحِ، ولو كانوا من الضُّعفاءِ .

د - متَّخذينِ موقفَ الانذارِ المُبينِ دُوماً، حتى لا يَطْمَعِ القَوِيُّ
في حيفِهِم، ولا يَبْئَسَ الضَّعيفُ من عدلِهِم .

هـ - غيرَ مُكْتَفِينِ في الدِّفاعِ عن المُعذِّبينِ والكادحينِ
المحرورينِ والمستضعفينِ بالشَّعَارِ او الوعظِ او الخطبةِ، ممَّا لا
يَخْرُجُ عن حَدِّ اللَّفْظِ الى الواقعِ الموضوعيِّ .

٣ (نوح) ويا قوم! لا أسألكم عليه مالا، إن أجري الآ على الله، وما أنا بطارد
الذين آمنوا، إنهم مُلاقوا ربهم، ولكن أراكم قوماً تجهلون *^١

* تدلُّ الآية على ثلاثة من اهمِّ الاصول التي يتوقف عليها
تجسيدُ الاصلاح الاجتماعي .

أ - قطع الصلة المالية والاقتصادية بالاغنياء والمترفين
والاعراض عنهم بصورة حاسمة .

ب - تحكيم الصلات بالجماهير بشكل موضوعي، والوقوف
الفعلي الصامد بجانبهم .

ج - إزديار ثقافة الاغنياء المترفين وأعرافهم، وعدهم
جاهلين، تزييفاً لقيمهم النافهة التي يتوهمون أنهم لاجلها سادات
وكبراء .

٤ (هود) إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تتقون؟ * إني لكم رسول أمين * فاتقوا
الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر، إن أجري الآ على رب العالمين *
أتبنون بكل ربيع آية تعبتون؟ * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا
بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذي أمركم بما
تعلمون * أمركم بانعام وبنين * وجنات وعيون * إني أخاف عليكم
عذاب يوم عظيم *^٢

* تدلُّنا هذه الآيات الهوديّة - وهي لوحات تنبؤ بدم
«الحياة»، وتشرق شروق الشمس، وتجلجل جلجلة الرعد - على

١ - سورة هود (١١) : ٢٩ .

٢ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٢٤ - ١٣٥ .

اصول اصلاح الاجتماعى الرئيسىة :

أ - الدعوة الى التقوى وترك زائد الحياة الباذخة التي تسحق حقوق الآخرين ومعايشهم .

ب - التأكيد على امانة المصلح .

ج - تكرير الدعوة الى التقوى، لاهميتها في اصلاح، وهي تنوط باطاعة المصلح الالهى (فاتقوا الله واطيعون).

د - قطع الصلة الاقتصادية والطمع المالى من الاغنياء، حتى يئأسوا من كل شكل من اشكال التذرع بالمال لوضع العقبات في سبيل الثورة والتغيير .

هـ - التنديد بحياتهم الباذخة العابثة، باتخاذ القصور وتشبيدها .

و - تخطئة خيالهم الفارغ واملهم الخائب في الخلود .

ز - القاء النظر الشرر الى بطشهم الجبار واعتدائهم على الضعفاء .

ح - تكرير الدعوة الى التقوى وتغيير ما بانفسهم من الفساد والميوعة والانكار والظلم .

ط - التذكير بان النعم والمواهب، والبنين والانعام، والجنات والعيون، كلها من امداد الله تعالى، فهي بطبيعتها لا يمكن ان تكون مختصة بطائفة ودولة بين حفنة، بل هي لجميع عباد الله وعياله، فلماذا اغتصبها المغتصبون وطغوا فيها؟

ي - الإنذار بعذاب اليوم العظيم، ومقاطعتهم من حيث انهم بعداء من رضا الله ورحمته ومعدبون بعذابه، لظلمهم الناس .

٥ (صالح) إذ قال لهم أخوهم صالح: الا تتقون * اني لكم رسول أمين * فاتقوا

اللَّهِ وَأَطِيعُونَ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، أَنْ أَجْرِي الْآعْلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *
أَتْرَكُونَ فِي مَا هِيَئَنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا
هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ *^١

* يُقَاطِعُ نَبِيُّ اللَّهِ صَالِحٌ «ع»، اغنياء قوميه، هذه المقاطعة الحاسمة، ويُعَيِّرُهُمْ بِزَعْمِهِمُ الْفَاسِدِ مِنَ الْأَمْنِ وَالْبَقَاءِ، وَالتَّرَفِ فِي الْجَنَّاتِ وَالْعُيُونِ وَسُكْنَى الْقُصُورِ وَنَحْتِ الْبُيُوتِ مِنَ الْجِبَالِ لِلْفَرِهِ وَالْبَطْرِ، ثُمَّ يَدْعُو الْقَوْمَ إِلَى أَنْ لَا يُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ .

٦ (لوط) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ : أَلَا تَتَّقُونَ؟ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ الْآعْلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *^٢
٧ (شعيب) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ : أَلَا تَتَّقُونَ؟ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ الْآعْلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ *^٣

* تَعْمَدُ هَذِهِ الْآيَاتُ الشُّعْبِيَّةُ - مضافاً إلى الاصول المذكورة فيما مضى من أول الفصل - لتأكيد مقاطعة الاغنياء، وأن قطع الصلة الاقتصادية بهم شرط واجب ومقدمة ضرورية للكفاح ضدّ العدوان الاقتصادي والدفاع عن المستضعفين . ومن هنا ترى نبيّ الله

١ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٤٢ - ١٤٩ .

٢ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٦١ - ١٦٤ .

٣ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٧٧ - ١٨٣ .

شعبياً «ع» يُوجَّهُ خطابه الحاسم الى اصحاب الكيل والميزان،^١
مَنْ تَكُونُ معاشُ النَّاسِ فِي ايديهم، وَيَأْمُرُهُم بايفاء الكيلِ
واستقامة الوزن، وَيَنْهَاهُمْ عن بَخْسِ النَّاسِ اشياءهم، وعن
الفسادِ الكبيرِ الَّذِي يَنْبَعُ من المظالمِ الاقتصاديةِ والماليةِ.
وبذلك يُشْعِرُ بَانَ اصلاحِ الصَّلَاتِ الاقتصاديةِ بين النَّاسِ ورفضِ
الظُّلمِ المعيشيِّ، هو اولىُّ الخُطَا على طريقِ الاصلاحِ الاجتماعيِّ
والحركاتِ التَّغييريةِ .

٨ (حبيب النجار) .. يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون *^٢

* كان حبيب النجار قد آمن برسول عيسى «ع»، عند ورودهم
القرية .. وكان منزله عند اقصى باب من ابواب المدينة .. قالوا:
وانما علم هو بنبوتهم، لانهم لما دعوه قال: اتأخذون على ذلك
اجراً؟ قالوا: لا ..^٣

٩ (محمد) .. قل: لا أسألكم عليه اجراً، إن هو الا ذكر للعالمين *^٤

١٠ (محمد) .. وما تسألهم عليه من اجر، إن هو الا ذكر للعالمين *^٥

١ - ولعل المراد بهم رؤساء الاسواق، واكابر مجرميها، ممن تكون بايديهم الارزاق والاوزان و الاسعار.

٢ - سورة يس (٣٦): ٢٠ - ٢١.

٣ - مجمع البيان ٨ / ٤١٩.

٤ - سورة الانعام (٦): ٩٠.

٥ - سورة يوسف (١٢): ١٠٤.

* تَدُلُّ الآيَاتَانِ عَلَى امْرَيْنِ هَامَّيْنِ :

أ - مقاطعة الموسرين واصحاب الاموال والاغنياء، ونفي طلب شيء منهم .

ب - اعطاء الاصاله والاهميه للمبداء والايديولوجيه، والتأكيد على أن تركيزها على المستوى العالمي هو الهدف الاقصى للداعي .

١١ (محمد) وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قل : ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ، وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا *

* تُرْشِدُ الآيَاتِ إِلَى :

أ - تبيين موقف المصلح، وأنه ليس الا موقف البشارة والانداز، من غير أي جنوح الى امر آخر .

ب - قطع الأمل بالموسرين وما بأيديهم، من الزخارف والاموال، قطعاً باتاً .

ج - أن اجر المصلح الصادق في الحقيقة، هو صنع الانسان الرسالي، المتخذ سبيلاً الى ربه .

د - أن على المصلح الصادق أن يتوكل على الله بالانفصال عن الخلق، مستغرقاً في الانقطاع اليه بالتسبيح والتحميد، مُنَافِحاً لِلطَّوَاغِيَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِي يَظْلُمُونَ النَّاسَ، مَن لَّا يُحِبُّونَ الْحَرَكَاتِ التَّغْيِيرِيَّةَ، وَيَضَعُونَ فِي سَبِيلِهَا الْعَقَبَاتِ، فَاللَّهُ تَعَالَىٰ خَبِيرٌ بِهِمْ، وَيَكْفِي الْمَصْلِحَ شُرُورَهُمْ وَيُرُدُّهَا

اليهم .

١٢ (محمد) قُلْ : إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ، ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ، إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * قُلْ : مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * قُلْ : إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ *^١

* تَدُلُّ الْآيَاتُ عَلَى مَسَائِلٍ هَامَّةٍ فِي مَجَالِنَا هَذَا، فَلْنَعْمِدْ إِلَى

شَيْءٍ مِنْ تَوْضِيحِهَا :

أ - أَنْ الْقِيَامَ لِلَّهِ تَعَالَى، فِي سَبِيلِ الْحَرَكَاتِ التَّغْيِيرِيَّةِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِاسْتِمْدَادٍ مِنَ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَظَرَ الْقَائِمُ أَنْ يُسَاعِدَهُ حُشُودٌ؛ فَعَلَى الَّذِينَ يَتَبَنُّونَ الْقِيَامَ لِلَّهِ وَيَقْفُونَ بِجَانِبِ الْمَصْلَحِ الْإِلَهِيِّ، أَنْ يَقُومُوا مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ، أَي سَوَاءٌ أَوَافَقَهُمْ وَرَافَقَهُمْ فَرْدٌ آخِرٌ أَمْ لَا . وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «ع» : «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ»^٢.

ب - أَنَّ طَوَاغِيَتِ الْمَجْتَمَعِ وَالظَّالِمِينَ يَتَّهَمُونَ الْمَصْلَحَ الْمُغَيَّرَ وَيَزْدُرُونَهُ «وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ»^٣. فَتَفَكَّرُوا فِي الْأَمْرِ وَأَمَعِنُوا النَّظَرَ فِيهِ، حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّ صَاحِبَكُمْ عَلَى عَقْلِ كَبِيرٍ، وَخُلِقَ عَظِيمًا، وَنِيَّةً صَالِحَةً، وَهُدًى رَاشِدًا، يُرِيدُ تَخْلِيصَ الْمَحْرُومِينَ وَالْمُضْطَّهَدِينَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِينَ الْغَاصِبِينَ، وَأَنَّ مَا يَقُولُونَهُ تَمْوِيهٌ وَدَجْلٌ، قَامَ بِهِمَا الْكُبْرَاءُ وَالْأَرِسْتُقْرَاطِيُّونَ، الَّذِينَ رَأَوْا أَنَّ قَوَاعِدَهُمُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ

١ - سورة سَبَأ (٣٤) : ٤٦ - ٤٨ .

٢ - نهج البلاغة / ٦٤٩ : عبده ٢ / ٢٠٧ .

٣ - سورة القلم (٦٨) : ٥١ .

الفصل الخمسون: الاصلاح الاجتماعي ..

والاقتصادية تَزَعَزَعَتْ وَأَشْرَفَتْ عَلَى الانهيار، فَبُثُوا الدَّعَايَاتِ
المموَّهَةَ ضَدَّ المصلحِ القائمِ تَبِيطاً لَهُ وَخَنَفاً لَصَوْتِهِ؛ فَمَا
بصاحبِكُمْ من جنون، بل هو الدَّاعِي المندُرُ يُنذِرُ الظَّالِمِينَ
والمستكبرين من العذابِ الشَّدِيدِ الَّذِي سَيُصِيبُهُمْ من جَرَاءِ ظُلْمِهِمْ
واستكبارِهِمْ .

وهنا في بلاغةِ الآيَةِ نكتةٌ دقيقةٌ - اجتماعيةٌ وتربويةٌ وسياسيةٌ
واقصاديةٌ - وهي في هذا التعبير: «ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا...»؛ وذلك لِأَنَّ
الوقوفَ على أَنَّ صاحبَهُمْ ليس مجنوناً، لا يَحْتاجُ الى التَّفَكُّرِ، بل
هو امرٌ يَدْرِكُ بالنَّظَرِ العاديِّ البسيطِ . فالمرادُ بهذا التَّفَكُّرِ هو الحَضُّ
على إمعانِ النَّظَرِ والتَّرَوِّي في أَنَّ هذا الاتِّهَامَ لماذا يَبْئَثُهُ اعداءُ
النَّبِيِّ «ص» (وَهُمُ الاغنياءُ المستكبرون والجبابرةُ المُتَرَفِّونَ
واياديهِمْ وَعُمَّالُهُمْ) في النَّاسِ ولماذا يُقَدِّمُونَ عليه، حتى يُتَّاحَ
للمُعِينِ تجليةُ الموقفِ، والوصولُ الى كُنْه ما هناك من تدبيرٍ
وتوطئة، لخدلِ الحركةِ التَّغْيِيرِيَّةِ الدَّاعِيَةِ الى تَبْنِي العَدْلِ وشجبِ
الارستقراطيةِ والظُّلمِ .

ج - نفي طلبِ الأجرِ المادِّيِّ من النَّاسِ، واعطاءِ اجرِ
الرَّسالةِ المعنويِّ ايضاً لَهُمْ (وهو اتِّخَاذُهُمُ السَّبِيلَ الى رَبِّهِمْ)،
والتَّوَعُّلِ في الاخلاصِ لِلَّهِ تعالى وطلبِ الاجرِ منه فَحَسْبُ، اذ
هو الشَّاهِدُ على ما يُرِيدُهُ كُلُّ مريدٍ، وَيَعْمَلُهُ كُلُّ عاملٍ، وَيَنوِيهِ كُلُّ
ناوٍ .

د - أَنَّ القَدْفَ بِالْحَقِّ وَشَقَّ الطَّرِيقَ لِتَغْلُغِلِهِ في النُّفُوسِ
والاوساطِ امرٌ يَبِيدُ اللهَ، فلا يَبْغِي لِيَّيِّ دَاعٍ الهِيَّ أَنْ يُعَلِّقَ الأَمَلَ على
غيرِ اللهِ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اموالَ هَوْلَاءِ الاغنياءِ وطواغيتِ العرصاتِ
الاقتصاديةِ، يُؤَيِّدُ بِهَا الحَقُّ، وَيَنْتَصِرُ بِهَا دِينُ اللهِ الَّذِي يَدْعُو الى

إقامة القسط .

١٣ (محمد) قل : ما أسألكم عليه من اجرٍ وما أنا من المتكلفين * إن هو إلا ذكراً للعالمين *

* جاء هذا البلاغ (إن هو إلا ذكراً للعالمين)، في آياتِ سورة الأنعامِ وسورةِ يوسفَ المذكورةِ ايضاً . وهذا بدوره سحَقُ حاسمٍ لعجرفاتِ المستكبرين الاقتصاديين والمترفين الفاسدةِ الفارغةِ حيث يُنادي : هذا القرآنُ وهذه الرسالةُ والدعوة، امرٌ عامٌ لجميعِ أناسيِّ التاريخ، في كلِّ الادوار، وفي كلِّ آفاقِ الارض من مشارقيها الى مغاربيها . فماذا تزعمون وتُسوِّله لكم نفوسكم الخائرةُ واحلامكم السفيهة، من انكم تقدرون باموالكم واعطائكم الاجرَ للداعي الالهي، ان تخنقوا صوته وتقطعوا عليه دعوته، هيهات الامر، وإن هم إلا يظنون .

١٤ (محمد) قل : لا أسألكم عليه اجراً إلا المودةَ في القربى ..

* تُنادي الآيةُ بامر هامٍّ و«نبأ عظيم» . وهو أن المصلح الالهي لا يسأل احداً على اصلاحه ورسالته اجراً إلا ما يعودُ الى الناسِ انفسهم ويُفيدهم كاصلِ الدين . وما هو إلا تركيزُ قواعده بتداومِ رسالاته، وتثبيتِ القيادةِ الدينيةِ واستمرارها باتِّباعِ مَنْ يُنوبُ الداعي الاول «ص»، ويُديمُ سيرته، ويُقيمُ شريعته، ويكونُ امتداداً

١ - سورة ص (٣٨) : ٨٦ - ٨٧ .

٢ - سورة الشورى (٤٢) : ٢٢ .

وجوده وعُصارة تعاليمه ووارث علومه وتربيته، وهم اوصياؤه الذين يُعبرُ عنهم القرآن الكريم بـ «القربى».

١٥ (محمد) أَمْ تَسْأَلُهُمْ اجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ *^١

* لا، لايسألهم النبي «ص» اجراً ولا هم يُثقلون من مغرمٍ، بل هم مُكذِّبوا الحق، واعداء القسط والعدل، فلتكن مقاطعة هؤلاء، في اي زمن، في مُقدّم اعمال من يقوم باصلاح او تغيير، ولا سيما في الاسلام، لأن النبي الهادي «ص» نصّ على أنّهم شرار الأمة^٢. ولا يُرجى خيراً فعلي غير مشوبٍ من الشرار.

الحديث

١ النبي «ص»: لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي، ما تركت هذا القول حتى أنفذه، او أقتل دونه^٣.

٢ النبي «ص» - عبدالله بن عباس قال: إن النبي «ص» لما قدم المدينة كانت تنوبه نواب وحقوق، وليس في يده سعة. فقال الانصار، إن هذا الرجل قد هدأكم الله تعالى على يده، وهو ابن أختكم وجاركم في بلدكم، فاجتمعوا له طائفة من اموالكم. ففعلوا ثم اتوه به، فردّه عليهم ونزل قوله

١ - سورة الطور (٥٢) : ٤٠؛ سورة القلم (٦٨) : ٤٦.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٥٥، راجع ايضاً: الفصل ٨.

٣ - المناقب ١ / ٥٨.

تعالى: «قل: لا أسألكم عليه اجراً»، اي: على الايمان..^١ وقد نزل رسول الله «ص» - حين قدم المدينة - على ابي ايوب الانصاري، ولم يكن بالمدينة افقر منه.^٢

* واين هذه السيرة الالهية، من تلكم الاموال الطائلة التي تُقبل سهلاً من اولئك المتسلطين على ثروات الجماهير، الذين يتخذون دفع تلك النفقات ذريعة لامتصاص الناس واستغلالهم؟ وقد جاء من احد الائمة «ع» بصدد بعض الاموال: «... واما ما وصلتنا به، فلا قبول عندنا الا لما طاب وطهر».^٣

وهل كان نزول النبي «ص» على افقر اهل المدينة يوم ذاك، الا مقاطعة للاغنياء؟

٣ الامام علي «ع»: يا اهل البصرة! ما تنقمون مني؟ ان هذا لمن غزل اهلي - و اشار الى قميصه - وقال لعقبة بن علقمة: ادركت رسول الله ياكل ايبس من هذا، ويلبس اخشن من هذا..^٤

٤ الامام علي «ع»: لا يقيم امر الله سبحانه، الا من لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتبع المطامع.^٥

٥ الامام علي «ع»: كيف ينفصل عن الباطل، من لم يتصل بالحق؟^٦

١ و ٢ - سفينة البحار / ١ / ٢٠١ و ٥١.

٣ - الاحتجاج / ٢ / ٢٨٣، عن «الكافي».

٤ - المناقب / ٢ / ٩٩.

٥ - نهج البلاغة / ١١٣٧؛ عبده / ٣ / ١٧٦.

٦ - غرر الحكم / ٢٤٢.

- ٦ الامام علي «ع» : .. لا تُدَاهِنُوا فِيهِجُمَ بِكُمْ الْإِدْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ..^١
- ٧ الامام علي «ع» : .. لَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبَلِ إِلَى الْحَقِّ، الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ، الْعَاصِيَ الْمُرِيبِ ..^٢
- ٨ الامام علي «ع» : أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ، تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ ..^٣
- ٩ الامام علي «ع» - فِي ذَمِّ عُلَمَاءِ السُّوءِ : .. يَتَوَاضَعُ لِلْأَغْنِيَاءِ مِنْ دُونِهِمْ، فَهُوَ لِحُلُوتِهِمْ هَاضِمٌ، وَلِدِينِهِ حَاطِمٌ ..^٤
- ١٠ الامام الحسين «ع» : .. الْعُمَى وَالْبُكْمُ وَالزَّمْنَى فِي الْمَدَائِنِ مَهْمَلَةٌ لَا تَرَحْمُونَ، وَلَا فِي مَنْزِلَتِكُمْ تَعْمَلُونَ، وَلَا مَنْ عَمِلَ فِيهَا تُعِينُونَ، وَبِالْإِدْهَانِ وَالْمَصَانِعِ عِنْدَ الظُّلْمَةِ تَأْمَنُونَ ..^٥
- ١١ الامام السجاد «ع» - فِيمَا كَتَبَهُ إِلَى فُقَيْهِ الْمَدِينَةِ، مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ الزُّهْرِيِّ : ..
فَمَا أَخُوفَنِي أَنْ تَكُونَ تَبُوءَ بِإِثْمِكَ غَدًا مَعَ الْخَوْنَةِ، وَأَنْ تُسْأَلَ عَمَّا أَخَذْتَ
بِعَانَتِكَ عَلَى ظَلَمِ الظُّلْمَةِ . إِنَّكَ أَخَذْتَ مَا لَيْسَ لَكَ مِمَّنْ أَعْطَاكَ، وَدَنَوْتَ
مِمَّنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَى أَحَدٍ حَقًّا، وَلَمْ تَرُدَّ بَاطِلًا حِينَ أَدْنَاكَ ..^٦
- ١٢ الامام الصادق «ع» : .. مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَرَى أَنْ يَضَعَ الْعِلْمَ عِنْدَ ذَوِي الثَّرْوَةِ
وَالشَّرْفِ، وَلَا يَرَى لَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَضْعًا، فَذَاكَ فِي الدَّرَكِ الثَّلَاثِ مِنَ النَّارِ ..^٧

١ - نهج البلاغة / ٢٠٦؛ عبده ١ / ١٤٨ .

٢ - نهج البلاغة / ٥٩؛ عبده ١ / ٣٧ .

٣ - نهج البلاغة / ١١٨٤؛ عبده ٢ / ٢٢ .

٤ - روضة الواعظين / ٩ .

٥ - تحف العقول / ١٧٢؛ و ٢٣٨، من طبعة الفقاري .

٦ - تحف العقول / ١٩٨ .

٧ - الخصال / ٣٥٢ - ٣٥٣ .

نظرة الى الفصل

الاصلاح الاجتماعي، مقاطعة ودفاع: رُمنّا بهذا الفصل، أن نُشير الى اِحدى المَواصفات التي كان الانبياءُ الالهيون متّصّفين بها. وهي - بعد التوكّل على الله القادرِ الغالب وايمانهم برسالتهم - كانت اهمّ صفاتهم وبواعثِ ظفرهم في نهضاتهم التغييريّة. وما هي الا مقاطعة كلّ طاغوتٍ سياسيٍّ او اقتصاديٍّ اولا، ثمّ الوقوفُ الى جانب المحرومين والدِّفاع عن حقوقهم. والذي نُحبُّ أن نُؤكّد عليه، بصورةٍ باتّة، هو أن هذين الامرين، يعني مقاطعة المستكبرين والمترفين والدِّفاع عن المستضعفين والمحرومين، بينهما ملازمةٌ تامّةٌ لا يُمكنُ غضُّ البصرِ عنها بوجه، والعدولُ عنها في حال، فإن لم يُقاطعِ نبيٌّ او مصلحٌ او ثائرٌ اجتماعيٌّ او مرجعٌ دينيٌّ اولئك، لا ينجحُ أبداً في الدِّفاع عن هؤلاء. وهذا واضح ومجرب، لأنّ الرُّكونَ الى الذين يخلُقون الحرمانَ والآزمات والاقترابَ منهم والطَّمعَ فيما بأيديهم - وان كان عن نيّةٍ صالحة - لا يجتمعُ مع الدِّفاعِ عن المحرومين، الذين ليسوا الا حصائدَ مطامعِ اولئك ومنافعهم؟ لأجلِ هذه الواقعيّةِ الجليّةِ، نُشاهدُ أن الانبياءَ «ع» يبدؤون دعوتهم بمقاطعةِ اولئك المذكورين ويصرُّون في وجههم: «لا أسألكم عليه اجرا»، «لا أسألكم عليه مالا».

ومن البين أن الذين يطمعون في المصلحين، ويدبرون الامر لأن يعطوهم اجراً فيسكتوهم،^١ او يميلوا بهم عن مقاصدهم، أو يثبّطوهم عن

١- وربما يكون ما يدفّعه الطامعون مبدولاً لمقاصدٍ خيريّةٍ واجتماعيّة. للأشخاص الدعاة أنفسهم، فإنّ فيهم من يتفرّس أن الرجل لا يقبلُ لنفسه شيئاً، فيدفعُ نفقاتِ اليه بأسماءٍ أخرى صالحة، ويتدرّع بها

نظرة الى الفصل الخمسين ..

نصرة المحرومين والمضطهدين، ليسوا الا اولي النعمة والاغنياء واصحاب الثروات الطائلة والمستكبرين الاقتصاديين، القادرين على الاعطاء، من الذين يُحسّون - عند قيام كل مصلحٍ وطالبٍ عدلٍ - بأن دخولهم ومنافعهم قد أشرفت على الفناء والزوال . ولذلك كان جواب الانبياء لهم : «لا أسألكم عليه اجراً»، «لا أسألكم عليه مالاً»، لكي يئأسوا من التذرعِ بالمال .

أجل ، إن قوماً يدعون الناس الى اقامة القسط، كيف يتسنى لهم أن يركنوا الى الذين ظلموا الناس واغتصبوا حقوقهم وسرقوا ارزاقهم، وسحقوا القسط وارضياتِه باموالهم واعمالهم؟ فكانوا لا يصانعون هؤلاء بل يضادونهم ويكافحونهم، ويقفون في صفوف الضعفاء والمحرومين واوساط الناس بل عجزتِهم، ويقولون : «وما أنا بطارد المؤمنين»، وان كان هؤلاء المؤمنون - في منطِق الاغنياء المستكبرين - اراد لهم بادي الرأي . كان الاغنياء والمتكاثرون الّذ اعداء العدل والحق، عبر التاريخ (كما يكونون كذلك في العصر الحاضر ايضاً)، مثلاً إن الذين آمنوا بداود النبي «ع» ونصروا طالوت كانوا اوساط الناس، أما الاغنياء فلم ينصروه ولم ينضموا اليه وقالوا : «لم يؤت سعة من المال» ، اي ليس منا، لأنهم كانوا اصحاب الاموال، وكان المقياس عندهم هو المال . وبهذا الصدد يقول الشيخ ابو علي الطبرسي : «كان أتباع الانبياء فيما مضى، الفقراء واوساط الناس، دون الاغنياء»^١.

نعم، إن الاغنياء كانوا يُقلّبون الامور للانبياء والمصلحين، والضعفاء كانوا ينصرونهم بدمائهم، وبقلة قليلة كانت بايديهم . والآن ايضاً يمضي

- في الأغلب - إلى ما يريد . فليكن المصلحون والمغيرون والعلماء الملتزمون وخدمة الدين الصادقون على انتباه .

١ - مجمع البيان ٣٩٢/٨ . لاحظ ايضاً : كلام شيخنا ابن فهد الجلي، في الفصل ٣٩، من هذا الباب .

الامرُ كذلك ١.

وهذه الحالة تُواكبُ الواقعيّةَ بنفسِها . وذلك لأنّ طواغيتَ الغنى والتكاثر يستغلّون بدورهمُ النَّاسَ ويمتصّونهم بالوان . وهم لا يريدون طبعاً أن تُنفى ارضياتُ ذلك الاستغلالِ والامتصاصِ ، فلذلك يُقدّمون على مكافحة المصلحين وخذلِ دُعاةِ الحقِّ وشيعةِ الفضيلة .

والمحرومون يكونون على العكسِ من هذا، حيث إنهم يُعانون آلامَ الفقرِ وشدائدَ الحرمانِ ، فيترصّدون لاستخلاصِ انفسِهِم - ولنصرةِ الحقِّ والعدلِ وقيَمِها - فيلتفتوا حولَ كلِّ مَنْ يدعُو الى عدالةٍ او حقٍّ .^٢ ولقد تكلمنا في الفصلِ الحادي والعشرين ، عن أنّ الاغنياء كانوا اعداءَ الانبياء «ع»؛ وفي الفصلِ الثاني والعشرين ، عن أنّ مجانبةِ الاغنياءِ والمترفين اصلٌ عظيمٌ ، وعن العلماءِ وتحضيضِهِم على تركِ مصاحبةِ الاغنياءِ ومخالطَتِهِم والتواضعِ لهم . وكان كلُّ ذلك على اساسِ ما دعتُ اليه تعاليمُ الكتابِ والحديثِ ، واقوالُ السلفِ الصالحِ من علمائنا العاملين .

اصل و تنبيه

كان في قِمةِ الهرَمِ من غاياتِ الانبياء «ع» ومقاصدِهِم ، هو شجبُ

١ - وما كان هنا من استثناءٍ ، فليس في المتكاثرين المترفين ، بل في الذين يكون غناهم مقتصداً شرعياً .

وهذا الغنى ليس بذاك التكاثري ، فان كان فصاحبه ذلك المتكاثراً المترفاً وليس ما يدفعه من النفقات الاذرية الى ادامةِ استغلاله وامتصاصه ، كلُّ على حسبِ مقدّراته وظروفه المؤاتية له .

٢ - ولا ننسى هنا تعبيرةَ الأستاذ عباس محمود العقّاد المصري : «... فقد أصبحَ إسمُ عليّ علماً يلتفتُ به

كلُّ مغضوب» - (عبقريّة الإمام / ٩ ، طبعة بيروت ، دارالكتاب العربي ، ١٣٨٦ هـ . ق).

وتعبيرةَ الكاتبِ الكبير ، جرج جرداق اللبناني : «و كان إسمُ عليّ بن أبي طالبٍ هو العلمُ

الذي التفتُ حوله النّاثرون . وكان دستورُ عليّ أبداً مع الثّائرين» - (صوت العدالة الإنسانية / ٥

١١٨٥ ، طبعة بيروت ، دار الروائع).

نظرة الى الفصل الخمسين ..

المستكبرين والاستكبار، روماً لتجسيد القسط^١. وهذا واضح من القرآن الكريم، بصورة خالدة؛ ومن التعاليم الحديثية ايضاً كذلك. فليكن اتّخاذ هذا الموقف التغييري الصّامد اصلاً لا يقبلُ البديلَ عند مَنْ يرى نفسه، متّبِعاً لسيرة المرسلين .

ومن اهم صور الاستكبارِ وأسوأها تأثيراً، واشدها سحْقاً للجماهير، وإهداراً للقيم الانسانية و الغايات الدينية، هو الاستكبار الاقتصادي . والاستكبار السياسي إماناشيُّ منه، او مُمَهَّد له، او مواكبُ معه - كما اشرنا اليه في موضع آخر .

ففي هذا الضوء، إن على العلماء - سوى المجتمع الاسلامي ورجال حكمه - أن :

- يتأسوا بالانبياء والاولياء «ع»، في مجانية المتكاثرين ومقاطعة المترفين؛

- ويقطعوا الاملَ بهم وباموالهم اتكالا على الله؛
- ويلتحموا فعلياً مع المحرومين، استرداداً لحقوقهم وكرامتهم؛
- ويقبلوا على عيشٍ بسيط، من كل جهة، هم وذووهم؛
- ويسعوا لتقليل النفقات الدينية اللازمة، في مختلف المناحي، لأن تلك النفقات اذا لم تكن كثيرةً وباهظة، لا تمس الحاجة لتأمينها الى المتكاثرين؛^٣

- ويركثوا الى المؤمنين الصالحين، في انطلاق و صمود؛
- ويتصلوا الى العدل ودعّمه، حتى يتوقفوا للانفصال عن الظلم واهله؛^٤

- ويتجنبوا المداهنة بالوانها والخوف؛

١ - راجع: الفصل ٧ و الفصول ٨ الى ٢٢، من هذا الباب ايضاً.
٢ و ٣ و ٤ - راجع لما مرّ بصدد الموضوع: تنبيهات النظرة الى الفصل ٢٢.

- وَيَهْتَمُّوا بِشَجْبِ الطَّاعُوتِ الْاِقْتِصَادِيَّيْ اَيْضًا، لَأَنَّ شَجْبَ الطَّاعُوتِ السِّيَاسِيَّ، بِدُونِ شَجْبِ هَذَا الطَّاعُوتِ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ قَطْعِ الْاِغْصَانِ وَابْقَاءِ الْاَصُولِ . وَهَذَا رُبَّمَا يُسَبِّبُ لِأَنَّ تَنْبَتَ الْاِغْصَانِ بِشَكْلِ اَصْلَبُ وَأَدْوَمُ .

أَجَلْ، إِنَّ عَلَى الْعَامِلِينَ النَّابِهِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ، أَنْ لَا يُقَارَّوْا عَلَى كِطَّاتِ الظَّالِمِينَ وَسُغُوبِ الْمَظْلُومِينَ (عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْاِمَامِ عَلِيِّ بْنِ اَبِي طَالِبٍ «ع»)^٢، وَإِنْ لَا يَكُونُ الْعُمَى وَالْبُكْمُ وَالزَّمْنَى (وَسَائِرُ الْمَعْدِّينِ وَالْمَحْرُومِينَ) مَهْمَلَةً فِي الْمَدَائِنِ وَاطْرَافِهَا لَا يُرْحَمُونَ، وَهَمَّ بِاللَّهِ فِي عِبَادِهِ يُكْرَمُونَ (عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْاِمَامِ اَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ «ع»)^٣، وَأَنْ يُقَدِّمُوا بِجَمِيعِ الْقُدْرَةِ وَالْاِمْكَانِيَّاتِ عَلَى تَجْسِيدِ الْعَدْلِ وَبَسْطِهِ فِي الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، إِذِ النَّاسُ لَوْ عُدِلَ فِيهِمْ لَأَسْتَغْنَوْا (عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْاِمَامِ مُوسَى الْكَاطِمِ «ع»)^٤.

وَإِذَا اسْتَغْنَى النَّاسُ، لِيُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَقُّهُ الشَّرْعِيَّةَ . وَهَذَا يَكْفِي لِاقَامَةِ اِمْرِ الدِّينِ (إِنْ كَانَتْ بِصُورَةٍ سَالِمَةٍ مُقْتَصِدَةٍ يَرْضَى عَنْهَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ «ص»)، وَهُوَ حَلَالٌ طَيِّبٌ، بِاِحْتِيَاجٍ إِلَى اِمْوَالِ اُولَئِكَ الَّذِينَ تَكَدَّسَتْ اِمْوَالُهُمْ لَدِيهِمْ مِنْ طَرُقٍ مَشْبُوهَةٍ، مِنْ حَلَالٍ وَغَيْرِ حَلَالٍ، بَلْ مِنْ طَرُقٍ مَغْضُوبَةٍ وَمَعْتَدِيَّةٍ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ تَعَالِيمُ الدِّينِ، إِذِ الْكَثِيرُ الْوَافِرُ - بَلْ الْكَثِيرُ - لَا يَجْتَمِعُ مِنْ حَلَالٍ.^٥

١ - الْكِطَّةُ بِمَعْنَى الْبِطْنَةِ، وَمَا يَعْتَرِي الْاِنْسَانَ عِنْدَ الْاِمْتِلَاءِ مِنَ الطَّعَامِ، وَالسَّقْبُ، الْجُوعُ . وَلَعَلَّكَ لَا تَشْكُ بَعْدَ الْاِمْعَانِ فِي الْمَعْنَى، أَنَّ كَلَامَ الْاِمَامِ عَلِيِّ بْنِ اَبِي طَالِبٍ «ع» هَذَا، اِنَّمَا يَرْمِي إِلَى كِفَاحِ طَوَاغِيَتِ الْاِقْتِصَادِ وَالْمَالِ، سِيَاسِيَّيْنِ كَانُوا هُمْ اَيْضًا اُولَا .

٢ - نَهْجُ الْبَلَاغَةِ / ٥٢: عِبْدُهُ ١ / ٣٢ .

٣ - نَحْفُ الْعُقُولِ / ١٧٢ .

٤ - الْكَافِي ١ / ٥٤٢ .

٥ - رَاجِعْ : الْفَصْلُ ٣، مِنْ هَذَا الْبَابِ، فِرْقَةَ «يَا» .

نظرة الى الفصل الخمسين ..

وإنَّ عمودَ الحقِّ لا يقومُ إلاَّ بان يَسِيرُوا بالسَّيرة الَّتِي سارَ عليها
الانبياءُ «ع»، ثمَّ الاوصياء «ع»، حيث لم يَسألوا المتكاثرين والاغنياء بل
رَدُّوا ما جاؤوا به اليهم .وقدرُوا أنَّ شيعةَ نيسابور بَعثوا اموالاً الى الامام
موسى بن جعفرِ الكاظم «ع»، وبَعَثَتْ شَطِيطَةٌ - امرأةٌ مؤمنةٌ كانت بنيسابور
- معهم اليه درهماً وشِقَّةَ خَامٍ من غَزَلٍ يَدُهَا تُساوي اربعةَ دراهم، فقبِلَ
الامامُ «ع» ما بَعَثَتْهُ ..^١

وفي غيرِ الصَّورة لا يَسلمُونَ من المداهنة، ومعاونةِ الظلم، وتشجيعِ
الطَّواغيت، وغَضُّ البصرِ عَمَّا يَقَعُ من العدوانِ المعيشيِّ والاقتصاديِّ هنا
وهناك، واهمالِ جانبِ المحرومين وحقوقهم، والاكتفاءِ بالشَّعارِ في
الدَّعوةِ الى الحقِّ والعدل، وسحقِ قواعدِ القسطِ الاسلامي، وتشويهِ سُمعةِ
الاسلامِ المقدَّس، واخفاقِ نشاطِ الشَّبابِ والنَّابهين، واكْداءِ آمالِ
الثَّوريين والتَّغييريين، الصَّامدين الصَّادقين، الَّذِينَ لا يَرُومون الا اقامةَ
دينِ اللَّهِ الحنيف، بدَّعمِ العدلِ وبسطِ القسطِ ..
ونحن نَسألُ التَّوفيقَ للجميع، ولا نُريدُ الا الاصلاح، ولا حولَ ولا قوَّةَ
الا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ .

إِخْطَار

السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَفِي الإِسْلامِ

زَعَمَ بعضُ أنَّ الاسلامَ يُقَرُّ امتلاكَ الاموالِ الكَثيرةِ الباهظة، كما
كانت للسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ، زوجِ النَّبِيِّ «ص». وقد ذَهَبَتْ عليهم امور:
١ - أنَّ تلكَ الاموالِ والثَّرَواتِ قَدِ امْتَلَكْتَهَا خَدِيجَةُ المَكْرَمَةُ فِي

١ - سفينة البحار ١ / ٦٩٨.

- الجاهلية، وعلى أعرافها ومقاييسها، لا في الاسلام .
- ٢ - أنها وهبت جميع اموالها لمحمد «ص» قبل البعثة، على ما جاء في التاريخ^١.
- ٣ - أن تلك الاموال لم تبق على حالها بعد البعثة النبوية، بل استهلكت في سبيل المبدأ الحق^٢، حتى قالوا، إنهم لما حوصروا في شعب ابي طالب، لم يبق لهم مال . وقالوا: «لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» وبنو هاشم، في أيام الشعب، من الجوع والعري، ما الله اعلم به»^٣. وإن دور تلك الثروة المبدولة في تعبيد الطرق لتركيز الاسلام ودعم أسسه وقواعده، وسدّ خلّات المعوزين، للغايات المذكورة، امر مشهور في التاريخ، لا غبار عليه .
- ٤ - أن السيدة خديجة، لم تمنّ بانفاق ذلك المال على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين .
- ٥ - أنها لم تطلب شيئاً، بعد استقرار الاسلام، جزاءً على ما أنفقت، ولم تطالب النبي «ص» بأن يُراعي جانب الاغنياء او النساء، في التشريعات الاسلامية او في التجسيد وما اليها .
- فليكن وعيننا لتاريخ السلف الصالح، وعياً صحيحاً ملتزماً، حتى لا نحيد عن مهيع السبيل اللّاحب . والى الله ترجع الامور .

١ - البحار ١٦ / ٧١ .

٢ - راجع: المناقب ٢ / ٧١، من طبعة قم .

٣ - سفينة البحار ١ / ١٩٥ .

البابُ الثَّانِي عَشْرَ

البابُ الثاني عشر: المدخل الى دراسة الاقتصاد الاسلامي (اصولُ عامّة)؛ وفيه
فصول :

الفصلُ الأوّلُ

صور المالكيّة

أ - مالكيّة الله تعالى

الكتاب

- ١ وَلِلّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..^١
- ٢ وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..^٢
- ٣ أَلَا إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..^٣
- ٤ لِلّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..^٤
- ٥ وَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ..^٥
- ٦ قُلْ : لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟*^٦

١ و ٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٨٩ و ١٠٩.

٣ - سورة يونس (١٠) : ٥٥.

٤ - سورة الشورى (٤٢) : ٤٩.

٥ - سورة الزخرف (٤٣) : ٨٥.

٦ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٨٤.

الحديث

- ١ النبي «ص»: .. و(اللَّهُ) المَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمُ آيَاهُ ..^١
- ٢ الامام الباقر «ع»: الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لِلَّهِ ..^٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: المَالُ مَالُ اللَّهِ ..^٣
- ٤ الامام الكاظم «ع»: إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ تَعَالَى، جَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى عِبَادِهِ ..^٤
- ٥ الامام الرضا «ع»: .. إِذْ كَانَ (اللَّهُ) المَالِكُ لِلنُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ، الْمَلِكُ الْحَقِيقِيُّ، وَكَانَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ عَوَارِي ..^٥

* راجع بهذا الصّدد: الفصل الأوّل، من الباب الحادي عشر
ايضاً، فلقد فصّلنا الكلام هناك تفصيلاً، لا حاجة معه الى التّكرير.

ب - مالكيّة الحكم الاسلامي

الكتاب

١ - تحف العقول / ٣٢.

٢ - الكافي / ١ / ٤٠٨.

٣ - المستدرک / ٢ / ٤٢٣.

٤ - الوسائل / ١٧ / ٣٤٥.

٥ - المستدرک / ١ / ٥٥٢.

- ١ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم..^١
- ٢ وأعلموا أننا غنمتم من شيء، فإن لله خمسته وللرسول..^٢
- ٣ يسألونك عن الأنفال؟ قل: الأنفال لله والرسول..^٣
- ٤ خذ من أموالهم صدقة، تطهرهم وتزكّيهم..^٤

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الباقر: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَأَقَطَعَهُ الدُّنْيَا قَطِيعَةً، فَمَا كَانَ لِآدَمَ «ع» فَلِرَسُولِ اللَّهِ «ص». وما كان لرسول الله فهو للائمة من آل محمد «ع».^٥
- ٢ الامام الصادق «ع»: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَسْأَلْ خَلْقَهُ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ قَرْضًا، مِنْ حَاجَةٍ بِهِ إِلَى ذَلِكَ. وَمَا كَانَ لِلَّهِ مِنْ حَقٍّ، فَإِنَّمَا هُوَ لَوْلِيهِ.^٦

* هذه الاموال تُرجع اليهم لمنصبهم الحكومي، وما يحتاجون اليه للاستهلاك في مصالح المجتمع المختلفة.

ج - مالكية الناس عامّة

- ١ - سورة الاحزاب (٣٣): ٦.
- ٢ - سورة الانفال (٨): ٤١.
- ٣ - سورة الانفال (٨): ١.
- ٤ - سورة التوبة (٩): ١٠٣.
- ٥ - الكافي ١ / ٤٠٩.
- ٦ - الوافي ٢ (م ٦) / ٣٧.

الكتاب

- ١ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ..^١
- ٢ الله الذي خلق السماوات والارض، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخر لكم الأنهار ..^٢
- ٣ .. والأنعام خلقها، لكم فيها دفء ومنافع، ومنها تأكلون*^٣

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع»: فكر يا مفضل! في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة، مثل الجص والكلس والجبس .. والزئبق والنحاس والرصاص والفضة والذهب والزبرجد والياقوت، والزمرد وضروب الحجارة؛ وكذلك ما يخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم؛ فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للانسان في هذه الارض، ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة اليها ..^٤

١ - سورة البقرة (٢) : ٢٩ .

٢ - سورة ابراهيم (١٤) : ٣٢ .

٣ - سورة النحل (١٦) : ٥ .

٤ - البحار ٣ / ١٢٨، عن «توحيد المفضل».

الفصل الأول : صور الملكية

* راجع بهذا الصدد : الفصل الثالث من هذا الباب . وراجع للوقوف على رأي ثقة الاسلام، الشيخ ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني في الاموال : النظرة الي الفصل الخامس والعشرين، من الباب الحادي عشر، الفقرة ١٢.

د - مالكيّة الناس خاصّة

الكتاب

- ١ فاذا قُضِيَ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْاَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ..^١
- ٢ .. لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا ..^٢

* قال الطبرسي في «التفسير» : «... وثانيها أنّ لكلّ فريق من الرجال والنساء نصيباً مما اكتسب من نعيم الدنيا، بالتجارات والزراعات وغير ذلك من انواع المكاسب»^٣

الحديث

١ - سورة الجمعة (٦٢) : ١٠ .

٢ - سورة النساء (٤) : ٣٢ .

٣ - مجمع البيان ٣ / ٤٠ .

- ١ النبي «ص»: لا يَحِلُّ لمؤمنٍ مالُ اخيه إلاّ عن طيبِ نفسٍ منه^١.
- ٢ النبي «ص»: حرمةُ مالِهِ (المؤمن) كحرمةِ دَمِهِ^٢.
- ٣ النبي «ص»: المؤمنُ حرامٌ كُلُّهُ، عِرْضُهُ ومالُهُ ودَمُهُ^٣.

١ - تحف العقول / ٣٠.

٢ - الاختصاص / ٣٣٩.

٣ - تحف العقول / ٤٤.

نظرة الى الفصل

١- مالكيّة الله تعالى : لقد أوردنا الآياتِ والاحاديثَ المتعلقةَ بهذا الموضوع ودرّسناه وفصّلنا الكلام فيه، في الفصلِ الأوّل، من البابِ الحادي عشر، ففيه تفصيلٌ يُغني عن إعادة الكلام هنا، فراجع .

٢- مالكيّة الحكمِ الاسلامي : أنظر بهذا الصّد، مضافاً الى ما أوردناه هنا : الفصولَ الثامنَ والثلاثين والتاسعَ والثلاثين والاربعين، من هذا الباب ايضاً .

٣- مالكيّة الناسِ عامّة : راجع بهذا الصّد، بالاضافة الى ما في هذا الفصل : الفصولَ الأوّل والثاني والثالث، من البابِ الحادي عشر، والفصلين الثاني والثالث من هذا الباب، وما يرتبطُ بهذا الموضوع من سائرِ الفصول .

٤- مالكيّة الناسِ خاصّة : إنّ ملكيّة الناس لاموالهم مقدّسة في الاسلامِ مصنونة، غير أنّها محدودةٌ كماً وكيفاً، امتلاكاً واستهلاكاً. وإنّ محدوديّة الامتلاكِ كيفاً من المسلّماتِ في الفقهِ الاسلامي - وقد بحثوا عنها في المكاسبِ المحرّمة - وهي تستلزمُ المحدوديّة الكميّة بالضرورة، كما لا يخفى. أضف الى ذلك سائرَ التعاليمِ الدّالة على هذه المحدوديّة؛ فراجع بهذا الصّد : الفصلين الثالثَ والعشرين والرّابعَ والعشرين، من البابِ الحادي عشر .

الفصل الثاني

الأرض .. موضوعة للأنام

الكتاب

- ١ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ *^١
- ٢ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا ..^٢
- ٣ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا ..^٣
- ٤ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا *^٤
- ٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا؟ *^٥
- ٦ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا؟ *^٦
- ٧ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا *^٧

١ - سورة الرحمن (٥٥) : ١٠.

٢ - سورة غافر (٤٠) : ٦٤.

٣ - سورة الزخرف (٤٣) : ١٠.

٤ - سورة نوح (٧١) : ١٩.

٥ - سورة المرسلات (٧٧) : ٢٥.

٦ - سورة النبأ (٧٨) : ٦.

٧ - سورة البقرة (٢) : ٢٢.

- ٨ الذي جَعَلَ لَكُمْ الارضَ مَهْدًا^١ ..
٩ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الارضَ ذُلُولًا^٢ ..
١٠ ولقد مَكَّنَّاكُمْ فِي الارضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ^٣ ..
١١ اَسْكُنُوا الارضَ^٤ ..
١٢ ولكم فِي الارضِ مُسْتَقَرٌّ^٥ ..

الحديث

- ١ النبي «ص»: مَوْتَانِ الارضِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَمَنْ أَحْيَا مِنْهَا شَيْئًا فَهِيَ لَهُ^٦ .
٢ الامام علي «ع»: .. أَمَا وَجْهُ الْعِمَارَةِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الارضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا»^٧، فَأَعْلَمْنَا سُبْحَانَهُ، أَنَّهُ قَدْ أَمَرَهُمْ بِالْعِمَارَةِ لِيَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِمَعَايِشِهِمْ، بِمَا يَخْرُجُ مِنَ الارضِ مِنَ الْحَبِّ وَالثَّمَرَاتِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ، مِمَّا جَعَلَهُ اللَّهُ مَعَايِشَ لِلْخَلْقِ^٨ .
٣ الامام الباقر «ع»: أَيُّمَا قَوْمٍ أَحْيَوْا شَيْئًا مِنَ الارضِ، أَوْ عَمَرُوهَا، فَهُمْ أَحَقُّ

١ - سورة طه (٢٠) : ٥٣ .

٢ - سورة الملك (٦٧) : ١٥ .

٣ - سورة الاعراف (٧) : ١٠ .

٤ - سورة الاسراء (١٧) : ١٠٤ .

٥ - سورة البقرة (٢) : ٣٦ .

٦ - المستدرک ٣ / ١٤٩ .

٧ - سورة هود (١١) : ٦١ .

٨ - الوسائل ١٣ / ١٩٥ .

بها، وهي لهم .

٤ الامام الباقر «ع» - فيما رواه ابو خالد الكابلي : وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيِّ «ع» :
.. فَمَنْ أَحْيَا أَرْضًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَعْمُرْهَا وَلْيُؤَدِّ خَرَاجَهَا إِلَى الْإِمَامِ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِي، وَلَهُ مَا أَكَلَ مِنْهَا، فَإِنْ تَرَكَهَا وَأَخْرَبَهَا فَأَخَذَهَا رَجُلٌ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ، فَعَمَّرَهَا وَأَحْيَاهَا، فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا مِنَ الَّذِي تَرَكَهَا؛ فَلْيُؤَدِّ
خَرَاجَهَا إِلَى الْإِمَامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَلَهُ مَا أَكَلَ مِنْهَا..^٢

* وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ، رَوَاهُ كُلُّهُمْ عَالٍ :

أ - مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارِ .

ب - أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى .

ج - الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ .

د - هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ .

هـ - أَبُو خَالِدٍ الْكَابَلِيُّ .

وَاسْتَدَّ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ وَامْتَالِهِ، مِنْ أَفْتَى بَعْدِ الْمَلِكِيَّةِ بِلِ
الْأَحْقِيَّةِ فِي الْأَرَاضِي، كَشَيْخِ الطَّائِفَةِ الطُّوسِيِّ، كَمَا سَيَأْتِي .

٥ الامام الصادق «ع» - معاوية بن وهب قال : سمعت ابا عبد الله «ع» يقول :
أَيُّمَا رَجُلٍ أَتَى خَرِبَةً بَائِرَةً فَاسْتَخْرَجَهَا وَكَرَى أَنْهَارَهَا وَعَمَّرَهَا، فَإِنَّ عَلَيْهِ
فِيهَا الصَّدَقَةَ - وَإِنْ كَانَتْ أَرْضًا لِرَجُلٍ قَبْلَهُ، فَغَابَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا فَأَخْرَبَهَا ثُمَّ
جَاءَ بَعْدُ يَطْلُبُهَا - فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَلِمَنْ عَمَّرَهَا.^٣

١ - الكافي ٥ / ٢٧٩ .

٢ - الكافي ٥ / ٢٧٩ : الوسائل ١٧ / ٣٢٩ .

٣ - الكافي ٥ / ٢٧٩ .

قال الفيض الكاشاني، في ذيلِ هذا الحديث: «... في الاستبصار» حَمَلَ هذا الحديثَ وما في معناه على الأَحَقِّيَّةِ دونَ المِلَكِيَّةِ، جمعاً بين الاخبار، قال: لَأَنَّ هذه الارضَ من جملة الأنفال، التي هي خاصَّةُ الامام، إلا أَن مَنْ أَحياها فهو اولى بالتصرفِ فيها، إذا أدَّى واجبها الى الامام. ثُمَّ استدلَّ عليه بحديثِ ابي خالدِ الكابلي^١.

وحديثُ ابي خالدِ الكابليِّ أوردناه قبلَ هذا الحديثِ^٢. ومَحْكِيٌّ «الاستبصار» يُصْرَحُ بالأَحَقِّيَّةِ في التصرفِ لا المِلَكِيَّةِ - كما هو صريح . وهذا رأيُ الشيخِ الطوسيِّ المشهور، الَّذي جاء في «المبسوط» ايضاً حيث قال: «... فَأَمَّا المَوَاتِ فَإِنَّهَا لا تُغْنَم، وهي للامامِ خاصَّةً، فَإِنْ أَحياها احدٌ من المسلمين كان اولى بالتصرفِ فيها، ويكونُ للامامِ طَسُقُها»^٣.

٦ الامام الصادق «ع»: من أخذت منه ارضٌ ثم مكثت ثلاث سنين لا يطئها، لم يحلَّ له بعد ثلاث سنين أن يطئها^٤.

٧ الامام الصادق «ع» - عمر بن يزيد قال: سمعتُ رجلاً من اهلِ الجبلِ يسألُ ابا عبدالله «ع» عن رجلٍ اخذ ارضاً مواتاً تركها اهلها، فعمرها وكرى أنهارها وبنى فيها بيوتاً وغرس فيها نخلاً وشجراً؟ فقال ابو عبدالله «ع»: كان اميرُ المؤمنين «ع» يقولُ: من أحيا ارضاً من المؤمنين فهي له، وعليه طَسُقُها يُؤدِّيهِ الى الامامِ في حالِ الهدنة، فاذا ظهر القائمُ فليوطنْ نفسه على أن

١ - الوافي ٣ (م ١٠) / ١٣١.

٢ - راجع ايضاً: الفصل ٣٥ و ٣٦ من الباب ١١.

٣ - المبسوط ٢ / ٢٩.

٤ - الوسائل ١٧ / ٣٤٥.

تُؤخَذُ منه ١.

* هذا الحديثُ وامثاله يُدُلُّ على أَنَّ اخذَ الاراضي مَمَّنْ
يَدْعُونَ المَلِكِيَّةَ، من الاصولِ الاصلاحِيَّةِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي يَقُومُ
بتجسيدها الحكمُ المهدويُّ العادل، المؤسَّسُ على اساس القرآن .

٨ الامام الصادق «ع» - محمَّد بن مسلم قال : سألتُ أبا عبدِالله عن الشراءِ
من ارضِ اليهودِ والنصارى؟ فقال : ليسِ به بأسٌ، قد ظَهَرَ رسولُ
الله «ص» على اهلِ خيبر، فخارجَهُم على أن يتركَ الارضَ في ايديهم
يَعْمَلُونَهَا وَيَعْمُرُونَهَا؛ فلا أرى بها بأساً لو أنك اشتريتَ منها شيئاً . وإيما
قومٍ أَحْيَوْا شيئاً من الارضِ وَعَمَلُوهَا، فهم أَحَقُّ بِهَا، وهي لهم ٢.

٩ الامام الكاظم «ع» : إِنَّ الارضَ لِلَّهِ تَعَالَى، جَعَلَهَا وَقفاً على عبادِهِ .. ٣.

* يقولُ الامامُ المعصوم «ع» : «جَعَلَ اللهُ خالقُ الارضِ،
الارضَ وَقفاً على عبادِهِ»، لا على الاغنياءِ والمُتَرَفِّينِ والاقطاعِيِّينِ
والمالكيينِ الكبارِ واصحابِ الرُّبُوعِ العَقَارِيَّةِ النَّادِرَةِ ومن اليهم .
فَلْتَكُنِ النَّظَرَةُ الى الاراضي وامتلاكِها نظرةً توافِقُ جعلَ اللهِ ورضاه
ورضا الرسولِ «ص» .

ومن المُلَحَّبِ، أن هذه التَّعبيرَةُ : «جَعَلَهَا وَقفاً على عبادِهِ»، تعدُّو
قضيةً خلقِ الأرضِ وتمهيدِها العامِّ لعيشِ الإنسانِ فيها .

١ - الوسائل ٦ / ٣٨٣ .

٢ - الوسائل ١١ / ١١٨ .

٣ - الوسائل ١٧ / ٣٤٥ .

نظرة الى الفصل

لقد صرَّح القرآن الكريم بأن الارض وَضَعَهَا اللَّهُ الْحَكِيمُ الْعَادِلُ
لِلْإِنْسَانِ، وَجَعَلَهَا مَحَلًّا قَرَارًا لِلنَّاسِ، وَمَهْدًا وَبَسَاطًا لَهُمْ، فَتَعَمُّ النَّاسَ كَافَّةً .
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَسْكُنُوا الْأَرْضَ..»، وَيَقُولُ: «وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ...». وَيُعَبِّرُ الْكِتَابُ السَّمَاوِيُّ فِي خَطَابَاتِهِ الشَّائِعَةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ
بِـ«كُمْ» الْخَطَابِيَّةِ الْعَامَّةِ (جَعَلَ لَكُمْ، اسْتَعْمَرَكُمْ، مَتَاعًا لَكُمْ..); وَيَقُولُ
وَارثُ عِلْمِ الْقُرْآنِ وَمُفَسِّرُهُ: «جَعَلَهَا (الارض) وَقْفًا عَلَى عِبَادِهِ»، لَا:
«عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ».

وَكُلُّ هَذِهِ التَّعَالِيمِ الْمَوْجَّهَةِ، تَدُلُّ بِالصَّرَاحَةِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الظُّوَاهِرَ
الطَّبِيعِيَّةَ مَوْضُوعَةٌ لِكُلِّ النَّاسِ لَا لِبَعْضِهِمْ. وَالْأَصْلُ فِي «الْمَعِيشَةِ»
و«الرِّزْقِ» و«الْمَتَاعِ» أَنْ تَكُونَ لِلْكَلِّ عَامَّةً، لَا لِلْبَعْضِ خَاصَّةً، لِأَنَّهَا إِذَا
خَرَجَتْ مِنْ كَوْنِهَا لِلْعَمُومِ لَا تَصْدُقُ عَلَيْهَا هَذِهِ الْعِنَاوِينَ - كَمَا هُوَ وَاضِحٌ -
وَسَنَشِيرُ إِلَيْهِ فِي الْفَصْلِ الْقَادِمِ أَيْضًا.

وَيَقُولُ الشَّيْخُ الطَّبْرَسِيُّ، فِي تَفْسِيرِ «الْكِفَاتِ»، مِنْ آيَةِ «الْمُرْسَلَاتِ»
(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا؟): «لِلْعِبَادِ تَكْفِثُهُمْ،^١ "أَحْيَاءً" عَلَى ظَهْرِهَا، فِي
دُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ...»^٢.

وَهَلْ تَكُونُ هَذِهِ كُلُّهَا وَامْتَالُهَا، بِمَعْنَى أَنْ تُصْبِحَ الْأَرْضُ مِلْكًا خَالِصًا
لِشِرْ ذِمَّةٍ مِنَ الْمَوْسِرِينَ، وَيُصْبِحَ الْآخَرُونَ فَاقِدِينَ لِشِرِّ مِنْهَا، لَسَكْنِ أَوْ
زِرَاعَةٍ أَوْ قَرَارٍ؟

١ - اي : تَحْوِزُهُمْ وَتَضْمُهُمْ

٢ - مجمع البيان ١٠ / ٤١٧.

وهل يَصِحُّ أَنْ تُصَبَّحَ الارضُ الكذائِيَّة، ذُرْعَةً فِي ايدي فِتْنَةٍ، من الطَّوَاغِيَّتِ الاقتصاديِّين، لاستغلالِ النَّاسِ وامتصاصِ الزُّرَّاعِ والفَلَّاحِيْنَ، حتَّى تَصِلَ بِذَلِكَ الى حَيَاةٍ تَرْفِيَّةٍ سَرْفِيَّةٍ وَأَشْرٍ وَبَطْرٍ، وتَتَرَسَّخَ فِي رُوحِهَا الاوصافُ الرَّذِيْلَةُ؟^١

لا، ليس الامرُ كذلك، في واقعِ النَّظَرَةِ الاسلامِيَّة، ليس كذلك حتَّى تَفْسُدَ بِذَلِكَ نفوسُ كثيرين من الفقْرِ والسَّعْبِ، ونفوسُ عدَّةٍ قليلةٍ من التَّكَاثُرِ والكِظَّةِ.

ليس الامرُ كذلك، حتَّى يَرْضَ العملُ المُرْهَقُ الكثيرُ والكَدْحُ الشَّاقُّ، فِي الأريافِ وَفِي المزارعِ والحُقُولِ والبساتينِ، اضلاعَ كثيرين من النَّاسِ وَيَجْتَرَّ اليهم اقسامَ المرضِ، وَيُعَيِّقَهُم عن ايِّ طلبِ علمٍ او كمالٍ او دينٍ، فَيُفْسِدَ عَلَيْهِم الحَيَاةَ الَّتِي هِيَ اَعْلَى هَدِيَّةٍ وَهَبَّهَا اللهُ لِكُلِّ انسانٍ، وَيَعِيْشَ الى جانبِ هؤلاءِ المذكورين افرادٌ قليلون يَنْعَمُسونَ هم وابتائوهم وبنائوهم - هنا وهناك - فِي الوانِ النَّعِيمِ، وليس لهم ايُّ همٍّ او شغلٍ او عملٍ، الا الفراغُ والتَّنَزُّهُ و الأكلُ و ..

ليس الامرُ كذلك، حتَّى يَسْتَأْثِرَ المتكاثرونَ والمترفونَ ومن اليهم بدورٍ متعدِّدة، و بمساحاتٍ شاسعةٍ منها فِي دُورِهِم، ذاتِ مُرُوجٍ وَجَنَّاتٍ وَمَسَابِحٍ وَقاعاتٍ وَغُرَفٍ، فِي حينِ أَنَّ قِطاعاتٍ من النَّاسِ لا يَجِدُونِ اشباراً منها لَأنَّ يَأْوُوا اليها وَيَدْفَعُوا عن انفسِهِم وذويهِم فِيها عاديةَ الحَرِّ والبرِّدِ؟

ليس الامرُ كذلك، حتَّى يُصِيبَ النَّاسَ من جهةِ السُّكْنِي، تَلَكُمُ المصائبُ والمصاعبُ - الَّتِي لا يَعْلَمُهَا الا اللهُ تَعَالَى - وتَلَمُّ بِهِم وبنائِهِم وبنائِهِم، لفقْدِ السُّكْنِ او لضيقِهِ، تَلَكُمُ الفَوَاقِرُ الَّتِي تَهْدِرُ كرامَتِهِم وتُرْعِجُهُم وتُقْلِقُهُم، وتَدْفَعُهُم الى التَّمِيْعِ والسَّقُوطِ، مِمَّا لا يَسَعُ ايُّ انسانٍ شريفٍ او

١ - راجع: الفصول التي دَرَسْنَا فِيها هذه الموضوعات، من الباب ١١.

نظرة الى الفصل الثاني ..

مسلم ملتزم أن لا يُهمَّه، اولا يهتم به؛ مع أن الجهات الملحوظة في خلق الارض وجعلها للانام ووقفها على العباد، هي جهة السكنى فيها للانسان مادام حياً يعيش في الارض - في الامصار والمدن وغيرها - كما نزل به القرآن الكريم، وصرح به الشيخ المفسر الطبرسي . والتعامل والسلوك المذكوران، كيف يوافقان «الأخوة الاسلامية» و «الأنظمة الشرعية» و«المقاييس الانسانية»؟

ففي هذا الضوء، إن حكمة التكوين - ولا بد من أن تنسجم معها حكمة التشريع ايضاً - ترشدنا الى أن نعتقد بأن الله تعالى لم يجعل الارض للانام ولم يقفها على العباد، لأن تصير الى هذا المال العسوف؛ تعالى الله العادل الحكيم عن ذلك علواً كبيراً، بل خلقها وجعلها وقفاً على العباد، لأن يتمتعوا منها ويقضوا ما ربهم وحاجاتهم المختلفة بها، ويستفيدوا من مياهها وأكلائها ومناجمها وجبالها وأوديتها و.. فيصلوا بذلك الى رشدهم المادي والروحي، ويبرزوا ما جعل فيهم من مواهب واستعدادات، ويتوسلوا بذلك كله الى تأمين حياة انسانية سليمة تحدوهم الى الفضيلة والحق، وتأخذ بأيديهم الى سلوك سبيل الله وتحصيل رضاه تعالى .

هذه هي حكمة خلق الارض بساطاً وكفاتاً، وجعلها للانام، ووقفها على العباد . ولا اقل من أن يصل افراد الانسان بسبب الارض، وما فيها وما عليها، الى معيشة كفاية وظلة واقية .

تنبيه

إن صلة الانسان بالارض لها صور وأشكال . إحداها صورة الهيئة توافق الجعل الالهي والفطرة السليمة . وهي ابقاؤها على ما جعلها الله له،

من كونها للانام كافة، واختصاص كل قطعة منها - بمقدار لا يوافي حدّ التكاثر^١ - بمن عمل في الارض وعمرها، ماداوم على عمارتها وادى حقوقها. وكل ذلك على اساس «الاحقية» المشروطة لا الامتلاك الدائم. هذا ما تقتضيه الفطرة الانسانية - غير المحرفة - ويؤيده العقل السليم، والضمير النقي. فعلى هذا، اذا تحولت صلة الانسان بالارض الى صورة اخرى، تصبح صورة شيطانية و طاغوتية، تنبع من الآثرة والاعتداء.

ومن اللاحب، انّ التعاليم الحديثة لا تشدّ ايضاً عما يقتضيه الجعل الالهي والعقل والفطرة، كما صرح به في الاخبار^٢. وهذا هو الذي يطابق فتوى عدّة من اكابر علماء الاسلام، كالشيخ ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، فإنه لا يرى الارض ولا غير الارض ملكاً لأحد^٣؛ وكشيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، وقد نقلنا رأيه الشريف. وكالفقيه المحقق السيد محمد بحر العلوم الطباطبائي، صاحب «بلغة الفقيه»، حيث مال الى «منع افادة الاحياء التملك المجاني، من دون ان يكون فيه حق، فيكون للامام فيه بحسب ما يقاطع المجبى عليها في زمان حضوره وبسط يده، ومع عدمه فله اجرة المثل. ولا ينافي ذلك نسبة الملكية الى المحيي في اخبار الاحياء - اي في قولهم: "من احيا ارضاً فهي له" - وان هي الآجارية مجرى كلام الملاكين للفلاحين، في العرف العام، عند تحريضهم على تعمير الملك: "من عمرها او حفرانهارها وكرى سواقيها فهي له" الدالة على احقيته من غيره وتقدمه على من سواه، لا على نفي الملكية من نفسه...»^٤.

١ - وذلك لانّ التعاليم التي تسبب النكار، تشمل الاراضى واملاكها ايضاً. وهذا واضح.

٢ - راجع: الفصول ٢٣ و ٢٤ و ٢٦. من الباب ١١، و ٣٠ و ٣٥. من الباب ١٢.

٣ - راجع النظرة الى الفصل ٢٥، من الباب ١١، الفقرة ١٢.

٤ - بلغة الفقيه / ٩٨.

نظرة الى الفصل الثاني ..

«وهذا الرأي الفقهي الذي يُقرُّه الشيخ الطوسي والفقير بحر العلوم، يستند الى عدّة نصوص ثابتة، بطرق صحيحة، عن ائمة اهل البيت - ع -...»^١

إشارة

لم نطرح هذه المسائل بوصفها رأياً فقهياً باتاً، بل لأن نلفت انظار النابهين وبُغاة الحق والعدل الى جوانب من الأنظمة الشرعية في ذلك، وندعو فقهاء الاسلام الى ان يُمعنوا النظر في جوانب مغفولة من قضايا الاراضي الاصلية، مما يُشاد به معالم الدين، ويؤدى به واجب الفهاة الاسلامية؛ ويستتبع حسن سُمعة الاسلام، وتقدم المسلمين، حيث يُجسّدون العدالة ويقومون بالقسط المنشود.

١ - اقتصادنا / ٤٦٤، من الطبعة السادسة عشرة.

الفصل الثالث

المواهب والأموال، تميم وتأميم

الكتاب

- ١ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا..^١
- ٢ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غلباً * وفاكِهةً وأباً * متاعاً لكم ولأنعامكم *^٢
- ٣ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا، فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسْقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ..^٣
- ٤ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ *^٤
- ٥ وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ *^٥

١ - سورة البقرة (٢) : ٢٩ .

٢ - سورة عبس (٨٠) : ٢٥ - ٣٢ .

٣ - سورة ق (٥٠) : ٩ - ١١ .

٤ - سورة الحجر (١٥) : ١٩ - ٢٠ .

٥ - سورة النحل (١٦) : ٥ .

الفصل الثالث : المواهب والاموال ..

- ٦ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ، وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * ١
- ٧ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ، لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * ٢
- ٨ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً، نُسْقِيكُم مِمَّا فِي بُطُونِهَا، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ .. ٣
- ٩ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ * ٤
- ١٠ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا، وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا .. ٥
- ١١ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ، وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ * ٦
- ١٢ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ .. ٧

* هناك في الكتاب السماوي آيات كثيرة بهذا الصدد، أوردنا خمسين منها في الفصل السادس والثلاثين، من الباب الحادي عشر، فراجعها وأقرأها بامعان .

وليس من الصحيح الحق، أن نجعل تلكم الآيات الهامة بمعزلٍ عن الفقهة والتوجيه المعيشي للجماهير ..

الحديث

١ - سورة النحل (١٦) : ١٠ .

٢ و ٣ - سورة المؤمنون (٢٣) : ١٩ و ٢١ .

٤ - سورة النازعات (٧٩) : ٣٣ .

٥ - سورة النحل (١٦) : ١٤ .

٦ - سورة الحجر (١٥) : ٢٠ .

٧ - سورة الاعراف (٧) : ١٠ .

١ النبي «ص»: النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: النَّارِ وَالْمَاءِ وَالْكَلِّ^١.

* عملاً بهذا الحديث يرى الشيخ الطوسي «أنّ علاقة الفرد بعين الماء (لا الحفرة التي حفرها للوصول الى الماء)، علاقة حقّ لا ملك»، فيقول: «.. كلُّ موضعٍ قلنا إنّهُ يملك البئرَ فإنّه أحقُّ من مائها بقدر حاجته لشربه وشرب ماشيته وسقي زروعهِ، فإذا فضل بعد ذلك شيءٌ وجب عليه بذله بلا عوضٍ لمن احتاج إليه لشربه وشرب ماشيته من السابلية وغيره. وليس له منع الماء الفاضل من حاجته حتى لا يتمكّن غيره من رعي الكلب الذي بقرب ذلك الماء. وإنّما يجب عليه ذلك لشرب المحتاج إليه وشرب ماشيته، فأما لسقي زرعهِ فلا يجب عليه ذلك، لكنّه يستحبّ. وفيهم (اي الفقهاء) من قال: يستحبُّ ذلك لشرب ماشيته وسقي زرعهِ ولا يجب. وفيهم من قال: يجب بذله بلا عوضٍ لشرب الماشية ولسقي الزرع. وفيهم من قال: يجب عليه بالعرضِ فأما بلا عوضٍ فلا».

«وإنّما قلنا ذلك لما رواه ابن عباس أنّ النبيّ «ص» قال: النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: النَّارِ وَالْمَاءِ وَالْكَلِّ». وروى جابر أنّ النبيّ «ص» نهى عن بيع فضل الماء^٢.

٢ النبي «ص»: خمسٌ لا يحلُّ منعهنّ: الماء، والملح، والكلأ، والنار، والعلم. وفضل العلم خيرٌ من فضل العبادة. وكمال الدين الورع^٣.

١ - المستدرک ٣ / ١٥٠.

٢ - المبسوط ٣ / ٢٨١.

٣ - المستدرک ٣ / ١٥٠.

- ٣ النبي «ص» : مَوْتَانِ الْأَرْضِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَمَنْ أَحْيَا مِنْهَا شَيْئاً فَهُوَ لَهُ ١.
- ٤ النبي «ص» - قَضَى رَسُولُ اللَّهِ فِي أَهْلِ الْبَوَادِي أَنْ لَا يَمْنَعُوا فَضْلَ مَاءٍ، وَلَا يَبِيعُوا فَضْلَ كَلَأٍ ٢.
- ٥ النبي «ص» - نَهَى رَسُولُ اللَّهِ «ص» عَنْ بَيْعِ الْمَاءِ وَالْكَلَأِ وَالنَّارِ ٣.
- ٦ الامام علي «ع» : مَنْ بَاعَ فَضْلَ مَائِهِ، مَنَعَهُ اللَّهُ فَضْلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٤.
- ٧ الامام الصادق «ع» : فَكَّرَ يَا مُفَضَّلُ! فِي هَذِهِ الْمَعَادِنِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمَخْتَلِفَةِ، مِثْلَ الْجَصِّ، وَالْكِلْسِ، وَالْجَبْسِ، وَالزَّرَانِيخِ، وَالْمِرْتَكِ، وَالْقُونِيَا، وَالزَّبِيقِ، وَالنُّحَاسِ، وَالرِّصَاصِ، وَالْفِضَّةِ، وَالذَّهَبِ، وَالزَّبْرَجَدِ، وَالْيَاقُوتِ، وَالزُّمُرْدِ، وَضُرُوبِ الْحِجَارَةِ، وَكَذَلِكَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الْقَارِ، وَالْمُومِيَا، وَالْكَبْرِيْتِ، وَالنَّفْطِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَعْمِلُهُ النَّاسُ فِي مَآرِبِهِمْ. فَهَلْ يَخْفَى عَلَى ذِي عَقْلٍ أَنَّ هَذِهِ كَلِّهَا ذَخَائِرُ ذُخِرَتْ لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ لِيَسْتَخْرِجَهَا فَيَسْتَعْمِلَهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ٥.
- ٨ الامام الصادق «ع» : قَضَى رَسُولُ اللَّهِ «ص» بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي مَشَارِبِ النَّخْلِ، أَنَّهُ لَا يَمْنَعُ نَفْعَ الشَّيْءِ. وَقَضَى «ص» بَيْنَ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، أَنَّهُ لَا يَمْنَعُ فَضْلَ مَاءٍ لِيَمْنَعَ بِهِ فَضْلُ كَلَأٍ، فَقَالَ : لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ ٦.

١ - المستدرک / ٣ / ١٤٩.

٢ - الوسائل / ١٧ / ٣٣٣.

٣ - المستدرک / ٣ / ١٥٠.

٤ - نوادر الراوندي / ٥٣.

٥ - البحار / ٣ / ١٢٨، عن «توحيد المفضل».

٦ - الكافي / ٥ / ٢٩٤.

* نُشَاهِدُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ قَاعِدَةَ الضَّرْرِ جِيءَ بِهَا فِي الْقَضَايَا الْعَامَّةِ، لَا الْقَضَايَا الشَّخْصِيَّةَ، كَمَا فِي حَدِيثِ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، فَيُشْجَبُ بِهَا أَلْوَانُ الضَّرْرِ الَّتِي تُصِيبُ النَّاسَ فِي صَلَاتِهِمْ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْعَامَّةِ. وَلَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى عَمومِ الْقَاعِدَةِ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي، مِنَ الْبَابِ الْحَادِي عَشَرَ.

٩ الامام الصادق «ع»: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ «ص» عَنِ النَّطَافِ وَالْأَرْبَعَاءِ، قَالَ: وَالْأَرْبَعَاءُ أَنْ يُسْنَى مُسْنَأَةً فَيَحْمِلَ الْمَاءَ فَيَسْتَقِي بِهِ الْأَرْضَ ثُمَّ يَسْتَغْنِي عَنْهُ؛ فَقَالَ: لَا تَبِعْهُ، وَلَكِنْ أَعِرْهُ أَخَاكَ. وَالنَّطَافُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الشَّرْبُ فَيَسْتَغْنِي عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا تَبِعْهُ وَلَكِنْ أَعِرْهُ أَخَاكَ أَوْ جَارَكَ.^١

١٠ الامام الصادق «ع»: قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ: سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ تَكُونُ لَهُ الضَّيْعَةُ فِيهَا جَبَلٌ مِمَّا يُبَاعُ، يَأْتِيهِ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ وَلَهُ غَنَمٌ قَدْ أَحْتَاجَ إِلَى جَبَلٍ، يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَبِيعَهُ الْجَبَلَ كَمَا يَبِيعُ مِنْ غَيْرِهِ، أَوْ يَمْنَعَهُ مِنَ الْجَبَلِ إِنْ طَلَبَهُ بغيرِ ثَمَنِ، وَكَيْفَ حَالُهُ فِيهِ وَمَا يَأْخُذُهُ؟ قَالَ: لَا يَجُوزُ لَهُ بَيْعُ جَبَلِهِ مِنْ أَخِيهِ لِأَنَّ الْجَبَلَ لَيْسَ جَبَلَهُ، إِنَّمَا يَجُوزُ لَهُ الْبَيْعُ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِ.^٢

١١ الامام الصادق «ع»: أَنْظِرْ يَا مُفَضَّلُ! إِلَى هَذِهِ الْجِبَالِ الْمَرْكُومَةِ، مِنَ الطِّينِ وَالْحِجَارَةِ، الَّتِي يَحْسَبُهَا الْغَافِلُونَ فَضْلًا لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا. وَالْمَنَافِعُ فِيهَا كَثِيرَةٌ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَسْقُطَ عَلَيْهَا التَّلُوجُ،^٣ فَيَبْقَى فِي قَلَالِهَا مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَيَذُوبُ مَا ذَابَ مِنْهُ، فَتَجْرِي مِنْهُ الْعُيُونُ الْغَرِيزَةُ الَّتِي تَجْتَمِعُ مِنْهَا

١ - الكافي ٥ / ٢٧٧.

٢ - الكافي ٥ / ٢٧٦.

٣ - لعلَّ الْكَلِمَةَ كَانَتْ فِي الْأَصْلِ: «التَّلَجُ»، لِمَكَانِ الضَّمِيرَيْنِ بَعْدَهَا فِي «إِلَيْهِ» وَ«مِنْهُ»، وَ يُدَلُّ عَلَيْهِ تَذْكَيرُ الْفِعْلِ (يَبْقَى).

الانهار العظام، وينبت فيها ضروب من النبات والعقاير..^١

١٢ الامام الصادق «ع» : سُئِلَ (عَمَّا) يَأْكُلُ النَّاسُ مِنَ الْفَاكِهِهِ وَالرُّطْبِ مِمَّا هُوَ لَهُمْ حَلَالٌ؟ فَقَالَ : لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ ضَرُورَةٍ، وَلَا يُفْسِدُ إِذَا كَانَ عَلَيْهَا فَنَاءٌ مُحَاطٌ . وَمِنْ أَجْلِ أَهْلِ الضَّرُورَةِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ «ص» أَنْ يُبْنَى عَلَى حَدَائِقِ النَّخْلِ وَالشَّمَارِ بِنَاءً، لَكِي يَأْكُلَ مِنْهَا كُلُّ أَحَدٍ.^٢

١٣ الامام الصادق «ع» - قال راوي الحديث : قلتُ له : جُعِلْتُ فداك ! بَلَّغْنِي أَنَّكَ كُنْتَ تَفْعَلُ فِي غَلَّةِ «عَيْنِ زِيَادٍ» شَيْئًا، فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ، قَالَ : فَقَالَ لِي : نَعَمْ، كُنْتُ أَمُرُّ إِذَا أَدْرَكْتُ الثَّمْرَةَ أَنْ يُثَلَّمَ فِي حَيْطَانِهَا التَّلْمُ، لِيَدْخُلَ النَّاسُ وَيَأْكُلُوا . وَكُنْتُ أَمُرُّ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْ تُوَضَعَ عَشْرُ بُنْيَاتٍ يَقْعُدُ عَلَى كُلِّ بُنْيَةٍ عَشْرَةٌ، كُلَّمَا أَكَلَ عَشْرَةٌ جَاءَ عَشْرَةٌ أُخْرَى، يُلْقَى لِكُلِّ نَفْسٍ مِنْهُمْ مَدٌّ مِنْ رُطْبٍ . وَكُنْتُ أَمُرُّ لَجِيرَانَ الضَّيْعَةِ كُلَّهُمْ، الشَّيْخَ وَالْعَجُوزَ وَالصَّبِيَّ وَالْمَرِيضَ وَالْمَرْأَةَ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَجِيءَ فَيَأْكُلَ مِنْهَا، لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَدًّا . فَإِذَا كَانَ الْجَذَاذُ أَوْفِيَتْ الْقُؤَامَ وَالْوُكَلَاءَ وَالرِّجَالَ أُجْرَتَهُمْ وَأَحْمِلُ الْبَاقِي إِلَى الْمَدِينَةِ .. أَرْبَعُ مِئَةِ دِينَارٍ، وَكَانَ غَلَّتْهَا أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ.^٣

١٤ الامام الصادق «ع» : يَا مُفْضَلُ ! .. فَإِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْعَالَمَ بِفِكْرِكَ وَمَيَّزْتَهُ بِعَقْلِكَ، وَجَدْتَهُ كَالْبَيْتِ الْمَبْنِيِّ الْمَعْدِّ فِيهِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عِبَادُهُ، فَالسَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ كَالسَّقْفِ، وَالْأَرْضُ مَمْدُودَةٌ كَالْبِسَاطِ، وَالنُّجُومُ مَنْضُودَةٌ كَالْمَصَابِيحِ، وَالْجَوَاهِرُ مَخْزُونَةٌ كَالذَّخَائِرِ . وَكُلُّ شَيْءٍ فِيهَا لِشَأْنِهِ مُعَدٌّ . وَالْإِنْسَانُ كَالْمَمْلُوكِ ذَلِكَ الْبَيْتِ وَالْمُخَوَّلِ جَمِيعَ مَا فِيهِ، وَضُرُوبُ النَّبَاتِ

١ - البحار ٣ / ١٢٧ .

٢ - البحار ١٠٣ / ٧٥ .

٣ - الوسائل ٦ / ١٤٠ - ١٤١ .

مُهَيَّأَةً لِمَآرِبِهِ، وَصُنُوفُ الْحَيَوَانِ مَصْرُوفَةٌ فِي مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ ..^١

١٥ الامام الصادق «ع»: يا مُفَضَّلُ! .. فَإِن قَالَ قَائِلٌ: أَو لَيْسَ قَدْ يَنَالُ الطَّيْرُ مِنَ البُرِّ وَالْحُبُوبِ؟ قِيلَ لَهُ: بَلَى، عَلَى هَذَا قَدَّرَ الامرُ فِيهَا، لِأَنَّ الطَّيْرَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللّهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَهُ فِيمَا تُخْرِجُ الارضُ حَظًّا، وَلَكِن حُضِنَتِ الحُبُوبُ بِهَذِهِ الحُجُبِ لِئَلَّا يَتَمَكَّنَ الطَّيْرُ مِنْهَا كُلَّ التَّمَكُّنِ، فَيَعْبَثَ فِيهَا وَيُفْسِدَ الفَسَادَ الفَاحِشَ؛ فَإِن الطَّيْرَ لَوْ صَادَفَ الحَبَّ بَارِزًا لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَحُولُ دُونَهُ، لِأَكْبَبَ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْسِفَهُ اصْلاً، فَكَانَ يَعْزُضُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَبْشِمَ الطَّيْرُ فَيَمُوتُ، وَيَخْرُجَ الزَّرَّاعُ مِنْ زَرْعِهِ صَفْرًا، فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الوِقَايَاتُ لِتُصَوِّنَهُ، فَيَنَالُ الطَّائِرُ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا يَتَقَوَّتُ بِهِ، وَيَبْقَى أَكْثَرُهُ لِلنَّاسِ، فَإِنَّهُ أَوْلَى بِهِ، إِذْ كَانَ هُوَ الَّذِي كَدَّحَ فِيهِ وَشَقِيَ بِهِ، وَكَانَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الطَّيْرُ.^٢

١٦ الامام الصادق «ع»: فَكَّرَ يَا مُفَضَّلُ! فِي الصَّحْوِ وَالْمَطَرِ .. أَلَا تَرَى الَّذِي يُزْرَعُ سَيْحًا أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَالْأَمْطَارُ هِيَ الَّتِي تُطَبِّقُ الارضَ؛ وَرَبَّمَا تُزْرَعُ هَذِهِ البَرَارِي الوَاسِعَةُ وَسَفُوحُ الجِبَالِ وَذُرَاهَا، فَتُغَلُّ الغَلَّةَ الكَثِيرَةَ، وَبِهَا يَسْقُطُ عَنِ النَّاسِ فِي كَثِيرٍ مِنَ البُلْدَانِ مَوْونَةٌ سِيَّاقِ المَاءِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَمَا يَجْرِي فِي ذَلِكَ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّشَاجِرِ وَالتَّظَالِمِ، حَتَّى يَسْتَأْثِرَ بِالمَاءِ ذُوو العِزَّةِ، وَالقُوَّةِ، وَيُحْرَمُهُ الضُّعْفَاءُ.^٣

١٧ الامام الصادق «ع»: . ثُمَّ المَاءُ لَوْلَا كَثْرَتُهُ وَتَدَفُّقُهُ فِي العَيُونِ وَالأَوْدِيَةِ وَالانهارِ، لَضَاقَ عَمَّا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ لِشَرِبِهِمْ وَشَرَبِ أَنْعَامِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ

١ - البحار ٣ / ٦١، عن «توحيد المفضل».

٢ - البحار ٣ / ١٣٠.

٣ - البحار ٣ / ١٢٥ - ١٢٦.

وَسَقَى زُرُوعِهِمْ وَاشْجَارِهِمْ وَاصْنَافِ غَلَاتِهِمْ^١..

١٨ الامام الكاظم «ع» : إِنَّ الارضَ لِلَّهِ تَعَالَى، جَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى عِبَادِهِ، فَمَنْ عَطَّلَ اَرْضًا ثَلَاثَ سَنِينَ مُتَوَالِيَةً بِغَيْرِ مَا عِلَّةٍ، أُخْرِجَتْ مِنْ يَدِهِ وَدُفِعَتْ إِلَى غَيْرِهِ .
وَمَنْ تَرَكَ مَطَالِبَةَ حَقِّ لِهْ عَشْرَ سَنِينَ فَلَا حَقَّ لِهْ^٢ .

* قالوا بصدد الحديث : ... يُجْبِرُهُ الْإِمَامُ بَعْدَ الثَّلَاثِ عَلَى الْإِحْيَاءِ،

فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ يَدْفَعُهَا إِلَى الْعَامِرِينَ .

وقال العلامة المجلسي، بصدد المقطع الأخير : «لعله أريد عُسْرُ

إثباته، أو يُحْمَلُ عَلَى مَا إِذَا دَلَّتِ الْقُرَائِنُ عَلَى الْإِبْرَاءِ»^٣ .

١ - البحار ٣ / ١٢٢ .

٢ - الكافي ٥ / ٢٩٧ .

٣ - راجع : «الكافي»، الصفحة المذكورة ، الهامش.

نظرة الى الفصل

يَتَّضِحُ التَّوْجِيهُ الْقُرْآنِيُّ الْمَذْكُورُ، فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ، مِنْ تَعَالِيمِ هَذَا الْفَصْلِ اَيْضاً، بِجَلَاءٍ وَوُضُوحٍ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْاَرْضِ اِنَّمَا خُلِقَ وَاُعِدَّ لَا سِتْفَادَةَ الْاِنْسَانِ وَلَا سِتْمَتَاعَ كُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ مِنْ اَفْرَادِ الْاِنْسَانِ بِهِ، لَا لِأَنْ يَحْتِكِرَهُ الْمُحْتَكِرُونَ وَيَسْتَغْلِلَهُ الْمُسْتَغْلُونَ .

إِنَّ هَذَا الْخِطَابَ الْقُرْآنِيَّ «لَكُمْ» قَدْ جَاءَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ، وَلَقَدْ مَرَّبْنَا خَمْسُونَ آيَةً مِمَّا يُمْتُ إِلَيْهِ فِي الْفَصْلِ السَّادِسِ وَالثَّلَاثِينَ، مِنْ الْبَابِ الْحَادِي عَشَرَ . وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُسْتَهَانُ بِهِ فِي التَّنْظِيمِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالْبَرْمَجَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْمَعِيشِيَّةِ . وَإِنَّ هَذَا التَّعْمِيمَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَقْيَاساً مِنْ الْمَقْيَاسِ لَدِي الْمُبْرَمَجِينَ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ لَا تَغْفَلَ عَنْهُ الْفُقَاهَةُ الْاِسْلَامِيَّةُ . وَلَقَدْ ذُكِرَ فِي الْاِحَادِيثِ أَنَّ هَذِهِ الْاُمُورَ سَتُجَسَّدُ فِي دَوْلَةِ الْمَهْدِيِّ «ع»، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي دَوْلَتِهِ تَصَلُّ السُّلْطَةُ الْعَمَلِيَّةُ إِلَى اَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ الْعَادِلِينَ . فَكَلَّمَا حَصَلَتِ السُّلْطَةُ يَجِبُ تَنْفِيذُ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الرُّقْعَةِ الَّتِي قَدْ سَادَهَا الْمُؤْمِنُونَ الْقُرْآنِيُّونَ . وَهَذَا أَمْرٌ لَا مَحِيدَ عَنْهُ لِأَيِّ اِصْلَاحِ اِجْتِمَاعِيٍّ، وَلَا مَفْرَّ مِنْ الْبُخُوعِ بِهِ وَبِتَطْبِيقِهِ لِأَيِّ مُسْلِمٍ نَابَهُ .

وَلَعَلَّ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ وَالتَّعَالِيمَ الْحَدِيثِيَّةَ الَّتِي أوردَناها فِي الْمَتْنِ فِي هَذَا الْفَصْلِ - وَالْفُصُولِ الْمِضَاهِيَّةِ لَهُ - كَافِيَةً لِتَرْكِيزِ هَذَا الْاِتِّجَاهِ الْقُرْآنِيَّ وَالتَّوْجِيهِ الْاِسْلَامِيَّ عِنْدَ كُلِّ مَنْ يُرِيدُ خَيْراً وَصِلَاحاً وَتَثْبِيثاً لِأَصُولِ دِينِ اللَّهِ الْعَمَلِيَّةِ .

الفصل الرابع

العمل والعمالة، ودورهما الرئيسي في البناء الاقتصادي (١)

أ- العمل في سنة التكوين

الكتاب

- ١ .. أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا..^١
- ٢ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا*^٢
- ٣ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ..^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: مَنْ يَعْمَلْ يَزِدَّهُ قُوَّةً.^٤

١ - سورة هود (١١) : ٦١.

٢ - سورة الفرقان (٢٥) : ٤٧.

٣ - سورة القصص (٢٨) : ٧٣.

٤ - غرر الحكم / ٢٦٩.

- ٢ الامام علي «ع»: من يُقَصِّرُ في العملِ يَزِدُّ فِتْرَةً^١.
- ٣ الامام السجاد «ع»: الحمدُ لله الذي رَكَّبَ فينا آلاتِ البسط، وجَعَلَ لنا ادواتِ القبض، ومَتَّعنا بارواحِ الحياة، وأَثَبَتَ فينا جوارحَ الاعمال، وغَدَّانا بطيِّباتِ الرُّزق، وأَغْنانا بفضله، وأَقْنانا بمنه^٢.
- ٤ الامام السجاد «ع»: الحمدُ لله الذي خَلَقَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ بِقُوَّتِهِ .. يُوَلِّجُ كُلَّ واحدٍ منهما في صاحبه، وَيُوَلِّجُ صاحبه فيه، بتقديرٍ منه للعباد، بما يَغْذُوهم به وَيُنْشِئُهُم عليه، فخلق لهم اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فيه من حركاتِ التَّعبِ ونَهَضَاتِ النَّصبِ، وجَعَلَهُ لباساً لِيَلْبَسُوا من راحته ومنامه، فيكونَ ذلك لهم جَماماً وقُوَّةً، ولينالوا به لذةً وشهوةً. وخلق لهم النَّهَارَ مُبْصِراً، لِيَبْتَغُوا فيه من فضله، وليَتَسَبَّبُوا الى رزقه، وَيَسْرَحُوا في ارضه، طلباً لما فيه نيلُ العاجلِ من دنياهم، ودركُ الآجلِ في آخرهم^٣.
- ٥ الامام الصادق «ع»: اِعْتَبِرْ يا مُفَضَّلُ! باشياء خُلِقَتْ لِمَآرِبِ الانسان، وما فيها من التدبير، فانه خُلِقَ له الحَبُّ لطعامه، وكُلِّفَ طَحْنَهُ وَعَجْنَهُ وَخَبْزَهُ. وخُلِقَ له الوَبْرُ لِكِسْوَتِهِ، فكلَّفَ نَدْفَهُ وَغَزْلَهُ وَنَسِجَهُ . وخُلِقَ له الشَّجَرُ فكلَّفَ غَرَسَهَا وَسَقِيَهَا والقيامَ عليها. وخُلِقَتْ له العَقَاقِيرُ لِأَدْوِيَّتِهِ، فكلَّفَ لِقْطَهَا وَخَلْطَهَا وَصُنْعَهَا . وكذلك تَجِدُ سائرَ الاشياء على هذا المِثال . فانظر! كيف كُفِيَ الخَلْقَةَ التي لم يَكُنْ عنده فيها حيلة، وتُركَ عليه في كلِّ شيءٍ من الاشياء موضعُ عملٍ وحركةٍ لما له في ذلك من الصَّلاح، لانه لو كُفِيَ هذا كُلُّه، حتى لا يكونَ له في الاشياء موضعُ شغلٍ وعملٍ، لما حَمَلَتْهُ الارضُ أَشْراً وَبَطْراً، ولبَلَغَ به كذلك الى ان يَتَعَاطَى اموراً فيه تَلْفُ نَفْسِهِ . ولو كُفِيَ

١ - غرر الحكم / ٢٦٩ .

٢ - الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ / ٣٦ (الدَّعاء ١).

٣ - الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ / ٦٨ - ٦٩ (الدَّعاء ٦).

النَّاسُ كُلُّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، لَمَا تَهَنَّأُوا بِالْعَيْشِ، وَلَا وَجَدُوا لَهُ لَذَّةً؛ الْا تَرَى
لَوْ أَنَّ امْرَأً أَنْزَلَ بِقَوْمٍ فَأَقَامَ حِينًا بَلَغَ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ
وخدمة، لَتَبَرَّمَ بِالْفَرَاغِ، وَنَازَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى التَّشَاغُلِ بِشَيْءٍ؟ فَكَيْفَ لَوْ كَانَ
طَوْلَ عَمْرِهِ مَكْفِيًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ؟

وكان من صواب التدبير في هذه الاشياء التي خلقت للانسان ان
جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة، ولتكفه عن تعاطي ما لا
يناله، ولا خير فيه ان ناله ١.

٦ الامام الصادق «ع»: يا مُفضَّل! .. انظر الى العاصير كيف تطلب اكلها
بالنَّهَارِ، فَهِيَ لَا تَفْقُدُهُ، وَلَا هِيَ تَجِدُهُ مَجْمُوعًا مُعَدًّا، بَلْ تَنَالُهُ بِالْحَرَكَةِ
وَالطَّلْبِ، كَذَلِكَ الْخَلْقُ كُلُّهُ؛ فَسَبِّحَانَ مِنْ قَدَّرَ الرِّزْقَ .. فَلَمْ يَجْعَلْ مِمَّا لَا
يُقَدَّرُ عَلَيْهِ، اذ جعل للخلق حاجةً اليه، ولم يجعله مبدولاً وينال بالهويناء، اذ
كان لا صلاح في ذلك، فانه لو كان يوجد مجموعاً مُعَدًّا كانت البهائم تتقلب
عليه ولا تنقلع حتى تبشم فتهلك . وكان الناس ايضاً يصيرون بالفراغ الى
غاية الاشر والبطر، حتى يكثر الفساد ويظهر الفواحش ٢.

٧ الامام الصادق «ع»: .. ربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت
عليهم في تقصي الاعمال بالنهار، او لشدة الحر وافراره؛ فيعمل في ضوء
القمر اعمالاً شتى كحرث الارض وضرب اللبن وقطع الخشب وما اشبه
ذلك، فجعل ضوء القمر معونة للناس على معاشهم إذا احتاجوا إلى
ذلك .. ٣

١ - البحار ٣ / ٨٦ - ٨٧.

٢ - البحار ٣ / ١٠٦.

٣ - البحار ٣ / ١١٣ - ١١٤.

ب - العمل في سنّة التشريع

الكتاب

- ١ فإذا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ..^١
- ٢ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ..^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: «كُلُوا مِنْ كَدِّ أَيْدِيكُمْ»^٣
- ٢ النبي «ص»: «طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ»^٤
- ٣ النبي «ص» - سُئِلَ النَّبِيُّ «ص»: أَيُّ كَسْبِ الرَّجُلِ أَطْيَبُ؟ قَالَ عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ.^٥
- ٤ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الصّادق، عن آبائه: طَلَبُ الْكَسْبِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ.^٦

١ - سورة الجمعة (٦٢): ١٠.

٢ - سورة يس (٣٦): ٣٥.

٣ - البحار ٦٦ / ٣١٤.

٤ - البحار ١٠٣ / ٩، عن «جامع الاخبار».

٥ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٠.

٦ - البحار ١٠٣ / ١٧.

- ٥ الامام علي «ع»: في كلِّ وقتٍ عملٌ^١.
- ٦ الامام الصادق «ع» - قال راوي الحديث: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع»،
اذْأَقْبَلَ الْعَلَاءُ بْنُ كَامِلٍ، فَجَلَسَ قُدَّامَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع» فَقَالَ: أَدْعُ اللَّهَ أَنْ
يَرْزُقَنِي فِي دَعَاةٍ! فَقَالَ: لَا أَدْعُوكَ، أُطَلِّبُ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ!^٢

ج - الحثُّ على العمل (١)

الكتاب

- ١ .. وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً *^٣
- ٢ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ *^٤

الحديث

- ١ النبي «ص»: مَنْ أَكَلَ مِنْ كَدِّ يَدِهِ، مَرَّ عَلَى الصَّرَاطِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ.^٥

١ - غرر الحكم / ٢٢٥.

٢ - الكافي / ٥ / ٧٨.

٣ - سورة الانسان (٧٤) : ٢٢.

٤ - سورة الفاشية (٨٨) : ٩.

٥ - المستدرک / ٢ / ٤١٧.

- ٢ النبي «ص»: من أكل من كدِّ يده حلالاً، فُتِحَ له ابوابُ الجنة، يَدْخُلُ من أيِّها شاء^١.
- ٣ النبي «ص»: من أكل من كدِّ يده، نظر الله اليه بالرحمة، ثم لا يُعذِّبُه ابداً^٢.
- ٤ النبي «ص»: - فيما رواه الامامُ الصادق، عن آباءه: من باتَ كالأل من طلبِ الحلال، بات مغفوراً له^٣.
- ٥ النبي «ص» - جاء رجلٌ الى النبيِّ «ص» وقال: ما طَعِمْتُ طعاماً منذ يومين . فقال: عليك بالسُّوقِ ..^٤
- ٦ النبي «ص»: من لم يَسْتَحْيِ من الحلالِ نَفَعَ نفسه، وخَفَّتْ مؤونته، ونُفِيَ عنه الكبر ..^٥
- ٧ النبي «ص»: إنَّ منَ الذُّنوبِ ذُنوباً لا يُكفِّرُها صلاةٌ ولا صدقة . قيل: يا رسولَ الله! فما يُكفِّرُها؟ قال: الهُمومُ في طلبِ المعيشة^٦.
- ٨ النبي «ص»: من أكل من كدِّ يده، كان يومَ القيامةِ في عِدادِ الانبياء، ويأخذُ ثوابَ الانبياء^٧.
- ٩ عيسى المسيح «ع» - روي في اخبارِ الحواريين: أَنَّهُم اتَّبَعُوا عيسى «ع»، وكانوا اذا جاعوا قالوا: يا روحَ اللهِ جُعنا! فَيَضْرِبُ بيده على الارض - سهلاً كان او جبلاً - فيخْرُجُ ماءً فيشْرَبُونَ .. قالوا: يا روحَ اللهِ! مَنْ افضلُ منّا، اذا شِئنا اطْعَمْتنا، واذا شِئنا سَقَيْتنا، وقد آمَنَّا بك واتَّبَعناك؟ قال: افضلُ

١ و ٢ - المستدرك ٢ / ٤١٧ .

٣ - الوسائل ١٢ / ١٣ .

٤ - سفينة البحار ١ / ٥٨٤ .

٥ - تحف العقول / ٤٨ .

٦ و ٧ - المستدرك ٢ / ٤١٥ و ٤١٧ .

مَنْكُم مَّن يَعْمَلُ بِيَدِهِ وَيَأْكُلُ مِنْ كَسْبِهِ ١.

د - الحث على العمل (٢)

الكتاب

١ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصَرَةً، لِيَتَّبِعُوا فُضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ٢.

الحديث

- ١ النبي «ص»: الكادُّ على عياله كالمجاهد في سبيلِ الله ٣.
- ٢ الامام علي «ع»: .. الحرفةُ مع العفةِ خيرٌ من الغنى مع الفُجور ٤.
- ٣ الامام علي «ع»: اوصيكم بالخشية من الله في السرِّ والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والاكْتسابِ في الفقر والغنى ٥.
- ٤ الامام الباقر «ع»: إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحْتَرِفٍ، وَلَا لِمَنْ مَرَّةً سَوِيًّا قَوِيًّا،

١ - سفينة البحار ٢ / ٤٧٨.

٢ - سورة الاسراء (١٧): ١٢.

٣ - المستدرک ٢ / ٤٢٤.

٤ - نهج البلاغة / ٩٣٠: عبده ٣ / ٥٨.

٥ - تحف العقول / ٢٨٨.

فتنزّهوا عنها^١.

- ٥ الامام الصادق «ع» - إن رجلاً أتى ابا عبد الله «ع» فقال: إني لا أحسن أن أعمل عملاً بيدي، ولا أحسن أن أتجر، وانا مُحارِفٌ محتاج، فقال: اعمل، فأحمِل على رأسك، واستغن عن الناس^٢.
- ٦ الامام الكاظم «ع»: من طلبَ هذا الرزقَ من حِلِّه، ليعودَ به على نفسه وعباله، كان كالمجاهدِ في سبيلِ الله^٣.
- ٧ الامام الرضا «ع»: إن الذي يطلبُ من فضلِ يَكْفُ به عياله، أعظمُ اجراً من المجاهدِ في سبيلِ الله^٤.
- ٨ الامام علي «ع»: ما غُدوةٌ أحدكم في سبيلِ الله بأعظمَ من غُدوته يطلبُ لوَلده وعباله ما يصلحُهم^٥.

هـ - إتقان العمل -

- ١ النبي «ص»: اذا عَمِلَ احدكم عملاً فليَتقِنُ^٦.
- ٢ النبي «ص»: .. لكنَّ الله يُحبُّ عبداً اذا عَمِلَ عملاً أَحَكَمَه^٧.

١ - الوسائل ٦ / ١٥٩ ..

٢ - الوسائل ١٢ / ٢٣ ..

٣ - الوسائل ١٢ / ١١ ..

٤ - تحف العقول / ٣٢٨ ..

٥ - المهذب ١ / ٣٤٤ ..

٦ - سفينة البحار ٢ / ٢٧٨ ..

٧ - امالي الصدوق / ٣٤٤ ..

و- انتظام العمل

- ١ النبي «ص» - فيما نقله «ص» عن صُحفِ ابراهيم «ع» لا بي ذرَّ الغفاري :
على العاقلِ أن (لا) يكونَ ظاعناً إلا في ثلاثٍ : تزوُّدٍ لمعادٍ، او مرَّمةٍ
لمعاشٍ، او لذَّةٍ في غيرِ مُحَرَّمٍ^١.
- ٢ الامام علي «ع» - في وصيَّته التاريخيَّة المشهورة : .. ونظم امرِكم^٢.
- ٣ الامام علي «ع» : .. اياك والعجلة بالامورِ قبلَ اوانِها، او التَّساقُطَ فيها عندَ
امكانِها، او اللِّجاجةَ فيها اذا تَنَكَّرت، او الوهنَ عنها اذا اسْتَوْضَحَتْ؛
فَضَعْ كُلَّ امرٍ موضَعَه، وَاوَقِعْ كُلَّ عملٍ موقَعَه^٣.
- ٤ الامام علي «ع» : .. اَمْضِ لِكُلِّ يومٍ عَمَلَه، فإِنَّ لِكُلِّ يومٍ ما فيه^٤.
- ٥ الامام علي «ع» : الدُّنيا دُوْلٌ، فَاطْلُبْ حَظَّكَ مِنْهَا بِأَجْمَلِ الطَّلَبِ^٥.

ز- العمل بالعلم والاختصاص

الكتاب

-
- ١ - مكارم الاخلاق / ٥٥٧.
 - ٢ - نهج البلاغة / ٩٧٧؛ عبده ٣ / ٨٥.
 - ٣ - نهج البلاغة / ١٠٣١؛ عبده ٣ / ١٢٠.
 - ٤ - نهج البلاغة / ١٠٢٢؛ عبده ٣ / ١١٤.
 - ٥ - الوسائل / ١٢ / ٢٩.

١ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ *

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: النَّاسُ ابْنَاءُ مَا يُحْسِنُونَ ٢.
- ٢ الامام علي «ع»: قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مِثْلُ مَا يُحْسِنُهُ ٣.

* قال الشريف الرضي، في ذيل هذه الحكمة: «وهذه الكلمة التي لا تُصابُ لها قيمة، ولا تُوزَنُ بها حكمة، ولا تُقرَنُ اليها كلمة». وهذا الكلام اداءً لحق هذه الحكمة الخالدة والبناءة. وهي بدورها تنفي القيم الواهية التي يحسبها الانسان قيمة لنفسه. فليست قيمة كل امرئ ما امتلكه من المال والثروة، او ما حازه من الجاه والجلالة، وما الى ذلك كله، بل قيمته الواقعية هي ما يحسنه. ولا فرق بين ان يكون المراد ما يحسنه الانسان، او ما يحسن الانسان. لان الثاني ايضاً هو الاول في النظرة الحكيمة.

- ٣ الامام الصادق «ع»: ما أبالي الى من ائتمنت، خائناً او مضيعاً ٤.
- ٤ الامام الصادق «ع»: كلُّ ذي صناعةٍ مضطَّرُّ الى ثلاثٍ خِلالٍ يَجْتَلِبُ بها

١ - سورة يوسف (١٢): ٥٥.

٢ - ارشاد المفيد / ١٤٢؛ وفي طبعة: ١٥٨.

٣ - نهج البلاغة / ١١٢٢؛ عبده ٣ / ١٦٨.

٤ - تحف العقول / ٢٧٠.

المَكْسَب، وهو: أن يكون حاذقاً بعمله^١..

* راجع ايضاً: الفصل الحادي عشر، من هذا الباب .

ح- العمل بالالتزام

الكتاب

- ١ والَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ *^٢
- ٢ .. إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ *^٣

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع»: كلُّ ذي صناعةٍ مضطَّرُّ الى ثلاثِ جِلالٍ يَجْتَلِبُ بها المَكْسَب، وهو: أن يكون حاذقاً بعمله، مُؤدِّياً للامانةِ فيه، مُستميلاً لمنِ اسْتَعْمَلَهُ.^٤

١ - تحف العقول / ٢٣٧ .

٢ - سورة المعارج (٧٠) : ٣٢ .

٣ - سورة القصص (٢٨) : ٢٤ .

٤ - تحف العقول / ٢٣٧ .

نظرة الى الفصل

إن للعمل أهمية رئيسية في حياة الانسان، وهي امرٌ معلوم. ولقد تجسدت تلك الأهمية في التعاليم الإسلامية وبدت واضحة الجوانب، مكشوفة الاغوار، بوصفها حافزاً ايجابياً قوياً لنفخ روح السعي والاجتهاد في الافراد والقطاعات. إن هذه التعاليم قد أوضحت، بصورة واساليب شتى، أن العمل كما أن له دوراً حياتياً في نظام الانتاج والزراعة وال عمران والاقتصاد الاجتماعي، وكذلك له دورٌ حياتي هام في النظام الثقافي والاخلاقي والروحي والتربوي والسياسي والدفاعي ايضاً. ومن هنا قد اتخذت الاسلام بالنسبة الى العمل والترغيب البالغ المحتم فيه، موقفاً حاسماً حافزاً يوفي الموضوع حقه، ويتمتع باصالة وتوجيه، كأبلغ ما تكون الاصالة والتوجيه.

ولعله يكفي للتدليل على هذا الموضوع، أن نتعمق في كلمات الامام المعلم، ابي عبدالله جعفر الصادق «ع»، حيث يشرح اسرار العمل الفردية والاجتماعية واهميته المختلفة، لتلميذه المفضل بن عمر الجعفي، في حديث طويل، أوردنا مقاطع منه في الفصل، الفقرة «أ».

ولأن نلقي ضوءاً على ما للعمل من الأهمية في التصور الاسلامي، نشير الى جهات هامة تركز قيمة العمل وتجلي تأثيره الايجابي الوحيد في شتى مناحي حياة الانسان، وترغب الناس في تبنيه والتفاعل معه:

- ١ - الجهة الطبيعية .

٢ - الجهة الانسانية الجسمية .

٣ - الجهة الانسانية الروحية .

- ٤ - الجهةُ الحياتيةُ .
- ٥ - الجهةُ التربويةُ .
- ٦ - الجهةُ التعليميةُ .
- ٧ - الجهةُ الاخلاقيةُ .
- ٨ - الجهةُ التكامليةُ .
- ٩ - الجهةُ الاجتماعيةُ .
- ١٠ - الجهةُ البيئيةُ .
- ١١ - الجهةُ الاقتصاديةُ .
- ١٢ - الجهةُ التشريعيةُ .
- ١٣ - الجهةُ الثقافيةُ .
- ١٤ - الجهةُ السياسيةُ .
- ١٥ - الجهةُ الدفاعيةُ .
- ١٦ - الجهةُ الفنيةُ .
- ١٧ - الجهةُ الصحيةُ .
- ١٨ - الجهةُ التقدميةُ .
- ١٩ - الجهةُ الصناعيةُ .
- ٢٠ - الجهةُ الرفاهيةُ .

والى القارئ شرحاً مقتضباً لهذه الجهات :

شرح الجهات الهامة التي تركز قيمة العمل

١ - الجهةُ الطبيعيةُ : إنّ النواميس السائدة على الكون والخلق و المجتمع، تُوجبُ العملَ وتَحْتِمُهُ بالذات، لِأَنَّ اخراجَ المواهبِ الطبيعيةِ من القُوَّةِ الى الفعليةِ واعدادها لاستفادةِ الانسانِ في حياته منها، إنّما يحتاجُ

الى العمل، بل يتوقف عليه في الاغلب رأساً؛ فكلُّ شيء يقع في مُتناولِ
الإنسانِ لاستهلاكه ليلَ نهار، إنما يتمُّ بفضلِ ما عَمِلَ فيه .

٢- الجهة الانسانية الجسمية: إنَّ العملَ يُؤدِّي كذلك الى خروجِ قُوَى
الانسانِ الجسمية الى الفعلية، والى تقويمِ بدنه وفتلِ عضلاته، وبروزِ
مواهبه النظرية لدى التفاعل مع الواقع في صورٍ من العملِ والكسبِ؛
فبهما يتقوى كيانُ الانسانِ العملي، ويتجلى نشاطه الصامد، فتكملُ قواه
وتتزايد. وهذا كما يقول الامام علي «ع»: «من يعمل يزدد قوة، من يقصر
في العمل يزدد فترة»^١.

في هذا الضوء، إنَّ تركَ العملِ بل التقليل منه، يُوجبُ الفتورَ
الجسمي فالروحي. وعلى العكس منه، التوفرُّ على العمل، فإنه سببٌ
يخرجُ به قُوَى الانسانِ وقدراته الجسمية الى الفعلية والظهور - كما مرّ -
وبكلامٍ آخر، كما أنَّ الانسانَ يحتاجُ الى الغذاءِ كذلك يحتاجُ الى العملِ .
وإنَّ العملَ للجسمِ الانساني كالماءِ للنبات .

٣- الجهة الانسانية الروحية: من الواضح، أنَّ تأثيرَ العملِ في الكيانِ
الانساني بالتقوية والتنشيط لا ينحصرُ في الجهة الجسمية فقط، بل
يتعداها الى الجهة الروحية والمعنوية، اذ العملُ يصفِّي الروحَ و يُجَلِّي
المواهبَ الباطنة ويصقلُ الضميرَ الانساني . وبالعملِ تُؤدَّى الاعمالُ
والوظائفُ الدينية، فالانسانُ يحتاجُ الى العملِ لا من جهة جسمه فقط، بل
من جهة روحه ايضاً . والعملُ يصنعُ روحَ الانسانِ ويشيدُ كيانه المعنوي .
والفراغُ والبطالة - بما لهما من الآثارِ السلبية - يمحقانِ معنوية الانسانِ
ويفنيانها . ولقد عدَّ الامامُ الصادقُ «ع» - فيما نقلناه - العملَ للانسانِ

نظرة الى الفصل الرابع ..

واجباً تكوينياً وضرورةً طبيعياً وانشائيةً. وإنَّ تعبيره «كُلف»، يُفهم بوضوح، أنَّ العملَ وظيفةٌ جديةٌ قد وُضعتْها حكمةُ العالمِ ونواميسه على عاتقِ الانسان .

٤ - الجهةُ الحياتيةُ : إنَّ حياةَ الانسانِ على ظهرِ هذه السَّيارةِ وبقائه فيها، مع ما يكتنِفُ الحياةَ الارضيةَ من النواميسِ والقوانينِ والملائماتِ والمضاداتِ، إنما تحتاجُ الى العملِ، بل تقومُ به و تتوقَّفُ عليه . فلا حياةٌ لولا العملِ . فالعملُ ضرورةٌ حياتيةٌ قبلَ كلِّ شيءٍ . وهذه حقيقةٌ قائمةٌ ملموسةٌ لكلِّ احدٍ، وقد قرَّرتْها حكمةُ العالمِ هكذا . وألهمَ الانسانَ القيامَ بتطبيقها لأنَّ يعيشَ ويدوم . ولقد اشار الامامُ الصادقُ «ع» في كلامه عن فلسفةِ العملِ والاشتغال، الى أنَّ العملَ يَصونُ الانسانَ من التلَفِ والبوارِ والفناءِ .

٥ - الجهةُ التربويةُ : يُؤدِّي العملُ الى تفاعلِ الانسانِ مع الطبيعةِ ولمسِ قوانينِها، لِإثارةِ ما فيها من المواهبِ، والانصهارِ بما فيها من الرموزِ . فالانسانُ يتعاملُ مع الطبيعةِ ومظاهرها وظواهرها بعمله، والطبيعةُ كذلك تتعاملُ مع الانسانِ وتخلُقُ فيه آثاراً ايجابيةً جليلةً، تُربِّيه وتوسِّعُ آفاقَ وجوده وتجاربه . نعم، الانسانُ يُثَقِّفُ بمباشرةِ العملِ وتنمُو قواه الادراكيةُ في ميادينِ الكدِّ والاجتهادِ العمليِّ، مثلما يُثَقِّفُ وتنمُو قواه الادراكيةُ في ميادينِ الفكرِ والعلمِ .

٦ - الجهةُ التعليميةُ : يكشفُ الانسانُ في أثناءِ العملِ والمباشرةِ ما لم يكنْ مكشوفاً له من قبل . فالعملُ مدرسةُ المعرفةِ والتَّجربةِ، لأنَّه يُعَلِّمُ

١ - البحار ٣ / ٨٦، مرَّ حديثه في الفصل .

الانسان ما لم يَعْلَم، وَيَرْفَعُ السُّتَارَ له عن النواميسِ الحاكمةِ على الطبيعة، وَيُكُونُ له عقلاً عملياً جباراً يُسَيِّطِرُ به على الآفاق، حيث يَفْتَحُ عينه على الطبيعة وما فيها، وما يلزمُ للاستمتاعِ بها وتسخيرها من المساعي الباهظة والادواتِ الدّقيقة . وهناك يَنكَشِفُ لدى الانسانِ ما في العالمِ من الصّلاتِ الثانويّةِ والاسرارِ المتشابكةِ، من التي ربما لا تَنكَشِفُ بغيرِ العملِ .
ومن هنا نشاهدُ أنّ العلمَ الذي قد حَصَلَ للبشريّةِ من العملِ والسّعيِ المباشرِ، من سالفِ الايامِ الى العصرِ الحاضرِ، له شأنٌ لا يُستهانُ به، في حياةِ الانسانِ وتطويرها المُعجِب .

٧- الجَهَةُ الاخلاقيّةُ : إنّ دورَ العملِ في اغناءِ الخُلُقِ الانسانيّ وتهذيبه واضحٌ ايضاً، اذ العملُ مسؤوليّةٌ، فَمَنْ شَعَرَ بتلكِ المسؤوليّةِ واقدم على ادائها يبتعدُ عن العَطالةِ واللامبالاةِ، فيسَلِّمُ من مفسدِ الفراغِ واضرارهِ واضرارِ الاشتغالِ بالعبثِ واللّهو . وهنا تَتَفَتَّحُ قِوَاهُ الاخلاقيّةِ وتَهْتَدِبُ نفسه الشاعرةُ بالمسؤوليّةِ، السّاعيةُ لتجسيدها. وإنّ مضرّاتِ العُطلةِ والفراغِ الخُلُقِيّةِ واضحة . وهذا ما اشارَ اليه الامامُ الصّادق «ع» بقوله : «... وكان النّاسُ ايضاً يصيرون بالفراغِ الى غايةِ الاشرِ والبَطَرِ، حتى يكثرُ الفسادُ ويظهرَ الفواحشُ»^١. ولقد اشارَ الامامُ «ع» في مقطعٍ آخر من هذا الكلام، الى أنّ العملَ والاشتغالَ يُحصِنُ الانسانَ ضدَّ الاشرِ والبَطَرِ والتَّمييعِ والسُّقوطِ^٢.

٨ - الجَهَةُ التكامليّةُ : إنّ العملَ والسّعيَ يجعلانِ الانسانَ يُمسُّ واقعَ الحياةِ الارضيّةِ، التي هي حركةٌ هادفةٌ (والحركةُ الهادفةُ متكاملةٌ بالطّبع)، ويُمكِّنانه من أن يتّصَلَ بالطبيعةِ، اتّصالَ التّعاملِ، وأن يأنسَ بها من كَتَب .

١ و ٢ - البحار ٣ / ٨٦ وما بعدها، مرّ بعضُ هذا الكلام في الفصل .

نظرة الى الفصل الرابع ..

وهذه مرحلة عظيمة في التجربة الانسانية والسير التكاملي . فكيف يتكامل انسان لا يعرف الطبيعة وابعادها الغامضة الاسرار، البعيدة الاغوار، ولا يعالج تلك الابعاد ولا يمارسها ولا يقف عليها مباشراً؟
فبالعمل يغوص الانسان في غمرات الطبيعة وبحار الحياة، ويفطس فيها ليستخرج منها انفس الاشياء واتمنها، وهو انصهاره بروح الحركة النشيطة المتجاوبة مع سائر ما في الوجود من كائن، في استهدافٍ وسعي، فيصير بذلك جزءاً فعلاً هادفاً منسجماً مع سائر اجزاء العالم الفسيح ..
فيصعد في سلم التكامل المنشود . وهذا مالا تصل اليه ايدي العاطلين والبطالين والفارغين والعابثين واللاهين، اذ العبت واللّهو يفصل الانسان عن الواقعية والحياة، ويحجبه عن حقائق الطبيعة ومضمون الزمن . فالانسان العاطل يلمس البعد عن الواقع باليد، ويستنكر الموضوعيات الحياتية، ويحرم من التفاعل معها ولا يجاوبها ولا ينصهر بروحها .

٩ - الجهة الاجتماعية : نجد من الجانب الاجتماعي ايضاً ان العمل ضرورة اجتماعية، لا يمكن اهمالها، ولا تحمد عقبى التخلي عنها، فواجب كل فرد من افراد المجتمع الانساني ان يشتغل بعمل، وان يشارك الناس في تأمين حاجات الناس - وهو منهم - وان يسعى تماماً لان يطور ملامح الحياة بانتاج . فالعامل يفيد المجتمع بعمله ونتاجه، ويستفيد من السائرين باعمالهم ونتاجهم، فهو منتج متاعاً ومستهلك متاعاً، فيتعامل مع الناس، يعطي لقسم منهم ويأخذ من قسم آخر . وبذلك يخرج من الركود والسكون والاهمال واحساس الغربة والبعد عن الناس الى الحركة والنشاط والكد والتألف، فلا يكون ملقياً كله على الناس، ولا يكون منفصلاً منهم، بل يكون مشاركهم في دفع عجلة الحياة الاجتماعية الى الامام . وهذا الانسان يحس بالامل، وينظر الى المستقبل نظر امل نشيط،

وَيَتَخَلَّصُ مِنْ مَخَالِبِ الْيَأْسِ وَالْإِهْمَالِ وَالْعَبَثِ وَالتَّكْرَارِ الْمِمْلِ الْمُرْجِعِ،
وسائر ما هنالك من سلبيات الفراغ ومفاسده . وهذا ما يُشيرُ إليه الامامُ
الصَّادِقُ «ع» بقوله : «وهكذا الانسانُ لو خلا من الشُّغل، لخرج من الأشرِ
والعَبَثِ والبَطْرِ الى ما يعظُمُ ضرره عليه وعلى مَنْ قُرْبَ منه؛ وأعتبرَ ذلك
بمن نشأ في الجِدَّةِ ورفاهية العيشِ والتَّرفهِ والكفاية، وما يُخرِجهُ ذلك
اليه»^١.

١٠- الجهة البيئية: من أهم آثار العمل الايجابية، إخضاع النفسِ
لتكاليفه، فيعملُ الانسانُ ولا يَأْبِي عنه. وعندَ ذلك يجدُ نفسه مفيداً لنفسه
ولعائلته، مُعزَّزاً في بيئته، حيث لا يجدُه الاقرباءُ والاصدقاءُ فارغاً كَسِلاً،
بل يجدونه كاداً ساعياً مُجداً، قد وَضَعَ المسؤولية على عاتقه كانسانٍ ملتزم،
ويشاركُ العائلةَ والبيئةَ في تأمينِ الحاجياتِ وتطويرِ العيشِ وتغييرها، ولا
يُجانِبُ السَّاعينَ والملتزمين بوجهه، فهو عزيزٌ كسائرِ الاعزاء، مفيدٌ مُثمرٌ
كما ينبغي لأيِّ فردٍ أن يكون . وهذه الحالةُ إنما تحصلُ بفضلِ ما يقومُ به
الانسانُ من العملِ واداءِ ما عليه من الواجب . فيُعدُّ حاجياتِه بنفسه،
وحاجياتِ عائلته وغيرها، ويدفعُ بذلك عن نفسه الفقرَ ودُّله، فيُحصِّنُ
جانِبَ شخصيَّته عن ايِّ وهنٍ او اُزْدراء، ويَتَمَتَّعُ من رضا الخالقِ - جلَّ
اسمه - وتوقيرِ المخلوق، واطمينانِ النفسِ وسكينةِ الضميرِ.

١١- الجهة الاقتصادية: لعلَّ هذه الجهة - من الجهاتِ التي تُجسِّدُ أماننا
اهمّية العمل - لا تحتاجُ الى ايضاح، لأنَّها من اجلى الواضحات .
فالاقتصادُ يقومُ على التَّصرُّفِ في الطَّبيعةِ وما لها من الموارد . وهذا لا
لايَتَسَنَّى الا بالعمل . فالعملُ للاقتصادِ كالعمادِ للبيت، فكما انه لا بيتَ

نظرة الى الفصل الرابع ..

بلاعماد، فكذلك لا اقتصاد بلا عمل. ولا فرق هنا بين الاقتصاد الفردي والمجتمعي؛ فعلى الانسان أن يكون ذا عملٍ وشغلٍ، بصورةٍ تُؤمّن حاجاته وحاجات مجتمعه، وتزيد على ثروات أمته. ولذلك قد جعل الله للناس القدرة على العمل، و«رَكَّبَ فِيهِم آيَاتِ الْبَسْطِ، وَجَعَلَ لَهُمِ ادْوَاتِ الْقَبْضِ، وَمَتَّعَهُمْ بِأَرْوَاحِ الْحَيَاةِ، وَأَثَبَتْ فِيهِمْ جَوَارِحَ الْأَعْمَالِ...»^١ - على حدّ تعبير مولانا الامام عليّ بن الحسين السّجّاد «ع» - وطبّعهم على الشّوق الى السّعي والكّد، ومنحهم الفكر الهادي والباعث على العمل (والفكر مرآة صافية)^٢، وجعل الارض وما فيها وما عليها بحيث يتيسر للانسان العمل فيها، فلاعذر للانسان في ترك العمل والاشتغال، والقائه الكّل على الآخرين. ولقد لعن الاسلام من ألقى كّلّه على الناس، وكان وبالا على الاقتصاد الاجتماعي والاموال العامة، مُستمتعاً بكُدود الآخرين. وحتّم على كلّ فردٍ أن يقوم بعملٍ وشغلٍ، ساعياً، جاداً، ملتزماً، اميناً، مُتقناً، حتى تدور عجلة الحياة البشرية بصورة التعاون والتّواطؤ، ويجنّى كلّ انسان ثمار عمله، لا اعمال غيره فقط، وتكون جناة كلّ يدٍ لفيها.

١٢- الجهة التشريعية: لقد أشرنا في البحوث السّالفة الى أنّ النّظام التشريعيّ مُبتن على النّظام التّكوينيّ متجاوبٌ معه، وأنّ الاحكام الالهية التشريعية، تتجه نحو ما تتجه اليه النّواميس الالهية التّكوينية والفطرية، من جميع الجوانب، كالسّداد والدّقة والنّظم والانسجام. ومن هنا فإنّ مستوى العمل واهميّته في التّشريع هو مستواه واهميّته في النّظام التّكوينيّ. ولا جَلِ ذلك فقد أكّد الشّارع على العمل واهميّته وأوضّح

١ - الصحيفة السجادية / ٣٦ (الدعاء ١)، مرّ المقطع في الفصل.

٢ - نهج البلاغة / ١٠٩٠ و ١٢٥٦؛ عبده ٣ / ١٥٢ و ٢٣٩.

حِكْمَه ورموزَه وفوائده، ودعا الى مُنشطاتِ العملِ وردَع عن مُثبّطاتِه .
ومن اهمّ ما ألقاه الشارِع الاسلامي ترغيباً في العملِ و تشجيعاً عليه، هو
التّصريحُ بأنّ الفارغَ والعاطلَ لا تُستجابُ لهما دعوة . قال النبيّ «ص»:
«إِنَّ أَصْنَافاً مِنْ أُمَّتِي لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعَاؤُهُمْ .. وَرَجُلٌ يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ
وَيَقُولُ : يَا رَبِّ ارْزُقْنِي» . سيأتي الحديثُ في الفصلِ القادم .

١٣ - الجهة الثقافيّة: إنّ الثّقافةَ فكرٌ وعملٌ وعملٌ وفكرٌ . فلاثقافةَ
ناضجةً بدونِ العملِ، كما انه لا ثقافةَ واعيةً بدونِ الفكرِ . وهذا واضح . فايّ
قومٍ وُجدوا في العالمِ قد تَمَتَّعُوا مِنْ ثِقَافَةٍ رَاقِيَةٍ، مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونُوا أَهْلَ
العملِ والمُثابرةِ والسّعيِ؟ فالشّعبُ اذا كان افرادُه عاملين ساعين - كلُّ
في حقلهم - مُمارسين لاداءِ ما عليهم من الواجبِ العمليّ، بحيثُ يُعدُّون
الشُّغلَ والعملَ التزاماً، وَيَجْتَنِبُونَ كُلَّ عَيْثٍ أَوْ إِهْمَالٍ أَوْ كَسَلٍ ، وَلَا يُوجَدُ
فيه أناسٌ عابثون فارغون، فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى رُشْدِهِ الثَّقَافِيِّ أَيْضاً، وَ
يَسْتَبِيعُ نَضْجاً ثَقَافِيّاً عَمَلِيّاً، تَنْبَعُ مِنْهُ اسبابُ التَّقَدُّمِ، وَتَتَرَسَّخُ فِيهِ
عناصِرُ النِّبَاهَةِ وَاللِّتْزَامِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ الْإِهْمَالُ وَالتَّعَطُّلُ سَائِدِينَ فِي
شَعْبٍ، وَكَانَ تَرْكُ الْإِلْتِزَامِ الْعَمَلِيِّ امراً هِيناً عِنْدَ أَفْرَادِهِ .

١٤ - الجهة السياسيّة: يحوي العملُ من الجانبِ السِّيَاسِيِّ ايضاً اهميّةً
كبرى، فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا كَانُوا مُلتَزمِينَ بِالْعَمَلِ، آخِذِينَ أَنْفُسَهُمْ بِهِ بِاسْتِمْرَارٍ،
مستظهِرين بروحِ الكدِّ والسّعيِ والمُمارسةِ، يُطَوِّرُونَ المِجْتَمَعَ إِلَى الغنى
والاكتفاءِ الدّائِيّ، وَلَا سِيَّما إِذَا قَامُوا بِإِيْفَاءِ الْعَمَلِ حَقَّهُ، مَعَ رِعايَةِ السَّلَامَةِ
والِإِتْقَانِ، وَمَعَ تَبْنِيِ الاختصاصِ، وَالتَّوْفُرِّ عَلَى الامانةِ، وَحَسَنِ السُّمْعَةِ،
والمُثابرةِ عَلَى التّطوِيرِ والتّحديثِ والتّقدُّمِ، فِي أَعْمَالِهِمْ وِانتاجاتهم
وصناعاتهم .

نظرة الى الفصل الرابع ..

من المعلوم، أنّ هذه الحالة تُجرُّ المجتمع الى الامام، وتُحسِّنُ الوضع السياسي، خصوصاً لدى الاجانب؛ فتكون سبباً وحافزاً لتقدّم القوم على المستوى العالميّ بسُمعةٍ حسنةٍ وكيانٍ مصون .

١٥- الجهة الدفاعية : إنّ الذي قلناه في الجهة السابقة يجري هنا ايضاً . اذ لا شك في أنّ الحركات والاعمال الدفاعية لا تصدر عن قومٍ لاهين فارغين عاطلين، ذوي اراداتٍ واهيةٍ وابدانٍ هزيلة . فالجدُّ الذي يقتضيه الدفاع عن البلد والدين والعرض والاموال والموارث، لا يقوم الا على العزائم الراسخة والسواعد المفتولة، التي صقلها العمل و سددها . والدفاع يقوم عمدة امره على اساس اقتصاد المجتمع وكيفيته . وذلك لواقعين هامين :

١ - القوّات الدفاعية؛ إنّ تلك القوّات - ولا بدّ من أن تكون مسلحة - تحتاج الى ادوات الدفاع وآلاته الدقيقة والرصينة والغالية - ولا سيما الحديثة منها - وكلُّ ذلك لا يحصل الا بالعمل والانتاج، خصوصاً في المصانع العسكرية .

٢ - الاقتصاد المستقل؛ إنّ بنية المجتمع الاقتصادية هي التي تُحصّنه ضدّ الهجمات المعادية، وهي تُعدُّ من أهمّ قدرات ايّ مجتمع من المجتمعات وايّ بلدٍ من البلاد، وليست الا حصيلة السعي والعمل الجاد والانتاج المستمرّ الراقي في مختلف الحقول - كما هو واضح .

١٦ - الجهة الفنية : إنّ الفنّ ايضاً عملٌ، كما أنّ العمل فنٌّ من وجه . ومما لا شك فيه أنّ الفنّ يُطوِّر الحياة الانسانية ويوجِّهها توجيهاً . ولا فرق في ذلك بين الحياة المادية والمعنوية، والفردية والاجتماعية، والسياسية

والتقافية وما الى ذلك . وهل يحصل فنٌّ او ينضج بدون العمل؟ فالفنُّ يحصل من العمل، كما انه يدعُو الى العمل ثانياً . وتفاعل الفنُّ هذا مع الروح البشرية هو جوهرُ الفنِّ وسرُّه . فمن الصحيح ان نقول ان الفنَّ جوهرُ العمل، كما ان العمل مفتاحُ الفنِّ . فاي فنَّانٍ وصل الى تحسينِ فنِّه وانضاجه بدون ان يعملَ ليلَ نهار، وان يكدحَ مع شروقِ الشمس الى غروبها، في الليلِ المرخيِ سدوله . فالعملُ بوصفه شغلاً وممارسة، امرٌ لا بدُّ منه في كلِّ شيءٍ من مظاهرِ العيشِ الانسانيِّ، وله آثارٌ في تبلُّوراتِ روجه .

١٧- الجهةُ الصحيَّةُ: ومما يحصلُ من العملِ ويُستفادُ منه ومن ادامته هي الصِّحةُ البدنيَّةُ، كما ان الصِّحةَ العامَّةَ ايضاً تتوقَّفُ على عملِ العاملين في حقلها من الأطباءِ ومساعدتهم والمُطبِّبينِ والمُطبِّباتِ وسائرِ من يعملُ في المستشفياتِ والصِّيدليَّاتِ وما اليها .. فصِحَّةُ الجسمِ الانسانيِّ وقوامُ قواه وتوازنه وتناسبُ اعضائه منوطَةٌ بالعمل، وكذلك صِحَّةُ المجتمعِ تتوقَّفُ على اعمالِ كثيرين ممَّن ذُكِرَ.

١٨- الجهةُ التقدُّميَّةُ: لقد مرَّت اشارةٌ الى هذه الجهة في سالفِ القولِ في هذه النظرة. انَّ تقدُّمَ المجتمعاتِ والبيئاتِ انما ينشأ من العملِ الجادِّ وينبعُ منه . انَّ الحافزَ الذي يوجبُ تعاليَّ الانسانِ واكتمالَ حياته وعيشه، ويميزُ حياته عن سائرِ الحيوانات، هو من حيث الاساس، هذا الفكرُ الجوالُ الذي اعطاه الله سبحانه، وهذه اليدُ العاملة، والصِّلَةُ القويمةُ بين العملِ الفكريِّ واليدويِّ؛ فالانسانُ قادرٌ على ان يسخرَ الطبيعةَ بهاتين الاداتين، يعني ان يفكرَ اولاً، ثم يعملَ وينفذَ فكره و يجسِّده، فيصل الى

نظرة الى الفصل الرابع ..

مُبْتَغاه من تعبيد الطَّبِيعَةِ ونواميسها لما يُريده منها .
وتَدْخُلُ في ذلك الاختراعاتُ والكُشُوفُ الَّتِي أوجَدَتِ الحَضَارَاتِ
البشريَّةَ السَّالِفَةَ والمعاصرة . ولعلَّ العملَ الفكريَّ واليدويَّ الجادَّ هو
الَّذِي يُوطِّدُ السَّبِيلَ للحضاراتِ الطالعةِ ايضاً، لِأَنَّ الانسانَ يُفَكِّرُ ويُمَارِسُ
ويَعْمَلُ، ويتَوَفَّرُ على تجاربٍ ونتائجٍ، فيستَخْلِصُها وينقلُها الى الطَّالعين
والمُقبِلين . وبهذا الاسلوبِ تتقدَّمُ حياةُ الانسان وتقعُ في مسيرة التَّكاملِ
المُسْتَمِرِّ .

١٩- الجَهَةُ الصَّنَاعِيَّةُ : من الواضحِ اللَّاحِبِ، أَنَّ العملَ ركنٌ اساسيٌّ
من اركانِ الصَّناعاتِ البشريَّةِ . فالصَّناعاتُ كانت من اقدمِ العصورِ
التَّاريخيَّةِ نابعةً من اعمالِ المفكِّرينِ والعاملينِ والصُّنَّاعِ . واليومَ ايضاً
يَكْفِي للوقوفِ على اهميةِ العملِ في الصَّناعاتِ ودوره الحياتيِّ في
المجتمعِ الانسانيِّ، أَن نَنظُرَ الى المعاملِ والمصانعِ الكبيرةِ والصَّغيرةِ
في مختلفِ انحاءِ العالمِ، وما لِعَمَلِ العاملينِ فيها من دورٍ كبيرِ .

٢٠- الجَهَةُ الرِّفاهيَّةُ : إِنَّ رفاهيةَ العيشِ الحاصلةَ لايِّ شَعْبٍ او بَلَدٍ، إِنَّمَا
حَصَلَتْ لَهُمْ بِفَضْلِ ما قاموا بها من اعمالٍ . فالرِّفاهُ بجميعِ صورِهِ وفي
جميعِ جوانبِ الحياةِ، إِنَّمَا هو نتيجةٌ للسَّعيِ والعملِ . والَّذي أَبْداهُ
المفكِّرونَ وعلماءُ الصَّناعاتِ، من الادواتِ الرِّفاهيَّةِ الَّتِي اخترَعوها، إِنَّمَا
تَحَقَّقَ اصلُهُ وَلِعِبَ دوره، بعدَ اعمالٍ مستمرةٍ - كما هو واضح .
ثمَّ إِنَّ الرِّفاهَ الفرديَّ قائمٌ بالعملِ ايضاً، فالفردُ الفارغُ والعاطلُ كيف
يَسَعُهُ أَن يُوسِّعَ على نفسه او ذويه، لولا قيامه بالسَّعيِ وتوفُّره على ما
يَرومُه .

الفصل الخامس

العمل والعمالة، ودورهما الرئيسي في البناء الاقتصادي (٢)

أ - تقسيم الوقت

الكتاب

١ الله الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا، إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ، لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ *^١

الحديث

١ الامام علي «ع»: لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ، فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُرْمُ مَعَاشَهُ، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمَلُ^٢.

٢ الامام الصادق «ع»: فَكَّرْ يَا مُفَضَّلُ! فِي مَقَادِيرِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، كَيْفَ وَقَعْتَ

١ - سورة غافر (٤٠) : ٦١؛ اقرأ أيضاً: سورة يونس (١٠) : ٦٧، وسورة النمل (٢٧) : ٨٦.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٧١ : عبده ٣ / ٢٤٨.

على ما فيه صلاحُ هذا الخلق، فصار مُنتَهَى كُلِّ واحدٍ منهما إذا امتدَّ الى خمسَ عشرةَ ساعةً لا يُجاوِزُ ذلك . افرأيتَ لو كان النَّهارُ يكونَ مقداره مئةَ ساعةٍ او مئتي ساعة، الم يَكُنْ في ذلك بوارٌ كُلُّ ما في الارضِ من حيوانٍ ونباتٍ؟ اما الحيوانُ فكان لا يَهْدأُ ولا يَقْرُ طولَ هذه المدة، ولا البهائمُ كانت تُمسِكُ عن الرَّعيِ لو دامَ لها ضوءُ النَّهارِ، ولا الانسانُ كان يَفْتُرُ عن العملِ والحركة، وكان ذلك سيُهْلِكُها اجمعَ ويؤدِّي الى التَّلَفِ ..^١

٣ الامام الصادق «ع» : .. رُبَمَا احتاجَ النَّاسُ الى العملِ بالليلِ، لضيقِ الوقتِ عليهم في تقصِّي الاعمالِ بالنَّهارِ، او لشدَّةِ الحرِّ وافراطه ..^٢

* إنَّ هذا التَّعليمَ يَدُلُّ على اهميةِ رعايةِ الوقتِ والاستفادةِ الصَّحيحةِ المناسبةِ منه، نهاراً كان او ليلاً، إذا اقتضتِ الحكمةُ العمليَّةُ ذلك .

٤ الامام الصادق «ع» : من باتَ ساهراً في كسبٍ ولم يُعْطِ العينَ حقَّها (حظَّها - خ ل) من النومِ، فكسبه ذلك حرامٌ.^٣

٥ الامام الصادق «ع» : الصُّنَاعُ اذا سَهَرُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ، فهو سُحْتٌ.^٤

* هذان التَّعليمانِ يُرشدانِ الى رعايةِ الحدِّ وتجنُّبِ الافراطِ المُضِرِّ، وحفظِ الصَّحَّةِ البدنيَّةِ التي هي اهمُّ .

١ - البحار ٣ / ١١٨ .

٢ - البحار ٣ / ١١٣ .

٣ و ٤ - الوسائل ١٢ / ١١٨ .

ب - تقسيم العمل

- ١ الامام علي «ع» - من وصية كتبتها الى ابنه الحسن «ع» بحاضرين، منصرفاً من صفيين : .. اجعل لكل انسان من خدمك عملاً تأخذه به، فإنه احرى ان لايتواكلوا في خدمتك .^١

ج - العمل ودوره في مطاردة الفقر

الكتاب

- ١ وجعلنا فيها جناتٍ من نخيلٍ وأعنابٍ، وفجرنا فيها من العيون * لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم ..^٢

الحديث

- ١ النبي «ص» : لو ان رجلاً اخذ حبلاً فيأتي بحزمة حطبٍ على ظهره، فيبيعها فيكف بها وجهه، خير له من ان يسأل .^٣

١ - نهج البلاغة / ٩٣٩ : عبده ٣ / ٦٣ : تحف العقول / ٦٢ .

٢ - سورة يس (٣٦) : ٣٤ - ٣٥ .

٣ - الوسائل ٦ / ٣١٠ .

٢ النبي «ص» : اذا أَعَسَرَ احْدُكُم فَلْيُخْرِجْ، وَلَا يَغْمُ نَفْسَهُ وَاهْلَهُ .

٣ النبي «ص» - اصَابَ انصاريًّا حاجةً، فأخْبَرَ بها رسولَ الله «ص»، فقال : «إيتني بما في منزلك ولا تحقر شيئاً»، فاتاه بحِلْسٍ وَقَدَحٍ . فقال رسولُ الله «ص» : «مَنْ يَشْتَرِيهِمَا؟» فقال رجلٌ : هما عليٌّ بدرهم . فقال : «مَنْ يَزِيدُ؟» فقال رجلٌ : هما عليٌّ بدرهمين؟ فقال : «همالك». فقال : «إبتع باحدهما طعاماً لاهلك، وابتع بالآخر فأساً». فاتاه بفأس، فقال «ص» : «من عنده نصابٌ لهذه الفأس؟» فقال احدهما : عندي . فأخذه رسولُ الله «ص» فأثبته بيده وقال : «إِذْهَبْ فَاحْتَطِبْ، وَلَا تُحَقِّرَنَّ شوكاً وَلَا رَطْباً وَلَا يابساً». ففعل ذلك خمسَ عشرةَ ليلةً، فاتاه وقد حَسُنَتْ حاله . فقال «ص» : «هذا خيرٌ من أن تجيءَ يومَ القيامةِ وفي وجهك كُدُوحُ الصِّدْقَةِ»^٢.

٤ الامام الصادق «ع» - ابو عمارة الطيَّار قال : قلتُ لابي عبدِالله «ع» : إني قد ذهب مالي وتفرَّق ما في يدي وعيالي كثير . فقال له ابو عبدِالله «ع» : «اذا قَدِمْتَ الكوفةَ فافتحْ بابَ حانوتِكَ وَأَبْسُطْ بِسَاطِكَ وَضَعْ ميزانَكَ وتعرِّضْ لرزقِ رَبِّكَ». فلَمَّا أن قَدِمَ الكوفةَ فَتَحَ بابَ حانوتِهِ وبَسَطَ بِسَاطَهُ ووضعَ ميزانه . قال : فَتَعَجَّبَ مَنْ حوله بأن ليس في بيته قليلٌ ولا كثيرٌ من المتاعِ ولا عنده شيء . قال : فجاءه رجلٌ فقال : إشتري ثوباً . قال : فإشتري له وأخذَ ثمنه وصارَ الثمنُ اليه، ثم جاءه آخرُ فقال له : إشتري ثوباً . قال : فطلبَ له في السوقِ ثمَّ إشتري له ثوباً فأخذَ ثمنه فصارَ في يده .. فجعلَ يشتري ويبيعُ حتى أثرى ..^٣

١ - الوسائل ١٢ / ١٢ .

٢ - البحار ١٠٣ / ١٠ ، عن كتاب «مجموعه ورام» .

٣ - الكافي ٥ / ٣٠٤ - ٣٠٥ .

* قال شيخنا الشهيد الأوّل في «الدروس»: «يَسْتَحِبُّ التَّعَرُّضُ لِلرِّزْقِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَضَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، فَيَفْتَحُ بَابَهُ وَيَبْسُطُ بِسَاطًا...»^١.

٥ الامام الصادق «ع» - قال راوي الحديث: قال ابو عبد الله «ع»: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ بَيْتَهُ وَأَغْلَقَ بَابَهُ، أَكَانَ يَسْقُطُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ السَّمَاءِ؟»^٢

د - العمل ودوره في صيانة الدين

- ١ الامام الباقر «ع»: الكَسَلُ يَضُرُّ بِالذِّينِ وَالدُّنْيَا.^٣
- ٢ الامام الصادق «ع»: لَا تَدْعُ طَلَبَ الرِّزْقِ مِنْ حِلِّهِ، فَإِنَّهُ عَوْنٌ لَكَ عَلَى دِينِكَ..^٤

هـ - السعي والمثابرة في العمل

- ١ الامام الصادق «ع»: إِقْرَأُوا مِنْ لَقِيْتُمْ مِنْ أَصْحَابِكُمُ السَّلَامَ، وَقُولُوا لَهُمْ: إِنَّ فُلَانَ بَنَ فُلَانَ (جعفر بن محمد) يَقْرَأُكُمُ السَّلَامَ؛ وَقُولُوا لَهُمْ: عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ، وَمَا يُنَالُ بِهِ مَا عِنْدَ اللَّهِ. إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمُرُكُمْ إِلَّا بِمَا نَأْمُرُ بِهِ أَنْفُسَنَا، فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ. وَإِذَا صَلَّيْتُمُ الصُّبْحَ وَأَنْصَرَفْتُمْ فَبَكَّرُوا فِي

١ - الكافي ٥ / ٣٠٤، من التعليقات.

٢ - الكافي ٥ / ٧٨.

٣ - تحف العقول / ٢١٩.

٤ - امالي الطوسي ١ / ١٩٦.

طلب الرزق، واطلبوا الحلال، فإن الله عز وجل يرزقكم ويعينكم عليه ١.

و- الاغتراب في طلب الرزق والتماس العمل

الكتاب

- ١ وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً، فامشوا في مناكبها، وكلوا من رزقه ٢.
- ٢ .. وآخرون يضربون في الأرض، يبتغون من فضل الله ٣.
- ٣ الله الذي سخر لكم البحر ليجري الفلك فيه بامرِهِ، ولتبتغوا من فضله ٤.

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع» : إن الله - تبارك وتعالى - ليحبُّ الاغترابَ في طلبِ الرزق ٥.
- ٢ الامام الصادق «ع» : .. لعلَّ من ينكرُ هذه الفلواتِ الخالية والقفارَ الموحشةَ يقولُ : ما المنفعةُ فيها؟ فهي مأوى هذه الوحوشِ ومحالُّها ومرعاها، ثم

١ - الكافي ٥ / ٧٨ - ٧٩.

٢ - سورة الملك (٦٧) : ١٥.

٣ - سورة المزمل (٧٣) : ٢٠.

٤ - سورة الجاثية (٤٥) : ١٢.

٥ - الوسائل ١٢ / ٥٠.

فيها بعدُ مَتَنَّفَسٌ ومُضْطَرَّبٌ للنَّاسِ، إِذَا احْتَأَجُّوا إِلَى الاستبدالِ بِاوطانِهِمْ. وكم بيدااءٍ وكم فَدْفِدٍ حَالَتْ قُصُوراً وَجِنَاناً، بِانْتِقَالِ النَّاسِ إِلَيْهَا وَحُلُولِهِمْ فِيهَا. وَلَوْلَا سَعَةُ الأَرْضِ وَفُسْحَتُهَا لَكَانَ النَّاسُ كَمَنْ هُوَ فِي حِصَارٍ ضَيِّقٍ لَا يَجِدُ مَدْوَحَةً عَن وَطَنِه، إِذَا أَحْزَنَهُ أَمْرٌ يَضْطَرُّهُ إِلَى الانْتِقَالِ عَنهُ..^١

٣ الامام الصادق «ع»: إِنِّي أَرَكَبُ فِي الحَاجَةِ الَّتِي كَفَاهَا اللهُ، مَا أَرَكَبُ فِيهَا إِلَّا التَّماسَ أَنْ يَرَانِي اللهُ أَضْحِي فِي طَلْبِ الحَلالِ؛ أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ؟» أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ بَيْتاً وَطِينٌ عَلَيْهِ بِأَبِهِ، ثُمَّ قَالَ: رِزْقِي يَنْزِلُ عَلَيَّ مِنَ السَّمَاءِ.. أَمَا إِنَّهُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعْوَةٌ..^٢

٤ الامام الرضا «ع» - البزنطي قال: قلتُ له: إِنَّ الكُوفَةَ قَدْ نَبَتْ بِي وَالمَعاشَ بِهَا ضَيِّقٌ، وَإِنَّمَا كَانَ مَعاشُنَا بِبَغدادِ، وَهَذَا الجَبَلُ قَدْ فُتِحَ عَلَيَّ النَّاسِ مِنْهُ بِأَبِ رِزْقٍ. فَقَالَ: إِنَّ أَرَدْتَ الخُرُوجَ فَأَخْرُجْ، فَإِنَّها سَنَةٌ مُضْطَرِبَةٌ. وَليس لِلنَّاسِ بُدٌّ مِنْ طَلْبِ مَعاشِهِمْ، فَلاتَدْعِ الطَّلَبَ.^٣

ز - لا يستجاب دعاء الفارغ والعاطل

١ النبي «ص»: إِنَّ اصْنافاً مِنْ أُمَّتِي لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعَاؤُهُمْ.. وَرَجُلٌ يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ وَيَقُولُ: يَا رَبِّ ارْزُقْنِي! وَلَا يَخْرُجُ وَلَا يَطْلُبُ الرِّزْقَ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: عَبْدِي أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ السَّبِيلَ إِلَى الطَّلْبِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الأَرْضِ.

١ - البحار ٦٠ / ٨٦.

٢ - عُدَّة الداعي / ٨١ - ٨٢.

٣ - الوسائل ١٢ / ١٨.

بجوارحٍ صحيحةٍ ..^١

٢ الامام الصادق «ع» - عليُّ بنُ عبدِ العزيز قال : قال ابو عبد الله «ع» : ما فعلَ عمرُ بنُ مسلمٍ؟ قلتُ : جُعِلتُ فِدَاكَ! اقبل على العبادةِ وتركِ التَّجَارَةَ . فقال : وَيَحَهُ، اَمَا عَلِمَ اَنْ تَارَكَ الطَّلِبَ لِاِسْتِجَابِ لِه . اِنْ قَوْمًا مِنْ اصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ «ص» لَمَّا نَزَلَتْ : «وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لِه مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»، اَغْلَقُوا الابوابَ، وَاَقْبَلُوا على العبادةِ وقالوا : قد كُفِينَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ «ص» فَارْسَلَ اليهْم، فقال : ما حَمَلَكُم على ما صَنَعْتُم؟ قالوا : يا رَسُوْلَ اللهِ! تُكْفَلُ لَنَا بارزاقِنَا فَاَقْبَلْنَا على العبادةِ . فقال : اِنَّه مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يُسْتَجَبْ لِه، عَلَيْكُم بِالطَّلِبِ .^٢

٣ الامام الصادق «ع» - عمرُ بنُ يزيد قال : قلتُ لابي عبد الله «ع» : رجلٌ قال، لَأَقْعُدَنَّ فِي بَيْتِي وَلَا صَلِّينَ وَلَا صُومَنَّ وَلَا عُبُدَنَّ رَبِّي، فَأَمَّا رِزْقِي فَسَيَأْتِينِي؛ فقال ابو عبد الله «ع» : هذا اَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِيْنَ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ .^٣

ح - الانبياء والاصياء والعمل

الكتاب

١ وما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قال : هِيَ عَصَايَ اَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا، وَاَهْشُ بِهَا على

١ - الوسائل ١٢ / ١٥ .

٢ - الكافي ٥ / ٨٤ .

٣ - الوسائل ١٢ / ١٤ .

- غَنَمِي، وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى *^١
- ٢ قال: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ، عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ، فَإِنِ اكْتَمَّتْ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ، سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ *^٢
- ٣ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ، لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ، فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الباقر: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، حِينَ أَهْبَطَ آدَمَ «ع» مِنَ الْجَنَّةِ، أَمَرَهُ أَنْ يَحْرُثَ بِيَدِهِ، فَيَأْكُلُ مِنْ كَدِّهَا، بَعْدَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ.^٤
- ٢ الامام علي «ع»: أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ «ع»، إِنَّكَ نَعَمَ الْعَبْدُ، لَوْلَا أَنَّكَ تَأْكُلُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَلَا تَعْمَلُ بِيَدِكَ شَيْئًا. قَالَ: فَبَكَى دَاوُدَ «ع» أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحَدِيدِ أَنْ: لِنُ لِعَبْدِي دَاوُدَ. فَالَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْحَدِيدَ، فَكَانَ يَعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ دِرْعًا فَيَبِيعُهَا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ. فَعَمِلَ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَسِتِّينَ دِرْعًا، فَبَاعَهَا بِثَلَاثِ مِئَةٍ وَسِتِّينَ أَلْفًا، وَاسْتَغْنَى عَنِ بَيْتِ الْمَالِ.^٥

١ - سورة طه (٢٠): ١٧ - ١٨.

٢ - سورة الفصص (٢٨): ٢٧.

٣ - سورة الانبياء (٢١): ٨٠.

٤ - المستدرک ٢ / ٤١٧.

٥ - الكافي ٥ / ٧٤.

* وجاء في الاحاديث : «ان سليمان بن داود «ع» كان قوته من سفائف الخوص، يعملها بيده»^١.

٣ الامام علي «ع» - إنه لما كان يفرغ من الجهاد، يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم، فاذا فرغ من ذلك اشتغل في حائط له، يعمل فيه بيده، وهو مع ذلك ذاكر الله جل جلاله^٢.

٤ الامام علي «ع» : جعت يوماً بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فاذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً فظننتها تريد بله، فاتيتها فقاطعتها عليه : كل ذنوب علي تمرّة؛ فمددت ستة عشر ذنوباً حتى مجلت يداي، ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت : بكفي هذا، بين يديها .. فعدت لي ستة عشر تمرّة؛ فأتيت النبي «ص» فأخبرته فأكل معي منها^٣.

٥ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الصادق : كان امير المؤمنين «ع» يضرب بالمر ويستخرج الارضين .. وإن امير المؤمنين «ع» أعتق الف مملوك من ماله وكّد يده^٤.

٦ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الصادق : كان امير المؤمنين «ع» يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز^٥.

* وقد روي عن امير المؤمنين في ذلك نماذج كثيرة^٦.

١ - ارشاد القلوب / ١٥٧.

٢ - عُدّة الداعي / ١٠١؛ المستدرک ٢ / ٤١٧ - ٤١٨.

٣ - كشف الغمّة ١ / ١٧٥ - ١٧٦.

٤ - الكافي ٥ / ٧٤.

٥ - الوسائل ١٢ / ٢٤.

٦ - راجع: الفصل ١٥، من الباب ٧، فقرة «ه»، في الجزء الثاني.

- ٧ الامام الصادق «ع» - عبدالاعلى مولى آلِ سام قال: اسْتَقْبَلْتُ ابا-
عبدالله «ع» في بعضِ طُرُقِ المدينة، في يومٍ صائفٍ شديدِ الحرِّ، فقلتُ:
جُعِلْتُ فِدَاكَ! حَالُكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقِرَابَتُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ «ص»،
وانت تُجْهِدُ نَفْسَكَ (لنفسِكَ - خ ل) في مثلِ هذا اليوم؟ فقال: يا
عبدالاعلى! خَرَجْتُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، لِاسْتِغْنِي بِهِ عَنِ مِثْلِكَ.^١
- ٨ الامام الصادق «ع» - ابو عمرو الشيباني قال: رَأَيْتُ ابا عبد الله «ع» وبيده
مِسْحَاةً، وَعَلَيْهِ اِزَارٌ غَلِيظٌ، يَعْْمَلُ فِي حَائِطٍ لَهُ، وَالْعَرَقُ يَتَّصِبُ عَنْ ظَهْرِهِ،
فقلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! اَعْطِنِي اَكْفِكَ. فقال لي: اِنِّي اُحِبُّ اَنْ يَتَاذَى الرَّجُلُ
بِحَرِّ الشَّمْسِ فِي طَلَبِ المَعِيشَةِ.^٢
- ٩ الامام الصادق «ع» - ابو بصير قال: سَمِعْتُ ابا عبد الله «ع» يَقُولُ: اِنِّي
لَا اَعْمَلُ فِي بَعْضِ ضِيَاعِي حَتَّى اَعْرَقَ، وَاِنَّ لِي مَنْ يَكْفِينِي، لِيَعْلَمَ اللهُ عَزَّ
وَجَلَّ اِنِّي اَطْلُبُ الرِّزْقَ الحَلَالِ.^٣
- ١٠ الامام الكاظم «ع» - عليُّ بنُ ابي حمزة، عن ابيه قال: رَأَيْتُ ابا الحسن «ع»
يَعْْمَلُ فِي اَرْضٍ لَهُ، قَدْ اسْتَنْقَعَتْ قَدَمَاهُ فِي العَرَقِ، فقلتُ له: جُعِلْتُ
فِدَاكَ، اَيْنَ الرَّجَالُ؟ فقال: يَا عَلِيُّ! قَدْ عَمِلَ بِالْيَدِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي فِي
اَرْضِهِ وَمِنْ اَبِي. فقلتُ له: وَمَنْ هُوَ؟ فقال: رَسُولُ اللَّهِ «ص» وَاَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
وَأَبَائِي «ع» كُلُّهُمْ، كَانُوا قَدْ عَمِلُوا بِاَيْدِيهِمْ، وَهُوَ مِنْ عَمَلِ النَّبِيِّينَ
وَالْمُرْسَلِينَ وَالْاَوْصِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.^٤

١ - الوسائل ١٢ / ١٠.

٢ - الكافي ٥ / ٧٦.

٣ - الوسائل ١٢ / ٢٣.

٤ - الكافي ٥ / ٧٥ - ٧٦.

* والاحاديثُ في ذلك من الانبياءِ والاوصياءِ كثيرة .

تنبيه

إنَّ العيشَ الانسانيَّ في المجتمعاتِ على قسمين : طبيعيٍّ وغيرِ طبيعيٍّ .

١ - فالعيشُ الطبيعيُّ هو أنْ يَعْمَلَ الانسانُ بنفسِهِ، ويَأْكُلَ ممَّا يَحْصُلُ عَلَيْهِ بِكَدِّهِ وَجَهْدِهِ - كما يُرْشِدُنَا اليه المربيُّ الاكبر بقوله : «كُلُوا مِنْ كَدِّ أَيْدِيكُمْ»^١ . والانسانُ في هذه الحالةِ قادرٌ على أنْ يُدْرِكَ معنى العملِ والكَدِّ وما يُعَانِيهِ العَمَّالُ، وأنْ يُحَسَّ واقِعَ الحرمانِ والاقْلالِ وما يُكَابِدُهُ المُعْدِمُونَ والمَقْلُونُ لا في غيرها . ولأجلِ ذلك جاءَ في الحديثِ : «أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ «ع» : إِنَّكَ نِعَمَ الْعَبْدِ، لَوْلَا أَنَّكَ تَأْكُلُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَلَا تَعْمَلُ بِيَدِكَ شَيْئًا». وذلكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ الْفَارِغَ الَّذِي لَا يَعْمَلُ لَا يُتَّاحُ لَهُ أَنْ يَفْهَمَ واقِعَ العملِ والكَدِّ، وأنْ يَلْمَسَ مُعَانَاةَ طَلِبِ الْخَبِزِ وَالْحَصُولِ عَلَيْهِ . فهذا الانسانُ لا يُدْرِكُ مَتَاعِبَ الْحَيَاةِ وَلَا يَعْلَمُ مَا يُعَانِيهِ النَّاسُ لِعَيْشِهِمْ وَلَطَلِبِ رِزْقِهِمْ، فَلَا يَصِلُ إِلَى تَفَاهِمِ حَقِيقَتِيٍّ مَعَ أَنْاسِيِّ الْمَجْتَمَعِ وَافْرَادِهِ وَقِطَاعَاتِهِ .

٢ - والعيشُ غيرُ الطبيعيِّ ما يَكُونُ بخلافِ ذلك . وهو أنْ يَعِيشَ الانسانُ وَيَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ الْآخِرِينَ وَكُدُودِهِمْ . وهذا العيشُ لا يُنَاسِبُ مَنْ يَتَّصِدِي لِتَرْبِيَةِ النَّاسِ وَإِرْشَادِهِمْ، إِذِ الْمَرْبِيُّ وَالْمُرْشِدُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ واقِفاً على مشكلاتِ الافرادِ في عملِهِمْ وَكَدِّهِمْ وَطَلِبِهِمُ الرِّزْقَ تَمَامَ الْوَقُوفِ، مُنْصَهراً بِرُوحِيَّاتِهِمْ فِي مُعَانَاةِ مَتَاعِبِ

١ - البحار ٦٦ / ٣١٤، من حديث النبي «ص» .

الحياة ومصاعب العيش .

وإن ائمتنا الطاهرين «ع» كانوا يعملون بيدهم، ويأخذون
الدلو والذنوب والمر والمسحاة ويعملون بها حتى يعرقون، ويرونها
«من عمل النبيين والمرسلين والاصياء والصالحين».
فعلى كل من يروم تربية الناس وارشادهم في الحياة، ويريد
أن يبني نفسه لهذا الامر الهام، أن يعرف واقع مافي حياة الناس من
تعب ومرارة ومعاناة من كذب، حتى يظفر بالاقتراب منهم و ادراك
مسائلهم ومشكلاتهم، بشكل ملموس، ولا يكون كلامه و وعظه
وتوجيهه في وادٍ والناس في واد .

تذيلان

أ- العمل، اخلاق و آداب

الحديث

١ - رعاية الاعتدال

١ الامام الحسن «ع» : لا تُجاهِدِ الطَّلَبَ جِهَادَ الغالب، ولا تَتَكَلَّمْ على القَدْرِ
اتِّكَالَ المُستَسَلِم، فإنَّ ابْتِغَاءَ الفضلِ من السُّنَّةِ، والإِجْمَالَ في الطَّلَبِ من
العِفَّةِ. وليست العِفَّةُ بدافعةٍ رزقاً^١.

١ - تحف العقول / ١٦٨.

٢ - لا حرص ولا ضعف

٢ الامام الصادق «ع» : لِيَكُنْ طَلْبُكَ لِلْمَعِيشَةِ فَوْقَ كَسْبِ الْمُضَيِّعِ، وَدُونَ طَلْبِ الْحَرِيصِ، الرَّاضِي بِدُنْيَاهِ الْمُطْمَئِنُّ إِلَيْهَا. وَلَكِنْ أَنْزِلْ نَفْسَكَ مِنْ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْمُنْصَفِ الْمُتَعَفِّفِ، تَرَفَّعَ نَفْسَكَ عَنْ مَنْزِلَةِ الْوَاهِنِ الضَّعِيفِ، وَتَكَتَسَبَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ.^١

٣ - الحذق واستعماله

٣ الامام الصادق «ع» : كُلُّ ذِي صِنَاعَةٍ مُضْطَرٌّ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالَ، يَجْتَلِبُ بِهَا الْمَكْسَبَ. وَهُوَ : أَنْ يَكُونَ حَازِقًا بِعَمَلِهِ..^٢

٤ - الالتزام بالامانة

٤ الامام الصادق «ع» : كُلُّ ذِي صِنَاعَةٍ مُضْطَرٌّ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالَ، يَجْتَلِبُ بِهَا الْمَكْسَبَ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ .. مُؤَدِّيًّا لِلْإِمَانَةِ فِيهِ..^٣

٥ - حسن التعامل

٥ الامام الصادق «ع» : كُلُّ ذِي صِنَاعَةٍ مُضْطَرٌّ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالَ، يَجْتَلِبُ بِهَا الْمَكْسَبَ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ .. مُسْتَمِيلًا لِمَنْ اسْتَعْمَلَهُ..^٤

١ - الكافي ٥ / ٨١.

٢ و٣ و٤ - تحف العقول / ٢٣٧.

٦ - التحذير من التسويف وتضييع اوقات الناس

٦ النبي «ص»: ويلٌ لِصُنَاعِ أُمَّتِي من «اليوم» و«غداً»!

ب- لا عمل للحكم الجائر

٧ الامام الصادق «ع»: وأما وجهُ الحرامِ من الولاية، فولايةُ الوالي الجائر وولايةُ وُلاتِهِ، الرئيسِ منهم وأتباعِ الوالي فمن دونه من ولاةِ الولاية الى أدناهم، باباً من ابوابِ الولايةِ على من هو والٍ عليه . والعملُ لهم والكسبُ معهم، بجهةِ الولايةِ لهم، حرامٌ ومحرمٌ، مُعَذَّبٌ من فَعَلَ ذلك على قليلٍ من فعله او كثير، لأنَّ كلَّ شيءٍ من جهةِ المعونةِ معصيةٌ كبيرةٌ من الكبائر .

وذلك أنَّ في ولايةِ الوالي الجائرِ دَوَسَ الحقَّ كلَّهُ، وإحياءَ الباطلِ كلَّهُ، واطهارَ الظلمِ والجورِ والفسادِ، وابطالَ الكُتُبِ، وقتلَ الانبياءِ والمؤمنين، وهَدَمَ المساجدِ، وتبديلَ سُنَّةِ اللَّهِ وشرائعِهِ .
فلذلك حَرَّمَ العملُ معهم ومعونتهم والكسبُ معهم، إلا بجهةِ الضَّرورةِ نظيرَ الضَّرورةِ الى الدَّمِ ولحمِ الميتةِ ٢.

* اللَّهُ أَكْبَرُ على عظمةِ هذا التَّعليمِ! الَّذِي يَتَجَسَّدُ فيه نَفْسُ الانبياءِ «ع»، وَيَتَجَلَّى به السُّمُوُّ الانسانيَّ في اعظمِ معانيه وأشملِها، حيثُ يُعَدُّ الدَّاعي الالهيُّ الصَّادقِ، العملُ مع الجائرين سبباً لدَوَسِ الحقِّ كلَّهُ وإحياءِ الباطلِ كلَّهُ، واطهارِ الظلمِ والجورِ

١ - الوسائل ١٢ / ٣١٠ .

٢ - تحف العقول / ٢٤٥؛ و٣٣٢ . من طبعة الفقاري . راجع ايضاً: «الكافي» / ٥ .

الفصل الخامس : العمل والعمالة .. (٢)

والفساد، وابطالِ الكُتُبِ السَّماويَّةِ، وقتلِ النَّبِيِّينَ والمؤمنين،
وهدمِ المساجدِ، وتبديلِ سُنَّةِ اللَّهِ وشرائعِهِ .

ومن هنا يُعَلِّمُ بوضوح، ما للعدلِ واقامته من الاهمية الرئيسيَّة
في الدِّينِ الالهيِّ، وأنَّ رسالةَ الكُتُبِ السَّماويَّةِ والانبياءِ والمؤمنين
المجاهدين والمساجدِ إنما هي اقامةُ العدلِ؛ وأنَّ سُنَّةَ اللَّهِ وشرائعِهِ
هي اقامةُ العدلِ . وأنَّ دَعَمَ الحَقِّ كُلَّهُ، وامانةَ الباطلِ كُلَّهُ، وابدادةُ
الظُّلمِ والجورِ والفسادِ، واحقاقِ الكُتُبِ الالهيةِ، واحياءِ نفسِ
الانبياءِ والمؤمنين، وعمارةِ المساجدِ، وتثبيتِ سُنَّةِ اللَّهِ وشرائعِهِ،
انما تتجسَّدُ كُلُّها باقامةِ العدلِ وازاحةِ الظُّلمِ في المجتمعاتِ
البشريَّةِ، ولا سيَّما بيدِ الحكوماتِ التي تتسمَّى باسمِ الاسلامِ .

ومن اجلى الواضحاتِ، ان العدلَ الاقتصاديَّ والمعيشيَّ، هو
العمدةُ من اقسامِ العدلِ . وأنَّ الظُّلمَ الاقتصاديَّ من اهمِّ مصاديقِ
الظُّلمِ - حيث يستتبعُ سائرَ انواعِهِ - فإن كان هناكُ حكمٌ يميلُ اليه، او
يتقاعسُ في شجبه، او لا يُبرِّمُجُ لاستيصالِهِ، فهو محكومٌ بتلكِ الاحكامِ .

لمحة

أليس تومي الأحاديثُ الحاثَّةُ على العملِ باليدِ (الدَّالَّةُ على
أنَّه طلبٌ للحلالِ من الرِّزقِ)، إلى أن الرِّزقَ الحلالِ - واقعاً - هو
ما حَصَلَ من الكدِّ واليدِ ولقد قال الرَّسولُ «ص»: «كُلُوا من كَدِّ
أيديكم». أضف إلى ذلك أنَّه هو الَّذي يُوقِفُ الإنسانَ على ما يُعانيه
العُمَّالُ الكادحون والفلايحُ الكادُّون، المعدَّبون .. المحرومون ..
من متاعِبِ مُرهقةٍ ومَصاعِبِ .

ولقد عَقَدَ شيخنا صاحبُ «الوسائل»، باباً لاستحبابِ العملِ
باليدِ، فراجع : الجزءَ الثاني عشر .

نظرة الى الفصل

نعمد في هذه النظرة الى ذكر فائدتين :

١- ضرورة العمل للانسان بحسب المقاييس التكوينية : لقد اشار الامام الصادق «ع»، في رسالته التوحيدية المعروفة، الى موضوع عميق بناءً، فقال : «أنظر يا مفضل ! الى لطف الله - جل اسمه - بالبهائم، كيف كسيت اجسامهم هذه الكسوة، من الشعر والوبر والصوف ليقيها من البرد وكثرة الآفات، وألبست قوائمها الأظلاف والحوافر والأخفاف ليقيها من الحفا، اذ كانت لا ايدي لها ولا أكف ولا اصابع مهيأة للغزل والنسج، فكفوا بان جعل كسوتهم في خلقتهم باقية عليهم ما بقوا، لا يحتاجون الى تجديدها والاستبدال بها؛ فاما الانسان فانه ذو حيلة وكف مهيأة للعمل فهو ينسج ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة، ويستبدل بها حالاً بعد حال.»^٢

هذا التعليم يدل على ان العمل لما كان امراً ضرورياً للانسان في هذه الحياة، من جهات عديدة (قد ذكرها الامام في حديثه هذا ونقلنا شذوراً منه)، فقد جعل الله كيفية الخلق وميكانيكية العالم بحيث يضطر الانسان لسد عوزه وتلبية حاجاته المختلفة الى العمل، ولذلك خوله الله تعالى ما يحتاج اليه في ذلك، وهو امران :

(١)- الفكر (فانه ذو حيلة)،

(٢)- اليد (وكف مهيأة للعمل).

١ - جعلت «البهائم» في بعض الضمانر والأفعال بمنزلة الناس .

٢ - البحار ٣ / ٩٨ - ٩٩ .

نظرة الى الفصل الخامس ..

ولقد أشرنا الى هذا الموضوع فيما سَلَفَ من القول ايضاً. وهذه الحقيقة هي التي يُشيرُ اليها القرآنُ الكريمُ بقوله : «ولقد خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ»^١.

٢ - لَذَّةُ الْعَيْشِ فِي الْعَمَلِ : وهناك حكمةٌ عظيمةٌ أُخرى للعملِ وايجابهِ التَّكْوِينِيَّ والتَّشْرِيْعِيَّ، يُشيرُ اليها الامامُ الصَّادِقُ «ع» بقوله : «ولو كُفِيَ النَّاسُ كُلُّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، لَمَا تَهَنَّأُوا بِالْعَيْشِ وَلَا وَجَدُوا لَهُ لَذَّةً»^٢. فالعملُ يَنْطَوِي على فوائدٍ كثيرة، ممَّا اشارت اليها التَّعاليمُ. ونحنُ قد أَلْمَحْنَا الى عدَّةٍ منها. غيرَ أنَّ هذه الحِكْمَةَ العظيمة، وهي التَّهَنُّؤُ بِالْعَيْشِ عن طريقِ العملِ، يَجِبُ أَنْ تُتَّخَذَ مَقْيَاساً حَاسِماً لِلحَثِّ على العملِ، والحصولِ على فوائده ونتائجه الايجابية المثمرة. فالالتذاذُ الحقيقِيُّ من الحياةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ لِلإِنْسَانِ بِالْعَمَلِ والسَّعْيِ، لا بالبطالةِ والتَّعَطُّلِ والفراغِ، كما يَزَعُمُه البَطَّالون والفارغون.

وهذا امرٌ هامٌّ في صنعِ الفردِ والمجتمعِ، يتوقَّفُ عليه تقدُّمُ ايِّ شَعْبٍ، فيَجِبُ ان يُنْهَجَ له، ويُدْرَجَ تعليمُه وتوعيتُه في المناهجِ التَّربويَّةِ والبرامجِ التَّعليميَّةِ للناشئة، حتى تتوفَّرَ على حُبِّ العملِ والانصهارِ به والإكبابِ عليه^٣. نعم، إنَّ الإنسانَ العاطلَ والفارغَ، تقطُّعُ صلته الفيزيائية - فكراً ويداً - بالعالمِ وما فيه، فيُحسُّ الاجنبيَّةَ مع العالمِ. وكذلك يقطُّعُ صلته بامكانياتِ نفسِه ومواهبِها، فيُحسُّ الاجنبيَّةَ معها ايضاً؛ ومن هنا وهناك، فلا يَلْتَذُّ بالحياةِ التذاذاً موضوعياً مُلتحِمَ الصِّلةِ بواقعِ الإنسانِ وحياتِه، وبطبيعةِ المجتمعِ البشريِّ الخلاقِ.

١ - سورة البلد (٩٠) : ٤.

٢ - البحار ٣ / ٨٦.

٣ - وسنُشيرُ في الفصلِ القادمِ، إلى أنَّ العملَ يَجِبُ أَنْ يُوزَّعَ بحيث لا يكون مرهقاً لأحد.

الفصل السادس

العطل والكسل، استنكار ورفض

أ - العطل

الكتاب

١ .. فإذا جاء أمر الله قُضِيَ بالحقِّ، وخَسِرَ هُنَالِكَ المُبْطِلُونَ * ١

الحديث

١ النبي «ص» - إذا نَظَرَ الى الرَّجُلِ فَأَعْجَبَهُ قال : له حرفة؟ فإن قالوا : لا، قال : سَقَطَ من عيني . قيل : وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال : لَأَنَّ المَؤْمِنَ إذا لم يُكُنْ له حرفة يُعِيشُ بدينه . ٢

٢ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الصَّادِقُ «ع» : مَلْعُونٌ من ألقى كَلَّهُ على

١ - سورة غافر (٤٠) : ٧٨ .

٢ - المستدرک ٢ / ٤١٥ .

الناس ١

- ٣ النبي «ص» : ملعون ملعونٌ من يُضيع من يُعول .^٢
- ٤ الامام علي «ع» : المؤمن .. مشغولٌ وقته .^٣
- ٥ الامام علي «ع» : ان يكن الشغل مجهداً، فاتصال الفراغ مفسدة .^٤
- ٦ الامام السجاد «ع» - كان بالمدينة رجلٌ بطالٌ يضحك الناس منه .. فقال «ع» : قولوا له : ان لله يوماً يخسر فيه المبطلون .^٥
- ٧ الامام الباقر «ع» : قال رسول الله «ص» : لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي، ولا لمحترف، ولا لقوي . قلنا : ما معنى هذا؟ قال : لا يحل له ان يأخذها وهو يقدر على ان يكف نفسه عنها .^٦
- ٨ الامام الباقر «ع» : قال موسى «ع» : يا رب أي عبادك أبغض اليك؟ قال : جيفة بالليل، بطال بالنهار .^٧
- ٩ الامام الصادق «ع» : .. جاء عن النبي «ص» : ان اصنافاً من أممي لا يستجاب لهم دعائهم .. ورجل يقعد في بيته ويقول : يا رب ارزقني ! ولا يخرج ولا يطلب الرزق . فيقول الله عز وجل له : عبدي ! ألم اجعل لك السبيل الى الطلب والتصرف في الارض بجوارح صحيحة ..^٨

١ - الوسائل ١٢ / ١٨ .

٢ - عُدّة الداعي / ٧٢ .

٣ - نهج البلاغة / ١٢٤٣ : عبده ٣ / ٢٣٢ .

٤ - الارشاد / ١٥٨ .

٥ - سفينة البحار ١ / ٨٨ .

٦ - الوسائل ٦ / ١٦٠ .

٧ - البحار ٧٦ / ١٨٠ .

٨ - الوسائل ١٢ / ١٥ .

- ١٠ الامام الصادق «ع»: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضِيعَ مِنْ يَعُولٍ^١.
- ١١ الامام الكاظم «ع»: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيُبْغِضُ الْعَبْدَ النَّوَامَ، إِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْعَبْدَ الْفَارِغَ^٢.

ب - الكسل

الكتاب

- ١ .. وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى، وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: .. لِلْكَسْلَانِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ: يَتَوَانَى حَتَّى يَفْرُطَ، وَيَفْرُطُ حَتَّى يُضِيعَ، وَيُضِيعُ حَتَّى يَأْتِمَ^٤.
- ٢ الامام علي «ع»: أَيَاكُمْ وَالْكَسَلَ، فَإِنَّهُ مَنْ كَسَلَ لَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ^٥.

١ - عُذَّة الدَّاعِي / ٧٢.

٢ - الوَسَائِل ١٢ / ٣٧.

٣ - سُورَةُ التَّوْبَةِ (٩) : ٥٤.

٤ - قُرْبِ الْإِسْنَادِ / ٢٢.

٥ - تَحْفِ الْعُقُولِ / ٧٨.

٣ الامام علي «ع» : مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فَهُوَ خَلِيقٌ بَانَ لَا يَنْزِلُ بِهِ مَكْرُوهٌ أَبَدًا . قيل : وما هُنَّ يا اميرَ المؤمنين؟ قال : العجلة، واللَّجاجة، والعُجب، والتَّواني^١.

٤ الامام الباقر «ع» : الكَسَلُ يُضِرُّ بِالدِّينِ وَالدُّنْيَا^٢.

٥ الامام الباقر «ع» : انِّي لَأُبْغِضُ الرَّجُلَ (او أُبْغِضُ لِلرَّجُلِ) أَنْ يَكُونَ كَسَلَانًا عَنْ امْرِ دُنْيَاهُ . وَمَنْ كَسِلَ عَنْ امْرِ دُنْيَاهُ فَهُوَ عَنْ امْرِ آخِرَتِهِ أَكْسَلَ^٣.

٦ الامام الصادق «ع» : لَا تَسْتَعِنُ بِكَسَلَانٍ^٤ ..

٧ الامام الصادق «ع» : مَنْ كَسِلَ عَنْ طَهْرِهِ وَصَلَاتِهِ، فَلَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ لِامْرِ آخِرَتِهِ . وَمَنْ كَسِلَ عَمَّا يُصْلِحُ بِهِ امْرَ مَعِيشَتِهِ، فَلَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ لِامْرِ دُنْيَاهُ^٥.

٨ الامام الصادق «ع» : لَا تَكْسَلُوا فِي طَلْبِ مَعَايِشِكُمْ، فَإِنَّ آبَاءَنَا كَانُوا يَرْكُضُونَ فِيهَا وَيَطْلُبُونَهَا^٦.

٩ الامام الصادق «ع» - كتب الى رجلٍ من اصحابه : ولا تَكْسَلْ عَنْ مَعِيشَتِكَ فَتَكُونَ كَلًّا عَلَى غَيْرِكَ - او قال : على اهلك^٧.

١٠ الامام الكاظم «ع» : قال ابي لبعضِ وُلْدِهِ : اِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضُّجْرَ، فَإِنَّهُمَا يَمْنَعَانِكَ مِنْ حَظِّكَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^٨.

* راجع ايضاً : الفصل الثالث والثلاثين، من الباب الحادي عشر.

١ - تحف العقول / ١٥٩

٢ - تحف العقول / ٢١٩.

٣ و٤ و٥ و٦ - الوسائل ١٢ / ٣٧-٣٨.

٧ و٨ - الوسائل ١٢ / ٣٧ - ٣٨.

نظرة الى الفصل

نذكر في نظرتنا الى هذا الفصل مسائل لها اهمية، وهي موجهة:

١ - من اللازم على زعماء المجتمع ومديري الشعب ورجال الحكم، أن يسعوا لتوفير العمل للعاطلين، وأن يوجدوا للناس العمل والشغل، ولا سيما اذا كانت البطالة سبباً للفقر والإقلال (و الفقر كاد أن يكون كُفراً)١، او كان عاملاً على التميع والسقوط الخلفي.

٢ - كذلك من اللازم أن يوزع العمل على الذين يطبقونه بصورة عادلة؛ فليس من العدل والاسلامية أن يكُدَّ ويكدَح أناس ليل نهار، لينالوا لماظة من العيش، ويحصل قوم آخرون بأدنى سعي على كثير من المال. وكان هناك كثيرون لا يرون انفسهم محتاجين الى مثابرة وسعي وشغل. إن هذا لظلم. فاللازم أن يكون لكل انسان عمل وشغل يقدر عليه، ويناسب ذوقه ومواهبه وقدرته، جسماً وروحاً، حتى لا يكون الشغل والعمل مضراً به، بل مفيداً له.

٣ - من الواضح أن تقسيم العمل بصورة عادلة، إنما يرتبط بقيام التوازن في المجتمع ارتباطاً وثيقاً؛ فاذا لم يكن التوازن بمقاييسه سائداً في المجتمع، لا يتاح له الظفر بتوزيع عادل فيما يمت الى سائر الامور ومنها العمل. وذلك لأن الحفنة التي استغلت الناس وحصلت على حياة تكاثريّة ترفيّة، اذا لم تُردع عما تفعله باقامة التوازن، لا تخضع أمام العدالة والحق، ولا تُقرُّ التقسيم العادل للعمل ايضاً.

٤ - أن المتكاثرين واصحاب الثروات، فضلاً عن أنهم لا يحتاجون الى

١ - راجع: الفصل ٣٢، من الباب ١١.

أَنْ يَعْمَلُوا بِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يُضِرُّونَ النَّاسَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى . وَهِيَ أَنَّهُمْ - بِمَا لَهُمْ مِنَ الْغِنَى الْمَفْرُطِ وَالْإِمْكَانِيَّاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ - يَضْطَرُّونَ النَّاسَ إِلَى أَنْ يَعْمَلُوا لَهُمْ . وَحِينَئِذٍ فَهَمْ يُعِينُونَ الْأَجْرَ وَمَقْدَارَهَا، فَيَبْخُسُونَ النَّاسَ أَعْمَالَهُمْ، فَيُعْطُونَهُمْ أَجُورًا زَهِيدَةً فِي مَقَابِلِ أَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ وَمُرْهَقَةٍ، وَبِذَلِكَ يُشِيعُونَ الظَّلْمَ فِي الْمَجْتَمَعِ وَيَسْتَغْلِبُونَ الْجُمَاهِيرَ اسْتِغْلَالًا؛ وَلَقَدْ قَالَ الْقُرْآنُ: «وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْثَالَهُمْ»، وَقَالَ فِي التَّفْسِيرِ: «أَيُّ وَلَا تَنْقُصُوا النَّاسَ حَقُوقَهُمْ وَلَا تَمْنَعُوها»^١، وَأَيْنَ هَذَا النَّهْيُ الْقُرْآنِيُّ مِنَ الْحَالَةِ السَّائِدَةِ فِي أَصْحَابِ الْمَعَامِلِ مَعَ عَمَالِهِمْ؟

٥ - مِنَ الْوَاضِحِ، أَنَّ الْعَمَلَ إِذَا لَمْ يُقَسَّمْ عَلَى النَّاسِ بِصُورَةٍ مُنَاسِبَةٍ، يُوجِبُ الْإِفْرَاطَ وَالتَّفْرِيطَ، وَعَدَمَ التَّنَاسُقِ فِي أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْاجْتِمَاعِيِّ . وَنَتِيجَةُ هَذِهِ الْحَالَةِ الْغَاشِمَةِ أَنْ يَفْسُدَ قَوْمَانُ : قَوْمٌ مِنَ الْفِرَاقِ وَرَفَاهِيَةِ الْعَيْشِ وَعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَى عَمَلٍ وَكَدٍّ، وَقَوْمٌ مِنْ كَثْرَةِ الْعَمَلِ وَالْكَدِّ وَالْحَاجَةِ الْمُلِحَّةِ إِلَى الْعَمَلِ دَوْمًا . نَعَمْ، فِي هَذِهِ الْحَالَةِ تَظْهَرُ حَفْنَةُ مُتَطَفِّلَةٍ قَدْ أَلْقَتْ كُلَّهَا عَلَى السَّائِرِينَ، وَحَفْنَاتُ مُضْطَهَّدَةٍ تَحْتَ نِيرِ الْاسْتِغْلَالِ وَالْإِمْتِصَاصِ .

فَفِي هَذَا الضُّوءِ، لَا يَتَحَقَّقُ الْقِسْطُ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، الْآبَانَ يُطَبَّقُ فِي جَمِيعِ الْحُقُوقِ، وَمِنْهَا الْعَمَلُ وَتَقْسِيمُهُ بَيْنَ النَّاسِ بِصُورَةٍ يُجَسِّدُ بِهَا الْقِسْطَ، وَتُصَانُ بِهَا الْكِرَامَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ وَعِزَّةُ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ .

٦ - يَجِبُ أَنْ تَرَاعَى فِي جَانِبِ الْعُمَالِ جِهَاتٌ عَدِيدَةٌ حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقُوقَهُمْ عَلَى مَخْتَلِفِ الْمَسْتَوِيَّاتِ، وَتَقْتَرِبَ الْحَالَةُ مِنْ أَهْدَافِ الْإِسْلَامِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَيَجِبُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى :

أ - شَخْصِيَّتَهُمُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ ،

١ - سُورَةُ الشُّعْرَاءِ (٢٦) : ١٨٣ .

٢ - مَجْمَعُ الْبَيَانِ ٧ / ٢٠٢ .

- ب - حقوقهم الدنيّة ،
- ج - حقوقهم الفرديّة ،
- د - حقوقهم العائليّة ،
- هـ - حقوقهم الثقافيّة ،
- و - حقوقهم الصحيّة ،
- ز - حقوقهم التربويّة والتعليميّة ،
- ح - حقوقهم الرفاهيّة ،
- ط - حقوقهم السياسيّة ،
- ي - وحقوقهم التقنيّة .

ولقد جاء في كلام الامام ابي الحسن عليّ بن موسى الرضا «ع» في تعليل الزكاة وفوائدها، أنّ منها أنّها تُعاونُ الفقراءَ على امورهم الدنيّة^١، فكيف ظنك بالعمال وما يجب بالنسبة اليهم؟ ولقد سُحِقُ كثيرٌ من حقوقهم الدنيّة وما يمتُّ بصلّة الى اقامة وظائفهم الشرعيّة في المعاملِ سَحَقاً.

تدليل

لم نجعل من منهج هذا الكتاب، أن نستوعب الآيات والاحاديث في كلّ موضوع، وأن نستقصي جميع ما يمكن أن يُستخرج منها من العناوين والموضوعات والمغازي . وهذا واضح للقارئ الفاضل، ونحن ايضاً اشرنا اليه في مواضع أخرى . وذلك لأن الاستيعاب المذكور امرٌ صعبٌ لا يمكن أن يقوم به الا لجان، حيث يستدعي أن يؤلّف و يُصنّف في كلّ موضوع من الموضوعات الرئيسيّة، موسوعةً مستقلةً وكبيرة، حتى يتاح بها أن توضع

١ - علل الشرايع / ٣٦٩ : «... وتقوية الفقراء، والمعونة لهم على أمر الدين...».

أُسُسُ الخُطَّةِ المنشودة .

فمن هنا كان الغرضُ توعيةَ النَّاسِ بِنَمَازِجِ مِمَّا جَاءَ فِي هِدَايَةِ الثَّقَلَيْنِ
الْبَاقِيَيْنِ (كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَ عِترَةِ النَّبِيِّ «ص» الْوَارِثِينَ لِعَلِمِهِ وَهَدَاهِ)
وَتَعَالِيْمِهِمَا لِصَنْعِ الْاِفْرَادِ وَبِنَاءِ الْمَجْتَمَعَاتِ، فَلَيْسَتْ هِيَ الْاَخْطُوَّةُ بَدِئَةً
لِبِنَاءِ حَضَارَةٍ قُرْآنِيَّةٍ، بَدْعُ أُسُسِ الْقِسْطِ الْقُرْآنِيِّ، وَتَرْوِيداً لِلْقِسْمِ
الْفَقَاهِيِّ مِنَ الْعُلُومِ الْاِسْلَامِيَّةِ، فِيمَا يَرْجِعُ اِلَى عَرْضِ «الْاِقْتِصَادِ
الْاِسْلَامِيِّ»، فِي هَذِهِ الْاِجْزَاءِ الْارْبَعَةِ .

فَفِي الضَّوِّءِ الْمَذْكُورِ، يُصْبِحُ مِنْ وَاجِبِ الْبَاحِثِ اَنْ يُرَاجِعَ الْمَصَادِرَ
وَالْمَرَاجِعَ فِي كُلِّ مَا يُعْرَضُ عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ، اِذَا ارَادَ الْفَحْصَ وَالْاِسْتِيعَابَ
عَنْ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِصَدِّدِ مَوْضُوعِهِ الَّذِي يُعَالِجُهُ بِالْدِّرَاسَةِ وَالْبَحْثِ .
وَمِنْ الْمَوْضُوعَاتِ الْهَامَّةِ الَّتِي اعْتَدَّ الْاِسْلَامُ بِشَأْنِهَا اِعْتِدَاداً كَبِيراً
وَجَعَلَهَا رِئِيسِيَّةً فِي الْبِنَاءِ الْاِقْتِصَادِيِّ، هُوَ الْعَمَلُ وَشُؤُونُهُ وَالْعُمَالُ
الْمُخْتَلِفُونَ وَحُقُوقُهُمْ وَمَا يُمْتُّ اِلَى حَيَاتِهِمْ وَصَحَّتِهِمْ وَأُجْرَتِهِمْ وَكِرَامَتِهِمْ
وَدِينِهِمْ وَحُرِّيَّتِهِمْ . هَذَا مَوْضُوعٌ اِسْلَامِيٌّ وَانْسَانِيٌّ وَحَيَاتِيٌّ وَتَقْدُمِيٌّ هَامٌ،
يَجِبُ اَنْ يُفْرَدَ لَهُ مَوْسُوعَةٌ شَامِلَةٌ، بِيَدِ الْبَاحِثِينَ وَالْاَخْصَائِيِّينَ، بِالرُّجُوعِ وَ
الْاِسْتِقَاءِ مِنَ الْمَرَاجِعِ الْاِسْلَامِيَّةِ، مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَفَاسِيْرِهِ الْمَعْتَمَدَةِ،
وَكَتَبِ الْحَدِيثِ الْمَعْتَبَرَةِ وَشُرُوحِهَا؛ هَذَا .

وَحَيْثُ وَقَفْنَا اٰخِرًا، عَلٰى كِتَابِ^١ «الشُّؤُونِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ فِي نِصُوصِ
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»^٢ وَلَا حِظْنَاهُ، وَجَدْنَا اَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِيهِ بَعْضُ اِحَادِيْثِ مَفِيْدَةٍ
بِنَاءً، وَخُصُوصًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَمَلِ وَالْعُمَالِ، لِذَلِكَ اَحْبَبْنَا اَنْ لَا نُغْفَلَ ذِكْرَهُ .
وَعُقِدَ فِيهِ لِلْعَمَلِ وَاهْمِيَّتِهِ وَالْعُمَالِ وَحُقُوقِهِمْ فَصْلَانِ . وَنَحْنُ نُورِدُ هُنَا

١ - بَعْدَ مَا اَهْدَى الْبِنَا بَعْضَ الْاَصْدِقَاءِ نَسْخَةً مِنْهُ .

٢ - تَأَلَّفَ اِحْدَ عِلْمَاءِ «قَم» الْمَشْرِفَةِ وَبَعْضِ اَصْحَابِهِ، اِصْدَارُ «مَكْتَبَةِ الْاِمَامِ امِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلِيِّ عَلَيْهِ
السَّلَامِ الْعَامَّة» - اِصْفَهَانَ (١٤٠٣ هـ . ق).

عناوين الموضوعات المذكورة فيهما تميماً للفائدة، واستيفاءً لحقوقِ العمّالِ والفلاحين والكادحين، من الذين يُظلمون هنا و هناك، بيدِ الطّواغيتِ الاقتصاديّين^١، وان كانت عدّةٌ منها متداخلةً مع ما أوردناه في هذه الفصولِ الثلاثة التي عقّدناها للعملِ والعمّالِ و شجبِ الكسلِ والعُطلِ :

«الفصلُ الأوّلُ : اهميّة الكدِّ والكَدْحِ والعملِ (٣٣ - ٧٨) :

- ١ - العملُ والكسبُ في القرآنِ الكريمِ .
- ٢ - العزّةُ والكرامةُ في ظلالِ الكَدْحِ والعملِ .
- ٣ - الكَدْحُ والعملُ كالجهدِ في سبيلِ الله .
- ٤ - العملُ لطلبِ الحلالِ عبادة .
- ٥ - الكَدْحُ والعملُ سببُ لغفرانِ الذنوبِ .
- ٦ - العملُ والغنى المشروعُ وسيلةٌ لنيلِ الآخرة .
- ٧ - العملُ مستحبٌ ذاتاً، واجبٌ عندِ الضّرورة .
- ٨ - لا حياة في طلبِ الرزقِ الحلالِ .
- ٩ - استحبابُ التَّعبِ لطلبِ الرزقِ .
- ١٠ - استحبابُ السَّفَرِ والاعتِرابِ لطلبِ الرزقِ .
- ١١ - استحبابُ البُكورِ لطلبِ الرزقِ .
- ١٢ - فضلُ العملِ باليدِ .
- ١٣ - العملُ سنّةُ الانبياءِ وسيرةُ الاولياءِ .
- ١٤ - الاعتمادُ على النفسِ والاستغناء عنِ الناسِ .
- ١٥ - فضلُ العملِ للانفاقِ على النفسِ والعيالِ .
- ١٦ - النهيُ عن التّراخي والكسلِ في طلبِ الرزقِ .

١ - من اصحابِ المعاملِ والمنتجين الكبارِ والاقطاعيين والمستوردين وسلطين الاسواقِ والمُسعّرين ومن اليهم .

- ١٧ - النهي عن التوكُّلِ الكاذبِ والنومِ الكثيرِ .
- ١٨ - تاركُ الكَدْحِ والعملِ لا يُستجابُ دعاؤه .
- «الفصلُ الثالثُ : حقوقُ العاملِ (١٧٣ - ٢٢٦) :
- ١ - كراهةُ استعمالِ الاجيرِ قبلَ تحديدِ أجرتهِ .
- ٢ - حرمةُ منعِ الاجيرِ والعاملِ أجرتهِ .
- ٣ - استحبابُ اعطاءِ العاملِ والاجيرِ أجره قبلَ جفافِ عرقه .
- ٤ - ما يجوزُ للعاملِ العملُ فيه اجارةً ومالا يجوزُ .
- ٥ - حريةُ اختيارِ العملِ .
- ٦ - الإذنُ للعاملِ بالاستراحةِ والسَّماحُ له بحضورِ صلاةِ الجمعةِ .
- ٧ - عدمُ جوازِ احالةِ العاملِ للعملِ الى عاملٍ آخر بنقيصةٍ دون أن يكونَ قد عمِلَ فيه شيئاً .
- ٨ - جوازُ انقاصِ أجرَةِ العاملِ برضاهِ .
- ٩ - لاغبنَ للعاملِ ولا اضراربه .
- ١٠ - استحبابُ كتابةِ العقودِ والاتفاقياتِ والمعاملاتِ .
- ١١ - احترامُ العقودِ والاتفاقياتِ والمواعيدِ .
- ١٢ - التأمينُ والضمانُ الاجتماعيُّ للعاملِ .
- ١٣ - العاملُ غيرُ ضامنٍ الا اذا فرطَ او تعدى او خان .
- ١٤ - العملُ عن طريقِ المضاربةِ والمزارعةِ والمساقاةِ .^١

١ - وجاء في التعليق على هذا العنوان : «تعتبرُ المضاربةُ من افضلِ ما طرَّحه الاسلامُ للعمالِ - الذين يملكون المهاراتِ ولا يملكون المال - من طريقةٍ للاكتسابِ تصونُ حرمةَ العاملِ وتحفظُ حقوقه، وتعودُ عليه بالربحِ المناسبِ، ودون أن يضطرَّ للرُضوخِ للشروطِ الظالمةِ او القبولِ بالاجورِ الزهيدةِ التي يفرضها بعضُ اربابِ العملِ الاستغلاليين . والمضاربةُ هي أن يكونَ المالُ من صاحبِ المالِ والعملُ من الآخرِ والربحُ بينهما، حسبما يتفقان عليه بالرضا والاختيار، دون الخسارة . وهذا هو من افضلِ ما يجعلُ العاملَ يحصلُ على ما يريدُه من الربحِ العادل، فيما يحفظُ حقَّ صاحبِ المالِ ايضاً، كما- وأنه خيرُ ردِّ على عمليةِ الربا التي حرَّمها الاسلامُ اشدَّ

١٥ - العملُ عن طريقِ الجُعالةِ».

تكميل

النبيّ «ص» يقبل يد العامل

و جاء في الكتاب المذكور، نقلاً عن بعض المصادر، هذه القطعةُ
المشرقةُ والكبيرةُ :

«إن رسولَ الله «ص» لما أقبلَ من غزوةِ "تبوك"، استقبله سعدُ
الأنصاري، فصافحه النبيُّ «ص» ثم قال له : "ما هذا الذي أكبتَ (أي
أخسنتَ) يدك؟" فقال : يا رسولَ الله! أضربُ بالمرِّ والمِسحاةِ فأنفقهُ على
عِيالي . فقبَّلَ يده رسولُ الله وقال : "هذه يدُ لا تمسُّها النارُ».

تحريم . على أن أكثر حقوقِ العمالِ ومسائِلهم تُوجدُ في هذا البابِ من ابوابِ الفقه والحديث ..
ومن هذا البابِ المزارعة والمساواة، التي تعني أن تكون الأرضُ من شخصٍ والزراعةُ من آخر
بحصةٍ من المحصول، او الاشجارُ من شخصٍ والسقيُّ من آخر كذلك . هذا، ونحن ندعوا القراء
الكرامَ الى مطالعةِ جميعِ احاديثِ هذه الابوابِ الثلاثة، التي تتعرضُ لأدقِّ حقوقِ العاملِ وصاحبِ
العملِ».

الفصل السابع

الفلاحة والزراعة

الكتاب

- ١ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ؟ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ؟ *^١
- ٢ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَاتٍ أَمْنِ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ *^٢
- ٣ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدائقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ *^٣
- ٤ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ..^٤
- ٥ .. هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ..^٥

١ - سورة الواقعة (٥٦) : ٦٣ - ٦٤.

٢ - سورة يس (٣٦) : ٣٣ - ٣٤.

٣ - سورة عبس (٨٠) : ٢٥ - ٣٢.

٤ - سورة النحل (١٦) : ١١ - ١٢.

٥ - سورة هود (١١) : ٦١.

* جاء في تفسير الآية، من معانيها: أَمَرَكُم من عمارتِها بما
تَحْتَاجُونَ اليه من المساكنِ والزراعاتِ وغرسِ الاشجارِ.^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: من سَقَى طَلْحَةً او سِدْرَةً، فَكَانَ مَا سَقَى مُؤْمِنًا من ظَمًا.^٢
- ٢ النبي «ص»: ما من مسلمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا او يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ انسانٌ او طَيْرٌ او بهيمة، الاَّ كَانَتْ لَهُ به صدقةٌ.^٣
- ٣ النبي «ص»: من غَرَسَ غَرْسًا فَاتَمَرَ، اَعْطَاهُ اللهُ من الاجرِ قَدْرَ ما يُخْرِجُ من الثَّمْرِ.^٤
- ٤ النبي «ص»: اِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وفي يَدِ احِدِكُمُ الفَسِيلَةُ، فَاِنْ اِسْتَطَاعَ اَنْ لا تَقْوَمَ السَّاعَةُ حَتى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا.^٥
- ٥ النبي «ص»: من بَنى بُنيانًا بِغَيْرِ ظَلَمٍ ولا اِعْتِداءٍ، او غَرَسَ غَرْسًا بِغَيْرِ ظَلَمٍ ولا اِعْتِداءٍ، كانَ لَهُ اجْرًا جاريًا ما اَنْتَفَعَ بِهِ احَدٌ من خَلْقِ الرَّحْمَنِ.^٦
- ٦ الامام علي «ع» - اِنَّهُ كانَ يَعمَلُ بيده وَيُجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ .. ولقد كانَ يُرى ومعه القَطارُ من الابلِ وعلية النوى، فيقالُ: ما هذا يا ابا الحسن؟ فيقولُ: نَخْلٌ اِنْ شاءَ اللهُ، فَيَغْرِسُها فما يُغادِرُ مِنْهُ واحِدَةً.^٧

١ - مجمع البيان ٥ / ١٧٤.

٢ - الوسائل ١٢ / ٢٥.

٣ و ٤ - المسندك ٢ / ٥٠١.

٥ و ٦ و ٧ - المسندك ٢ / ٥٠١.

- ٧ الامام علي «ع» : .. وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الْمَالَ (النَّخِيلَ) عَلَى أَصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ، حَيْثُ أَمَرَ بِهِ وَهُدِيَ لَهُ، وَأَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً حَتَّى تُشَكَلَ أَرْضُهَا غِرَاسًا..^١
- ٨ الامام الباقر «ع» - مِمَّا رَوَاهُ عَنْ أَبِيهِ الْإِمَامِ السَّجَّادِ : خَيْرُ الْأَعْمَالِ زَرْعُ يَزْرَعُهُ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ.. وَيَأْكُلُ مِنْهُ السَّبَّاعُ وَالطَّيْرُ.^٢
- ٩ الامام الصادق «ع» : إِزْرَعُوا وَاغْرِسُوا، وَاللَّهُ مَا عَمِلَ النَّاسُ عَمَلًا أَحَلَّ وَأَطْيَبَ مِنْهُ.^٣
- ١٠ الامام الصادق «ع» : مَا فِي الْأَعْمَالِ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الزَّرْعَةِ، وَمَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا زَرَّاعًا، إِلَّا أَدْرِسَ فَإِنَّهُ كَا خِيَّاطًا.^٤
- ١١ الامام الصادق «ع» - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» : أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ؟ قَالَ : زَرْعُ زَرَّعَهُ صَاحِبُهُ وَأَصْلَحَهُ، وَأَدَّى حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَايُّ الْمَالِ بَعْدَ الزَّرْعِ خَيْرٌ؟ قَالَ : رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ، قَدْ تَبَعَ بِهَا مَوَاضِعَ الْقَطْرِ.. قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَايُّ الْمَالِ بَعْدَ الْغَنَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ : الْبَقْرُ تَغْدُو بِخَيْرٍ وَتَرُوحُ بِخَيْرٍ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَايُّ الْمَالِ بَعْدَ الْبَقْرِ خَيْرٌ؟ قَالَ : الرَّاسِيَاتُ فِي الْوَحْلِ، وَالْمُطْعِمَاتُ فِي الْمَحْلِ، نِعْمَ الشَّيْءُ النَّخْلُ . مِنْ بَاعَهُ فَإِنَّمَا تَمَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ رَمَادٍ عَلَى رَأْسِ شَاهِقَةٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، إِلَّا أَنْ يُخْلِفَ مَكَانَهَا..^٥
- ١٢ الامام الصادق «ع» - يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ الْوَاسِطِيُّ قَالَ : سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ -

١ - نهج البلاغة / ٨٧٧ : عبده ٣ / ٢٤ .

٢ - سفينة البحار / ١ / ٥٢٩ .

٣ و ٤ - سفينة البحار / ١ / ٥٢٩ .

٥ - امالي الصدوق / ٣١٢ - ٣١٣ : الوسائل ١٣ / ١٩٢ .

- محمد «ع» عن الفلاحين؟ قال: هم الزارعون، كُنوزُ الله في ارضه؛ وما في الاعمالِ شيءٌ أحبُّ الى الله من الزراعة ..^١
- ١٣ الامام الصادق «ع»: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبُّ لَانبِيَائِهِ «ع» من الاعمال، الحزث والرّعي ..^٢
- ١٤ الامام الصادق «ع» - في تفسير قولِ الله: «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ»، قال: الزارعون ..^٣
- ١٥ الامام الصادق «ع»: الزارعون كُنوزُ الأنام، يزرعون طيباً أخرجهُ الله عزَّ وجلَّ. وهم يومَ القيامةِ احسنُ مقاماً، واقربهم منزلةً، يُدعون المباركين ..^٤
- * يُشيرُ هذا التعلیمُ الصادقيُّ الى نكتةٍ توحيديةٍ هامةٍ، ربما يَغفلُ عنها الغافلون . وهي أنّ المحصولاتِ الزراعيّةِ التي تحصلُ من زرعِ الزارعين، وثمارِ الغراس، ليست إلا ما يُعدهُ الله ويُخرجهُ لعباده (قل: مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ؟) .^٥ فالزُّراعُ يزرعون ما يُخرجهُ الله عزَّ وجلَّ، والغارسون يَغرسون ذلك لاغير؛ فالفاعلُ الحقيقيُّ هو الله - تعالى شأنه - بتعبئته النواميس وإعداده القوى والجنود الفعالة في العالم.
- ١٦ الامام الصادق «ع»: الكيمياءُ الاكبرُ الزراعةُ .^٦

١ - الوسائل ١٢ / ٢٥ .

٢ - علل الشرايع ١ / ٣٢ .

٣ - الوسائل ١٢ / ٢٥ .

٤ - الوسائل ١٣ / ١٩٤ .

٥ - سورة الاعراف (٧) : ٣٢ .

٦ - الوسائل ١٣ / ١٩٤ .

الفصل السابع: الفلاحة والزراعة

- ١٧ الامام الصادق «ع» - عن ابيه : كان امير المؤمنين «ع» يقول : من وجد ماءً وتراباً ثم افتقر، فأبعده الله .^١
- ١٨ الامام الصادق «ع» : ذَكَرَ (فَكَرَّ - خ ل) يا مفضل! فيما أُعطي الانسان علمه.. وكذلك أُعطي علم ما فيه صلاحُ دنياه، كالزراعة، والغراس، واستخراج الارضين .. واستنباط المياه ..^٢
- ١٩ الامام الصادق «ع» : . خَلَقَ له (للانسان) الشجر، فكَلَّفَ غرسها وسقيها والقيام عليها ..^٣
- ٢٠ الامام الكاظم «ع» - فيما رواه عن ابيه، عن جدّه (الامام الباقر «ع»): ان بايع الضيعة مَمْحُوقٌ، ومشتريها مرزوقٌ.^٤

تذييل

الزراعة، آداب و حقوق

الحديث

- ١ الامام السجاد «ع» : ما أزرعُ الزرعَ لطلبِ الفضلِ فيه، وما أزرعُ الآ لِيَتَنَاوَلَهُ الفقير، وذو الحاجة ..^٥

١ - الوسائل ١٢ / ٢٤ .

٢ و ٣ - البحار ٣ / ٨٢ - ٨٣ و ٨٤ .

٤ و ٥ - سفينة البحار ١ / ٥٤٩ .

٢ الامام الصادق «ع»: مَنْ زَرَعَ حِنْطَةً فِي اَرْضٍ فَلَمْ يَزُكْ فِي اَرْضِهِ، او خَرَجَ زَرْعُهُ كَثِيرَ الشَّعِيرِ، فَبْظَلَمَ عَمَلَهُ فِي مِلْكِ رَقَبَةِ الْاَرْضِ، او بْظَلَمَ لِزَارِعِهِ وَاكْرَتِهِ، لَانَ اللّٰهَ يَقُولُ: «فَبْظَلَمَ مِنَ الَّذِيْنَ هَادُوا، حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ»^١.

الفات نظر

يُسْتَفَادُ مِنْ اسْتِدْلَالِ الْاِمَامِ الصّٰدِقِ «ع» بِهَذِهِ الْاَيَّةِ، اَنَّ الْاَيَاتِ السَّمَاوِيَّةَ النَّازِلَةَ بِصَدْرِ الظّٰلِمِيْنَ مِنْ سَائِرِ الْاِقْوَامِ وَالشُّعُوْبِ، لَا تَخُصُّهُمْ بَلْ تَعُمُّ الْمُسْلِمِيْنَ اَيْضًا، اِذَا عَمِلُوا عَمَلَهُمْ. وَلِهٖ فِي الْاِحَادِيْثِ نِظَائِرٌ مُتَعَدِّدَةٌ - وَلَعَلَّ عَدَمَ كَوْنِ الْمُوْرِدِ مُخَصَّصًا يَشْمَلُ امْتَالِ الْمَقَامِ بِنَحْوِ - .

فَفِي هَذَا الضَّوْءِ، اِنَّ الْاَيَاتِ الْكَثِيْرَةَ النَّازِلَةَ فِي رَفْضِ الْاَغْنِيَاءِ وَالْمُتْرَفِيْنَ مِنَ الْغَابِرِيْنَ وَالتَّنْذِيْدِيْبِهِمْ وَبِحَيَاتِهِمْ الْبَاذِخَةَ، تَعُمُّ الَّذِيْنَ يُضَاهُوْنَ نِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ، اِذِ الْهَدَايَةُ لَا تَخُصُّ قَوْمًا دُوْنَ قَوْمٍ.

١ - سفينة البحار ١ / ٥٤٩. وتذكير الضمير في «لم يزك» - إن صحت النسخة - فبا اعتبار «الزرع».

نظرة الى الفصل

لقد عَقَدَ في «البحار» باباً عنوانه : «باب استحبابِ الزَّرْعِ والغَرْسِ وَحَفْرِ القُلْبَانِ وإِجْرَاءِ القَنَوَاتِ والأَنْهَارِ، وآدَابِ جَمِيعِ ذَلِكَ»، فَلْيُرِ اجْعُهُ الطَّالِبُونَ والبَاحِثُونَ .

ولعلَّه غيرُ خَافٍ على أَيِّ نَابِهِ، أَنَّ الزَّرْعَ والحَرْثَ يَقْتَرِنَانِ فِي العَصْرِ الحَاضِرِ بِالآدَوَاتِ الحَدِيثَةِ وَالتَّقْنِيَّةِ المَعَاصِرَةِ . وَعَلَى المَسْلَمِينَ أَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْهَا وَيَتَمَهَّرُوا فِيهَا، بَلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصْنَعُوهَا وَيَجِدُوا لِإِخْتِرَاعِ مَا هُوَ أَحَدٌ وَأَدَقُّ وَأَنْفَعُ مِنْهَا .

إِنَّ العُلُومَ وَالإِخْتِرَاعَاتِ الحَدِيثَةَ، قَدْ أَقْتَبَسَتْ مِنْ عُلُومِ المَسْلَمِينَ، كَمَا تَشْهَدُ بِهِ عَشْرَاتٌ مِنَ الكُتُبِ وَالمَقَالَاتِ ، مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرْقِ وَالمَغْرِبِ، المُخْتَصِّينَ بِهَذِهِ التَّحْقِيقَاتِ وَالبُحُوثِ، فَلْيَقْتَدِ المَسْلَمُونَ بِسَلْفِهِمْ، فِي بَسْطِ دَائِرَةِ العُلُومِ وَانجَازِ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا مَا يَرْجِعُ إِلَى تَطْوِيرِ الزَّرَاعَةِ وَالاسْتِفَادَةِ الوَافِرَةِ مِمَّا أَوْدَعَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الطَّبِيعَةِ وَالمِياهِ وَالنُّورِ وَالمُهْوَاءِ وَالأَرْضِ .

الفصل الثامن

الرعي وتربية المواشي

الكتاب

- ١ والآنعامَ خَلَقَهَا لَكُمْ، فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ *^١
- ٢ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْآنعامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ *^٢
- ٣ .. وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوا أَنْعَامَكُمْ ..^٣
- ٤ .. وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْآنعامِ بِيوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ اقَامَتِكُمْ، وَمِنْ أَصْوافِها وَأَوْبارِها وَأَشعارِها أَثاثاً وَمَتاعاً ..^٤
- ٥ وَمِنْ الْآنعامِ حَمولَةٌ وَفَرشاً ..^٥
- ٦ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْآنعامِ لَعِبْرَةً، نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِها وَلَكُمْ فِيها مَنافعٌ كَثيرَةٌ، وَمِنْها تَأْكُلُونَ *^٦

١ - سورة النحل (١٦) : ٥.

٢ - سورة غافر (٤٠) : ٧٩.

٣ - سورة طه (٣٠) : ٥٣ - ٥٤.

٤ - سورة النحل (١٦) : ٨٣.

٥ - سورة الانعام (٦) : ١٤٢.

٦ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٢٢.

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام علي بن ابي طالب «ع» : عليكم بالغنم والحرت، فانهما يغدوان بخير، ويروحان بخير^١.
- ٢ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن آبايه : سئل رسول الله «ص» : .. فاي المال بعد الزرع خير؟ قال : رجل في غنمه قد تبع بها مواضع القطر .. قيل : يا رسول الله ! فاي المال بعد الغنم خير؟ قال : البقر تغدو بخير وتروح بخير^٢.
- ٣ النبي «ص» - قال لعنته : ما يمنعك من ان تتخذي في بيتك البركة؟ فقالت : يا رسول الله ! ما البركة؟ فقال : شاة تحلب، فانه من كانت في داره شاة تحلب او نعجة او بقرة فبركات كلهن^٣.
- ٤ النبي «ص» : .. ان الله انزل ثلاث بركات : الماء والنار والشاة^٤.
- ٥ الامام الصادق «ع» : .. وكذلك اعطي (الانسان) علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة .. واقتناء الاغنام والانعام^٥.

* لاحظ : كلمتنا في النظرة الى الفصل السابق .

١ - البحار ٦٤ / ١٣٣، عن كتاب «المحاسن».

٢ - امالي الصدوق / ٣١٢ - ٣١٣؛ الوسائل ١٣ / ١٩٢.

٣ و ٤ - سفينة البحار ١ . ٧.

٥ - البحار ٣ / ٨٣ - ٨٤.

الفصل التاسع

البحر، صيده واستخراج فوائده والصناعة البحرية واهمية طرق البحر

الكتاب

- ١ أحلّ لكم صيد البحر وطعامه، متاعاً لكم وللسيارة ..^١
- ٢ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً ..^٢
- ٣ مرج البحرين يلتقيان .. يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ..^٣
- ٤ .. والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ..^٤
- ٥ ربكم الذي يزجي الفلك في البحر لتبتغوا من فضله ..^٥

الحديث

-
- ١ - سورة المائدة (٥) : ٩٦.
 - ٢ - سورة النحل (١٦) : ١٤.
 - ٣ - سورة الرحمن (٥٥) : ١٩ و ٢٢.
 - ٤ - سورة البقرة (٢) : ١٦٤.
 - ٥ - سورة الاسراء (١٧) : ٦٦.

- ١ الامام علي «ع» - في خطابه لاهل البصرة : .. سَخَّرْ لَكُمْ الْمَاءَ يَغْدُو عَلَيْكُمْ وَيُرُوِحُ، صَلاَحاً لِمَعاشِكُمْ، وَالْبَحْرَ سَبباً لِكثْرَةِ اموالِكُمْ ..^١
- ٢ الامام الصادق «ع» : .. وَكَذَلِكَ أُعْطِيَ (الانسان) عِلْمَ ما فِيهِ صَلاَحُ دُنْياهِ كَالزَّراعَةِ .. وَرِكوبِ السُّفُنِ، وَالغَوْصِ فِي الْبَحْرِ، وَضُرُوبِ الْحِجْلِ فِي صَيْدِ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالْحَيْتَانِ ..^٢
- ٣ الامام الصادق «ع» : .. فَإِنْ شَكَّكَتَ فِي مَنفَعَةِ هَذَا الْمَاءِ الْكثيرِ الْمُتراكِمِ فِي الْبِحارِ وَقَلْتَ : ما الْآرَبُ فِيهِ؟ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ مُكْتَنَفٌ وَمُضْطَرَبٌ ما لا يُحْصَى، مِنْ اصْنافِ السَّمَكِ، وَدَوَابِّ الْبَحْرِ، وَمَعْدِنِ اللُّؤْلُؤِ وَالْياقوتِ وَالْعَنْبِرِ، وَاصْنافِ شَتَّى تُسْتَخْرَجُ مِنَ الْبَحْرِ. وَفِي سِواحِلِهِ مَنابِتُ الْعُودِ وَالْيَلَنْجُوجِ، وَضُرُوبٍ مِنَ الطَّيِّبِ وَالْعَقاقِيرِ، ثُمَّ هُوَ بَعْدُ مَرَكَبُ النَّاسِ وَمَحْمِلٌ لِهَذِهِ التَّجاراتِ، الَّتِي تُجَلَبُ مِنَ الْبُلدانِ الْبَعِيدَةِ، كَمَثَلِ ما يُجَلَبُ مِنَ الصِّينِ إِلَى الْعِراقِ، وَمِنَ الْعِراقِ إِلَى الصِّينِ . فَإِنَّ هَذِهِ التَّجاراتِ لَوْلَمْ يَكُنْ لِها مَحْمِلٌ إِلَّا عَلَى الظَّهْرِ، لِبَارَتْ وَبَقِيَتْ فِي بُلدانِها وَأَيْدِي أَهْلِها، لَأَنَّ أَجْرَ حَمْلِها كانَ يُجاوِزُ أَثْمانَها، فلا يَتَعَرَّضُ أَحَدٌ لِحَمْلِها، وَكانَ يَجْتَمِعُ فِي ذلِكَ امْرانُ : أَحَدُهُما فَقَدْ أَشياءَ كَثيرةٌ تَعْظُمُ الْحاجَّةُ إِلَيْها، وَالآخَرُ انْقِطاعُ مَعاشِ مَنْ يَحْمِلُها وَيَتَعَيَّشُ بِفَضْلِها ..^٣

١ - البحار ٦٠ / ٣٩

٢ - البحار ٣ / ٨٢ - ٨٣.

٣ - البحار ٣ / ١٢٢ - ١٢٣.

نظرة الى الفصل

إنَّ اهميةَ البحرِ وفوائده والاستفادةَ من الطُّرُقِ البحريَّة، في المناطقِ التي يُوجدُ فيها بحرٌ، امرٌ معلومٌ . ولقد جاءت في القرآنِ الكريمِ آياتٌ متعدِّدةٌ تُصرِّحُ باهميةَ البحرِ وركوبه واستخراجِ فوائده الغدائيةِ ، غيرِ الغدائيةِ . قال الشيخ ابوعلِّي الطُّبرسي، في تفسيرِ الآيةِ ١٤، من سورةِ النحلِ : «وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ» اي ذلَّلهُ لَكُمْ وسَهَّلَ لَكُمْ الطَّرِيقَ الى ركوبه واستخراجِ ما فيه من المنافع، «لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا»، اي لِتَصْطَادُوا مِنْهُ انواعَ السَّمَكِ وتَأْكُلُوا لَحْمَهُ ..»^١.

وقال في تفسيرِ الآيةِ ٦٦، من سورةِ الإسراءِ : «الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلُكَ»، اي يَجْرِي لَكُمْ السُّفُنَ «في البَحْرِ»، بما خلق من الرِّياحِ، وبأن جعل الماءَ على وجهِ يُمْكِنُ جَرِي السُّفُنِ فيه، «لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ»، اي لِتَطْلُبُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِرُكُوبِ السُّفُنِ على وجهِ الماءِ، فيما فيه صلاحٌ دنيائكم من التَّجَارَةِ ..»^٢.

وهناك في البحارِ فوائدٌ عظيمةٌ ومنافعٌ كبيرةٌ، للانسانِ والمجتمعِ الانسانيِّ، من جوانبٍ عديدةٍ، لكلِّ منها اهميةٌ خاصَّةٌ :

- ١ - أن البحرَ من عمدةِ المنابعِ للموادِّ البروتينيةِ .
- ٢ - أن البحرَ من اهمِّ المنابعِ لمعرفةِ الحياةِ وتوسيعِ آفاقِ التَّجاربِ العلميَّة، بما فيه من مختلفِ انواعِ الحيوانِ وغيره .
- ٣ - أن البحرَ من أنفعِ الوسائلِ لحملِ الاشياءِ الجسيمةِ من قُطرٍ

١ - مجمع البيان ٦ / ٣٥٤ .

٢ - مجمع البيان ٦ / ٤٢٧ .

نظرة الى الفصل التاسع ..

الى قطر . والاستفادة من الطُّرُقِ البحريّة لها فوائد اقتصادية وحياتيّة هامة .

٤ - أنّ البحرَ مُتنزّهٌ عظيم، للسفرِ وللسباحةِ وكذلك سواحلُه وما فيها من الفوائد .

٥ - وللبحرِ مضمونٌ توحيدِيٌّ عظيم، من حيث بداعته في الخلقِ وعظمتِه وعجائبِ ما فيه . ولذلك جاء في الحديث : «النَّظْرُ الى البحرِ عبادة»^١ .

وللمسلمين اشواطٌ بعيدةٌ فيما يُمْتُّ الى البحرِ وعلومه وكشفِ طُرُقِه وما يتعلّقُ بذلك، يَدُلُّ عليها تآليفهم في هذا الموضوعِ كرسائلِ البَحَّارِ، شهاب الدين ابن ماجد .

١ - البحار ١٠ / ٣٦٨ . وتَمَامُ الحديث : «قال رسولُ الله «ص» : النَّظْرُ في ثلاثةِ اَسَاءٍ عبادة : النَّظْرُ في وجهِ الوالدين، وفي المصحف، وفي البحر» . والحديثُ مُسنَدٌ قد نقله العلامةُ المجلسي، عن جزءٍ (فيه احاديثُ مُسنَدَةٌ عن الامامِ ابي الحسنِ عليّ بن موسى الرضا «ع»)، بخطِ الشيخِ محمّد بن عليّ الجبائي، نقلًا عن خطِّ شيخنا الشهيدِ الأوّلِ محمّد بن مكي، وروايةِ السيّد الفقيهِ شمس الدين فخار بن معدّ الموسوي (-م ٦٣٠)، رحمه الله عليهم أجمعين .

الفصل العاشر

الصناعات والاختراعات

الكتاب

- ١ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ..^١
- ٢ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا..^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - في العهد الاشرقي : .. ولا قوام لهم (اصناف الناس المختلفة) جميعاً الا بالتجار، وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقومونه من اسواقهم، ويكفونهم من الترفق بايديهم، مما لا يبلغه رفق غيرهم..^٣

١ - سورة الانبياء (٢١) : ٨٠.

٢ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٢٧.

٣ - نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠ - ١٠١.

٢ الامام علي «ع»: ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا..^١

٣ الامام الصادق «ع»: .. وَجَعَلَ اسْبَابَ ارْزَاقِهِمْ فِي ضُرُوبِ الاعْمَالِ، وَاَنْوَاعِ الصَّنَاعَاتِ، وَذَلِكَ اَدْوَمٌ فِي الْبَقَاءِ، وَأَصْحٌ فِي التَّدْبِيرِ.^٢

٤ الامام الصادق «ع»: .. وَكَذَلِكَ أُعْطِيَ (الانسان) عِلْمَ مَا فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَاهُ .. وَمَعْرِفَةَ الْعَقَاقِيرِ، الَّتِي يُسْتَشْفَى بِهَا مِنْ ضُرُوبِ الْاِسْقَامِ، وَالْمَعَادِنِ الَّتِي يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا اَنْوَاعُ الْجَوَاهِرِ، وَرُكُوبِ السُّفُنِ وَالغَوْصِ فِي الْبَحْرِ، وَضُرُوبِ الْحَيْلِ فِي صَيْدِ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالْحَيْتَانِ، وَالتَّصْرُفِ فِي الصَّنَاعَاتِ.^٣

٥ الامام الصادق «ع»: .. خُلِقَتْ لَهُ الْعَقَاقِيرُ لِادْوِيَّتِهِ، فَكُلَّفَ لِقَطْعِهَا وَخَلْطِهَا وَصُنْعَهَا..^٤

٦ الامام الصادق «ع»: .. خُلِقَ لَهُ الْوَبْرُ لِكِسْوَتِهِ، فَكُلَّفَ نَدْفَهُ وَغَزْلَهُ وَنَسِجَهُ.^٥

٧ الامام الصادق «ع»: ثُمَّ فَكَّرَ فِي خَلْقِ هَذِهِ الْاَرْضِ، عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، حِينَ خُلِقَتْ رَاتِبَةً رَاكِنَةً، فَتَكُونُ مَوْطِنًا مُسْتَقْرًا .. فَاِنَّهَا لَو كَانَتْ رَجْرَاجَةً مُتَكَفِّئَةً، لَمْ يَكُونُوا يَسْتَطِيعُونَ اَنْ يُتَقِنُوا الْبِنَاءَ وَالتَّجَارَةَ وَالصَّنَاعَةَ وَمَا اَشْبَهَ ذَلِكَ.^٦

٨ الامام الصادق «ع»: فَكَّرَ فِي هَذِهِ الْاَشْيَاءِ الَّتِي تَرَاهَا مَوْجُودَةً مُعَدَّةً فِي الْعَالَمِ مِنْ مَّارِبِهِمْ، فَالتُّرَابَ لِلْبِنَاءِ، وَالحَدِيدَ لِلصَّنَاعَاتِ، وَالخَشَبَ لِلسُّفُنِ وَغَيْرِهَا،

١ - نهج البلاغة / ١٠١٧: عبده ٣ / ١١٠.

٢ - الاحتجاج ٢ / ٨٤.

٣ و ٤ و ٥ - البحار ٣ / ٨٢ - ٨٣ و ٨٤.

٦ - البحار ٣ / ١٢١.

والحجارة للأرحاء وغيرها، والنحاس للآواني ..^١

٩ الامام الصادق «ع»: فكريا مُفضّل! في هذه المعادنِ و ما يَخْرُجُ منها من الجواهرِ المختلفة، مثلَ الجِصِّ، والكِلْسِ، والجِيسِ، والزّرانيخِ، والمَرْتَكِ، والقونيا (التوتيا - خ ل)، والزّيقي، والنحاسِ، والرّصاصِ، والفضّة، والذهبِ، والزّبَرَجْدِ، والياقوتِ، والزّمردِ، وضروبِ الحجارة؛ و كذلك ما يَخْرُجُ منها من القارِ، والموميا، والكبريتِ، والنّفطِ، وغير ذلك، مما يَسْتَعْمِلُهُ النَّاسُ في مآربِهِمْ؛ فهل يَخْفَى على ذي عقلٍ أنّ هذه كلّها ذخائرُ دُخِرَتْ للانسانِ في هذه الارضِ لِيَسْتَخْرِجَهَا فيَسْتَعْمِلَهَا عندَ الحاجةِ اليها. ثم قَصُرَتْ حيلةُ النَّاسِ عَمَّا حَاوَلُوا من صنعِها (اي الكيمياء) على حرصِهِمْ واجتهادِهِمْ في ذلك، فانّهم لو ظَفَرُوا بما حَاوَلُوا من هذا العلمِ كان لا محالة سَيَظْهَرُ وَيَسْتَفِيضُ في العالمِ حتى يَكْتُرَ الذّهبُ والفضّةُ وَيَسْقُطَا عندَ النَّاسِ، فلا يَكُونُ لهما قيمةٌ وَيَبْطُلُ الانتفاعُ بهما .. وقد أُعْطِيَ النَّاسُ مع هذا صنعةَ الشّبهِ من النّحاسِ، والزّجاجِ من الرّمْلِ، والفضّةِ من الرّصاصِ، والذهبِ من الفضّةِ، واشباه ذلك ممّا لا مضرّةَ فيه.^٢

١٠ الامام الصادق «ع»: .. اما تفسيرُ الصّناعاتِ، فكلُّ ما يَتَعَلَّمُ العبادُ او يُعَلِّمُونَ غيرَهُمْ من صنوفِ الصّناعاتِ، مثلَ الكتابةِ والحسابِ والتّجارةِ والصّياغةِ والسّراجةِ والبناءِ والحياكةِ والقصارَةِ والخياطةِ وصنعةِ صنوفِ التّصاويرِ ما لم يَكُنْ مثلَ الرّوحاني، وانواعِ صنوفِ الآلاتِ التي يَحْتَاجُ اليها العبادُ، التي منها منافعُهُمْ، وبها قوامُهُمْ، وفيها بلغةٌ جميعِ حوائجِهِمْ.^٣

١ - البحار ٣ / ٨٦.

٢ - البحار ٣ / ١٢٨.

٣ - تحف العقول / ٢٤٧.

١١ الامام الصادق «ع»: .. الخشبُ لكلِّ شيءٍ من انواعِ النَّجَارَةِ وغيرها،
واللِّحاءُ والوَرَقُ والأُصُولُ والعُرُوقُ والصُّمُوعُ لضروبٍ من المنافع^١.

اشارة

الكشوف والاختراعات التي تكون رهينة العصور وتطوراتها

١ الامام الصادق «ع»: .. فاذا اردت أن تعرف سَعَةَ حِكْمَةِ الخالقِ وقِصَرَ علمِ
المخلوقين، فأنظر الى ما في البحارِ من ضروبِ السَّمَكِ، ودوابِّ الماءِ
والاصْدافِ، والاصنافِ التي لا تُحصى ولا تُعرفُ منافِعُها، الاّ الشَّيءُ بعدَ
الشَّيءِ، يُدركُه النَّاسُ باسبابٍ تحدثُ .. ممَّا يَقِفُ النَّاسُ عليه حالاً بعدَ
حالٍ، وزماناً بعدَ زمانٍ^٢.

* في هذه التعابير: «باسبابٍ تحدثُ ..»، و«ممَّا يَقِفُ النَّاسُ
عليه حالاً بعدَ حالٍ، وزماناً بعدَ زمانٍ»، اشاراتٌ صريحةٌ الى
الاسبابِ والادواتِ المستحدثةِ والاختراعاتِ الحديثةِ، ممَّا وصلَ
اليه الانسانُ في معرفةِ الاشياءِ ورؤيةِ ما في الطَّبِيعَةِ وما في السَّماءِ
والارضِ والبحارِ، فلاحظ .

٢ الامام الصادق «ع»: .. وَاَعْتَبِرْ ذلكَ بانه قد يَظْهَرُ الشَّيءُ الطَّرِيفُ ممَّا يُحْدِثُهُ
النَّاسُ، من الاواني والامْتِعَةِ^٣.

١ - البحار ٣ / ١٢٩.

٢ و ٣ - البحار ٣ / ١٠٩ و ١٢٩.

نظرة الى الفصل

لقد أشرنا في النظرة الى الفصل السابع، الى أن المسلمين لهم سابقة هامة وقدم في العلوم والصناعات، منها الطب والصيدلة. والان يجب عليهم أن ينتبهوا لامور:

١ - أن الحاجة تدفع المجتمع والبلد والحكم الى التبعية الاقتصادية فالسياسية، فيجب أن يهتم المسلمون بامور الصناعات المختلفة والحديثة، حتى لا يحتاجوا الى الاجانب، «استغن عن شئت تكن اميره، واحتج الى من شئت تكن اسيره» .

٢ - أن الا جانب اجتهدوا لان يأخذوا العلوم والصناعات من المسلمين، فسنوا الغارة على مكتباتهم ونسخهم الخطية وادواتهم العلمية والعملية، وذهبوا بما ذهبوا به، وبنوا عليه اساس علومهم وصناعاتهم، كما هو مقرر في محله. فعلى المسلمين ان يستردوا ما سرق منهم، ويمنعوا بذلك جانبهم، ويرفها مجتمعاتهم، في حرية وتقدم.

٣ - أن يراعوا الحدود القوامية في الصناعة والانتاج الصناعي، حتى لا يخرج الامر الى ترف واستهلاك مبيد.

٤ - أن يتقنوا إنتاجهم الصناعي، حتى تحسن سمعتهم الصناعية في العالم، ويصبح ذلك حافزاً يدفع البلاد لاستيراد منتجات المسلمين الصناعية وشرائها.

٥ - أن يعمدوا الى القيام بالقسط، حتى يمدهم الله بالنجاح، لأنهم غير سائر البشر، حيث دعاهم الله بالقرآن الى القيام بالقسط، فإن لم يجيبوا داعي الله فلانجاح.

الفصلُ الحادي عشر

الأخصائيّة الملتزمة

الكتاب

- ١ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ *^١
- ٢ .. إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ *^٢
- ٣ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَّضْتُ غَزْلَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ..^٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: من عَمِلَ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ، كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ.^٤
- ٢ النبي «ص»: يَا ابْنَ مَسْعُودٍ! إِذَا عَمِلْتَ عَمَلًا فَأَعْمَلْ بِعِلْمٍ وَعَقْلٍ، وَإِيَّاكَ

١ - سورة يوسف (١٢) : ٥٥.

٢ - سورة القصص (٢٨) : ٢٦.

٣ - سورة النحل (١٦) : ٩٢.

٤ - تحف العقول / ٣٩.

- وَأَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا بغيرِ تَدَبُّرٍ وَعِلْمٍ، فَإِنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - يَقُولُ: «وَلَا تُكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا»^١.
- ٣ النبي «ص»: إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا فَلْيُتَّقِنْ^٢.
- ٤ الامام علي «ع»: قِيمَةُ كُلِّ إِمْرِيٍّ مَا يُحْسِنُهُ^٣.
- ٥ الامام علي «ع»: النَّاسُ أَبْنَاءُ مَا يُحْسِنُونَ^٤.
- ٦ الامام علي «ع»: .. الْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ^٥.
- ٧ الامام الصادق «ع»: كُلُّ ذِي صِنَاعَةٍ مُضْطَرٌّ إِلَى ثَلَاثٍ خِلَالَ يَجْتَلِبُ بِهَا الْمَكْسَبَ؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ حَازِقًا بِعَمَلِهِ^٦.
- ٨ الامام الصادق «ع»: مَا أَبَالِي إِلَى مَنْ ائْتَمَّتْ: خَائِنًا أَوْ مُضِيعًا^٧.

الفات نظر

هذا تعليم عظيم، ينبغي أن يكتب كأمر لكل الناس، في جميع أقسام المجتمع، ولا سيما للمسؤولين الإداريين واصحاب الاعمال.

إن هذا التعليم يعد تضييع العمل عدلاً للخيانة فيه. والتضييع ينشأ إما من عدم العلم بالعمل وعدم الأخصائية والتّمهر فيه، أو

١ - مكارم الاخلاق / ٥٣٨.

٢ - سفينة البحار / ٢ / ٢٧٨.

٣ - نهج البلاغة / ١١٢٢: عبده / ٣ / ١٦٨.

٤ - الارشاد / ١٥٨.

٥ - نهج البلاغة / ٤٨٠: عبده / ٢ / ٥٨.

٦ - تحف العقول / ٢٣٧.

٧ - تحف العقول / ٢٧٠.

الفصل الحادي عشر: الأخصائية ..

من عدم الالتزام . فهذا التعليم أهمية كبيرة، من جهة التربية والاجتماع والاقتصاد والانسانية والرقي والحضارة، وسلامة الحياة، وتسديد الصّلات، واجادة الاعمال، وتقدم الصناعات . ولعلّ تأثير رعايته الايجابي يمتدّ الى حقولٍ أُخرى هامة للانسانية، كالطبّ والصحة والصيدلة، وكالتعليم والتربية، وكالدفاع وما الى ذلك، فليتخذ دستوراً حاسماً شاملاً لكلّ مجتمع، ولكلّ مسلمٍ نابه ملتزمٍ يُقدّم على عملٍ، او يختارُ فرداً او افراداً لعملٍ . وعلى من لا يُجيدُ العملَ لعدم العلم به وعدم الاختصاص والمهارة فيه، ان يدعّه ولا يقبله، وان طلبوه له باصرارٍ .. صوناً لحقوقِ الناس، وحفظاً لسلامة الصّلات الحياتية، وصيانةً لاموال المجتمع وثرّواته وادواته .

9 الامام الصادق «ع»: العاملُ على غيرِ بصيرةٍ كالسائرِ على غيرِ الطريق، لا يزيده سرعةُ السيرِ الا بعداً^١.

نظرة الى الفصل

إنَّ الأَخْصَائِيَّةَ والالتزام، امران حياتيان لكلِّ مجتمعٍ وبلدٍ وادارةٍ وحكم، ولكلِّ حضارةٍ ورُقِّيِّ علميٍّ او صناعيٍّ . ولقد تَوَفَّرَتِ التَّعاليمُ الاسلاميَّةُ على بيانِ اهميةِ العلمِ والمعرفةِ في كلِّ امرٍ (بالاضافة الى حكمِ العقل، وناموسِ التَّجربةِ) وكذلك على لزومِ الايمانِ بالعملِ والالتزامِ العقيدِيِّ به، فيقولُ النَّبِيُّ «ص»: «اذا عَمِلْتَ عملاً، فاعْمَلْ بعلمٍ وعقلٍ». ويقولُ: «من عَمِلَ على غيرِ علمٍ، كان ما يُفْسِدُهُ اَكْثَرَ ممَّا يُصْلِحُ» - كما مرَّ بنا في الفصل . ويقولُ الامامُ عليُّ بن ابي طالبٍ «ع»: «يا كَميل! ما من حركةٍ الا وانت محتاجٌ فيها الى معرفةٍ». وكذلك ماوردَ عن الائمةِ الهادين بهذا الصِّدق، كالحديثِ الَّذي رَويناهُ عن الامامِ الصَّادقِ «ع»، الَّذي عُدَّ فيه تَضْيِيعُ العملِ (المنبعثُ عن عدمِ الالتزامِ او عدمِ الاختصاصِ) بمنزلةِ الخيانة . وَاَلْفَتْنَا الانظارَ هناكِ الى اهميةِ هذا التَّعليمِ وقيمتهِ التَّربويَّةِ والاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ والانسانيَّةِ .

اجل، إنَّ الأَخْصَائِيَّةَ امرٌ لا تقومُ الحضارةُ والرُقِّيُّ الا به، كما أنَّ الالتزامَ والايمانَ امرٌ لا تتعالى الحضارةُ والرُقِّيُّ الا به . وهما جناحا الوصولِ الى مجتمعٍ مُتَقَدِّمٍ وحياةٍ زاهرةٍ . وهذه حقائقٌ وواقعيَّاتٌ لا نحتاجُ الى اطالةِ البحثِ عنها والوقوفِ عندها .

والَّذي يَنْبَغِي بل يَجِبُ أن نُؤكِّدَ عليه، هو أنَّ المسلمين والمجتمعاتِ والحكوماتِ الاسلاميَّةِ، يجبُ عليهم أن يَهْتَمُّوا بامرِ «الأَخْصَائِيَّةِ» ويواظبوا عليه، ويتعاهدوه بجميعِ صورهِ والوانهِ . فعليهم أن يُربُّوا النَّاشئةَ على

نظرة الى الفصل الحادي عشر ..

معرفة «الالتزام» ووجوب تبنيه، ويدخلوا في برامجهم الدراسية ما يصنعهم ملتزمين، مُتَبَنِّينَ للايمانِ قلباً وعملاً، مُتَمَتِّعِينَ بِبِقَظَةِ الضَّمِيرِ وَرَهَافَةِ الاحساس، حتى لا يَكُونُوا خَائِنِينَ؛ وكذلك عليهم أن يسوقوا المجتمع، في كلِّ قطاعاته واعماله، الى التَّوْفُرِ على «الأخصائية» و«الحداقة» في ايِّ عملٍ او صناعة، كما صرَّح به الامامُ الصادق «ع». وعليهم أن يجعلوا هذين الاصلين محوراَ تدورُ عليه رَحَى حَيَاةِ النَّاسِ، حتى لا يكونوا مُضَيِّعِينَ .

الفصل الثاني عشر

الأجراء، الفلاحون، العمال، لا ظلم ولا استغلال

الكتاب

- ١ إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ١..
- ٢ .. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * ٢
- ٣ .. لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ٣..
- ٤ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ٤
- ٥ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ٥..
- ٦ .. فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ٦..
- ٧ .. وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * ٧

١ - سورة النحل (١٦) : ٩٠.

٢ - سورة المائدة (٥) : ٤٢؛ سورة الحجرات (٤٩) : ٩؛ سورة الممتحنة (٦٠) : ٨.

٣ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٤ - سورة يونس (١٠) : ٤٤.

٥ - سورة الشورى (٤٢) : ٤٢.

٦ - سورة الاعراف (٧) : ٨٥.

٧ - سورة هود (١١) : ٨٥.

٨ .. وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * ١

* قال الشيخ الطبرسي، في تفسير الآية من سورة الاعراف (وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ): «اي وَلَا تَنْقُصُوهُمْ حَقُّوهُمْ»^٢. وقال في تفسير الآية من سورة هود: «اي وَلَا تَنْقُصُوا النَّاسَ، "اشياءهم"، اي اموالهم»^٣. وقال في تفسير الآية من سورة الشعراء: «اي وَلَا تَنْقُصُوا النَّاسَ حَقُّوهُمْ وَلَا تَمْنَعُوها»^٤.

الحديث

- ١ النبي «ص»: خصلتان ليس فوقهما من الشر شيء: الشرك بالله، والضرب لعباد الله.^٥
- ٢ النبي «ص»: ليس من آمن غش مسلماً، او ضره، او ماكره.^٦
- ٣ النبي «ص» - إن النبي «ص» بعث الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب، أن اصعد المنبر وادع الناس اليك، ثم قل: أيها الناس! من انتقص اجيراً أجره، فليتبوا مقعده من النار.^٧

١ - سورة الشعراء (٢٦): ١٨٣.

٢ - مجمع البيان ٤ / ٤٤٧.

٣ - مجمع البيان ٥ / ١٨٧.

٤ - مجمع البيان ٧ / ٢٠٢.

٥ - تحف العقول / ٣١.

٦ - تحف العقول / ٣٦.

٧ - البحار ٤٠ / ٥٩، عن «تفسير فرات الكوفي».

٤ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن آبائه، في حديث المناهي : من ظَلَمَ اجيراً أجرته، أَحْبَطَ اللهُ عمله، وَحَرَّمَ اللهُ عليه رِيحَ الجنة، وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجَدُ من مسيرةِ خمسِ مِئةِ عامٍ^١.

٥ الامام علي «ع» - كان عليّ «ع» يُوصى بالآكارين . وهم الفلاحون^٢.

٦ الامام الصادق «ع» : وَصَّى رسولُ اللهُ «ص» عليّاً عندَ وفاته فقال : يا عليّ ! لا يُظَلِّمُ الفلاحون بحضرتك، ولا يُزادُ على ارضٍ وَضَعْتَ عليها، ولا سُخْرَةَ على مسلم، يعنى الاجير^٣.

٧ الامام الصادق «ع» : أَقْدَرُ الذُّنُوبِ ثلاثة : قتلُ البهيمة، وحبسُ مهرِ المرأة، ومنعُ الاجيرِ اجره^٤.

٨ الامام الصادق «ع» : . او ليس قد ينال الطيرُ من البرِّ والحُبُوبِ .. ويبقى اكثره للانسان، فإنه اولى به، اذ كان هو الذي كَدَحَ فيه وشَقِيَ به^٥.

* ومن شَقِيَ به - في الواقع - الآ الفلاليحُ والعمالُ الذين

يكدحون في الارضِ هنا وهناك؟

١ - الوسائل ١٣ / ٢٤٧.

٢ - البحار ١٠٣ / ١٧٢.

٣ - الوسائل ١٣ / ٢١٦.

٤ - البحار ١٠٣ / ١٦٩.

٥ - البحار ٣ / ١٣٠.

نظرة الى الفصل

لا يُرَرُّ الاسلامُ الظُّلمَ بالنسبةِ الى احد، بوجهٍ من الوجوه، حتى حيوانٍ صغيرٍ كالنملة، يقولُ الامامُ عليُّ بنُ ابي طالب «ع»: «والله لو أُعْطِيَتْ الاقاليمُ السبعةُ بما تحتَ افلاكِها، على انْ اَعْصِيَ اللهُ في نَمَلَةٍ اسْلُبُها جِلْبَ شَعيرةٍ، ما فعلته»^١.

انَّ العددَ الوافرَ من الآياتِ الناهيةِ عن الظلمِ والاحاديثِ الرَّادعةِ عنه، يكفي لآن يَدُلُّ على انَّ الظلمَ اقْبَحُ ما يكونُ في نظري الاسلامِ .
وانَّ منْ اشنعِ انواعِ الظلمِ وصورِهِ - واقْدَرِ الذُّنوبِ، على حدِّ تعبيرِ الامامِ الصّادقِ «ع» - هو ظلمُ المأجورينِ والعَمالِ والكادحين، من الذين يَكُدُّون ليلَ نهار، ويَخْدُمون الآخريين بحياتِهِم وابدانِهِم وما لَهُم من القدرةِ والامكانياتِ. وانَّ ظلمَ هؤلاءِ له صورٌ واشكالٌ، مُعلنةٌ وغيرُ مُعلنةٍ، ولا تَسُوغُ ايةُ صورةٍ منه بحقِّهم، بوجهٍ من الوجوه، فانَّ الكتابَ السّماويَّ يُنادي: «لا تَبْخَسُوا النَّاسَ اَشياءَهُم». وهذا يَدُلُّ بدورِهِ على عدمِ جوازِ البَخْسِ بالنسبةِ الى ايِّ شيءٍ، اذ الجمعُ المضافُ يُفيدُ العمومَ ايضاً كالمُحَلِّي: فيجبُ انْ تُوفَى حقوقُهُم المختلفةُ كلاً، وانْ تُصانَ كرامتُهُم، كما اشرنا اليه في النظرةِ الى الفصلِ السّادسِ .

ففي هذا الضوءِ، انَّ منْ غَشَّهم، او صرَّهم، او ماكرهم او غبنهم في الاشكالِ التّاليةِ او ما يُضاهيها، فقد تَعَدَّى حدودَ الاسلاميةِ والانسانيةِ .
ولذلك لَقَدْ اَكَّدَتِ التّعاليمُ الاسلاميةُ على رعايةِ حقوقِهِم وتاديةِ أجورِهِم

١ - نهج البلاغة / ٧١٤: عبده ٢ / ٢٤٥.

وحفظ شخصيتهم ومنزلتهم والنظر اليهم بعين الحُب والكرامة .
فلا يُظلم الأجراء والعمال والفلاحون والمزارعون والمتجولون ومن
اليهم في :

- أ - بخس حقوقهم المختلفة ،
- ب - قسّهم على قبول الحدّ الاقلّ للاجر، لما هنالك من الحاجات
والدواعي المرغمة ،
- ج - منعهم من اللبث أثناء العمل للاستجمام ،
- د - الاهمال في دفع تعويضاتهم ،
- هـ - عدم الاعتداد بشأن العاطلين عن العمل منهم ،
- و - المنع عن ارتفاع أجورهم، بمراوغة وتشبث ،
- ز - عدم اعداد ما يجب أن يعدّ لهم في المعامل او غيرها، من ادوات
العمل وتجديدها او تحديثها، لنلا يستعسر العمل عليهم ،
- ح - عدم الاقدام على تأمينهم وتأمينهم، وخصوصاً فيما يرجع الى
صحتهم وصحة اطفالهم، والى ازمة التقاعد ،
- ط - عدم الاهتمام بما يتعلّق بحاجاتهم السكنية وما اليها ،
- ي - عدم تسهيل الامر عليهم فيما يُمْتُّ الى ذهابهم وإيابهم ،
- يا - عدم إهمالهم لتعليم فرائضهم الدينية وما يتصلُّ بها وبادائها ،
- يب - حطّ كرامتهم الانسانية وحفض قدرهم الاجتماعي ..

الفصل الثالث عشر

الاستيراد والبيع

الكتاب

- ١ يا أيها الذين آمنوا، لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، إلا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم، ولا تقتلوا أنفسكم، إن الله كان بكم رحيماً *^١
- ٢ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا..^٢
- ٣ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ *^٣
- ٤ .. فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ، وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *^٤
- ٥ وَيَلِلِ الْمُطْفَفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَنَوْهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟ *^٥

١ - سورة النساء (٤) : ٢٩.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٧٥.

٣ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٨١-١٨٣.

٤ - سورة الاعراف (٨) : ٨٥.

٥ - سورة المُطَفِّين (٨٣) : ١-٦.

* إن الاستيراد والانتاج والبيع والكسب أمورٌ محدودةٌ في الاسلام، من جهاتٍ عديدة، كما هو الحال في ايّ مذهبٍ اقتصاديٍّ ملتزم، فضلاً عن كونه الهياً. فلا تجدنّ الاسلام يُطلقُ سراحَ المستوردين والمنتجين والبائعين لأن يستوردوا وينتجوا ما شاؤوا وشاءت لهم الميول، وأن يعلموا بامتعتهم ويعرضوها في الاسواقِ كيفما شاؤوا وشاءت لهم الميول، وأن يبيعوها من الناسِ بايِّ سعرٍ شاؤوا وشاءت لهم الميول. لا، ليس الامرُ كذلك. لأن هذه الحرية بمفاسدها العظيمة والرئيسية، تسحقُ القسطَ الاسلاميَّ والعدالةَ الاقتصاديةَ وصيانةَ حقوقِ الناسِ ولا سيما الضعفاء منهم، فلا تلائمُ الدينَ وادارته العادلةَ الاقتصاديةَ، ومنهاجه القويمَ في الرقابة على الامور لمصلحة الجماهير - وخصوصاً المستضعفين والمحرومين - وكذلك لا تلائمُ سوقَ المجتمعاتِ الى التقومِ بالحق (باعطاء الحقِّ واخذِ الحقِّ - كما يأتي)، والوقوفِ دون الحدِّ الملتزم، والحركة الى ارساءِ قواعدِ التوازنِ والعدل. راجع بهذا الصدد: الفصلين الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين، من هذا الباب.

ومن اللاّحِبِ أنّ الاستيرادَ الحرَّ يستتبعُ التبعيّةَ الاقتصاديةَ، ولا سيما اذا كان من غيرِ بلادِ المسلمين، فيؤدّي الامرُ الى استيلاءِ غيرِ المسلمين عليهم^١. وهذا ما يرفضه الاسلامُ رفضاً، فلن يجعلَ اللهُ للكافرين على المؤمنين سبيلاً^٢. وهذه علةٌ هامةٌ أخرى لأن يرفضَ الاسلامُ الاستيرادَ الحرَّ، من غيرِ أن يجعلَ له حداً. ودونك تعاليمَ هامةً من الاحاديث :

١ - راجع للبحث عن هذا الموضوع: تذييل النظرة الى الفصل ٢٠، من الباب ١١.

٢ - سورة النساء (٤): ١٤١.

الحديث

أ - الحِصُّ على الكسب والاستيراد

- ١ الامام علي «ع»: تَعَرَّضُوا لِلتَّجَارَاتِ، فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا غَنًى عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ.^١
- ٢ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الكاظم: أُوصِيَكُمْ بِالْخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَالْاِكْتِسَابِ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع» - مَعَاذُ بَنٍ كَثِيرٍ، بِيَّاعُ الْأَكْسِيَّةِ، قَالَ: قَلْتُ لِأَبِي - عَبْدِ اللَّهِ «ع»: إِنِّي قَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَدَعَ السُّوقَ وَفِي يَدِي شَيْءٌ؟ فَقَالَ: إِذَا يَسْقُطُ رَأْيُكَ، وَلَا يُسْتَعَانُ بِكَ عَلَى شَيْءٍ.^٣
- ٤ الامام الرضا «ع»: .. حَرَّمَ السَّرْقَةَ لِمَا فِيهَا مِنْ فُسَادِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَنْفُسِ - لَوْ كَانَتْ مَبَاحَةً، وَلِمَا يَأْتِي فِي التَّغَاصُبِ مِنَ الْقَتْلِ وَالتَّنَازُعِ وَالتَّحَاسُدِ، وَمَا يَدْعُو إِلَى تَرْكِ التَّجَارَاتِ وَالصَّنَاعَاتِ، فِي الْمَكَاسِبِ وَاقْتِنَاءِ الْأَمْوَالِ، إِذَا كَانَ الشَّيْءُ الْمُقْتَنَى لَا يَكُونُ أَحَدٌ أَحَقُّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ.^٤

ب - الفقه ثم المتجر (الكسب والاستيراد)

١ - الوسائل ١٢ / ٤ .

٢ - تحف العقول / ٢٨٨ .

٣ - الوسائل ١٢ / ٧ .

٤ - الوسائل ١٨ / ٤٨٢ .

- ٥ النبي «ص»: الفقه ثم المتجر، فمن اتجر بغير فقه، فقد ارتطم في الربا، ثم ارتطم^١.
- ٦ النبي «ص»: التاجر فاجر، والفاجر في النار، الا من اخذ الحق واعطى الحق^٢.
- ٧ الامام علي «ع» - الأصبع بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين «ع» يقول على المنبر: يا معشر التجار! الفقه ثم المتجر! الفقه ثم المتجر! الفقه ثم المتجر. والله للربا في هذه الأمة أخفى من ديب النمل على الصفا^٣.
- ٨ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عن أمير المؤمنين «ع»: من اتجر بغير علم، ارتطم في الربا، ثم ارتطم^٤.
- ٩ الامام الصادق «ع»: كان أمير المؤمنين «ع» يقول: لا يقعدن في السوق الا من يعقل الشراء والبيع^٥.
- ١٠ الامام الصادق «ع»: من اراد التجارة فليتفقه في دينه، ليعلم بذلك ما يحل له مما يحرم عليه. ومن لم يتفقه في دينه ثم اتجر تورط الشبهات^٦.

ج - السنة في البيع والشراء

- ١١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: من باع واشترى فليحفظ خمس خصال، والا فلا يشترين ولا يبيعن: الربا، والحلف، وكتمان العيب،

١ - المستدرک ٢ / ٤٦٣.

٢ - من لا يحضره الفقيه ٣ / ١٢١.

٣ و ٤ و ٥ - الكافي ٥ / ١٥٠ و ١٥٤.

٦ - الوسائل ١ / ٢٨٣.

والحمد إذا باع، والذم إذا اشترى^١.

١٢ النبي «ص» - عبد الله بن القاسم الجعفري، عن بعض اهل بيته قال: إن رسول الله «ص» لم يأذن لحكيم بن حزام بالتجارة حتى ضمن له إقالة النادم، وانظار المعسر، وأخذ الحق وافياً وغير واف^٢.

١٣ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: جاءت زينب العطاراة الحولاء الى نساء النبي؛ فجاء النبي فاذا هي عندهم، فقال النبي «ص»: «إذا أتينا طابت بيوتنا». فقالت: «بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله!». فقال لها رسول الله «ص»: «إذا بعته فأحسني ولا تغشي، فإنه اتقى لله وأبقى للمال»^٣.

* إذا كانت هذه وصاة رسول الله «ص» لامرأة عابرة تباع
اشياء جزئية، فما ظنك أيها القارئ بهذه الصفقات الكبيرة
والاستيرادات الباهظة والمنتجات الهامة واسعارها ومعاملتهم فيها
مع الناس؟

١٤ الامام الصادق «ع» - قال في جواب من سأله عن التجارة: عليك بصدق اللسان في حديثك، ولا تكتم عيباً يكون في تجارتك، ولا تغبن المشتري المسترسل فإن غبنه رباً، ولا ترض للناس إلا ما ترضاه لنفسك، وأعط الحق وخذه.. فإن التاجر الصدوق مع السفرة الكرام البررة يوم القيامة. اجتنب الحلف فإن اليمين الفاجرة تورث صاحبها

١ و ٢ - الكافي ٥ / ١٥٠ - ١٥١.

٣ - الكافي ٥ / ١٥١.

النَّارِ. وَالتَّاجِرُ فَاجِرٌ إِلَّا مَنْ أَعْطَى الْحَقَّ وَأَخَذَهُ..^١

* وَكُونُ التَّاجِرِ (البائعِ والكاسبِ) مع «السَّفَرَةِ الْكِرَامِ
الْبَرَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وهو مقامٌ عظيم، انّما يَفُوزُ به لتقدّمه الخدمةَ
الى النَّاسِ وتموينه لهم واعداده ما يحتاجون اليه في حياتهم واداء
تكاليفهم المختلفة. وتقعُ هذه كُلُّها اذا كانت لله تعالى وموافقةً
للموازينِ والسُّنَنِ الشَّرْعِيَّةِ، فهي من اهمِّ الاعمالِ، ممّا يوجبُ رضا
اللهِ والرَّسولِ «ص».

١٥ الامام الرضا «ع» - مِنْ «فَقِهِ الرِّضَا» الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ : إِنَّ مَنْ بَاعَ أَوْ اشْتَرَى
فَلْيَحْفَظْ خَمْسَ خِصَالٍ وَالْأَفْلَايِبِيُّعُ وَلَا يَشْتَرِيَ : الرِّبَا، وَالْحَلْفَ، وَكُتْمَانَ
الْعَيْبِ، وَالْمَدْحَ إِذَا بَاعَ، وَالذَّمَّ إِذَا اشْتَرَى.^٢

١٦ الامام الرضا «ع» : .. إِذَا كُنْتَ فِي تِجَارَتِكَ وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهَا
مُتَجَرِّكٌ، فَإِنَّ اللَّهَ وَصَفَ قَوْمًا وَمَدَحَهُمْ فَقَالَ : «رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ». وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ يَتَجَرُّونَ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ تَرَكَوْا
تِجَارَتَهُمْ وَقَامُوا إِلَى صَلَاتِهِمْ، وَكَانُوا اعْظَمَ اجْرًا مِمَّنْ لَا يَتَجَرُّونَ فَيُصَلُّونَ. وَمَنْ
اتَّجَرَ فَلْيَتَجَنَّبِ الْكُذْبَ .. وَاسْتَعْمِلْ فِي تِجَارَتِكَ مَكَارِمَ الْإِخْلَاقِ، وَالْأَفْعَالَ
الْجَمِيلَةَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا.^٣

* راجع ايضاً : الفصل الثامن، من الباب الحادي عشر، فقرة

«ه».

١ - المستدرک ٢ / ٤٦٣ - ٤٦٤.

٢ - المستدرک ٢ / ٤٦٣ : البحار ١٠٣ / ١٠٠.

٣ - البحار ١٠٣ / ١٠٣.

د - تحديد الربح

- ١٧ النبي «ص»: ربحُ المؤمنِ على المؤمنِ رباً^١.
- ١٨ الامام الصادق «ع»: ربحُ المؤمنِ على المؤمنِ رباً، إلا أن يشتريَ باكثرَ من مئةِ درهمٍ، فأربحَ عليه قوتَ يومِك، او يشتريه للتجارة، فأربحوا عليهم وأرفقوا بهم^٢.
- ١٩ الامام الرضا «ع»: ربحُ المؤمنِ على اخيه رباً، إلا أن يشتريَ منه شيئاً باكثرَ من مئةِ درهمٍ، فيربحَ فيه قوتَ يومِه، او يشتري متاعاً للتجارة، فيربحَ ربحاً خفيفاً^٣..

هـ - شجب الأرباح الضخمة والتكاثريّة

- ٢٠ الامام الباقر «ع»: وجدنا في كتاب عليّ بن الحسين «ع»: «ألا! إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، اذا أدوا فرائضَ الله، وأخذوا بسُننِ رسولِ الله «ص»، وتورّعوا عن محارمِ الله، وزهدوا في عاجلِ زهرةِ الدنيا، ورغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطيبَ من رزقِ الله - لا يريدون التفاخرَ والتكاثرَ - ثم أنفقوا فيما يلزمهم من حقوقٍ واجبة؛ فاولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا، ويثابون على ما قدّموا لآخرتهم»^٤.
- ٢١ الامام الصادق «ع»: دعا ابو عبد الله مولى له يُقالُ له «مُصادف»، فأعطاه الفَ دينارٍ

١ - البحار ١٠٣ / ١٠٣، عن «اعلام الدين».

٢ - الكافي ١٥٤ / ٥.

٣ - البحار ١٠٣ / ١٠٠؛ المستدرک ٢ / ٤٦٤.

٤ - تفسير نور الثقلين ٢ / ٣٠٩.

وقال له: تَجَهَّزْ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى مِصْرَ فَإِنَّ عِيَالِي قَدْ كَثُرُوا .. فَتَجَهَّزْ بِمَتَاعٍ
وَخَرَجَ مَعَ التُّجَّارِ إِلَى مِصْرَ . فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مِصْرَ اسْتَقْبَلَتْهُمُ قَافِلَةٌ خَارِجَةٌ مِنْ مِصْرَ ،
فَسَأَلُوهُمْ عَنِ الْمَتَاعِ الَّذِي مَعَهُمْ مَا حَالُهُ فِي الْمَدِينَةِ - وَكَانَ مَتَاعَ الْعَامَّةِ -
فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ بِمِصْرَ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَتَحَالَفُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَى أَنْ لَا يَنْقُصُوا
مَتَاعَهُمْ مِنْ رِبْحِ دِينَارٍ دِينَارًا .

فَلَمَّا قَبِضُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَنْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَدَخَلَ مُصَادِفٌ عَلَى أَبِي -
عَبْدِ اللَّهِ «ع» وَمَعَهُ كَيْسَانٌ فِي كُلِّ وَاحِدٍ دِينَارٍ . فَقَالَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! هَذَا
رَأْسُ الْمَالِ وَهَذَا الْآخِرُ رِبْحٌ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّبْحَ كَثِيرٌ ، وَلَكِنْ مَا صَنَعْتَهُ فِي
الْمَتَاعِ ؟ فَحَدَّثَهُ كَيْفَ صَنَعُوا وَكَيْفَ تَحَالَفُوا . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! تَحْلِفُونَ عَلَى
قَوْمٍ مُسْلِمِينَ أَلَّا تَبِيعُوهُمْ إِلَّا رِبْحَ الدِّينَارِ دِينَارًا ؟ ثُمَّ أَخَذَ أَحَدَ الْكَيْسَيْنِ فَقَالَ :
هَذَا رَأْسُ مَالِي ، وَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي هَذَا الرَّبْحِ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا مُصَادِفُ ! مُجَادَلَةٌ
السَّيُوفِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ .^١

الفات نظر

قد جاءت احاديثٌ متعدّدةٌ تُرشدُ إلى تركِ الربحِ في البيعِ
من المؤمنِ وتَحُضُّ عليه .^٢ وجاء في احاديثٍ أُخرى اناطته بزمانِ
ظهورِ الحقِّ والعدلِ ، في دولةِ القائمِ المهديِّ «ع» ؛^٣ غيرَ أنَّ القسمَ
الأوّلَ من الاحاديثِ لا تقييدَ فيه ، ولسانه لسانُ الاطلاقِ ، وبعضُها
صريحٌ فيه ، كالحديثِ النَّبَوِيِّ (رقم ١٧) والحديثِ الصَّادِقِيِّ (رقم
١٨) والحديثِ الرَّضَوِيِّ (رقم ١٩) . وعلى أيِّ ، لا حرمةَ لِأَخِذِ
الرَّبْحِ إِذَا كَانَ خَفِيفًا عَادِلًا ، وَلَا جَوَازَ لِأَخِذِهِ بِغَيْرِ الشَّكْلِ

١- الكافي ٥/١٦١-١٦٢ .

٢- فيما لم يكن للتجارة، او لم يزد على مئة . وحُضُوا فِيهِمَا أَيْضًا عَلَى التَّخْفِيفِ وَالِاكْتِفَاءِ بِقَوْتِ يَوْمِ

٣- ولعلَّ المَنَوطَ بِالْمَهْدِيِّ مَطْلُوقٌ فِي جَمِيعِ الصُّوَرِ وَالصِّفَاتِ . وَهَذَا وَاضِحٌ .

الفصل الثالث عشر: الاستيراد والبيع

المذكور، لدخوله في العناوين المحرمة كالظلم والغبن ..
ولقد عقد شيخنا الحرّ العامليّ باباً بهذا العنوان: «باب كراهة
الربح على المؤمن إلا أن يشتري للتجارة، أو باكثر من مئة درهم؛
واستحباب تقليل الربح والاقتصار على قوت يوم، وعدم تحريم
الربح ولو على المضطر». ومن اللاّحب، أنّ عدم تحريم الربح
مُتيقن في الخفيف منه - كما ورد في الاخبار - فما زاد على ذلك اذا
صار الى حدّ الظلم والاعتداء والاجحاف والحيف، ولا سيما في
معاملة المضطرين، فهذا ما لا يسوغه الشرع الاسلاميّ البتة .
وبعد ذلك كلّه، فانظر الى هذه التعاليم الواردة عن الدين، وما
يجري في الاسواق التي تُسمّى «اسواق المسلمين»! لماذا آل الامر
الى هذا المآل، السيّئ العسوف، لماذا؟ ولماذا تجرّ اغنياء الأمة
على هذا الظلم والاجحاف والحيف، وعلى تلك المعاملة مع
الناس، عباد الله وعياله، لماذا؟ ومن الذين ربّوهم هذه التربية
وجرّأوهم على ما يعملون، من هم؟..

و- السّماح والسّهولة في البيع

٢٢ النبي «ص»: إن الله - تبارك وتعالى - يحبُّ العبد، يكون سهلَ البيع، سهلَ
الشراء ..^٢

٢٣ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: بارك الله على سهلِ البيع، سهلِ
الشراء ..^٣

١ - وفيهم من يعدّون انفسهم من خدمة الدين واعضاد الاسلام والمسلمين!

٢ و٣ - الوسائل ١٢ / ٣٣٢.

٢٤ الامام علي «ع»: «لِيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمِحاً، بِمَوَازِينِ عَدْلِ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ
بِالْفَرِيقَيْنِ، مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ»^١.

* هذا حضٌّ على التّسعيرِ والرّقابةِ على الاسعار، اذا احتمل
أن يكونَ هناك اجحاف .

ز - البيع في الظلال غشّ

٢٥ الامام الكاظم «ع» - قال هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ : كُنْتُ أَبِيعُ السَّابِرِيَّ فِي الظَّلَالِ،
فَمَرَّ بِي ابوالْحَسَنِ الْاَوَّلُ «ع» رَاكِباً، فَقَالَ لِي : يَا هِشَامُ! إِنَّ الْبَيْعَ فِي
الظَّلَالِ غَشٌّ . وَالغَشُّ لَا يَحِلُّ^٢.

* راجع لعدم جواز «بيع المجهول»: الوسائل ١٢ / ٢٦٣
وما بعدها .

ح - الغشّ ورفضه الحاسم

٢٦ النبي «ص»: «مَنْ غَشَّ مُسْلِمًا فِي شِرَاءٍ أَوْ بَيْعٍ، فَلَيْسَ مِنَّا وَيُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ
الْيَهُودِ، لِأَنَّهُمْ أَغَشُّوا الْخَلْقَ لِلْمُسْلِمِينَ»^٣.

٢٧ النبي «ص»: «مَنْ بَاتَ وَفِي قَلْبِهِ غَشٌّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، بَاتَ فِي سَخَطِ اللَّهِ وَأَصْبَحَ
كَذَلِكَ حَتَّى يُتُوبَ»^٤.

١ - نهج البلاغة / ١٠١٨؛ عبده ٣ / ١١٠.

٢ - الوسائل ١٢ / ٣٤٣.

٣ و٤ - سفينة البحار ٢ / ٣١٨.

- ٢٨ النبي «ص»: «ألا! ومن غَشَّنَا فليس منا (قالها ثلاث مرّات). ومن غَشَّ اخاه المسلم نَزَعَ اللَّهُ بركةَ رزقه، وأفسدَ عليه معيشته، ووكله الى نفسه^١.
- ٢٩ الامام الصادق «ع»: «... اِيَّاكَ وَالغَشَّ! فَإِنَّهُ مَنْ غَشَّ غُشًّا فِي مَالِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ غُشَّ فِي أَهْلِهِ^٢.
- ٣٠ الامام الصادق «ع»: «نَهَى النَّبِيُّ «ص» أَنْ يُشَابَ اللَّبْنُ بِالْمَاءِ لِلْبَيْعِ^٣.

ط - غبن المؤمن والمسترسل ربا

- ٣١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن ابيه، عن آباءه: «غَبْنُ الْمُسْتَرْسِلِ رِبَا^٤.
- ٣٢ الامام الصادق «ع»: «غَبْنُ الْمُؤْمِنِ حَرَامٌ^٥.

ي - الصّدق واخذ الحقّ واعطاؤه، والآ فالفجور

- ٣٣ النبي «ص»: «يا معشرَ التُّجَّارِ! انْتُمْ فُجَّارٌ، إِلَّا مَنْ اتَّقَى وَبَرَّ وَصَدَقَ^٦.
- ٣٤ النبي «ص» - إِنَّهُ مَرَّ بِالتُّجَّارِ، وَكَانُوا يَوْمئِذٍ يُسَمُّونَ السَّمَايِرَةَ، فَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا! إِنِّي لَا أُسَمِّيْكُمْ السَّمَايِرَةَ، وَلَكِنْ أُسَمِّيْكُمْ التُّجَّارِ. وَالتَّاجِرُ فَاجِرٌ.

١- الوسائل ١٢ / ١٢١.

٢ و٣- الوسائل ١٢ / ٢٠٩ و٢٠٨.

٤ - البحار ١٠٣ / ١٠٤. وفي «الكافي» (٥ / ١٥٣)، عن الامام الصادق «ع»: «غَبْنُ الْمُسْتَرْسِلِ سُخْتٌ». والمسترسل: «الَّذِي يَتَّقُ بِالْبَانِعِ وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي قِيَمَةِ الشَّيْءِ».

٥ - الكافي ٥ / ١٥٣.

٦ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٠.

والفاجر في النار». فغلقوا ابوابهم وأمسكوا عن التجارة؛ فخرج رسول الله «ص» من غدٍ فقال: «أين الناس؟». فقيل: يا رسول الله! سمعوا ما قلت بالامس فأمسكوا. قال: «وأنا أقوله اليوم ايضاً، إلا من أخذ الحق وأعطاه»^١.

٣٥ النبي «ص»: يا معشر التجار! ارفعوا رؤوسكم، فقد وضع لكم الطريق. تبعثون يوم القيامة فجّاراً، إلا من صدق حديثه^٢.

* لقد نظر اولياء الاسلام الى التجار والمستوردين واهل الاسواق والبائعين نظر الشبهة والتعسف، إلا من استثنوهم من المتقين الصادقين المقتنعين. وقليل ما هم. فالتاجر الذي لا يسعّر عليه، هو المتقي الصادق الحديث، الآخذ للحق والمعطي له، التارك للربح او المحفّف له جدّاً، المكتفي بقوت يومٍ او ما يقاربه، لا اهل الفجور والخيانة - بنص الاحاديث - الكذبة، المتشاحون على الاموال، المجحفون بالاسعار، المحرقون الناس في جهيم التضخم والاحتكار والغلاء! اهؤلاء لا يسعرون عليهم؟ اهكذا نتبع امير المؤمنين «ع»، الذي يعهد الى الاشر النخعي، أن لا تكون الاسعار في مصر مجحفةً بالفريقين؟ اهكذا تقتضي الفقاهة القرآنية، التي يجب ان تكون سناد الضعفاء والمحرومين، وعدو الظلمة والمعتدين؟ ان كان هذا فليذهب الاسلام - والعياذ بالله - بقسطه وعدله واحسانه الى حيث يشاء^٣.

١ - المستدرک ٢ / ٤٦٣، عن «دعائم الاسلام».

٢ - من لا يحضره الفقيه ٣ / ١٢١.

٣ - راجع للكلام عن التسعير: الفصل ١٥، من هذا الباب.

٣٦ الامام علي «ع»: .. التَّاجِرُ فَاجِرٌ، وَالْفَاجِرُ فِي النَّارِ، الْآ مِنْ اخذ الحقَّ
وَأَعْطَى الْحَقَّ^١.

يا - شراء الجيد وبيع الجيد

٣٧ الامام الصادق «ع» - عاصمُ بنُ حميد قال : قال لي ابو عبدالله «ع»: ايُّ
شيءٍ تُعالج؟ قلت : أبيعُ الطَّعامَ . فقال لي : اشترِ الجيِّدَ، وبيعِ الجيِّدَ، فإنَّ
الجيِّدَ اذا بعتَه قيلَ له : بارَكَ اللهُ فيكَ وفيمنَ باعَكَ^٢.

يب - لا يمين في البيع

٣٨ الامام علي «ع» - قام اميرُ المؤمنين «ع» على دارِ ابنِ ابي مُعيط، وكان تُقامُ
فيها الابل، فقال : يا معاشرَ السَّماسِرةِ! اقلُّوا الأيمانَ، فإنَّها مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ،
مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ^٣.

٣٩ الامام الكاظم «ع»: ثلاثةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ اليهم : احدُهم رجلٌ اتَّخَذَ اللهُ بضاعَةَ،
لا يَشْتَرِي الآ بيمين، ولا يبيعُ الآ بيمين^٤.

يج - لا بخس لاشياء الناس

*مَرَّ الْقُرْآنُ الدَّالُّ النَّاصُّ عَلَيْهِ . وراجع : الفصل الثالث عشر .

من الباب الحادي عشر .

١ - الكافي ٥ / ١٥٠ .

٢ - الكافي ٥ / ٢٠٢ .

٣ و٤ - الوسائل ١٢ / ٣٠٩ - ٣١٠ .

يد - لا تطفيف ولا إفسار

* مرّ القرآن الدالّ الناصّ عليه . وراجع : الفصل الثالث عشر ،
من الباب الحادي عشر .

يه - لا تسويف ولا تأخير

٤٠ النبي «ص» : ويلٌ لتُجَارِ أُمَّتِي من «لا والله» و «بلى والله» . وويلٌ لُصْنَاعِ
أُمَّتِي من «اليوم» و «غداً» .^١

يو - مجادلة السيوف اهون من طلب الحلال

٤١ الامام علي «ع» : .. ألا ! فتوقّعوا ما يكون من ادبارِ امورِكم .. ذاك حيث تكون
ضربةُ السيفِ على المؤمنِ أهونَ من الدرهمِ من حِلِّه .^٢

٤٢ الامام الصادق «ع» - ممّا قاله لمولاه مُصادف ، حينما باع متاعه بمصر ، بربح
الدّينارِ ديناراً : يا مُصادف ! مُجَادِلَةُ السّيفِ أَهْوَنُ من طلبِ الحلال .^٣

يز - بيع المضطرين ممنوع

٤٣ الامام علي «ع» : يَأْتِي على النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ ، يَعْضُ المويِسِرُ فيه على
ما في يَدَيْهِ ، ولم يُؤمَرْ بذلك . قال اللهُ سبحانه : «ولا تَسْؤُوا الفِضْلَ بَيْنَكُمْ» ،

١ - الوسائل ١٢ / ٣١٠ .

٢ - نهج البلاغة / ٧٥٥ : عبده ٢ / ١٤٩ - ١٥٠ .

٣ - الكافي ٥ / ١٦١ - ١٦٢ . مرّ الحديث برقم ٢١ .

الفصل الثالث عشر: الاستيراد والبيع

تَنْهَدُ فِيهِ الْإِشْرَارَ، وَتُسْتَدَلُّ فِيهِ الْإِخْيَارَ، وَيُبَايَعُ الْمُضْطَرُّونَ . وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ «ص» عَنِ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ ١ .

* راجع ايضاً: الفصل الثالث عشر، من الباب الحادي عشر،

فقرة «ب»، فلقد اوردنا هناك حديثاً عن الامام الصادق «ع»، سَمِيَ فِيهِ بَيْعَ الْمُضْطَرِّ اغْتِيَالاً .

يح - رفض الوساطة في البيع

٤٤ النبي «ص»: لا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ، دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ ٢ .

٤٥ النبي «ص» - فيما رواه الامام الباقر: لا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَالْمُسْلِمُونَ يَرْزُقُ اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ ٣ .

٤٦ الامام الصادق «ع»: لا تَلَقَّ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» نَهَى عَنِ التَّلَقِّيِ ٤ .

راجع ايضاً: الفصل الثالث عشر، من الباب الحادي عشر،

فقرة «ي».

يط - حق الميزان والوفاء به

١ - نهج البلاغة / ١٣٠٠: عبده ٣ / ٢٦٤.

٢ - الوسائل ١٢ / ٣٢٨.

٣ - الوسائل ١٢ / ٣٢٧.

٤ - الوسائل ١٢ / ٣٢٦.

- ٤٧ الامام علي «ع» - قال الامام الصادق : مرَّ امير المؤمنين «ع» على جاريةٍ قد اشترتَ لحمًا من قصاب، وهي تقولُ : زدني . فقال له امير المؤمنين : زدّها فإنّه اعتمٌ للبركة ١ .
- ٤٨ الامام الصادق «ع» : لا يكونُ الوفاءُ حتى يرجحُ ٢ .
- ٤٩ الامام الصادق «ع» : انو الوفاء، فإن أتى على يدك - وقد نويتَ الوفاء - نقصانٌ، كنتَ من اهلِ الوفاء . وإن نويتَ النقصان، ثم أوفيتَ كنتَ من اهلِ النقصان ٣ .
- ٥٠ الامام الصادق «ع» : إن فيكم خصلتين هلك بهما من قبلكم من الأمم . قالوا : وما هما يا ابن رسول الله «ص»؟ قال : المكيال والميزان ٤ .

ك - لا يُباع السلاح من أعداء الاسلام

- ٥١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق : يا عليّ! كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَشْرَةٌ .. وَبِائِعِ السَّلَاحِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ ٥ .

تنبيه

يَدْخُلُ فِي الْمَوْضُوعِ، بَيْعُ الْمَنَاجِمِ وَمَا يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا، مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْتَعْمَرِينَ وَالْمُسْتَكْبِرِينَ، إِذَا اسْتَعْمَلُوهَا ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ، لِمَلَكَاتٍ مَعْلُومَةٍ، مِنْهَا مَمْنُوعِيَّةٌ مُعَاوَنَةُ الظُّلْمِ وَالْعَدْوَانِ . فَعَلَى الْحُكُومَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ لَا

١ و ٢ - الوسائل ١٢ / ٢٩٠ .

٣ و ٤ - الوسائل ١٢ / ١٩١ .

٥ - الوسائل ١٢ / ٧١ .

تبيع المناجم من أعداء الاسلام والمسلمين .

كا - اي كاسب حبيب الله؟

٥٢ الامام علي «ع»: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يُحِبُّ الْمُحْتَرِفَ الْآمِينَ.^١

كب - تَدَنَّ وَسُقُوط

٥٣ النبي «ص»: شَرُّ النَّاسِ التُّجَّارُ الْخَوَنَةُ.^٢

٥٤ الامام علي «ع»- في العهد الاثري: وَأَعْلَمُ مَع ذَلِكَ، أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيًّا فَاحِشًا، وَشُحًّا قَبِيحًا، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَعَاتِ..^٣

٥٥ الامام علي «ع»: شَرُّ الرَّجَالِ، التُّجَّارُ الْخَوَنَةُ.^٤

كج - قيم مثلي للحياة الاسلامية في الاسواق

٥٦ الامام الباقر «ع»: كَانَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» بِالْكُوفَةِ .. فَيَطُوفُ فِي أَسْوَاقِ الْكُوفَةِ، سُوقًا سُوقًا، وَمَعَهُ الدَّرَّةُ عَلَى عَاتِقِهِ .. فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، اتَّقُوا اللَّهَ .. قَدِّمُوا الْاسْتِخَارَةَ، وَتَبَرَّكُوا بِالسُّهُولَةِ، وَاقْتَرِبُوا مِنَ الْمُبْتَاعِينَ، وَتَزَيَّنُوا بِالْحِلْمِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْيَمِينِ، وَجَانِبُوا الْكُذْبَ، وَتَجَافَوْا عَنِ الظُّلْمِ،

١ - الوسائل ١٢ / ٤ .

٢ - المستدرک ٢ / ٤٦٣ .

٣ - نهج البلاغة ١٠١٧: عبده ٣ / ١١٠ .

٤ - البحار ١٠٣ / ١٠٣ .

وَأَنْصِفُوا الْمَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْرَبُوا الرِّبَا، «وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا
النَّاسَ أَمْشِيًا هُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ». قال: فَيَطُوفُ فِي جَمِيعِ
أَسْوَاقِ الْكُوفَةِ،^١ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَقْعُدُ لِلنَّاسِ.^٢ قال: وكانوا إذا نظروا إليه قد
أَقْبَلَ إِلَيْهِمْ قال: «يَا مَعْشَرَ النَّاسِ!»، أَمْسَكُوا أَيْدِيَهُمْ وَأَصْغُوا إِلَيْهِ بِأَذَانِهِمْ
وَرَمَقُوهُ بِأَعْيُنِهِمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ كَلَامِهِ، فَاذَا فَرَغَ قَالُوا: السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!^٣

٥٧ الامام الصادق «ع» - الحسين بن المختار القلانسي قال: قلت لأبي -
عبدالله «ع»: إنا نعمل القلانس فنجعل فيها القطن العتيق فنبيعها، ولا
نبين لهم ما فيها؟ فقال: إني أحبُّ لك أن تبين لهم ما فيها.^٤

* فبرعاية هذه السنن والآداب وامتثالها، وما يدخل منها في
حدِّ الواجب، تصيرُ الاسواقُ اسلاميةً، لا بالاسم.

كد - اوقات و حقوق

١ - وفي بعض المصادر: ثم يقول:

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مَمَّنْ نَالَ صَفَوَتَهَا
مِنَ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ

تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغْبِتِهَا
لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

- (سفينة البحار ١ / ١٢١)

٢ - الكافي ٥ / ١٥١.

٣ - المستدرک ٢ / ٤٦٣.

٤ - من لا يحضره الفقيه ٣ / ١٠٥.

٥٨ النبي «ص» - نهى رسولُ الله «ص» عن السَّومِ، ما بين طلوعِ الفجرِ الى طلوعِ الشَّمسِ.^١

٥٩ الامام الصادق «ع»: الصُّنَاعُ اذا سَهَرُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ فهو سُحْتُ.^٢

كه - السُّوقِ سوقان

١ - مسيرة الى الله ومغفرته وجنته

٦٠ النبي «ص»: مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فِي السُّوقِ مَخْلِصاً عِنْدَ غَفْلَةِ النَّاسِ وَشَغْلِهِمْ بما فيه، كتب الله له الفَ حَسَنَةً وَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً لَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.^٣

٦١ الامام الصادق «ع» - في تفسير قولِ الله عزَّ وجلَّ: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» قال: كانوا اصحابَ تِجَارَةٍ، فَاذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ تَرَكَوْا التِّجَارَةَ، وَأَنْطَلَقُوا إِلَى الصَّلَاةِ.^٤

٦٢ الامام الصادق «ع»: ثَلَاثَةٌ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ: اِمَامٌ عَادِلٌ، وَتَاجِرٌ صَادِقٌ، وَشَيْخٌ أَفْنَى عَمْرِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ.^٥

٢ - ميدان الشيطان ومحضره

١ - الكافي ٥ / ١٥٢.

٢ - الوسائل ١٢ / ١١٨.

٣ - سفينة البحار ١ / ٦٧٤.

٤ - الوسائل ١٢ / ٨.

٥ - ثواب الاعمال / ١٦٢.

٦٣ النبي «ص»: شرُّ بقاعِ الارضِ الأسواق، وهو ميدانُ ابليس، يَغْدُو برايته ويَضَعُ كرسيه ويُبْتُ ذُرِّيَّته؛ فبينَ مُطْفَفٍ في قفير، او طائش في ميزان، او سارق في ذراع، او كاذبٍ في سِلْعَةٍ؛ فيقولُ: ^١ عليكم برجلٍ مات ابوه، وابوكم حيٌّ؛ فلا يزالُ مع اولٍ من يدخلُ وآخرٍ من يرجعُ. وخيرُ البقاعِ المساجد؛ واحبُّهم اليه (الى الله) اولُّهم دخولاً وآخرهم خروجاً.^٢

٦٤ الامام علي «ع»: .. اياك ومقاعدَ الأسواق، فانها محاضرُ الشيطان، ومعارضُ الفتن.^٣

* وسنشيرُ الى اهميةِ الرقابةِ على الأسواق، في التنبيه العاشر، من التنبهات التي ستأتي في مُختتمِ الفصلِ الخمسين، من هذا الباب، فلاحظه بتأملٍ وامعان .

تتميمات

١- التعريف بشرِّ الناس

٦٥ النبي «ص»: خَصَلتان ليس فوقها من الشرِّ شيءٌ: الشُّركُ بالله، والضُّرُّ لعبادِ الله.^٤

٦٦ النبي «ص»: ليس منا من غَشَّ مسلماً، او ضَرَّهُ، او ما كَرَّه.^٥

١- اي: يقولُ الشيطانُ لذُرِّيَّته المبتوتة في السوق .

٢- سفينة البحار ١ / ٦٧٣ - ٦٧٤.

٣- نهج البلاغة / ١٠٦٩، عبده ٣ / ١٤٣.

٤ و ٥- تحف العقول / ٣١ و ٣٦.

٦٧ الامام علي «ع»: شرُّ النَّاسِ، من يُغشُّ النَّاسَ.^١

٢ - الظلم الذي لا يترك

٦٨ الامام علي «ع»: .. وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ . وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ أَقَامَةِ عَلِيٍّ ظَلَمَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَّدِينَ؛ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمَرْصَادِ.^٢

٦٩ الامام الباقر «ع»: .. وَامَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَدْعُهُ اللَّهُ، فَالْمُدَائِنَةُ بَيْنَ الْعِبَادِ.^٣

٣ - خلط الطعام في البيع

٧٠ الامام الباقر «ع»، او الصادق «ع» - عن محمد بن مسلم، عن أحدهما «ع»، أنه سُئِلَ عَنِ الطَّعَامِ يُخْلَطُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَبَعْضُهُ أَجْوَدُ مِنْ بَعْضٍ؟ قَالَ: إِذَا رُئِيَ جَمِيعًا فَلَا بَأْسَ، مَا لَمْ يُغَطَّ الْجَيِّدُ الرَّدِيءَ.^٤

١ - غرر الحكم / ١٩٦.

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٥ - ٩٩٦: عبده / ٣ / ٩٥.

٣ - تحف العقول / ٢١٤.

٤ - الكافي / ٥ / ١٨٣.

نظرة الى الفصل

يُقصد بالتجارة في مصطلح التعاليم الاسلامية معناها الاعم، يعني الكسب وممارسته بيعاً وشراءً، سواءً أكان ذلك بإنتاج أم كان باستيراد أم بغيرهما من سائر انواع البيوع والمكاسب. فهي تشمل ما هو اعم من الاستيراد المصطلح، فيدخل فيها الكسب والحرفة بصورهما ايضاً. يقول الامام عليّ «ع»: «تعرضوا للتجارات، فإن لكم فيها غنى عما في ايدي الناس، وإن الله عز وجل يحب المحترف الامين...»^١. وهناك مسائل تلقي اضواءً على حقيقة التجارة في مذهب الاسلام الاقتصادي، نذكر عدة منها، رجاء الكشف عن جوانب من الحقيقة في هذا الحقل:

١- التجارة عمل: إن المستفاد من التعاليم أن التجارة ايضاً عمل يعمل به التجار والمستوردون، فالامام عليّ «ع» هكذا يصف اغلبهم «... وجلابها (المنافع - السلع والبضائع) من المباعدين والمطارح في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها...»^٢.

كان الاستيراد في سالف الزمان - بحسب الاغلب - يتطلب جهداً ومخاطرة. والآن تحصل الاستيرادات الكبيرة، بأهون سعي، كالاتصال بالهاتف، او ارسال البرقية وامثالها. ويربح المستوردون بهذا السعي

١ - الوسائل ١٢ / ٤.

٢ - نهج البلاغة / ١٠١٧: عبده ٣ / ١١٠.

نظرة الى الفصل الثالث عشر ..

القليلِ مقاديرَ باهظةً من المال، تُقدَّرُ بالملايين . فيَجِبُ أَنْ نُلَاحِظَ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ مَاذَا يَكُونُ حُكْمُهُ الشَّرْعِيُّ؟ أَهُوَ بَيْعُ اسْلَامِيٍّ مُحَمَّدِيٍّ سَمَحٌ حَلَالٌ، يَبِيعُهُ مُؤْمِنٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؟ نَحْنُ لَا نَنْظُرُ هَكَذَا؛ فَإِنْ كَانَ، فَأَيْنَ هُوَ مِنْ شَرِيعَةِ الْقِسْطِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ «ص»؟ وَإِنَّ مِنَ الْمُسْلِمِ بِهِ أَنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ، ظَاهِرَةٌ حَدِيثَةٌ يَجِبُ أَنْ تُسْتَنْبَطَ احْكَامُهَا الْاِسْلَامِيَّةُ الْفَقْهِيَّةُ، مِنْ جَدِيدٍ، فِي حَقْلِ «الْحَوَادِثِ الْوَاقِعَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ».

٢ - ملامح الاستيراد في العالم الحديث : كان الاستيراد في الأيام الخالية امرأ بسيطاً من جهاتٍ عدَّة، يَنْصَبُ عَلَى الْمُنْتَجَاتِ الْمَحْدُودَةِ، غَيْرَ أَنَّ الْأَمْرَ فِي الْعَالَمِ الْمَعَاوِرِ وَالْاِقْتِصَادِ الْحَدِيثِ لَيْسَ عَلَى ذَلِكَ النَّمَطِ، بَلْ أَضْحَى تَابِعاً لِلشَّرَكَاتِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ - فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَالَاتِ - فَالْمُسْتَوْرِدُونَ وَالْمُنْتَجُونَ يُسْعَرُونَ الْمَوَادَّ الْخَامَ بِاسْعَارٍ زَهِيدَةٍ وَيَشْتَرُونَهَا بِهَا، ثُمَّ يُقَدِّمُونَ الْمُسْتَوْرِدَاتِ وَالْمُنْتَجَاتِ إِلَى الْأَسْوَاقِ وَيَبِيعُونَهَا بِاسْعَارٍ غَالِيَةٍ وَبَاهِظَةٍ كَمَا يَشَاوُونَ . وَيَتَوَفَّقُونَ لِذَلِكَ الْغَرَضِ بِفَضْلِ طَبِيعَةٍ حَقِّ الْحَصْرِيَّةِ . وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ التَّضَخُّمِ الْمَالِيِّ أَوْ قَلَّةِ الْأَمْتَعَةِ وَالسَّلْعِ وَاضْطِرَارِ النَّاسِ إِلَى شِرَائِهَا بِشَمَنِ غَالٍ، إِنَّمَا يَنْشَأُ مِنْ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ الْغَاشِمَةِ .

فمن هذا الجانب، نُشَاهِدُ أَنَّ الْاِسْتِيرَادَ يَتَفَاوَتُ بِحَسَبِ مَا هَيْتِهِ مَعَ التَّجَارَةِ الْقَدِيمَةِ، أَيَّامَ لَمْ تَكُنْ صِلَاتٌ عَالَمِيَّةً، وَلَا اتِّحَادُ الشَّرَكَاتِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ . فَالْيَوْمَ يَجِبُ أَنْ نَتَفَقَّهُ فِي حَقِيقَةِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَأَنْ نُلَاحِظَ بِجَنْبِهَا الْاِحْتِكَارَ، وَالتَّسْعِيرَ الْمُجْحِفَ، وَالْاِعْتِدَاءَ الْمَالِيَّ، وَالْاِرْبَاحَ الْبَاهِظَةَ، حَتَّى يَتَسَنَّى لَنَا أَنْ نَسْتَخْلِصَ لَهَا بَرَأْيَ يُقَارِبُ الصَّوَابَ، وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْاِرْبَاحَ هَلْ تَكُونُ مَشْرُوعَةً بِهَذِهِ الصُّورَةِ، وَحَلَالاً طَبِيعاً يَرْضِيهِ الْاِسْلَامُ وَيُقَرُّهُ وَيَرَاهُ ذَلِكَ الْمَالِ الَّذِي يَمْتَلِكُهُ الْمُسْلِمُ الْمَلْتَزِمُ؟ أَوْ تَكُونُ غَيْرَ ذَلِكَ. وَفِي النَّابِهِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمَعَاوِرِينَ مِنْ عَدِّهَا مِنْ أَقْسَامِ

الربا . ويؤيّدُه عدّة من الاحاديثِ وجوهرُ التعاليمِ والأنظمةِ الاسلاميّةِ .

٣ - الاستيرادُ ودوره في نظامِ الاقتصادِ الاسلاميِّ : إنَّ التجارةَ - وهي التي تُسمّى التصديرَ والاستيرادَ في المصطلحِ الحديثِ - على أساسِ التعاليمِ الاسلاميّةِ، هي ذريعةٌ لطلبِ الرّزقِ وتأمينِ المعيشةِ وايصالِ ما يحتاجُ اليه النَّاسُ الى ايديهم، حلالاً طيباً، واعطاءَ الحقِّ واخذُه، وليست هي ذريعةٌ للاستغلالِ التّكاثريِّ والاعتداءِ الماليِّ ابدأً . وهناك أدلّةٌ قويمةٌ واحاديثُ كثيرةٌ تُرشِدُنَا الى الاصلِ المذكورِ . واليك نبذةٌ منها :

الأحاديثُ المؤشّرةٌ للبيعِ والاستيرادِ الإسلاميِّ

١ - الاحاديثُ الواردةُ بصدِّ الكسبِ وطلبِ المالِ، فإنّها توضّحُ هدفَ الطلبِ والكسبِ الاسلاميِّ وتحدّدهُ وترسّمُ ملامحه الاصليةَ . إنَّ تلكَ الاحاديثُ تدعو الى طلبِ الرّزقِ الحلالِ (عن طريقِ العملِ، سواءً كان صناعةً او زراعةً او تجارةً)، لتأمينِ حاجياتِ العيشِ او لتحسينِ المعيشةِ وترفيهِ العائلةِ والانفاقِ على الآخرين . ولقد جاء في الحديثِ : «كُنَّا جُلوساً عندَ ابي عبدالله «ع»، إذ أقبلَ العلاءُ بنُ كاملٍ فجلسَ قُدّامَ ابي- عبدالله «ع» فقال : أدعُ اللهَ أن يرزقني في دعةٍ . فقال : لا أدعوك، أُطلبُ كما أمَرَكَ اللهُ»^١ وقال الامام ابو الحسنِ عليّ بنُ موسى الرضا «ع» : «ليس للناسِ بُدٌّ من طلبِ معاشِهِم، فلا تدعِ الطلبَ»^٢ فالطلبُ إنّما أمرُوا به للاستغناءِ عن الآخرين . وقولُ الامامِ الصادقِ «ع» للعلاءِ بنِ كاملٍ : «كما أمَرَكَ اللهُ»، يُشعرُ ايضاً بأنَّ الطلبَ يجبُ أن يكونَ كما أمرَ الله تعالى . ومن الواضحِ، أنّ ما أمرَ الله به لا يكونُ الا طلبَ

١ - الكافي ٥ / ٧٨ .

٢ - الوسائل ١٢ / ١٨ .

نظرة الى الفصل الثالث عشر ..

الحلال لتأمين المعيشة ورفع الكُلِّ عن النَّاس - في حدودٍ مقتصدة -
وبذلِ الفضلِ من المال، لا الطَّلَبُ التَّكاثُرِيُّ الَّذِي لا يَنْجُو من الحرامِ
البتَّة، ويؤدِّي الى الطُّغْيَانِ والتَّرَفِ .

٢ - الاحاديثُ الواردةُ بصدِّ التَّجَارَةِ نَفْسِهَا، فَإِنَّهَا ايضاً تُعَدُّ التَّجَارَةَ
سبباً للخلاصِ من الحاجةِ والفقرِ والاستغناءِ عن النَّاسِ، كقولِ الامامِ
الصَّادِقِ «ع»: «من طَلَبَ التَّجَارَةَ اسْتَغْنَى عن النَّاسِ»^١. ويقولُ في حديثٍ
آخَرَ: «اسْتَعِينُوا ببعضِ هذه على هذه، ولا تكونوا كُلُّوْلاً على النَّاسِ»^٢.
٣ - الاحاديثُ الَّتِي تقولُ إِنَّ تاركَ التَّجَارَةِ والكسبِ لا تُسْتَجَابُ له
دعوةٌ^٣. ومن الواضحِ البينِ، أَنَّ ما يَكُونُ تركُ طلبِهِ سبباً لردِّ الدُّعَاءِ، ليس
الاستيرادُ الحُرُّ والتَّكاثُرِيُّ، المُلهِي والمُطغِي، بنصِّ القرآنِ والحديثِ .
فالمقاديرُ الَّتِي تحصلُ من الاستيرادِ الحُرِّ في الاقتصادِ الحديثِ، باساليبِ
يَعْرِفُهَا اهلُهَا، لا تَكُونُ ذلكَ الطَّلَبِ الحلالِ الَّذِي يُقْرَهُ الاسلامُ وان زاوَلَه
مسلمٌ .

٤ - الاحاديثُ الَّتِي تدعو الى الاجمالِ في الطَّلَبِ وتمنعُ من التَّكاثُرِ
وجمعِ المالِ وتعدُّه مُهْلِكاً، كقولِ الامامِ عليٍّ «ع»: «... فحَفْضُ في
الطَّلَبِ، وأَجْمِلْ في المُكْتَسَبِ .. وَايَاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فتُورِدَكَ
مناهِلَ الهَلَكَةِ»^٤.

٥ - الاحاديثُ الَّتِي تُحدِّدُ الطَّلَبَ وتَجْعَلُ له مُؤَشراً لا يَتَجَاوَزُ حدِّي
الاعتدالِ والقصدِ، كقولِ الامامِ الصَّادِقِ «ع»: «لِيَكُنْ طَلْبُكَ للمعيشةِ
فوقَ كسبِ المُضَيِّعِ ودونِ طلبِ الحريصِ ..»^٥. فهذا الحديثُ وامثاله

١ - الوسائل ١٢ / ٤ .

٢ - الوسائل ١٢ / ١٨ .

٣ - مرَّت نماذجُ من هذه الاحاديثِ في الفصلِ ٥، فراجع .

٤ - نهج البلاغة / ٩٢٩؛ عبده ٣ / ٥٧ .

٥ - الوسائل ١٢ / ٣٠ .

يَدْعُو الكَاسِبَ والمُسْتَوْرَدَ المُسَلِّمَ الي أَن يَكُونَ طَلْبُهُ لِلْمَالِ فَوْقَ كَسْبِ
 الْمُضَيِّعِ الكَسِيلِ، وَدُونَ طَلْبِ الحَرِيصِ المِيَالِ الي الدُّنْيَا وَثَرَوَاتِهَا . فَأَيْنَ
 هَذَا مِنَ الاستِيرَادِ الحُرْفِيِّ «الاقتصادِ الحديثِ». فَمَا بَالُنَا نَجْهَلُ حُدُودَ
 الْمُؤَشَّرَاتِ الاسلامِيَّةِ اَوْ نَتَجَاهَلُ عَنْهَا، ثُمَّ نَتَكَلَّمُ بِاسْمِ الاسلامِ وَنُعَرِّفُهُ دِينًا
 يُقِرُّ تِلْكَ الرِّأْسَمَالِيَّةَ الغَاشِمَةَ والاقتصادَ التَّكاثِرِيَّ، الْمُتَمَتِّصَ لِلنَّاسِ، المُدْمَرَّ
 لِأُسُسِ الحَيَاةِ العَادِلَةِ، السَّاحِقَ لِأَصُولِ الفُضِيلَةِ وَالانصَافِ . أَكَلُ هَذَا
 يَرْتَضِيهِ الاسلامُ؟ وَاتَّخَذُ هَذَا المَوْقِفَ اشَادَةً بِذِكْرِهِ وَتَرْوِيحُ لَه، وَمَحَامَاةً عَنْهُ
 وَعَنْ فِقْهِهِ وَاحْكَامِهِ، وَعَنْ اِدَارَتِهِ المَالِيَّةِ الَّتِي تَأْخُذُ بَعْضَ الجَمَاهِيرِ؟

٦ - الاحاديثُ الَّتِي تَقُولُ اِنَّ طَلْبَ الحَلَالِ عَسِيرٌ، وَاِنَّ مَجَادَلَةَ
 السُّيُوفِ اَهْوَنُ مِنْ طَلْبِ الحَلَالِ، وَانَّهُ لَا يَحْضُلُ اِلَّا مَعَ اِلْجَمَالِ
 (الاعتدالِ) فِي الطَّلْبِ، لَا بِالطَّلْبِ التَّكاثِرِيِّ، كَقَوْلِ النَّبِيِّ «ص» - فِيمَا
 رَوَاهُ الامامُ الصَّادِقُ «ع»: «فَاتَّقُوا اللهَ وَاجْمِلُوا فِي الطَّلْبِ .. فَاطْلُبُوا
 ارزاقكم من حلال، فإِنَّكُمْ اِنْ طَلَبْتُمُوهَا مِنْ وَجْهِهَا اَكَلْتُمُوهَا حَلالًا، وَاِنْ
 طَلَبْتُمُوهَا مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا اَكَلْتُمُوهَا حَرَامًا»^١. وَاِنَّ صَدْرَ الحَدِيثِ يُفَسِّرُ
 «الوجوه» بِأَنَّ مِنْهَا «الْإِجْمَالَ» فِي الطَّلْبِ .

٧ - الاحاديثُ الَّتِي تَمْنَعُ - بِاسَالِبٍ مُخْتَلِفَةٍ - عَنِ الاكْتِنَازِ وَالجَمْعِ
 التَّكاثِرِيِّ وَالبِخْلِ بِالمالِ - كَمَا مَرَّتْ لَمَعَةٌ مِنْهَا .

٨ - الاحاديثُ الَّتِي تَدْعُو الي اِلْغَاءِ الرِّبْحِ اَوْ تَحْدِيدِهِ بِالبالِغِ، كَقَوْلِ
 النَّبِيِّ «ص»: «رَبْحُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ رِبًا»^٢. وَكَقَوْلِ الامامِ الصَّادِقِ :
 «رَبْحُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ رِبًا، اِلَّا اَنْ يَشْتَرِيَ بِاَكْثَرِ مِنْ مِئَةِ دِرْهَمٍ، فَارْبَحْ
 عَلَيْهِ قُوَّةَ يَوْمِكَ، اَوْ يَشْتَرِيَهِ لِلتَّجَارَةِ، فَارْبَحُوا عَلَيْهِمْ وَارْفُقُوا بِهِمْ»^٣.

١ - الوسائل ١٢ / ٢٩ .

٢ - البحار ١٠٣ / ١٠٣، عَنِ «اعلام الدين» .

٣ - الكافي ٥ / ١٥٤ .

نظرة الى الفصل الثالث عشر..

٩ - الاحاديثُ التي تُدُلُّ على لزومِ التراضي في البيع، كما ورد في القرآنِ الكريمِ ايضاً. ومن المعلوم، أنَّ التراضي يتوقفُ حصوله على رضا الطرفين، ومنهما المبتاع. وإنَّ رضاه الواقعي لا يحصلُ باخذِ الربحِ الكثيرِ منه، او ببيعِ السلعةِ منه بسعرٍ غالٍ. وكثيراً ما يتفقُ أنَّ المشتري يشتري السلعةَ بسعرٍ غالٍ وربحٍ كثيرٍ مفروض، لا اضطراره وحاجته اليها. وهذا لا يكونُ من التراضي واقعاً، بل هو بيعُ المضطرِّ، اذ المضطرُّ اعمُّ من أن يكونَ اضطراره مُعلنًا او غيرَ مُعلنٍ. ففي هذا الضوء، إنَّ نفسَ التراضي (الواردِ في القرآن)، يُحدِّدُ الربحَ ويرفضُ الغلاءَ والتسعيرَ الحرَّ.

١٠ - الاحاديثُ التي تُدُلُّ على أنَّ الظلمَ الماليَّ بالنسبةِ الى شخصٍ يكونُ كفتله، كقولِ الامامِ ابي الحسنِ عليِّ بنِ موسى الرضا «ع»: «... وحرَّم السَّرقةَ لما فيها من فسادِ الاموالِ وقتلِ الأنفُسِ لو كانت مُباحةً، ولما يأتي في التغايبِ من القتلِ و...». ففي هذا الضوء، لا يسعُ ايُّ نابهٍ أن يقولَ بأنَّ الاسلامَ يرحبُ بالاستيرادِ الحرِّ والتسعيرِ الحرِّ والربحِ الحرِّ، مع ما في هذه الامورِ من الظلمِ الاقتصاديِّ والعدوانِ الماليِّ. إنَّ هذه الامورَ تُؤدِّي الى افظعِ الامورِ ملاكاً، وهو ابادَةُ النفوسِ واستيصالهم وقتلهم الاقتصاديِّ وسحقهم المعاشيِّ، واقصاؤهم من المعتقَدِ الدينيِّ والسَّلامةِ الخلقيةِ، وادناؤهم الى ما يُضادُّها.

يقولُ القرآنُ الكريمُ، عقيبَ امره بالانفاق: «ولا تُلْقُوا بايديكم الى التَّهْلُكَةِ»^١، فيكونُ كلامُ الامامِ ابي الحسنِ الرضا «ع» تفسيراً لهذا القولِ وتبييناً له مآلاً؛ وخصوصاً مع ملاحظةِ أنَّ الفردَ عضو من اعضاءِ الجسدِ الاجتماعيِّ، وأنَّ القانونيةَ السَّائدةَ على وجودِ الفردِ هي توكيدُ القانونيةِ السَّائدةَ على وجودِ المجتمعِ، وأنَّ تجاوبَ التَّكاملِ الفرديِّ والاجتماعيِّ

١ - الوسائل ١٨ / ٤٨٢.

٢ - سورة البقرة (٢): ١٩٥.

يُبتني على تجاوب النواميس السائدة على الوجودين، فقتل الفرد هو قتل المجتمع وقتل المجتمع هو قتل الفرد: (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل: أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ، فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)¹.

١١ - الاحاديث التي تدل على أن التجارة الصحيحة هي أخذ الحق واعطاؤه بامانة وصدق، كقول النبي «ص»: «يا معشر التجار! انتم فجار إلا من اتقى وبر وصدق»²، وكقول الامام علي «ع»: «التاجر فاجر، والفاجر في النار، إلا من أخذ الحق وأعطى الحق»³؛ فحركة المال الاسلامية الملتزمة في المجتمع، هي حركة ايجابية قوامية محدودة، في إطار اخذ الحق واعطائه وطلب الحلال ونيله. وهذا غير الاستيراد التكاثري الحر الذي لا يعرف حداً لغاياته، في اشتراء المستوردات وفي تسعيرها، وفي بيعها من الجماهير بأية صورة شاء. بل هذا الى اكل المال بالباطل أقرب منه الى كونه تجارة شرعية يُقرها الاسلام.

١٢ - الاحاديث التي تقول إن التجارة فجور وخيانة، ان لم تُكبلها اواصر التقوى وروادع الالتزام. ورفض هذه الاحاديث للاستيراد والتسعير الحرين واضح ملموس.

تذييلات

١ - لقد ظهر مما مر، أن الاسلام لا يُقر الصلات الاقتصادية والاستيرادية، المبتنية على الحرية الاقتصادية والاقتصاد الحر (الليبرالية

١ - سورة المائدة (٥): ٣٢.

٢ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٠.

٣ - الكافي ٥ / ١٥٠.

نظرة الى الفصل الثالث عشر..

الاقتصادية)، بما لها من المفسادِ العظيمة ابدأ. فعلى هذا، يجب أن لا يكون الاستيراد حُرّاً، ولا مُلقًى بأيدي المتكاثرين خاضعاً لميولهم، بل يجب أن يُرمَجَ لاستيراد حاجيات الناسِ وجعلها في مُتناولهم بصورةِ اسلامية: بيع عن تراضٍ، من البائعِ والمبتاعِ، اسلاميٌّ سَمَحٌ، وربحٍ قليل، وتسعيرٍ عادل، واعلامٍ سالم.

٢ - من المعلوم، أن ارساء قواعد العدالة الاجتماعية، هو من اهم واجبات الحكم الاسلامي وتكليفه - كما مرّ بنا فيما مضى - والعدالة الاجتماعية لا سبيل لها الى التجسيد الا عن طريق التوازن الاجتماعي. فعلى الحكم الاسلامي أن يُراقب حركة الاستيراد في المجتمع، مراقبةً حاسمةً ودقيقةً وامينة، كما يرتضيها الاسلام، وان يكون للظالم خصماً وللمظلوم عوناً. ولا ظالم اخطر ظلماً من هؤلاء الطواغيت الاقتصادية، كما قال مولانا الامام علي بن الحسين السّجاد «ع»: «مصيبتكم الطواغيت من اهل الرّغبة الى الدنيا». ولا مظلوم آلم اضهاداً من تلك الجماهير التي تحتاج في حياتها الى هؤلاء واميتهم واسواقهم، بما يفرضونه عليها.. وهم الشياهُ الذين تجرّ شعورهم ويؤكل لحومهم ويكسر عظمهم - على ما مرّ في التعليم السّجاديّ المنذر.^٢

٣ - ومما لا يسوغ الإهمال فيه، هو أن أجهزة الحكم وأصحاب السّلطة والنفوذ، يجب أن لا يتدخلوا في النشاطات المالية والاستيرادية - في صورها المختلفة، مُعلنةً وغير مُعلنة - لكيلا يتحوّلوا إلى طواغيت اقتصاديين (وسرعان ما يتحوّلون إذا تدخلوا)، وذئابٍ مُمتصّةٍ لدماء الجماهير، حيث يُفرقون في جحيم الأضرار؛ وعند ذلك فأنى يسعهم أن يدعّموا الحقّ ويسندوا العدل؟؟

١ - امالي المفيد / ١١٧.

٢ - راجع: الفصل ١٣، من الباب ١١، فقرة «ج» - في الجزء الثالث.

الفصلُ الرَّابِعُ عشر

الرِّبَا، سَحَقُ جَبَّارٍ

الكتاب

أ - أكل الربا عمل شيطانيّ

١ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ، ذَلِكَ بَأْنَهُمْ قَالُوا: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا، وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *^١

ب - اذان الحرب من الله تعالى

٢ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ *^٢

ج - الربا يُمَحَق

١ و ٢ - سورة البقرة (٢): ٢٧٥ و ٢٧٩ .

- ٣ يَحِقُّ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَتِيمٍ *^١
- ٤ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُؤَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤَا عِنْدَ اللَّهِ، وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ *^٢

د - المؤمن لا يأكل الربا

- ٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبَا، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *^٣
- ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *^٤

هـ - أكل الربا سيرة يهودية

- ٧ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا، حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ، وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *^٥

و - الربا مضاعفة وتكاثر

- ٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ..^٦

١- سورة البقرة (٢): ٢٧٤ .

٢ - سورة الروم (٣٠): ٣٩ .

٣ - سورة البقرة (٢): ٢٧٨ .

٤ - سورة آل عمران (٣): ١٣٠ .

٥ - سورة النساء (٤): ١٦٠ - ١٦١ .

٦ - سورة آل عمران (٣): ١٣٠ .

* قال الطبرسي: «وإنما أعادَ تحريمَ الربا مع ما سبقَ ذكره في سورة البقرة لأمريّن: أحدهما التصريحُ بالنهي عنه بعد الإخبارِ بتحريمه، لما في ذلك من تعريفِ الخطرِ له وشدةِ التحذيرِ منه. والثاني لتأكيدِ النهي عن هذا الضربِ منه، الذي يجري على الأضعافِ المضاعفة ..»^١.

راجع أيضاً: الفصل الرابع والعشرين، من الباب الحادي عشر، فقرة «هـ» حيث بحثنا هناك عن أنّ الربا يُخرجُ المالَ عن حدِّه الإلهي. وإنّ اخراجَ الربا المالَ عن الحدِّ الإلهي أيضاً أمرٌ لا يُستهان به، فلاحظه هناك. وكذلك راجع: «تعريفُ المال»، من الفصل المذكور.

الحديث

ز - شرّ المكاسب وخبثها

- ١ - النبي «ص»: شرُّ المكاسبِ كسبُ الربا.^٢
- ٢ - النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الصادق: شرُّ الكسبِ كسبُ الربا.^٣
- ٣ - الامام الباقر «ع»: أخبثُ المكاسبِ كسبُ الربا.^٤

١ - مجمع البيان ٢ / ٥٠٢.

٢ - الاختصاص / ٣٣٩.

٣ - امالي الصدوق / ٤٣٨.

٤ - الوسائل ١٢ / ٤٢٣.

ح - الوزر الاكبر

- ٤ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن آبائه، عن النبي «ص» فيما أوصى به علياً «ع»: «يا علي! الربا سبعون جزءاً، أيسره مثل أن ينكح الرجل أمه في بيت الله الحرام. يا علي! درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنيةً كلها بذاتٍ محرم، في بيت الله الحرام.^١
- ٥ الامام الصادق «ع»: درهم ربا أشدُّ عند الله من ثلاثين زنيةً، كلها بذاتٍ محرمٍ مثل عمّة وخالة..^٢
- ٦ الامام الصادق «ع»: درهم ربا أعظم عند الله عز وجلّ، من سبعين زنيةً كلها بذاتٍ محرم، في بيت الله الحرام.^٣
- ٧ الامام الصادق «ع»: إن للربا سبعين جزءاً، أيسره أن ينكح الرجل أمه في بيت الله الحرام.^٤

ط - اخوف ما يخاف منه على الأمة

- ٨ الامام الكاظم «ع» - عن آبائه: قال رسول الله «ص»: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي، هَذِهِ الْمَكَاسِبُ الْمُحَرَّمَةُ، وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ، وَالرِّبَا».^٥

١ - مكارم الاخلاق / ٥١٥.

٢ - الوسائل ١٢ / ٤٢٣ - ٤٢٤.

٣ - سفينة البحار ١ / ٥٠٧.

٤ - تفسير القمي ١ / ٩٣ - ٩٤.

٥ - البحار ١٠٣ / ٥٤، عن «نوادير الراوندي».

ي - أكل الربا بالحيلة

٩ النبي «ص»: يا عليّ! إنّ القوم سيُفْتَنُونَ بعدي بأموالِهِمْ، وَيُمْنُونَ بدينِهِمْ على رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الكاذِبَةِ والأهواءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الخمرَ بالنَّبِيذِ، والسُّحْتَ بالهَدِيَّةِ، والرباَ بالبيعِ»^١.

يا - الربا وفساد الاموال والتجارات وتعطيل حركة العمل

١٠ الامام الصادق «ع»: .. ما طابَ وطَهَّرَ، كَسْبُكَ الحلالُ من الرِّزْقِ؛ وما خَبِثَ فالرِّبا^٢.

١١ الامام الصادق «ع» - هِشَامُ بْنُ الحَكَمِ قال: سَأَلْتُ ابا عَبْدِالله «ص» عن عِلَّةِ تحريمِ الرِّبا؟ قال: إِنَّهُ لو كانَ الرِّبا حلالاً لَتَرَكَ النَّاسُ التِّجاراتِ وما يَحْتَاجُونَ اليه، فَحَرَّمَ اللهُ الرِّبا، لِتَفِرَّ النَّاسُ عن الحرامِ الى التِّجاراتِ، و الى البيعِ والشُّراءِ ..^٣

١٢ الامام الرضا «ص» - عن محمد بن سنان، إنَّ ابا الحسن عليّ بن موسى الرضا «ع» كتب اليه فيما كتب، من جوابِ مسائله: عِلَّةُ تحريمِ الرِّبا، إنّما نَهَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عنه، لما فيه من فسادِ الاموالِ، لِأَنَّ الانسانَ اذا اشترى الدرهمَ بالدرهمينِ، كانَ ثمنُ الدرهمِ درهماً، و ثمنُ الآخرِ باطلاً، فبيعُ الرِّبا وشراؤه وَكُسُّ على كُلِّ حالٍ، على المشتري وعلى البايِعِ، فَحَظَرَ اللهُ - تبارك وتعالى - على العبادِ الرِّبا، لعلَّةِ فسادِ الاموالِ، كما حَظَرَ على السَّفِيهِ أَنْ يُدْفَعَ

١ - نهج البلاغة / ٤٩١: عبده ٢ / ٦٥.

٢ - الوسائل ١٢ / ٤٢٦ - ٤٢٧.

٣ - علل الشرائع ٢ / ٤٨٢: راجع ايضاً: الوسائل ١٢ / ٤٢٤.

اليه ماله، لما يُتَخَوَّفُ عليه من إفساده، حتى يُؤْنِسَ منه رُشداً؛ فل هذه العلة حَرَّمَ اللهُ الربا، وبيع الدرهم بدرهمين بدأ بيد.. وعلة تحريم الربا بالنسيئة، لعلة ذهاب المعروف، وتلف الاموال، ورغبة الناس في الربح، وتركهم القرض، وصنائع المعروف، ولما في ذلك من الفساد، والظلم، وفناء الاموال^١.

يب - آكل الربا ملعون

١٣ الامام علي «ع»: لعن رسول الله «ص» الربا، وآكله، وبايعه، ومشتريه، وكاتبه، وشاهديه^٢.

١٤ الامام علي «ع»: لعن رسول الله «ص» في الربا خمسة: آكله، وموكله، وشاهديه، وكاتبه^٣.

يج - آكل الربا يقتل

١٥ النبي «ص»: من أخذ الربا وجب عليه القتل؛ وكل من أربى وجب عليه القتل^٤.

١٦ الامام الصادق «ع» - عن ابن بكير قال: بلغ ابا عبد الله «ع» عن رجل، أنه كان يأكل الربا، ويسميه اللبا. فقال: لئن أمكنتني الله منه لأضربن عنقه^٥.

١ - علل الشرايع ٢ / ٤٨٣ .

٢ - الوسائل ١٢ / ٤٣٠ .

٣ - الوسائل ١٢ / ٤٣٠ .

٤ - تفسير القمي ١ / ٩٣ .

٥ - الوسائل ١٢ / ٤٢٩ .

١٧ الامام الصادق «ع» - عن ابي بصير قال : قلت : آكلُ الرّبا بعدَ البيّنة؟ قال :
يُؤدّبُ، فإن عادَ أدّب، فإن عادَ قُتِلَ^١.

* قال شيخُ الطّائفةِ الطّوسيّ، في تفسيرِ قوله تعالى : «فإن لم
تفعلوا فاذنوا بحربٍ من الله ورسوله ..»^٢ : «قال ابنُ عبّاسٍ وقُتادةُ
والرّبيع : من عاملَ بالرّبا استتابه الامامُ، فإن تابَ والآ قتله . وقال
البلخيّ، لو اجتمعَ اهلُ قريةٍ على اظهارِ المعاملةِ بالرّبا، لكان على
الامامِ محاربتهم، وان كانوا مُحَرَّمين له . ولو فعل الواحدُ بعدَ
الواحد - والاكثرُ منكرٌ لفعله - لم يُقتلِ الواحد، لكن يُقامُ عليه من
الحكم ما يستحقّه . وعندنا أنّه يُؤدّبُ الامامُ ثلاثَ مرّاتٍ بما يرتدّع
معه عن فعلٍ مثله، فإن عادَ رابعاً قتله»^٣.

وهذا من مواقفِ الاسلامِ الحاسمة، في حمايةِ المحرومين
والمظلومين الاقتصاديين والدّفاعِ عنهم .

يد - اوزار وعظائم

١٨ الامام الصادق «ع» - فيما روى عن الامام الباقر «ع» : إنّهُ أتىَ بأكلِ الرّبا
فاستتابه فتاب، ثم خلى سبيله، ثم قال : «يُستتابُ آكلُ الرّبا، كما يُستتابُ
من الشّرك»^٤.

١٩ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عبْدُ العَظيمِ بنُ عبْدِ اللّهِ الحَسَنِيُّ، عن الامام

١ - الوسائل ١٨ / ٥٨٠ .

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٧٩ .

٣ - النّبيان ٢ / ٣٦٧ .

٤ - الوسائل ١٨ / ٥٨١ .

ابي جعفر الثاني الجواد «ع»، عن ابيه الامام ابي الحسن علي بن موسى الرضا «ع»، عن ابيه الامام ابي ابراهيم موسى الكاظم «ع»: دخل عمرو بن عبيد على ابي عبدالله «ع»، فلما سلم وجلس تلا هذه الآية: «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ»^٢، ثم أمسك فقال ابو عبدالله «ع»: ما أسكتك؟ قال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل، فقال: نعم يا عمرو! اكبر الكبائر الإشراك بالله، يقول الله: «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^٣؛ وبعده الإياس من روح الله، لأن الله عز وجل يقول: «إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»^٤؛ ثم الأمن لمكر الله، لأن الله عز وجل يقول: «فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ»^٥.. وأكل الربا، لأن الله عز وجل يقول: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا، لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ»^٦..

٢٠ الامام الصادق «ع»: إن رسول الله «ص» قبل الجزية من اهل الذمة، على أن لا يأكلوا الربا، ولا يأكلوا لحم الخنزير، ولا ينيكحوا الاخوات ولا بنات الاخ ولا بنات الأخت؛ فمن فعل ذلك منهم برئت منه ذمة الله وذمة رسوله «ص»^٧..

يه - احوال عظيمة

- ١ - الظاهر أنه عمرو بن عبيد المعتزلي المعروف - كما في تعاليق «الكافي».
- ٢ - سورة النجم (٥٣): ٣٢.
- ٣ - سورة المائدة (٥): ٧٢؛ والآية في المصحف هكذا: «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ...».
- ٤ - سورة يوسف (١٢): ٨٧.
- ٥ - سورة الاعراف (٧): ٩٩.
- ٦ - الكافي ٢ / ٢٨٥ - ٢٨٦.
- ٧ - الوسائل ١١ / ٩٥.

٢١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق : لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، رَأَيْتُ اقْوَامًا يُرِيدُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ عِظَمِ بَطْنِهِ . فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرَائِيلُ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرَّبَا ١.

٢٢ النبي «ص» : لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ رَأَيْتُ رِجَالًا بَطُونُهُمْ كَالْبَيْوتِ، فِيهَا الْحَيَّاتُ، تُرَى مِنْ خَارِجِ بَطُونِهِمْ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرَائِيلُ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرَّبَا ٢.

يو - الربا يمحق الدين

٢٣ الامام الصادق «ع» - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : «يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ»، قِيلَ لِلصَّادِقِ «ع» : قَدْ نَرَى الرَّجُلَ يُرْبِي وَمَالُهُ يَكْثُرُ؟ فَقَالَ : يَمْحَقُ اللَّهُ دِينَهُ، وَإِنْ كَانَ مَالُهُ يَكْثُرُ ٣.

يز - الربا ظلم

٢٤ الامام الرضا «ع» : .. عِلَّةُ تَحْرِيمِ الرَّبَا .. لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ ٤.

يح - ذهاب المعروف

٢٥ الامام الباقر «ع» : إِنَّمَا حَرَّمَ اللَّهُ الرَّبَا لِثَلَاثٍ يَذْهَبُ الْمَعْرُوفُ ٥.

١ و ٢ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٩.

٣ - تفسير القمي ١ / ٩٣.

٤ - علل الشرائع / ٤٨٣.

٥ - علل الشرائع / ٤٨٣.

- ٢٦ الامام الصادق «ع»: إِنَّمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، الرَّبَا لِثَلَاثِ تَمَتَّنِعُوا عَنْ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ١.
- ٢٧ الامام الرضا «ع»: .. عَلَّةُ تَحْرِيمِ الرَّبَا بِالنَّسِيئَةِ لَعَلَّةَ ذَهَابِ الْمَعْرُوفِ .. وَتَرْكِهِمُ الْقَرْضَ وَالْفَرْضَ وَصَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ ٢.

بط - الربا هلاك فردي

- ٢٨ النبي «ص»: مَنْ أَكَلَ الرَّبَا مَلَأَ اللَّهُ بَطْنَهُ نَارَ جَهَنَّمَ بِقَدْرِ مَا أَكَلَ، فَإِنْ كَسَبَ مِنْهُ مَالًا لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ، وَلَمْ يَزَلْ فِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَمَلَأَتْكَتِهِ مَا دَامَ مَعَهُ قِيرَاطٌ ٣.

ك - الربا هلاك اجتماعي

- ٢٩ الامام علي «ع»: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَرِيَةٍ هَلَاكًا، ظَهَرَ فِيهِمُ الرَّبَا ٤.
- ٣٠ الامام الصادق «ع»: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ هَلَاكًا، ظَهَرَ فِيهِمُ الرَّبَا ٥.

١ و ٢ - علل الشرايع / ٤٨٢ - ٤٨٣ .

٣ - سفينة البحار / ١ / ٥٠٧ .

٤ - مجمع البيان / ٢ / ٣٩٠ .

٥ - الوسائل / ١٢ / ٤٢٧ .

نظرة الى الفصل

لقد استند الحديث في علة تحريم الربا، الى أنه يُوجبُ فسادَ الاموالِ وتلفها وفناءها، كما مرَّ نموذجُ منه في التعلیمِ الرضويّ (الحديث ١٢). وهذه التعابيرُ الثلاثةُ الواردةُ في الحديث: «فسادُ الاموالِ .. تلفُ الاموالِ .. وفناءُ الاموالِ»، تكشفُ عن واقعِ النظامِ الربويّ. ففسادُ الاموالِ وفناؤها وتلفها في المعاملاتِ الربويّةِ لا تنشأُ من فسادِ في الاستهلاكِ، او من الاسرافِ، او تضييعِ السلعةِ وما يرتبطُ بهذه الامور؛ وكذلك لا تنبعُ من جهةِ استهلاكِ المالِ في امرٍ محرّمٍ وشراءِ امتعةٍ فاسدةٍ ومُضرةٍ، بل المذكوراتُ إنّما تقعُ من جهةِ انحرافِ المالِ من موضعهِ الاصليّ، وتبدُّله الى محورٍ مستقلٍّ مفصولٍ عن العملِ والسعيِ والكسبِ الحلالِ.

نعم، إنّ المالَ في النظامِ الربويّ، يخرجُ من مداره القواميِّ وينزلقُ من كونه قواماً وقياماً لحياةِ الناسِ، ويتحوّلُ الى ما يعملُ على فسادِ المجتمعِ وهلاكه، ويؤدّي الى سقوطِ افرادٍ يأخذون الربا ويأكلونه، من مستوى سالمٍ مفيدٍ للآخرين. وكما أنّ الغصبَ والسَّرقةَ يُتلفُ اموالُ الناسِ، فإنّ الربا ايضاً يُتلفُ الاموالَ بصورةٍ أُخرى ويبيدها ويخرجُها من ايدي الناسِ ويجعلُها دولةً بين آكلي الربا الظالمين.

وقد شجَبَ الاسلامُ فسادَ الاموالِ وتلفها بالربا، كما شجَبَ اتلافها باسبابٍ أُخرى. ففي هذا الضوء، يتضحُ أنّ شجَبَ افسادِ المالِ واتلافه، اصلُ رئيسيٌّ في مذهبِ الاسلامِ الاقتصاديّ. ويمكنُ أن يُعبَّرَ عن هذا الاصلِ في الاسلامِ بالطريقةِ التالية: «اصلُ شجَبِ كلِّ نظامٍ اقتصاديٍّ

نظرة الى الفصل الرابع عشر..

يُؤدِّي الى فسادِ الاموالِ وتَلَفِها». وهذا الاصلُ يُعَيِّنُ اتِّجاهَ الاسلامِ
الاقتصاديِّ ويفرِّزه من النُّظُمِ التَّكاثريَّةِ والرَّاسماليَّةِ التي لا تَتَحَرَّجُ من
افسادِ اموالِ الجماهيرِ واتلافِها.

الفصل الخامس عشر

الاحتكار

الكتاب

١ .. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَبَشِّرْهُمْ
بعذابٍ أليمٍ*

الحديث

أ - احتكار الاموال

١ النبي «ص»: أُمِّي فِي الدُّنْيَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَطْبَاقٍ .. وَأَمَّا الطَّبَقُ الثَّلَاثُ، فَإِنَّهُمْ
يُحِبُّونَ جَمَعَ الْمَالِ مِمَّا حَلَّ وَحُرِّمَ، وَمَنْعَهُ مِمَّا افْتَرَضَ وَوَجَبَ . إِنْ أَنْفَقُوهُ
أَنْفَقُوا اسْرَافًا وَبِدَارًا، وَإِنْ أَمْسَكُوهُ أَمْسَكُوا بُخْلًا وَاحْتِكَارًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ
مَلَكَتِ الدُّنْيَا زِمَامَ قُلُوبِهِمْ، حَتَّى أَوْرَدَتْهُمْ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ.^٢

١ - سورة التوبة (٩) : ٣٤ .

٢ - البحار ١٠٣ / ٢٣ - ٢٤ : عدة الداعي / ٩٢ - ٩٣ . مع اختلافٍ يسير .

ب - احتكار الارزاق

٢ النبي «ص»: الاحتكارُ في عشرة: البُرُّ والشَّعِيرُ والتَّمْرُ والزَّيْبُ والذُّرَّةُ والسَّمْنُ والعَسَلُ والجُبْنُ والجوزِ والزيت. ١.

* راجع لتعميم «الاحتكار»، وأنَّ المذكورَ في الاحاديثِ كان كقضية خارجية لا حقيقية، وكان كذكر المثل له: النظرة الى الفصل.

ج - الاحتكار وإضراره بدين المحتكر

٣ النبي «ص»: من جمع طعاماً يترَبَّصُ به الغلاءَ اربعينَ يوماً، فقد برئَ من الله وبرئَ الله منه. ٢.

د - الاحتكار وإضراره بدنيا المحتكر

٤ الامام علي «ع»: الاحتكارُ داعيةُ الحرمان. ٣.

٥ الامام علي «ع»: المحتكرُ محرومٌ (من) نعمته. ٤.

٦ الامام الصادق «ع»: كلُّ حُكْرَةٍ تُضُرُّ بالناسِ وتُغْلِي السُّعْرَ عليهم، فلاخيرَ فيها. ٥.

١ - سفينة البحار ١ / ٢٩١.

٢ - سفينة البحار ١ / ٢٩١.

٣ - غرر الحكم / ١٥.

٤ - غرر الحكم / ٣١.

٥ - دعائم الاسلام ٢ / ٣٥.

هـ - الاحتكار وإضراره بالمجتمع

٧ الامام علي «ع»: .. وذلك (احتكار المنافع، السلع، البضائع)، باب مضرّة للعامة^١.

و - الاحتكار وإضراره بالحكم

٨ الامام علي «ع» - في العهد الأشرقي: .. وذلك (الاحتكار) .. عيب على الولاية^٢.

ز - الاحتكار خطأ، دناءة، رذيلة و شرارة

٩ النبي «ص»: لا يحتكر الطعام الآ خاطيء^٣.

١٠ الامام الباقر «ع» - فيما رواه الامام الصادق: لا يحتكر الطعام الآ خاطيء^٤.

١١ الامام علي «ع»: من طبائع الأغمار، إتعاب النفوس في الاحتكار^٥.

١٢ الامام علي «ع»: الاحتكار رذيلة^٦.

١٣ الامام علي «ع»: الاحتكار شيم الأشرار^٧.

١ و ٢ - نهج البلاغة / ١٠١٧ - ١٠١٨: عبده ٣ / ١١٠ - ١١١.

٣ - الاستبصار ٣ (القسم الأول) / ١١٤.

٤ - الوسائل ١٢ / ٣١٥.

٥ - غرر الحكم / ٣٠٤.

٦ - غرر الحكم / ١٣.

٧ - غرر الحكم / ٢١.

ح - الاحتكار فجور

١٤ الامام علي «ع»: الاحتكارُ شيمةُ الفجار^١.

ط - المحتكر آثم

١٥ الامام علي «ع»: المُحتكرُ آثمٌ عاصٍ^٢.

ي - المحتكر ملعون

١٦ النبي «ص»: المحتكرُ ملعون^٣.

١٧ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: .. الجالبُ مرزوق، والمحتكرُ ملعون^٤.

١٨ الامام الصادق «ع»: الحُكْرَةُ في الخِصْبِ اربعون يوماً، وفي الشِدَّةِ والبلاءِ ثلاثة ايام؛ فمازاد على الاربعين يوماً في الخِصْبِ فصاحبه ملعون، ومازاد على ثلاثة ايامٍ في العُسرةِ فصاحبه ملعون^٥.

* قال صاحبُ «الوسائل»: «هذا التَّحْدِيدُ محمولٌ على عدم

حصولِ الضَّرورةِ في اقلِّ من المَدَّةِ المذكورةِ...»^٦.

١ - غرر الحكم / ١٧.

٢ - دعائم الاسلام / ٢ / ٣٥.

٣ - سفينة البحار / ١ / ٢٩١.

٤ - الوسائل / ١٢ / ٣١٣.

٥ و ٦ - الوسائل / ١٢ / ٣١٢ - ٣١٣.

فالزَّمانُ المذكور (من اربعين يوماً في الخصب، وثلاثة ايام في العسرة) لاموضوعية له، وإنَّ الملاك حصول الضيق وصدق الاحتكار. «يشكل الالتزام بموضوعية الاربعين والثلاثة شرعاً، ولو بنحو الامارة الشرعية المجعولة. بل الظاهر أنَّ التَّحديدَ بهما كان بلحاظِ الاعمِّ الاغلب، فإنَّ الانسانَ ولو في الشدَّةِ يَتَمَكَّنُ غالباً من تهيئة القوتِ لثلاثة ايام، فلا يصدق الاحتكارُ المضرُّ الا بعد هذه المدة، كما أنَّه لو تحقَّقَ حبسُ الاقواتِ اربعين يوماً فلامحالة يتحقَّقُ الضيقُ والغلاءُ للاكثرِ ولو في حالِ الخصب؛ فالملاكُ في الاحتكارِ المحرَّمِ هو وقوعُ الناسِ بسببه في الضيقِ والشدَّةِ. قال الشَّهيدُ في شرح اللُّمعة: «ولا يُتَقَيَّدُ بثلاثة ايامٍ في الغلاءِ واربعين في الرُّخص، وما روي من التَّحديدِ بذلك محمولٌ على حصولِ الحاجةِ في ذلك الوقتِ لانه مظنتها»^١.

يا - المحتكر شرٌّ من السارق

١٩ النبي «ص» - فيما رواه الامام الكاظم: .. لئن يلقى الله العبد سارقاً أحبُّ الي من أن يلقاه قد احتكر طعاماً اربعين يوماً^٢.

يب - التجار والاحتكار

٢٠ الامام علي «ع»: إنَّ في كثيرٍ منهم (التجار والمستوردين واهل الكسب)، ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع^٣.

١ - الاحتكار والتسعير / ٢٨ - ٢٩: الروضة البهية ٣ / ٢٩٩.

٢ - معاني الاخبار / ١ / ١٤٨.

٣ - نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠.

يج - المنع من الاحتكار

- ٢١ النبي «ص» - فيما رواه الامام امير المؤمنين في عهده للاشتير النخعي : ..
فَأَمَّنَعُ مِنَ الْاِحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» مَنَعَ مِنْهُ ١.
- ٢٢ الامام علي «ع» : كُنْ مُؤَثِّرًا وَلَا تَكُنْ مُحْتَكِرًا ٢.
- ٢٣ الامام علي «ع» - نهى امير المؤمنين «ع» عن الحُكْرَةِ في الامصار ٣.

* هذا ما رواه شيخنا الصدوق في «الفقيه» و«إسنادُ النهي»
الى امير المؤمنين «ع» بنحو البت والجزم، يدلُّ على ثبوت الرواية
عند الصدوق . اذ فرق بين هذا التعبير وبين أن يقول مثلاً : «رُويَ
عن امير المؤمنين» وظاهر النهي - مادةً وصيغةً - هو الحرمة ٤.

- ٢٤ الامام علي «ع» - كان ينهى عن الحُكْرَةِ في الامصار ٥.
- ٢٥ الامام علي «ع» - فيما كتبه الى رفاعه بن شداد البجلي، قاضيه على
الأهواز: إِنَّهُ عَنِ الْحُكْرَةِ، فَمَنْ رَكِبَ النَّهْيَ فَأَوْجَعَهُ، ثُمَّ عَاقِبَهُ بِأَظْهَارِ مَا
اِحْتَكَرَ ٦.

يد - لا كفارة للاحتكار

-
- ١ - نهج البلاغة / ١٠١٧: عبده ٣ / ١١٠ .
٢ - غرر الحكم / ٢٤٥ .
٣ - الوسائل ١٢ / ٣١٤ .
٤ - الاحتكار والتسعير / ٢١ .
٥ - سفينة البحار ١ / ٢٩١ .
٦ - دعائم الاسلام ٢ / ٣٦ .

٢٦ النبي «ص» - فيما رواه الامام الباقر: أَيُّمَا رَجُلٍ اشْتَرَى طَعَامًا فَكَبَسَهُ
أَرْبَعِينَ صَبَاحًا يُرِيدُ بِهِ غَلَاءَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ بَاعَهُ فَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهِ، لَمْ يَكُنْ
كَفَّارَةً لِمَا صَنَعَ.^١

يه - عذاب المحتكرين

١ - عقوبتهم في الدنيا .

أ - بما يُناسبُ فعلهم

٢٧ الامام علي «ع» - في العهد الاثتري : .. فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ أَيَّاهُ،
فَنَكَّلَ بِهِ، وَعَاقِبُهُ فِي غَيْرِ اسْرَافٍ.^٢

* وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَعَاقِبَةَ الْمُحْتَكِرِينَ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْإِزْمَنِ
وَالْإِمْكِنَةِ وَالْبِيئَاتِ وَالظُّرُوفِ، فَعَقُوبَتُهُمْ فِي حَالِ الْحَرْبِ تَخْتَلِفُ
عَنْهَا فِي حَالِ السَّلْمِ، وَهِيَ فِي عَهْدِ الثَّوْرَةِ تَخْتَلِفُ عَمَّا يَقَعُ فِي
غَيْرِهِ .

٢٨ الامام علي «ع» : .. فَمَنْ رَكِبَ النَّهْيَ (عَنِ الْحُكْرَةِ) فَأَوْجَعَهُ ..^٣

ب - باظهار ما يحتكرون

١ - الوسائل ١٢ / ٣١٤ .

٢ - نهج البلاغة / ١٠١٧ - ١٠١٨؛ عبده ٣ / ١١١ .

٣ - دعائم الاسلام ٢ / ٣٦ .

٢٩ الامام علي «ع» - فيما كتبه الى قاضي الاهواز: .. ثم عاقبه (المحتكر) باظهار ما احتكر.^١

ج - باحراق اموالهم وابدانها

* روى ابن حزم في «المحلّي» بسنده عن ابي الحكم: «ان علي بن ابي طالب «ع» احرق طعاماً احتكر بمئة الف». وروى عن حبيش قال: «أحرق لي علي بن ابي طالب «ع» بيادراً بالسواد كنت احتكرتها، لو تركها لربحت فيها مثل عطاء الكوفة»^٢.
والظاهر ان الاحراق وقع بعدما اضر الاحتكار الناس، وخرج ما احتكر عن مظان استفادة المجتمع.

٢ - عذابهم في الآخرة

٣٠ النبي «ص» - مما قال له جبرئيل: «اطلعت في النار، فرأيت وادياً في جهنم يغلي، فقلت: يا مالك لمن هذا؟ فقال: لثلاثة: المحتكرين، والمؤمنين الخمر، والقوادين»^٣.

تذييل

مسؤولية الحكم الاسلامي بالنسبة الى المحتكرين وعرض اموالهم على الناس واجبارهم على البيع

١ - دعائم الاسلام ٢ / ٣٦.

٢ - المحلّي ٦ / ٦٥: الاحتكار والتسمير / ٢٦.

٣ - الوسائل ١٢ / ٣١٤ - ٣١٥.

الكتاب

- ١ .. إَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ..^١
- ٢ .. وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ، أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ..^٢

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام امير المؤمنين : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» مَرَّ بِالْمُحْتَكِرِينَ، فَأَمَرَ بِحُكْرَتِهِمْ أَنْ تُخْرَجَ إِلَى بَطُونِ الْأَسْوَاقِ، وَحَيْثُ تَنْظُرُ الْأَبْصَارُ إِلَيْهَا.^٣
- ٢ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق : نَفَدَ الطَّعَامُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ «ص»، فَأَتَاهُ الْمُسْلِمُونَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَدْ نَفَدَ الطَّعَامُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَ فُلَانٍ، فَمُرْهُ بِبَيْعِهِ النَّاسَ . قَالَ : فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : «يَا فُلَانُ ! إِنَّ الْمُسْلِمِينَ ذَكَرُوا أَنَّ الطَّعَامَ قَدْ نَفَدَ الْأَشْيَاءُ عِنْدَكَ، فَأَخْرِجْهُ وَبِيعْهُ كَيْفَ شِئْتَ وَلَا تَحْبِسْهُ».^٤
- ٣ الامام علي «ع» - فيما كتبه الى قاضي الاهواز : .. ثُمَّ عَاقِبَهُ بِأَظْهَارِ مَا احْتَكَرَ.^٥

١ - سورة المائدة (٥) : ٨.

٢ - سورة النساء (٤) : ٥٨.

٣ - التهذيب ٧ / ١٦١.

٤ - الكافي ٥ / ١٦٤.

٥ - دعائم الاسلام ٢ / ٣٦.

القات نظر

إن اجبارَ المحتكرِ على البيعِ امرٌ جاء في الاخبارِ و تفتضيه الملاكاتُ الشرعيَّةُ والعقليَّةُ (من الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والاخلاقيَّة والانسانيَّة وما اليها). ولقد أفتى به اكابرُ الفقهاء، امثال :

- الشيخ المفيد، في «المقنعة» (/ ٩٦) :

- الشيخ الطوسي، في «النهاية» (/ ٣٧٤) و«المبسوط» (٢ /

(١٩٥)؛

- الشيخ تقي الدين ابي الصلاح الحلبي، في «الكافي» (/ ٣٦٠)؛

- ابن حمزة الطوسي المشهدي، في «الوسيلة» (الجوامعُ

الفقهية / ٧٠٩)؛

- ابن ادريس الحلبي، في «السرائر» (/ ٢١٢)؛

- المحقق الحلبي، في «الشرائع» (٢ / ٢١) و«المختصرُ

النافع» (/ ١٢٠)؛

- العلامة الحلبي؛ في «القواعد» (١ / ١٢٢)؛

الشهيد الاول، في «الدروس» (/ ٣٣٢)؛

- الشيخ يوسف البحراني، في «الحدائق» (١٨ / ٦٤)؛

- الشيخ محمد حسن الاصفهاني، في «الجواهر» (٢٢ /

(٤٨٥)؛

والشيخ مرتضى الانصاري، في «المكاسب» (٢١٣).

حيث قال: «الظاهرُ عدمُ الخلاف - كما قيل - في اجبارِ المحتكرِ على البيع - حتى على القولِ بالكراهة - بل عن المهذبِ البارعِ الاجماع، وعن التنقيح - كما في الحدائق - عدمُ الخلافِ فيه . وهو الدليلُ المُخرجُ عن قاعدةِ عدمِ الاجبارِ لغيرِ الواجب .

ولذا ذكرنا أنّ ظاهر أدلّة الاجبار تدلُّ على التّحريم، لأنّ الزام غير اللازم خلاف القاعدة^١.

تتميمان

١- تعيين موضوعات الاحتكار

الكتاب

- ١ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط، إن الله يحبّ المقسطين *^٢
- ٢ وأن احكم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم ..^٣

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما كتب لعتاب بن أسيد عهداً على مكة : .. وقد قلّد رسول الله، عتاب بن أسيد، احكامكم ومصالحكم .. وتقويم أودٍ مضطربكم ..^٤
- ٢ النبي «ص» - فيما كتبه لمعاذ بن جبل، لما بعثه الى اليمن : .. وعليك

١ - الاحتكار والتسعير / ٥٤ - ٥٦ .

٢ و ٣ - سورة المائدة (٥) : ٤٢ و ٤٩ .

٤ - البحار ٢١ / ١٢٢ - ١٢٣ ، عن «تفسير الامام العسكري» .

بالرفق والعفو، في غير تركٍ للحقّ ..^١

٣ الامام علي «ع» - في العهد الأشتريّ : .. وليكن أحبُّ الامورِ اليك، اوسطها في الحقّ، واعمّها في العدل، واجمعها لرضا الرعيّة ..^٢

* إن فلسفة التمسك بالآيات والاحاديث المذكورة وامثالها في امثالِ المقامِ لاحبة؛ وذلك لأنّ الحكمَ بالقسطِ وبما أنزلَ اللهُ في كتابه - حيث أمرَ بالعدلِ والاحسانِ واقامةِ القسطِ ونهى عن الظلم - وكذلك رعايةُ مصالحِ الجماهير، وتقويمُ أودمًا اضطربَ من معاشيهم، والاجتنابُ عن تركِ الحقّ، واقرارُ ماهو الاوسطُ في الحقّ والاعمُّ في العدلِ والاجمعُ لرضا الناس، كلُّ ذلك يقتضي أن يهتمَّ الحكمُ الاسلاميُّ بامورِ الناسِ وصلاتهم في المعيشة والحياة، حتى لا يُظلمَ مسلمٌ او معاهد؛ فمن واجبه أن يقومَ بنصرتهم حينما يُظلمون، اذ لا ينتصرُ المظلومُ بلاناصر - على حدِّ قولِ مولانا امير المؤمنين «ع»^٣

فلا يسعُ الحكمَ أن يدعَ قطاعاتِ الناسِ اسيرةً في ايدي طواغيتِ الثروة والمال، من المحتكرين الظالمين ومن اليهم، لأنَّ يُعاملوها على ما يشاؤون . فعليه أن يمنعَ من الاحتكارِ بشكلٍ حاسم، وأن يُخرجَ حُكرايتهم الى بطونِ الاسواقِ ومُتسوّنين الشوارع، وأن يُجبرَهم على البيع، وأن يُعيّنَ الموضوعاتِ التي تحتاجُ اليها النفوس، في كلِّ عصرٍ ومصرٍ وبيئةٍ وبلدٍ على حسبها . نعم، إنَّ تعيينَ موضوعاتِ الاحتكارِ امرٌ راجعٌ الى والي

١ - تحف العقول / ٢٥ .

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٦؛ عبده ٣ / ٩٥ - ٩٦ .

٣ - غرر الحكم / ٣٤٩ .

المسلمين والحكم الاسلامي، اذ المذكور في الاخبار لم يرد به حكم فقهي، حيث ان الحكم الفقهي هو ما يشمل جميع الازمنة والامكنة والظروف . والحصر الوارد ليس كذلك، وهو واضح. فالحق في هذا الموضوع الحياتي الهام (الاقتصادي، المعيشي، الاداري، الاجتماعي، السياسي ..)، مع الفقهاء الذين يرون الامر على واقعه في المسألة، حيث يقول احدهم:

«ان الحصر في الروايات الحاصرة لم يكن حكماً فقهيّاً كليّاً لجميع الازمنة والظروف، بل حكماً ولائياً لعصرٍ خاصٍّ ومكانٍ خاصٍّ، فيكون تعيين الموضوع من شؤون الحاكم بحسب ما يراه من احتياجات الناس في عصره ومجال حكمه».

«والمناسب للشيعة السّمة السهلة المشرعة لجميع الاعصار والظروف، ان يُشرع فيها الكليات القابلة للانطباق في كل عصر ومكان، ويُفوض تعيين الموضوعات الجزئية لها الى الحكام والولاة، نظير ما احتملناه في باب الزكاة، من ان المشرع في الكتاب الكريم كان اصل وجوب الزكاة واخذ الصدقات من اموال الناس؛ وتعيين الموضوع لها فوض الى الولاة والحكام على حسب تشخيصهم للثروات العمومية . وتعيين الموضوعات التسعة من قبل النبي «ص» كان حكماً ولائياً صدر عنه بما انه كان والياً على المسلمين في عصره»، وكان عمدة ثروة العرب الموضوعات التسعة، كما ربما يشعر بذلك بعض التعبيرات الواردة في الروايات، كقوله «ع»: «وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» الزَّكَاةَ عَلَى تِسْعَةِ اشْيَاءٍ وَعَفَى عَمَّا سِوَى ذَلِكَ».. ومما يشهد لكون امر الحكرة والنهي عنها من شؤون الولاة والحكام، امر امير المؤمنين «ع» مالكا ورفاعة بالنهي عن الحكرة ومعاقبة من تخلف، بل امر رسول الله «ص»

بالاخراج والبيع في خبر حذيفة،^١ فتدبر^٢.

٢- التفسير

الكتاب

- ١ .. وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ..^٣
- ٢ .. فَلَاتَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ..^٤
- ٣ .. هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؟ *^٥

الحديث

- ١ النبي «ص» - في ذكرُموا صفاتٍ من يصلحُ للامامةِ والحكم : .. وحسنُ الولايةِ على من يلي، حتى يكونَ لهم كالوالدِ الرَّحيمِ .^٦ (وفي روايةٍ اخرى : حتى يكونَ للرعيةِ كالابِ الرَّحيمِ).^٧

١ - راجع : الحديث ٢، في تذييلِ الفصل .

٢ - الاحتكار والتفسير / ٤٧ - ٤٨ .

٣ - سورة المائدة (٥) : ٢ .

٤ - سورة النساء (٤) : ١٣٥ .

٥ - سورة النحل (١٦) : ٧٦ .

٦ و ٧ - الكافي ١ / ٤٠٧ .

٢ الامام علي «ع» - في العهد الأشتري : .. وَلِيَكُنَّ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَاسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ، مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ ..^١

* هذا تدليلٌ صريحٌ على التسعير عند الاجحاف . وهو حكم أولي - كما لا يخفى - فالذين يمنعون التسعير مطلقا، لا يفهمون واقع الاسلام، ولا يتبعون سيرة علي «ع» . وهو اتجاهٌ يرجح الكفة لحساب الطواغيت الاقتصادية والذئاب الممتصين .

٣ الامام علي «ع» - من العهد : .. وَتَفَقَّدَ امْرَءًا لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ، مَمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ .. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ ..^٢

* إِنَّ مَسْأَلَةَ «التَّسْعِيرِ» لَا تُطْرَحُ إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ تَضَخُّمٌ وَاجْحَافٌ، وَاحْتِكَارٌ لِلْمَنَافِعِ وَالْحَاجِيَّاتِ، وَاسْتِبْدَادٌ وَتَحَكُّمٌ فِي الْبَيْعِ، لَا فِي الْأَحْوَالِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْأَسْعَارِ الْعَادِيَّةِ، أَوِ الْغَلَاءِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي يَسْنَحُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ لَمَّا يَبْدُو مِنْ أَحْوَالٍ وَعِلَلٍ، مِمَّا لَا يَنْبَغُ مِنْ مَقَاصِدِ اسْتِغْلَالِيَّةٍ وَلَا يُؤَدِّي إِلَى اجْحَافٍ أَوْ ظَلَمٍ (وهذه الحالة هي مصب أخبار المنع).

وعندئذ فالذين يحتاطون في أمر التسعير وتسويغه - مع ما ورد بصدد مواصفات التجار والبائعين^٣ - كيف يفهمون الاسلام؟ وكيف يقرأون القرآن وآياته الآمرة بالعدل والقسط، والنهية عن الظلم

١ و ٢ - نهج البلاغة / ١٠١٧ - ١٠١٩؛ عبده ٣ / ١١٠ - ١١٢.

٣ - راجع: الفصل ١٣، من هذا الباب، فقرة «ي»، وبعض فقر هذا الفصل، والفصل ٨، من

الباب ١١.

الفصل الخامس عشر: الاحتكار

والعدوان والتعاون عليه؟ وكيف يدعون القِطاعاتِ ممتصةً، مجحفاً بها، اسيرةً في مخالِبِ المُسَعِّرِينَ الذَّنابِ لكي يُعاملوهم بما تشاء لهم الميول وتبعثهم عليه الدُّخول؟ ومع ذلك يعتقدون أنَّ الاسلام يدافع عن المحرومين والمظلومين والمستضعفين؟ كيف يجمع هؤلاء المحتاطون بين هذه المتضادات؟

إنَّ الحاكمَ المسلمَ الَّذِي يراه النبيُّ «ص» والداً رحيماً بالرعيَّةِ كيف يسعه أن يتركها تُظلمُ ظلماً وتُنهبُ أموالها في الاسواقِ وتُرَضُّ عظامها تحت نيرِ التَّضخُّمِ والغلاء؟

إنَّ البيعَ السَّمَحَ الَّذِي يوصي به اميرُ المؤمنين «ع» ويدعو الى أن يكونَ بموازينِ عدلٍ واسعارٍ لا تُجحفُ بالفريقين، كيف يتجسَّدُ مع التَّسعيرِ الحُرِّ، عند التَّضخُّمِ والحِصارِ الاقتصاديِّ والغلاءِ المفروض؟

وما هي تلك الشَّدائدُ والمصائبُ التي يُعانيها اولئك المنسيون الَّذين تفتَحُهمُ العيون وتَحقرُهمُ الرِّجال، من الَّذين هم احوجُّ الى الانصافِ من غيرهم، ويا لله لهؤلاءِ المظلومين المعذَّبين ومعيشتهم الضَّنكُ في جحيمِ التَّضخُّمِ والغلاءِ والاقلاق؟! وكيف يُدركُ حالهم من لا يمرُّ عليه يومٌ من ايامهم؟!

اكلُ هذه عدلٌ واسلامٌ وانصافٌ؟ اكلُ هذه تحكيمُ القرآنِ على الحياةِ وصلاتها، واتِّباعُ سيرةِ النبيِّ «ص» واوصيائه «ع»؟ كيف يكونُ ذلك؟ وكيف يقومُ النَّاسُ بالقسطِ، وترسُنُ قواعدُ العدلِ، وتُصانُ حقوقُ المستضعفين، مع التَّسعيرِ الحُرِّ والتَّضخُّمِ وما اليهما؟ ومع الامتلاكِ اللامحدود؟ ومع الاهمالِ في التوزيعِ وعدمِ الرِّقابةِ

١- انَّ كلامَ امير المؤمنين «ع» هذا، في العهدِ الاشترقي، صريحٌ في لزومِ التَّسعيرِ والرِّقابةِ عليه، عند الاجحافِ. ولقد صدر عنه في «مقام البيان».

على الاسواق؟ ومع عدم حذف الوُسطاءِ والمُتلقين او تقليلهم؟
نعم، إنَّ استلال آياتٍ من الكتابِ وجعلها فقهيةً، ونسيانَ
البقية في مقامِ التفقهِ والاستنباطِ والافتاءِ، لَمَّا يُؤدِّي الى امثالِ
هذه الاتِّجاهاتِ!

نعم، إنَّ عدمَ مقاطعةِ الاغنياءِ بل مخالطتهم، وعدمَ
مصاحبةِ الفقراءِ بل مجانبتهم وعدمِ الوقوفِ على آلامهم القاسية،
لَمَّا يُؤدِّي الى امثالِ هذه الاتِّجاهاتِ!

نعم، إنَّ السِّدْجَةَ الفكريةَ والانخداعَ بحيلِ الاغنياءِ وفراغنةِ
المالِ وقبولَ ما يُلصقون من الاتِّهاماتِ الواهيةِ بدعاةِ العدلِ،
لَمَّا يُؤدِّي الى هذه الاتِّجاهاتِ!

إنَّ القرآنَ الكريمَ، انما يُبنى به الفردُ ويصنَعُ به المجتمعَ، اذا
استُفيدَ من كَلِّه منظوماً وبشكلٍ مجموعيٍّ، لا بصورةِ هداياتٍ
مُبَعَثَةٍ. إنَّ شأنَ القرآنِ هو هدايةُ الفردِ وبناءِ المجتمعِ الانسانيِّ لا
غيرَ، فما هو يسرُّ القِصصَ ويوردُ التاريخَ الاً لذلكِ الشَّانِ. فلو
كانتِ خمسُ مئةِ آيةٍ منه كافيةً لذلكِ المقصدِ الهامِّ العظيمِ، ليُصبحَ
تنزيلُ البقيةِ الباقيةِ لغواً، معَ انه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ. وما من آيةٍ
من آياته الاً وفيها هدايةٌ خاصَّةٌ او عامَّةٌ ذاتُ صلةٍ جذريةٍ تنظيميةٍ
بالآياتِ الأخرى وما فيها من الهداياتِ. فكلُّ ما في القرآنِ جزءٌ
رئيسيٌّ من اجزاءِ رسالتهِ الكريمةِ الخالدةِ، وهدايتهِ العامةِ الشَّاملةِ،
وادواته المتوفرةِ اللازمةِ لبناءِ الافرادِ والمجتمعاتِ.

وإنَّ لآياتِ العدالةِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والقسطِ، وآياتِ
شجبِ التَّكاثُرِ والترفِ والاسرافِ وجمعِ المالِ الكثيرِ، وآياتِ
رفضِ ظلمِ النَّاسِ بعضهم بعضاً وردعِ الإثمِ والعدوانِ والتَّعاونِ
عليه، شأناً من ذلكِ الشَّانِ العظيمِ. فهي لا بدَّ من أن لا تكونَ منسيَّةً

الفصل الخامس عشر: الاحتكار

في كلِّ رأيٍ او فقاهاةٍ او افتاء، بل لا بدَّ من ان تكون مقياساً رئيسياً للكلِّ عند الكلِّ - كما اشرنا اليه ايضاً - وبذلك يقومُ عمودُ الحقِّ، وتتجلَّى عظمةُ الصَّلاة، وتتجسَّدُ امثلةُ العدلِ في جليلِ الامورِ وحقيرِها وصغيرِها وكبيرِها، لا بغيره .

وهذا هو الامرُ المصيريُّ الهامُّ، الذي يجبُ ان يتبنَّاه علماءُ المسلمين، في هذه الازمان، تبنياً لامحيدَ عنه .

وبعدَ هذا الإشارةِ اللازمةِ نرجعُ إلى بقيةِ الكلامِ عن التسعيرِ، فنقولُ : إنه من المسائلِ المهمَّةِ الاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ والإداريَّةِ للنَّاسِ، بل الأخلاقيَّةِ والسَّياسيةِ والدَّفاعيَّةِ ايضاً؛ ولا سيَّما في أوقاتٍ خاصَّة. وللتسعيرِ - في هذه الأسواقِ - دورٌ كبيرٌ في إقامةِ القسطِ وصيانةِ الحقوقِ .. خصوصاً مع ما جاء في الاحاديثِ من وصفِ التَّجَّارِ والمستوردين والبائعين بالخيانةِ والفجورِ (الآ المتقين منهم)، وما ورد في نفي الضررِ وخفضِ الرِّبحِ والسَّماحةِ في البيعِ، فعلى الفقاهاةِ الاسلاميَّةِ ان تتخذَ في هذا الامرِ الحياتيِّ العظيمِ (الذي يمتُّ الى «اصلِ قواميَّةِ المالِ» في المجتمعِ الاسلاميِّ بوشيحِ صلة، وله دوره الحاسمُ في تقوِّمِ الأُمَّةِ والكيانِ الاسلاميِّ)، موقفاً حاسماً، مقاطعاً للمستكبرين الاقتصاديين وجيْلهم، موقفاً يواكبُ روحَ التَّعاليمِ القرآنيَّةِ، الأمرِ باقامةِ القسطِ، النَّاهيةِ عن معاونةِ الجورِ، موقفاً يرضي اللهَ والرَّسولَ «ص»، في حينِ كونه حافزاً قوياً على صنعِ مجتمعٍ اسلاميٍّ لا يُظلمُ فيه المضطهدون، واسواقٍ اسلاميَّةٍ لا تُصبحُ مُسترقَّ اموالِ الجماهيرِ .

وبذلك يُحتفظُ بحيثيَّةِ الحكمِ الاسلاميِّ، حيث لا يُتَّهمُ بالجنوحِ الى اصحابِ الثَّرواتِ وطواغيتِ التَّكاثرِ والاطرافِ، وبالضعفِ في الادارةِ الاقتصاديَّةِ والتنظيمِ المعيشيِّ للنَّاسِ،

وبعدم استطاعته لحماية القطاعات باقامة العدل فيها ودفع الجور عنها.

ولقد جَنَحَ عدَّةٌ من اعاظم الفقهاء الى التسعير، عند الاجحافِ بالثمن - وهو محلُّ القول - كما «في المقنعة، والوسيلة، والمختلف، والايضاح، والدروس، واللمعة، والمقتصر، والتنقيح، انه يُسَعَّرُ عليه إن أَجَحَفَ في الثمن، لما فيه من الإضرار المنفي»^١، ولان عدم التسعير في صورة التَّشَدُّدِ والاجحاف، يُضَادُّ رعاية العدل والقسط، فضلاً عن الاحسان الذي يأمر به القرآن .

ولقد افتى صاحبُ الجواهر بالتسعير - كما مرّ. وفي غير المذكورين ايضاً من افتى به مع الاجحاف، كالشَّهيد الثاني، في «المسالك»^٢ وفي «الرَّوضة»^٣ يُجوزُ ما في معناه ..

ولاهمية التسعير والرقابة على الاسعار، في البيئات التي لا يُراعي المستوردون والمُسعِّرون حدودَ العدل والانصاف ولا يلتزمون بما فرضه الاسلام عليهم، لسلامة الصّلاتِ الاقتصادية، ويعاملون النَّاسَ معاملةَ الذُّناب - كما ورد في الحديث - لقد أوردنا في الباب العاشر، من الكتاب، بحثاً عن «مجابهة الاحتكار والرقابة على الاسعار»، قبل سنين، فراجع .

ولقد وردت اخبارٌ تمنع التسعير، وبها افتى جمع . وهذه الاخبارُ يجبُ أن تُفهمَ بصورةً اجتهاديةً لائقة، على تفقّه واع . ولقد جاء في رسالة «الإحتكار والتسعير»، توضيحٌ وتبيينٌ تلك

١ - مفتاح الكرامة ٤ / ١٠٩؛ الإحتكار والتسعير / ٦٠.

٢ - المسالك ١ / ١٧٧؛

٣ - الرّوضة البهية ٣ / ٢٩٩؛ الإحتكار والتسعير / ٦٦.

الاخبار وتعيين مصبها ببحث ضاف، مع ايضاح السعيرين، الطبيعي العادي الذي تقتضيه الظروف والشروط الطبيعية، والعسوف الذي يخلقه الظلم والاجحاف من المالك، وخصوصاً بعد الحصار الاقتصادي، وفي ازمة الحروب والاحوال الخاصة، ولاغراض يبيتونها المستعمرون والغاشمون؛ فليراجعها القارئ الباحث عن الموضوع.

تذنيب

هناك امران يُحذران البعض من تسويغ التسعير. احدهما حرمة مال المؤمن^١ (فانها كحرمة دمه). ولعل اضافة المال الى «المؤمن» - كما ورد في الحديث^٢ - لا الى المالك، تُشعر بان المال الذي يؤكد الاسلام على قداسته، هو الذي يمتلكه المؤمن بوصفه مراعياً للحدود والحقوق الشرعية في البيع والشراء والاقتناء والامتلاك، مجتنباً عن الظلم والاجحاف والتضخيم وما الى ذلك، معتقداً في المال بانه قوام للناس، بلامكاثرة او ترف او اعتداء. والامر الثاني، التراضي. ومن الواضح ان هذا التراضي يجب ان يكون من الطرفين - كما يفيدُه صريح اللفظ - فكما يجب ان يكون

١ - ومما لا يقضى منه العجب، ان هذه الاحتياطات إنما تتم في الاغلب لحساب المستكبرين وعلى حساب المستضعفين. ولم نجد ان يحتاط محتاط القوم في اقامة العدل، وفي استرداد حقوق المحرومين والمفصولين، وفي توفية اجور العمال والكادحين، وفي اعانة من هو احوج الى الانصاف من غيره، وفي تحصيل رضا الله سبحانه ورضا الرسول «ص» بانعاش المضطهدين والمعذبين واخراج اموالهم وارزاقهم من حلقوم اولئك الجبابرة المتنعمين؟! غفرانك اللهم ربنا واليك المصير..

٢ - راجع: الفصل ٣، من الباب ١١.

البائع راضياً يجب أن يكون المبتاع ايضاً راضياً. وكما لا يجوز أن ينتقل المتاع الى المبتاع الا بصورة يرضاها المالك، كذلك لا يجوز أن ينتقل الثمن الى المالك الا بصورة يرضاها المبتاع. وفي احيان كثيرة لا يكون الامر كذلك، لاستبداد البائعين (وهم الذين فيهم ضيق فاحش، وشح مطاع، واحتكار للمنافع، وتحكم في البياعات)^١، وحاجة المبتاع واضطراره الى المتاع والسلعة، وعند ذلك يصير رضا المبتاع والمشتري منسياً عملاً. وهذا جانب هام، لا تصح ولا تسلم صلات الناس الاقتصادية الآبه، ولكن يغفله كثير من الفضلاء، فضلاً عن متعاطي البيوع، فيؤكدون على التراضي في القول، ويرجحون رضا المالك في العمل (وخصوصاً أن عدم رضا المشتري المحتاج الى السلعة غير معلن في اغلب الاحوال)، فيشتري المبتاع المتاع في حالة لا يدري ما يفعل به وعلي حساب في التسعير.

١ - نهج البلاغة / ١٠١٧: عبده ٣ / ١١٠.

نظرة الى الفصل

١ - جاء في كلام النبي «ص» (في التذييل) قوله: «بَعَهُ كَيْفَ شِئْتَ». وهذا الكلام يُدُلُّ على تسويغ البيعِ بآيةِ صورةٍ شاءها البائع، لا بآيٍ سِعْرِ شاء، للعموماتِ الدّاعيةِ الى اعطاءِ الحقِّ واخذه، وحذفِ الرّبحِ أو تخفيفه، والنّاهيةِ عن الظلمِ والاجحافِ والتّعدي عن الحدودِ وتضخيمِ الرّبحِ وما الى ذلك. وهناك لصاحبِ «الجواهر» كلامٌ يؤيدُ ما قلناه. واليك نصّه: «والاذنُ بالبيعِ كيف يشاء، محمولٌ على ما هو الغالبُ من عدمِ اقتراحِ المُجحف»^١.

٢ - جاء في عهدِ امير المؤمنين «ع» لمالكِ الأشرِ النّخعي، بحقِّ المحتكر: «فَنَكَّلْ بِهِ». قال اللّغويون: «نَكَّلَ بِهِ، صَنَعَ بِهِ صَنِيعاً يُحَدِّرُ غَيْرَهُ وَيَجْعَلُهُ عِبْرَةً لَهُ». وقال الرّاعِبُ الاصفهانيّ: «نَكَّلْتُ بِهِ: إِذَا فَعَلْتُ بِهِ مَا يُنَكِّلُ بِهِ غَيْرَهُ. وَاسْمُ ذَلِكَ الْفِعْلِ نَكَالٌ، قَالَ: "فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا"»^٢.

وهذا الحديثُ العلويُّ ممّا يُسْتَدَلُّ به على حرمةِ الإحتكار، و«تقريبُ الاستدلالِ أنّ امره «ع» بالتّنكيلِ والمعاقبة، دليلٌ واضحٌ على الحرمة، لعدمِ جوازِ العقوبةِ على المكَروه»^٣ - كما مرّ عن الشّيخِ الانصاريّ ايضاً.

١ - الجواهر ٢٢ / ٤٨٦.

٢ - المفردات / ٥٠٦.

٣ - الاحتمار والتسفير / ٢١.

٣ - والحق في امر «الاحتكار» مع القائلين بالتحريم والتعميم، أما الأول فللنهى عنه في الاخبار، ولأنه من مصاديق الظلم والتعدي المنهيين عنهما في القرآن؛^١ ولأن العقوبات الواردة بصدد الاحتكار والمحتكرين في الاخبار توجب الحرمة بل المرتبة الشديدة منها؛ ولحكم العقل ايضاً. وأما الثاني، فلأن ملاك ممنوعية الاحتكار - الذي ذكر في الاخبار - يعنى جميع ما يحتاج اليه الناس في المعيشة. ويدل على أن الشارع الحكيم إنما أراد أن يكون الناس في سعة. ويحكم بذلك العقل ايضاً. ولا يكون للزمان مدخلة فيه بعد ما حصل الضيق وصدق الاحتكار. وممن أفتى بالتعميم، من الفقهاء المتأخرين والمعاصرين، الشيخ محمد حسن النجفي في «الجواهر»^٢، والسيد ابوالحسن الاصفهاني، في «الوسيلة»، والشيخ مرتضى الحائري، في شرحها (ابتغاء الفضيلة).

٤ - ولقد كتب احد الفقهاء المعاصرين،^٣ رسالة في «الاحتكار والتسعير»، وجاء فيها بآراء قيمة وفاقهة متفتحة في المسألة، تنبئ عن طاقة فقهاءنا للتطور الحياتي المنشود، من غير أن نجنح الى غير «الادلة الاربعة»، ومن غير أن نعتزل اصول «الاجتهاد» الرئيسية وجوهريات الفقه الثابتة.

والفقيه المذكور يورد مسائل من المناسب أن نقضب منها مايلي:
أ - «إن مسألة احتكار الامتعة والسلع الضرورية وتسعيرها، من اهم مشاكل عصرنا الحاضر ومما بليت بها وبلوازمها وآثارها الحكومات الدارجة، بحيث ربما توشك بسببها على التزلزل والسقوط. وصارت

١- وفي بعض الاحيان يصبح من مصاديق خلق التوتّر في المجتمع الاسلامي، وتشويه سمعة الاسلام،

وتضعيف حكمه، وما الى ذلك. وحرمة هذه الامور واضحة.

٢ - وسيأتي كلامه.

٣ - وهو آية الله، الشيخ حسين علي المنتظري النجف آبادي.

النَّاحِيَةُ السِّيَاسِيَّةُ فِيهَا تَغْلِبُ عَلَى النَّاحِيَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْبَحْتَةُ ..».

ب - «لا يخفى أنَّ الاحتكارَ ليس امرأً مستحدثاً غيرَ معروفٍ في القرونِ السَّالفةِ، بل كان في جميعِ الاِصْصَارِ مشكلَةً اجتماعيَّةً كبيرةً، ولا سيَّما طوَالَ الحروبِ الواسعةِ النَّطاقِ، فأنه وليدُ الحرصِ والطَّمعِ المَجْبُولِ عليهما نوعُ الانسانِ .. وكلَّما اتَّسَعَتْ مجالاتُ التَّبادلِ التَّجَارِيِّ وتكاملت فنونها، كَثُرَتِ الحُكْرَةُ والحِصَارَاتُ الاِقتِصَادِيَّةُ وَسَرَتِ الى جميعِ ما يَحْتَاجُ اليه الانسانُ في نَفَقَاتِهِ وصناعاتِهِ وانتاجاتِهِ، فَعَمَّتِ شُرُورُهَا وكَثُرَتِ أَضْرَارُهَا».

ج - «وقد بلغت سَعَةُ مجالَاتِهَا في اعْصَارِنَا حدًّا صارت أكبرَ وسيلةٍ استعماريَّةٍ تستخدمُها الدُّولُ الكبرى المستكبرَةُ ضدَّ الدُّولِ والأُمَمِ المستضعفةِ، للضُّغطِ عليها والتسلُّطِ على سياستها وثقافتها وثرواتها. فيفرضُ على الرِّجالِ العقلاءِ الملتزمين - من العالمِ الثالثِ - أن يفكروا في حلِّ هذه المشكلَةِ الَّتِي بُلِيَتْ بها دولُهُم وامُّهم. ونقولُ اجمالاً إنَّ الوسيلةَ الوحيدةَ لذلك، هي التَّمسُّكُ بالاسلامِ وشرائعه وتوحيدُ الكلمةِ تحتِ لوائه، وقطعُ العلاقاتِ معِ الدُّولِ الكبرى الظَّالمةِ الآ بقدرِ الضَّرورةِ ..»

د - «وهو - بحسبِ المفهومِ - عامٌّ لكلِّ ما يَحْتَاجُ اليه النَّاسُ ويكونُ منهُم منه موجِباً للظلمِ والتَّنقُّصِ، فلا يَخْتَصُّ بالطَّعامِ. واذفانته اليه في الكلماتِ من بابِ المِثَالِ لكونِ الطَّعامِ من اظهرِ الحاجاتِ، هذا».

هـ - «والاحتكارُ يُضَيِّقُ على اهلِ البلادِ الكبيرةِ ايضاً، لأنَّ ما قاله البعضُ من "عدمِ تأثيرِ الاحتكارِ في البلادِ الكبيرةِ" إنما كان من جهةِ أَنَّهُ لم يكن يوجَدُ في تلكِ الاِصْصَارِ الشَّرَكَاتُ الواسعةُ والحِصَارَاتُ الاِقتِصَادِيَّةُ العظيمةُ الَّتِي ربما تَقْبِضُ باياديها وبرائنها الخبيثةِ جميعَ المنابعِ الماديَّةِ لمنطقةٍ كبيرةً، بل لمناطقَ كثيرةً، وتحكُمُ فيها بما تريد، وتستخدمُها للضُّغطِ

على الدولِ فضلاً عن الأمم - كما توجدُ في اعصارنا ..»
 و - «إنَّ تركَ النَّاسِ بلاطعامٍ ممَّا يحكُمُ العقلُ بقبحه . والحكمُ
 بجوازه بعيدٌ من مذاقِ الشَّرْعِ جدًّا .. وعرفت ايضاً أنَّ ظاهرَ الاخبارِ هو
 الحرمة، بل ظاهرٌ كثيرٌ منها التَّشديدُ فيها وكونه موجباً للدَّخولِ في النَّارِ
 وفي عرضِ المحرَّماتِ الكبيرةِ من قبيلِ الإدمانِ على الخمرِ والقيادةِ
 ونحوها . هذا مضافاً الى أنَّه لو لم يكن محرماً لم يكن وجهٌ لعقوبةِ فاعله
 واجباره على البيعِ من قبَلِ الحاكمِ . كيف؟ وهل يمكن القولُ برضا
 الشَّارعِ بعملٍ يوجبُ الضَّرَرَ والضَّيْقَ على النَّاسِ؟ فمن سببِ الحكمِ
 والموضوعِ ايضاً تقتضي القولُ بالحرمة . هذا».

ز - وبعد ايرادِ اخبارِ المسألة، وتقسيماً على خمسِ طوائف، وذكر
 ما يربو على اربعين حديثاً من مصادرِ الفريقين،^١ يقول بصدد الطائفةِ
 الخامسةِ من الاخبارِ، التي تدلُّ «على أنَّ الحُكْرَةَ المنهيةَ عنها انما هي
 في امورٍ خاصَّة»^٢: «هذه هي الاخبارُ الحاصرةُ للحُكْرَةَ المنهيةَ عنها في
 اشياءٍ خاصَّة . ولا يوجدُ في هذه الرواياتِ الخمسِ صحيحٌ اعلائيٌّ اصلاً،
 ولا يوجدُ في الكتبِ الاربعَةِ الا واحدةٌ منها . فمن حَصَرَ الحُجَّةَ بالصَّحيحِ
 الاعلائيِّ - كصاحبِ المعالمِ والمداركِ - يُشكِلُ له الاخذُ بها . ومن حَصَرَها
 على الكتبِ الاربعَةِ يُشكِلُ له الاخذُ بغيرِ خبرِ غياثِ (ابن ابراهيم). وكيف
 كان، بعد الاخذُ بهذه الرواياتِ فالَّذي تقتضيه الصَّنَاعَةُ الفقهيةُ في بادئِ
 الامرِ^٣ هو تحكيمُها على المطلقاتِ السابقةِ وحملِ المطلقاتِ السابقةِ

١ - وجاء فيما نقله عن «كنز العمال» (ج ٤، الحديث ٩٧٢١) قولُ النبيِّ «ص» هذا: «من تمنى على

أمّتي الغلاء ليلة واحدة، أحبط الله عمله اربعين سنة».

٢ - الاخبار الحاصرةُ خمسة، كما اشير اليه في المتن، وسندُ بعضها ضعيف لمكانِ ابي البخترى فيه .

٣ - هذا تقييدٌ حسنٌ جدًّا، لأنَّ تحكيمَ الاخبارِ الحاصرةِ (القليلة) على المطلقاتِ (الكثيرة) بلحنها

الحاسمِ الدامغ، والذهابُ الى تبنىِ الحصرِ، أمرٌ يعيلُ اليه النظرُ البدوي، لا النظرُ الاجتهاديُّ
 القويُّ الواعي، كما تبناه عدَّة من فقهاء الاصحاب، كشيخِ الطائفةِ الطوسي - حيث اضاف الملح
 مع أنه لم يرد ذكره في الاخبار - وصاحبِ «الجواهر»، والسيد ابي الحسن الاصفهاني، ومن اليهم .

عليها..»

ح - ثم يَعْمَدُ الى الاستدلالِ على التعميم: «الظَّاهِرُ أَنْ حَرَمَةَ
الاحتكار.. ليس حكماً تعبدياً بلاملاك، او بملاكٍ غيبِيٍّ لا يَعْرِفُهُ ابْنَاءُ نَوْعِ
الانسان . بل الملاكُ له - على ما هو المستفادُ من اخبارِ البابِ ايضاً - هو
حاجةُ النَّاسِ الى المتاعِ و ورودُ الضَّيْقِ و الضررِ عليهم من فقده؛ ففي
صحيحِ الحلبيِّ: "إن كان الطَّعامُ كثيراً يَسَعُ النَّاسَ فلا بأسَ به، وإن كان الطَّعامُ
قليلاً لا يسعُ النَّاسَ فإنه يكرهُ" أن يحتكرَ الطَّعامَ ويتركَ النَّاسَ ليس لهم
طعامٌ" ^١ يظهرُ من هذه الصَّحيحةِ علَّةُ الحكمِ وملاكه، وأنَّ نظرَ الشَّارعِ
الحكيمِ في تشريعِهِ الى كونِ النَّاسِ في سَعَةٍ، وأنَّ لا يُتْرَكُوا بلاطعامٍ
يتوقَّفُ عليه حياتُهُم. وفي ذيلِ صحيحتهِ الأخرى بنقلِ الكلينيِّ: "وسألتهُ
عن الزَّيْتِ فقال: إن كان عندَ غيرِكَ فلا بأسَ بامساكِهِ" ^٢ واتَّفقتِ
الرَّواياتُ والفتاوى في الزَّيْبِ، مع أنَّه كثيراً ما تكونُ حاجةُ النَّاسِ الى
كثيرٍ من الامتعةِ اكثرَ بمراتبٍ من حاجتِهِم الى الزَّيْبِ. وقد ذَكَرَ الزَّيْتُ
ايضاً في بعضِ الرَّواياتِ الحاصرةِ، ^٣ وافتنى به الفقهاءُ، وانتَ تعلمُ أنَّ
الزَّيْتِ ليس مما تحتاجُ اليه عامَّةُ النَّاسِ، بل كان إداماً في بعضِ المناطقِ
كالشَّامِ وإمثالها. وقد كَثُرَتِ البلادُ التي تنحصرُ اقواتُ أهلها في الأرزِ
او الدُّرَّةِ مثلاً، ويصيرُ احتكارُهُما موجِباً لصيرورتِهِم بلاطعامٍ. فهل يجوزُ

١ - «ولفظُ الكراهةِ بحسبِ اللَّفْظِ واصطلاحِ الكتابِ والسُّنَّةِ، اعْمُ من الحرمةِ والكراهةِ المصطلحةِ عند
الفقهاءِ، بل لعلَّ ظهورها في الحرمةِ كان اقوى - كما هو ظاهرٌ لمن تتبَّعَ مواردَ استعمالِ اللَّفْظِ في
الكتابِ والسُّنَّةِ، كقوله تعالى: «وَكُرْهُ اليكُم الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصيانَ»، وقوله في سورةِ الإسراءِ
بعد النهيِ عن مثلِ الزَّنا و قتلِ الاولادِ واكلِ مالِ اليتمِ ونحو ذلك: «كل ذلك كان سيئه عند ربك
مكروهاً»، ونحو ذلك. وحينئذٍ فاذا دلَّ دليلٌ على كونِ عملٍ مكروهاً للشَّارعِ المقدَّسِ فلا يجوزُ
ارتكابهُ الا اذا ورد دليلٌ على الترخيصِ فيه، نظيرَ ما ذكرُوهُ في بابِ النهيِ».

٢ - الوسائل ١٢ / ٣١٣.

٣ - الكافي ٥ / ١٦٥ - حُمِلَ على ما إذا كان بقدرِ حاجةِ النَّاسِ - (تعاليق «الكافي»).

٤ - وكذلك اشياءُ أُخرى؛ راجع: الحديث ٢، في الصُّلب.

احتكارهما في هذه البلاد ولا يجوز احتكار مثل الزبيب او الزيت فيها؟ وهل تكون حاجتهم الى الأرز او الذرة اقل من حاجتهم الى الزبيب؟».

ط - «بل وربما تكون حاجة الناس الى بعض الاشياء من غير الاقوات ايضاً، في زمان او بلد خاص، اشدّ بمراتب من حاجتهم الى مثل الزيت والزبيب، كما اذا شاع مرض في منطقة خاصّة واشتدّت حاجة الناس الى دواء خاص يتوقّف عليه حفظ حياتهم او سلامتهم، فاحتكره بعض الصيادلة. او وقعت الحكرة في جميع الالبسة الصيفية والشتوية وموادها الاوليّة، او في مثل الوقود والمياه والاراضي ونحوها، ووقع الناس في ضيق شديد لذلك. وقد اوضح امير المؤمنين «ع» في كتابه الى مالك ما هو الملاك في المنع من الاحتكار، فقال في شأن التّجار: «واعلم - مع ذلك - أنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات. وذلك باب مضرّة للعامّة، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار». ولم يذكر «ع» الاشياء الخاصّة ولا الاقوات مع كونه في مقام البيان».

ي - «وبالجملة، ليست احكام الشريعة الاسلامية جزافيةً، بلاملاك، بل شرّعت على اساس المصالح والمفاسد، وليست ايضاً لزمان خاص او مكان خاص، بل شرّعت لكافة الناس في جميع البلدان الى يوم القيامة. وحاجات الناس وضروريات معاشهم تختلف بحسب الازمنة والحالات والظروف، واطلاقات الروايات الكثيرة الناهية عن مطلق الحكرة تشمل الجميع. ومناسبة الحكم والموضوع وملاحظة الملاك ايضاً تقتضيان الاخذ بالاطلاق. والاخبار الحاصرة ايضاً بنفسها مختلفة، فترى الزيت المذكوراً فيماروي عن النبي «ص» ولم يذكر فيما روي عن

١ - أمين النظر في هذه الكلمة (الاراضي)، حيث يجعلها المؤلف من «موضوعات الاحتكار»، وهو الحق.

امير المؤمنين «ع»، وترى الملح مذكوراً في كلام الشيخ ومن بعده ولم يذكر في كلام من قبله ولا في الروايات. فأحدس من جميع ذلك عدم انحصار الاحتكار المحرم في اشياء خاصة^١.

ومما يؤيد التعميم، هو «العموم» المستفاد من صريح كلمة «المنافع»، الواردة في العهد الأشتري (واحتكاراً للمنافع)؛ فالحكرة تشمل كل ما ينفع الناس في حاجياتهم المعيشية، في مختلف الفصول والأوساط والقرى والأمصار؛ فالأخبار المعددة تحمل على ذكر المثال لبيان الحصر.

تنبيه

ولا يذهب على الباحث، أن شيخنا النجفي صاحب «الجواهر» يميل أيضاً إلى التحريم والتعميم؛ أما التحريم فبملاكاتٍ آخر، كقصد الإضرار بالمسلمين، أو شراء جميع الطعام وتسعيه بما يشاء، أو تسبيبه للغلاء، أو اطباق المعظم عليه على وجه يحصل الغلاء والإضرار، وما إلى ذلك^٢. وأما التعميم فقد قال: «بل هو كذلك في كل حبس لكل ما تحتاجه النفوس المحترمة ويضطرون إليه ولا مندوحة لهم عنه، من مأكولٍ أو مشروبٍ أو ملبوسٍ أو غيرها، من غير تقييد بزمانٍ دون زمان، ولا اعيانٍ دون اعيان، ولا انتقالٍ بعقد، ولا تحديدٍ بحدٍّ، بعد فرض حصول الاضطرار. بل الظاهر تسعيه حينئذٍ بما يكون مقدوراً للطالبين، اذا تجاوز الحد في الثمن. بل لا يبعد حرمة قصد الاضطرار بحصول الغلاء ولو مع عدم حاجة الناس ووفور الاشياء، بل قد يقال بالتحريم بمجرد قصد

١ - الاحتكار والتسعير / ١١ - ١٢، ١٤، ١٨، ٣٥، ٤٠، ٤٤ - ٤٦.

٢ - الجواهر ٢٢ / ٤٨٠ - ٤٨١.

الغلاء وحبّه وان لم يقصد الإضرار. ويمكن تنزيل القول بالتحريم على بعض ذلك»^١.

ثم تأمل في كلام هذا الفقيه الكبير، حيث لا يكفي بتسوية «التسعير» فقط، بل يُحدّده بما كان مقدوراً للطالبين. هكذا فليكن وعي الفقيه الاسلامي، في رعاية جانب الضعفاء والجماهير، ومقاطعة المستكبرين الاقتصاديين وميولهم.

ايقاظ

لقد سلف ان قلنا - تبعاً للنصوص القرآنية والتعاليم الحديثية - أنّ القسط واقامته في الناس، هو المقياس الرئيسي الوحيد لكل حكم ورأي وفتوى واتجاه في الاسلام؛ فكل ما قصر عنه او طاوله فهو مرفوض. واذنا نظر اي ناظر الى الموضوع بمنظار القسط وارسائه في الجماهير، فلا يبقى له اي ترديد في هذه المسائل الخمسة:

- ١ - حرمة الاحتكار.
 - ٢ - تعميمه لكل ما تحتاج اليه النفوس.
 - ٣ - لزوم اجبار المحتكر على البيع.
 - ٤ - لزوم التسعير عند التضخم والاجحاف.
 - ٥ - تحديد الثمن بما يكون مقدوراً للطالبين.
- على حدّ قول شيخنا صاحب «الجواهر» - في صور لا تؤدي الى ظلم بالنسبة الى مالك أو بائع.

الفصلُ السادس عشر

الإنفاق (١)

- نظرة عامة

ألا! إنَّ الإنفاقَ من أهمِّ الاصولِ التَّعليميةِ والتَّربويةِ، في سياسةِ الاسلامِ الاجتماعيَّةِ ومذهبهِ الاقتصاديِّ. إنَّه أصلُ جذريُّ هامٌّ مستوعبٌ لجوانبِ الحياةِ الانسانيَّةِ، هدَّامٌ لقواعدِ التَّكاثُرِ والِإتِرافِ، بناءً لحياةٍ زاخرةٍ بالقيِّمِ، ملئيةٍ بالانسانيةِ والفضيلةِ، متماسكةٍ بالنُّضجِ والقوامِ للجماهيرِ.

والمقصودُ بالانفاقِ هو بَدَلُ المالِ وعدمُ امساكِهِ، وتصيُّرهِ دائراً بينِ النَّاسِ، ودفعُهُ للآخرينِ ممَّنِ يحتاجون اليه، لمقاصدِ صالحةٍ مختلفةٍ، وللمُنظَّماتِ المفيدةِ لشتَّى الغاياتِ الصَّالحةِ.

ويَتَبَلَّوْرُ من إمعانِ النَّظْرِ في الآياتِ القرآنيَّةِ والاحاديثِ الاسلاميَّةِ، اهميةُ هذا الاصلِ الجذريِّ، وعمقه الشَّاسِعِ، ودوره الصَّامِدِ، وطابعه الحياتيُّ القويمِ، وتأثيره الاقتصاديُّ المُطَوَّرِ. ويَتَّضِحُ كذلك أنَّه من اعظمِ التَّكاليفِ الاسلاميَّةِ والاصولِ العمليَّةِ، واعمقها اثراً وابعدها مدًى.

ونحن عَقَدْنَا عَشْرَةَ فصولٍ، للانفاقِ في هذا البابِ، وسنأتي ضمنَ عناوينها، بآياتِ الكتابِ السَّماويِّ، واحاديثِ النَّبيِّ «ص» و

- اوصيائه الهادين «ع»، لكي نُلقي ضوءاً على مقدارِ ما لهذا الاصلِ العظيمِ العمليِّ المُطوَّرِ من الاهميّة، في حقولِ الحياةِ الاسلاميّةِ عامّة، وفي ابعادِ الانسانيّة والحركة والتّقدّمِ والابلاغِ والتّطويرِ كافّة، فالى المُلتقى :

أ - الإنفاق، مبنى واصل

الكتاب

- ١ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَأَحْسِنُوا، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ *
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ..^٢
- ٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ..^٣
- ٤ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ..^٤
- ٥ .. وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ ..^٥

١ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٥٤.

٣ - سورة البقرة (٢) : ٢٦٧.

٤ - سورة المنافقون (٦٣) : ١٠.

٥ - سورة التغابن (٦٤) : ١٦.

الحديث

- ١ النبي «ص»: لم نُبْعَثْ لجمعِ المالِ ولكن بُعِثْنَا لِانْفَاقِهِ ١.
- ٢ النبي «ص»: مَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ الْمَالَ ٢.
- ٣ النبي «ص»: طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ فَضْلَاتِ مَالِهِ ٣.
- ٤ النبي «ص» - قَامَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ «ص» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لِي لَا أُحِبُّ الْمَوْتَ؟ قَالَ: «أَلَيْكَ مَالٌ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَقَدَّمَهُ». قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «فَإِنَّ قَلْبَ الرَّجُلِ مَعَ مَالِهِ، إِنْ قَدَّمَهُ أَحَبَّ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ، وَإِنْ أَخَّرَهُ أَحَبَّ أَنْ يَتَأَخَّرَ مَعَهُ» ٤.
- ٥ الامام علي «ع»: أَمْسِكِ الْمَالَ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ ٥.
- ٦ الامام علي «ع»: كُنْ جَوَادًا مُؤَثِّرًا، أَوْ مُقْتَصِدًا مُقَدَّرًا، وَإِيَّاكَ وَالثَّلَاثَ ٦.
- ٧ الامام علي «ع»: مَنْ الْوَاجِبِ عَلَى الْغَنِيِّ أَنْ لَا يَضُنَّ عَلَى الْفَقِيرِ بِمَالِهِ ٧.
- ٨ الامام الباقر «ع» - فِي قَوْلِهِ: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ..»: فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ كَنْزَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَمَرَ بِانْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٨.

١ - مشكاة الانوار / ١٨٣ .

٢ - البحار ٧٢ / ٤٧، عن «روضة الواعظين».

٣ - البحار ٧١ / ٢٨٧ .

٤ - مجمع البيان ٨ / ٤٠٧ .

٥ - نهج البلاغة / ٨٧١: عبده ٣ / ٢٣ .

٦ - غرر الحكم / ٢٤٤ .

٧ - غرر الحكم / ٣٠٤ .

٨ - تفسير القمي ١ / ٢٨٩ .

- ٩ الامام الباقر «ع»: يا ابن اَرطاة! كيف تواسيكم؟ قلت: صالح يا ابا جعفر!
قال: «يَدْخُلُ احْدُكُمْ يَدَهُ فِي كَيْسِ اخِيهِ فَيَأْخُذُ حَاجَتَهُ اِذَا اِحْتِاجَ اِلَيْهِ؟»
قلت: اما هذا فلا، فقال: «لَوْ فَعَلْتُمْ مَا اِحْتَجْتُمْ»^١.
- ١٠ الامام الصادق «ع»: المؤمن من .. انفق الفضل من ماله ..^٢

ب - الإنفاق، من اركان الايمان

الكتاب

- ١ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
إِيمَانًا، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *^٣

* تُعَدُّ الآياتان للايمان خمسة اركان، فتقولان بكلمة الحصر:

إنما المومنون الذين :

- ١ - اذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ،
- ٢ - وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ اِيْمَانًا ؛
- ٣ - وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ؛
- ٤ - الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ؛
- ٥ - وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ .

١ - البحار ٧٨ / ١٨٥، عن «كشف القمّة».

٢ - الوسائل ١١ / ١٤٧.

٣ - سورة الانفال (٨) : ٣ - ٤.

الحديث

- ١ الامام السجاد «ع»: .. إن من اخلاقِ المؤمنِ الانفاق، على قدرِ الإقتار.^١
- ٢ الامام الصادق «ع»: المؤمنُ مَنْ .. أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: يا ابنَ جُنْدَبِ! إِنَّمَا شِيعَتُنَا يُعْرَفُونَ بِخِصَالٍ شَتَّى: بِالسَّخَاءِ وَالْبَذْلِ لِلْإِخْوَانِ..^٣

ج - الإنفاق، من دعائم الحياة الاجتماعية وبقائها

الكتاب

- ١ ها أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ، وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ*^٤

الحديث

١ - البحار ٧٨ / ١٤٠.
٢ - الوسائل ١١ / ١٤٧.
٣ - البحار ٧٨ / ٢٨١.
٤ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٨.

١ الامام السجاد «ع» : .. الذُّنُوبُ الَّتِي تَحْبِسُ غَيْثَ السَّمَاءِ : جُورُ الْحُكَّامِ فِي الْقَضَاءِ .. وَمَنْعُ الزَّكَاةِ وَالْقَرْضِ وَالْمَاعُونَ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ عَلَى أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، وَظَلْمُ الْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ، وَانْتِهَارُ السَّائِلِ وَرُدُّهُ بِاللَّيْلِ.^١

د - الإنفاق، زينة اليقين

٢ النبي «ص» : بذلُ الموجودِ زينةُ اليقين.^٢

هـ - الإنفاق، اعظم نعمة

٣ الامام علي «ع» : إنَّ انْفَاقَ هَذَا الْمَالِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، اعْظَمُ نِعْمَةٍ.^٣

* نجيءُ بالنظرة الى فصول الانفاق، آخرَ فصوله العَشْرَةَ، وهو الفصلُ الخامسُ والعشرون، في الجزء السادس، فلاحظ .

١ - البحار ٧٣ / ٣٧٦، عن «معاني الاخبار».

٢ - البحار ٧٧ / ١٣١.

٣ - غرر الحكم / ١٠١.

الفصل السابع عشر

الإنفاق (٢)

- عظمته وأهميته

أ- رديف الايمان بالغيب

الكتاب

١ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *^١

ب- رديف اقامة الصلاة

الكتاب

١ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ..^٢

١ - سورة البقرة (٢) : ٣.

٢ - سورة الرعد (١٣) : ٢٢.

٢ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا: يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ..

ج - رديف القتال في سبيل الله والجهاد بالنفس

الكتاب

١ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ .. وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..

* قال الطبرسي: «لَمَّا أَوْجَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، الْقِتَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَقَّبَهُ بِذِكْرِ الْإِنْفَاقِ فِيهِ فَقَالَ: "وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، مَعَاهُ: وَأَنْفِقُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي الْجِهَادِ وَطَرِيقِ الدِّينِ؛ وَكُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَأَبْوَابِ الْبِرِّ فَهُوَ سَبِيلُ اللَّهِ، لِأَنَّ السَّبِيلَ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ وَالِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ، لِأَنَّهُ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْجِهَادِ، لِأَنَّ الْجُودَ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ. وَالْجِهَادُ هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يُخَاطِرُ فِيهِ بِالرُّوحِ فَكَانَتْ لَهُ مَزِيَّةٌ»^٣.

٢ اِنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا، وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..

* قال الطبرسي: «وهذا يدلُّ على أَنَّ الْجِهَادَ بِالنَّفْسِ

١ - سورة ابراهيم (١٤) : ٣١.

٢ - سورة البقرة (٢) : ١٩٣ و ١٩٥.

٣ - مجمع البيان ٢ / ٢٨٨ - ٢٨٩.

٤ - سورة التوبة (٩) : ٤١.

والمالِ واجبٌ علي من استَطَاعَ بهما. ومن لم يَسْتَطِعْ علي
الوجهين فعليه أن يُجَاهِدَ بِمَا اسْتَطَاعَ»^١.

الحديث

١ الامام علي «ع»: .. الله! الله! في الجهادِ باموالِكُم وانفُسِكُم والسِنَتِكُم في
سبيلِ الله ..^٢

* ومما ينبغي أن يتذكَّره الملتزمون من المؤمنين، أن الجهادَ
بالاموالِ والانفسِ لا يكونُ جهاداً مشكوراً عند الله سبحانه، إلا اذا
كان لله وفي سبيلِ الله . واذا كان لله ووقع لله، فلا يمكنُ أن يُمَنَّ به
صاحبه على الاسلامِ والمسلمين، لأن الله يقول: «يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ
اسْلَمُوا، قُلْ: لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم، بَلِ اللَّهُ يُمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ
هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *»^٣. فعالمُ غيبِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ، البصيرُ بما يَعْمَلُهُ النَّاسُ، يَعْلَمُ مَا أَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِهِ، فَهُوَ
يَجْزِيكُمْ بِهِ، فَلَا تَمُنُّوا بِهِ عَلَى الدِّينِ وَاهْلِهِ، وَلَا تَطْلُبُوا بِهِ جَاهاً أَوْ
نَفُوداً، أَوْ تَبْدِيلَ حُكْمٍ، أَوْ تَغْيِيرَ قَانُونٍ، لِلْبُلُوغِ إِلَى غَايَاتٍ
لَا يَرْضَى عَنْهَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ «ص» .

ولقد اخبر النبي «ص» عن قومٍ من الاغنياء يُمْنُونَ بِدِينِهِمْ

١ - مجمع البيان ٥ / ٣٣ .

٢ - نهج البلاغة ٩٧٨: عبده ٣ / ٨٦ .

٣ - سورة الحجرات (٤٩): ١٧ - ١٨ .

على الله، وَيَسْتَحِلُّونَ الْمُحْرَمَاتِ، فقال فيما رواه الامام امير المؤمنين: «يا علي! إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بِأَمْوَالِهِمْ، وَيُؤْمِنُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنُّونَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الكاذبة، والاهواءِ السَّاهية، فيَسْتَحِلُّونَ الخمرَ بالنَّبيذ، والسُّحْتِ بالهدية، والرِّبَا بالبيع»^١.

ولعلَّ الايَّامَ عَوَجٌ رَوَّاجِع، وكانَ الزَّمانَ يَرَعْفُ فِي الطَّالِعِينَ بما رَعَفَ بِهِ فِي الغابِرِينَ . فكم من أناسٍ هناك يَمُنُّونَ بِأَمْوَالٍ دَفَعُوهَا لِلنَّفَقَاتِ الدِّينِيَّةِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى دِينِ اللَّهِ وَاهِلِهِ . وفي حين أنَّهم يَتَمَنُّونَ رَحْمَةَ اللَّهِ - كما قاله النَّبِيُّ «ص» - يَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، فيَسْتَغْلُوا النَّاسَ، ويُشِيرُوا العِراقِيلَ فِي سَبِيلِ آيَةِ دَعْوَةٍ أَوْ فِكْرٍ يَمَكُنُ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى احْتِقاقِ حَقِّ مُحْرُومٍ أَوْ اجْبِر، وَيَسْتَحِلُّوا حَرَامَ اللَّهِ بِالشُّبُهَاتِ الكاذبةِ وَالْأَهْواءِ السَّاهيةِ . و ممَّا وصفهم بِهِ النَّبِيُّ «ص»، يُعَلِّمُ أَنَّهُمْ هُمُ الْمُسْتَوْرِدُونَ وَاهِلُ الْأَسْواقِ وَأَصْحابُ الْمَعامِلِ الْكَبيرةِ وَالْإِقطاعِيِّينَ مِنَ الْمُتكاثِرِينَ وَأَصْحابِ الْأَمْوالِ، فَتَأَمَّلْ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الْمَصْدَرِ، الْعُلُوِّيَّ الْمَأْخُذَ، حَتَّى تَرَى الْعَجَبَ الْعُجَابَ، حَيْثُ أَخْبَرَ «ص» فِي سالفِ الزَّمانِ، عَنِ أَشْياءَ تَقَعُ مِنْ أَصْحابِ الْأَوْصافِ الْمَذْكُورَةِ، كُلِّ يَوْمٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ!

د - رديف السَّهرِ لصلاةِ اللَّيْلِ وَالتَّجافِي عَنِ الْمُضاجِعِ

الفصل السابع عشر: الانفاق (٢)

١ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *^١

* لعلَّ القارئ لا يخفى عليه امران من مغازي هاتين الآيتين :

١ - سمو وصف الانفاق، حيث جاء رديفاً للتجافي عن

المضاجع ودعوة الرب تعالى، خوفاً وطمعاً.

٢ - سمو اجر الانفاق، حيث عدَّ مما لا تصل اليه فكرة انسان .

هـ - رديف الصبر والقنوت والاستغفار بالاسحار

الكتاب

١ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ *^٢

* لا يذهب على الباحث الوقوف على تلك النكتة الهامة التي

جاءت في الآية الكريمة بحق «المنفقين»، حيث قدّموا في الذكر

على «المستغفرين بالأسحار»، مع ما للمستغفرين بالأسحار، من

زُلفى وتقرُّبٍ وأجورٍ ودرجات .

١ - سورة السجدة (٣٢) : ١٦ - ١٧ .

٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٧ .

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: ما بَلَ اللهُ العبادَ بشيءٍ أشدَّ عليهم، من إخراجِ الدّراهم^١.

* في هذا التّعليمِ الصّادقيّ ايضاً نكتةٌ هامّة، وهي أنّ الانفاقَ من اشدّ ما بَلَ اللهُ النَّاسَ به، فعلى المنفقِ أن يكونَ صابراً في الامر، صادقاً في المُعتقَد، مؤمناً بالخلف، حتى يتوفّرَ على الانفاقِ في سبيلِ الله بسهولةٍ وسماحة، غيرَ مانٍّ به على احدٍ حتى يحظى باجرٍ خالصٍ جزيل.

و- رديف النّصح لله وللرسول «ص»

الكتاب

١ ليسَ على الضّعفاءِ ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما يُنفقون حَرَجٌ اذا نَصَحُوا لله ورسوله^٢.

ز- رديف الاستجابة للربّ تعالى

١ - الخصال / ٨.

٢ - سورة التوبة (٩) : ٩١.

الكتاب

١ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * ١

ح - احد ملاكات الايمان الحق

الكتاب

١ .. وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * اولئك هم المؤمنون حقا.. ٢

ط - من علائم الصدق والالتزام

الكتاب

١ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، اولئك هم الصادقون * ٣

١ - سورة الشورى (٤٢) : ٣٨.

٢ - سورة الانفال (٨) : ٣ - ٤.

٣ - سورة الحجرات (٤٩) : ١٥.

ي - من سمات المتقين

الكتاب

- ١ .. هَدَى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ .. وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * ١
- ٢ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ الْاَرْضُ، أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ .. ٢

* قال الطبرسي: «... فأول ما عدّد الله من اخلاق اهل الجنة السخاء . ومما يؤيد ذلك من الاخبار ما رواه انس بن مالك عن النبي «ص» انه قال : "السخاء شجرة في الجنة، اغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصن من اغصانها قادته الى الجنة . والبخل شجرة في النار، اغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصن من اغصانها قادته الى النار". وقال علي «ع»: "الجنة دار الاسخياء". وقال «ع»: "السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار . والبخيل (بعيد من الله)، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار"» ٣.

يا - درجات ومغفرة و رزق كريم

١ - سورة البقرة (٢) : ٢ - ٣ .

٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٣٣ - ١٣٤ .

٣ - مجمع البيان ٢ / ٥٠٥ .

الكتاب

١ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *^١

يب- النجاة من الخوف والحزن اللآزمين للآنسان في احواله الآتية

الكتاب

١ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *^٢

١ - سورة الانفال (٨) : ٣ - ٤.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٧٤.

الفصل الثامن عشر

الإففاق (٣)

- آثاره الخالدة

أ - مكتوب عند الله محسوب

الكتاب

١ ولا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *^١

* قال الشيخ الطبرسي: «اي: ولا يُنْفِقُونَ فِي الْجِهَادِ وَلَا فِي غَيْرِهِ مِنْ سُبُلِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ نَفَقَةً قَلِيلَةً وَلَا كَثِيرَةً، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِعْزَازَ دِينِ اللَّهِ وَنَفْعَ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّقَرُّبَ بِذَلِكَ إِلَى اللَّهِ»^٢. وَإِنَّ مِنْ وَاجِبِ الْمُتَكَاتِرِينَ مِنَ الْإِغْنِيَاءِ الْيَوْمِ، أَنْ يَدْفَعُوا فَضْلَ أَمْوَالِهِمْ^٣.

١ - سورة التوبة (٩): ١٢١.

٢ - مجمع البيان ٥ / ٨٢.

٣ - نقول: «أموالهم»، على حسب العرف والمصطلح، والآ فان تلك الاموال الباهظة لا تحصل ولا تتكدر من حلال - بحسب القرآن والحديث، كما مر - فهي ليست كلها بأموالهم واقعا.

الفصل الثامن عشر: الانفاق (٣)

- وهو كثيرٌ باهظ - لإعزازِ دينِ اللهِ ونفعِ المسلمين في شتى
الاعراض، ولا سيما المحتاجين منهم . وإن لم يفعلوا ذلك يقضوا
على عِزَّةِ الدِّينِ وكيانِ المسلمين .^١ فعلى الحكمِ الاسلاميِّ
وعلماءِ الدِّينِ أَنْ يَهْتَمُّوا بهذا الامر، وَأَنْ يُوعِّوا الجماهيرَ ويوقظوهم
الى ذلك الجانب، قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ الامرُ من ايديهم؛ فَإِنَّ اللهَ تعالى،
لَا يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْوَاهِيَّ عِزْمَهُ، الْمُوهُونَ دِينَهُ .

ب - إخلاف الله له

الكتاب

١ .. وما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخْلِفُهُ، وهو خيرُ الرّازقين *^٢

الحديث

١ النبي «ص»: يُنادي منادٍ كلَّ ليلةٍ: ..اللَّهُمَّ هَبْ لِلْمُنْفِقِ خَلْفًا؛ وَيُنَادِي منادٍ:
اللَّهُمَّ هَبْ لِلْمُمْسِكِ تَلْفًا..^٣

١ - ولعلَّ في النَّاسِ مِنَ الْاَغْنِيَاءِ وَالْمُتَكَاتِرِينَ أَوْ مَدَافِعِيهِمْ وَمُخَالَطِيهِمْ، مَنْ يَسْتَقْبِلُ هَذَا الْكَلَامَ،

فَلَا جَلَّ ذَلِكَ نُشِيرُ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ «ص» فِي مَارِوَاهِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ «ع»، عَنْ آبَائِهِ، عَنْهُ «ص»: «مَا

مَحَقَّ الْإِسْلَامَ مَحَقَّ الشُّعْ شَيْءٌ» - (تفسير البرهان ٤ / ٣٤٤).

٢ - سُورَةُ سَبَأٍ (٣٤) : ٣٩ .

٣ - مجمع البيان ٨ / ٣٩٤ .

٢ النبي «ص»: كل معروف صدقة . وما وقى الرجلُ به عرضه فهو صدقة .
وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامناً، إلا ما كان من نفقة في بُنيانٍ
او معصية .^١

* فإذا استثنى النبي «ص» نفقات البُنيان من إخلاف الله
تعالى لها، فعلى اصحاب الابنية العظيمة، والقصور الشاهقة،
والبيوت الكبيرة والفسيحة، أن يُنفقوها بنفسها على المستضعفين
والفقراء والمحرومين - ولا سيما المقادير الزائدة والفاضلة منها،
وهي كثيرة وكثيرة - حتى يُخلفها الله لهم، فتبقى ذخراً مذكوراً؛
وإلا فلا تُعقب لهم إلا استبدالاً في الدنيا وخزياً في العقبى .

ج - أجور مضاعفة

الكتاب

١ ومثل الذين يُنفقون أموالهم ابتغاء مرضاتِ الله وتثبيتاً من أنفسهم، كمثل
جنةٍ برَبوةٍ اصابها وابلٌ فآتت أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابلٌ فطلٌّ، والله
بما تعملون بصير *^٢

٢ مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيلِ الله، كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل، في
كلِّ سنبلَةٍ مئة حبةٍ، والله يُضاعف لمن يشاء، والله واسعٌ عليم *^٣

١ - مجمع البيان ٨ / ٣٩٤ .

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٦٥ .

٣ - سورة البقرة (٢) : ٢٦١ .

* قال في التفسير: «سبيلُ الله هو الجهادُ وغيره من ابوابِ البرِّ كُلِّها.. فالآيةُ عامَّةٌ في النَّفَقَةِ في جميعِ ذلك . وهو المرويُّ عن ابي عبدالله «ع». و «كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ»، اي : أَخْرَجَتْ، «سَبْعَ سَنَابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئْتَةُ حَبَّةٍ» يعني : انَّ النَّفَقَةَ في سبيلِ الله بسبْعِ مِئَةٍ ضَعْفٍ»^١.

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الصادق : .. وَمَنْ بَسَطَ يَدَهُ بِالْمَعْرُوفِ اِذَا وَجَدَهُ، يُخْلِيفُ اللهُ لَهُ مَا انْفَقَ فِي دُنْيَاهُ، وَيُضَاعِفُ لَهُ فِي آخِرَتِهِ ..^٢
- ٢ الامام الباقر «ع» : .. وَيَحْكُ يَا مَغْرُورًا! اَلَا تَحْمَدُ مَنْ تُعْطِيهِ فَاَنْيَاً وَيُعْطِيكَ بَاقِيَاً، دَرَهْمٌ يَفْنَى بِعِشْرَةِ تَبَقَى، اِلَى سَبْعِ مِئَةٍ ضَعْفٍ مُضَاعَفَةٍ، مِنْ جِوَادِ كَرِيمٍ ..^٣
- ٣ الامام الصادق «ع» - في تفسيرِ قولِهِ تَعَالَى : «فَاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ» : مَعْنَاهُ يَتَضَاعَفُ اجْرُ مَنْ اَنْفَقَ مَالَهُ اِبْتِغَاءً مَرْضَاةِ اللهِ .^٤

د - شكران للنعمة

١ - مجمع البيان ٢ / ٣٧٤ .

٢ - الكافي ٢ / ١٥٤ .

٣ - تحف العقول / ٢١١ ؛ و ٢٩١ ، من طبعة الفارسي .

٤ - مجمع البيان ٢ / ٣٧٨ .

الحديث

١ الامام علي «ع»: لا يُحْرَزُ الشُّكْرُ إِلَّا مَنْ بَدَلَ مَالَهُ ١.

هـ - عمل لنفسك

الكتاب

١ .. وما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ ٢.

٢ .. وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ٣.

الحديث

١ الامام علي «ع»: اهلُ المعروفِ الى اصطناعِهِ اَحْوَجُ من اهلِ الحاجةِ اليه، لَانَ لَهُم اَجْرَهُ وَفَخْرَهُ وَذَكَرَهُ؛ فمهما اصطنَعَ الرَّجُلُ من معروفٍ، فإنما يبدأ فيه بنفسه، فلا يَطْلُبَنَّ شُكْرَ ما صَنَعَ الى نفسه من غيره ٤.

١ - غرر الحكم / ٣٤٩.

٢ - سورة البقرة (٢): ٢٧٢.

٣ - سورة التغابن (٦٤): ١٦.

٤ - البحار ٧٨ / ٧٩.

الفصل الثامن عشر: الانفاق (٣)

* انظر الى هذا التعليم! كيف يبعث الانسان على اداء المعروف والخير، ويسهله عليه، ويرهف الاحساس المتعالي فيه، باشراقته المنيرة؛ وكيف يصعد بالانسان الى اوج الاخلاص من جهة، ويدفعه الى الاجتناب الشديد من المن على الآخرين عند الانفاق من جهة اخرى، ويحضه على النظر الى العاقبة الخالدة من جهة ثالثة ..

انظر اليه، كيف يصنع من الانسان عاملاً صالحاً نشيطاً يقدم الخدمات الى الجماهير، ويرى نفسه احوج الى اصطناع المعروف من المحتاجين اليه، ويتعالي في النقاء الروحي الى حد لا يطلب شكر من يصطنع عنده معروفاً، بل لا يرى اصطناعه للمعروف الى احد، اصطناعاً الى شخص آخر سوى نفسه بالذات ..

هكذا فليكن التعليم، ان كان من امام الانسانية والفضيلة، ممن على كلامه مسحة من العلم الالهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي .

٢ الامام علي «ع»: يا ابن آدم! كن وصي نفسك، واعمل في مالك ما تؤثر ان يعمل فيه من بعدك.^٢

و- حمل الزاد ليوم المعاد

١ - لاحظ ايضاً: الحديث ١، من الفقرة التالية .

٢ - نهج البلاغة / ١١٩٩؛ عبده ٣ / ٢٠٩ .

الكتاب

- ١ .. وما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ *^١
- ٢ .. وما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ *^٢
- ٣ .. وما تُقَدِّمُوا لَا نَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ..^٣
- ٤ .. وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا، وَمَا تُقَدِّمُوا لَا نَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ، هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ..^٤

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : .. اذا وَجَدْتَ مِنْ اهلِ الفاقةِ مِنْ يَحْمِلُ لَكَ زادَكَ الى يومِ القيامةِ فيوافيك به غداً حيثَ تَحْتَاجُ اليه، فَاغْتَنِمْهُ وَحَمَلُهُ اِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تزويدهِ وانتَ قادرٌ عليه، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فلا تَجِدُهُ ..^٥
- ٢ الامام علي «ع» : .. أَمْسِكْ مِنَ المَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الفُضْلَ لِيَوْمِ حاجَتِكَ ..^٦
- ٣ الامام علي «ع» : .. فَقدِّمُوا فُضلاً يَكُنْ لَكُمْ، وَلَا تُؤَخِّرُوا كُلاًَّ يَكُنْ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ

١ - سورة الانفال (٨) : ٦٠.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٧٢.

٣ - سورة البقرة (٢) : ١١٠.

٤ - سورة المزمل (٧٣) : ٢٠.

٥ - نهج البلاغة / ٩٢٢؛ عبده ٣ / ٥٢.

٦ - نهج البلاغة / ٨٧١؛ عبده ٣ / ٢٣.

المحرورَ مَنْ حُرِّمَ خَيْرَ مَالِهِ . والمغبوطَ مَنْ ثَقُلَ بِالصَّدَقَاتِ والخيراتِ موازينه، وأحسَنَ فِي الْجَنَّةِ بِهَا مِهَادَهُ، وَطَيَّبَ عَلَى الصَّرَاطِ بِهَا مَسْلَكَهُ .^١

٤ الامام الحسن «ع» : .. فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَزَوَّدُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ يَتَمَتَّعُ .^٢

ز - تجارة لن تبور

الكتاب

١ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ*^٣

ح - شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة

الكتاب

١ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ، أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ* جَنَّاتٍ عَدْنٍ

١ - البحار ٧٣ / ٨٨، عن «امالي الصدوق».

٢ - البحار ٧٨ / ١١٦.

٣ - سورة فاطر (٣٥) : ٢٩.

يَدْخُلُونَهَا، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ *^١

الحديث

١ الامام علي «ع»: .. فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيُفِئِكَ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَّ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحَقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ، فَإِنَّ فَوْزًا بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرَكٌ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.^٢

ط - لا ضرر ولا نقصان في الانفاق

١ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الصادق: لا يزدادن احدكم كبراً وعِظْماً فِي نَفْسِهِ وَنَأْيًا عَنْ عَشِيرَتِهِ، إِنْ كَانَ مُوسِرًا فِي الْمَالِ.. وَلَا يَغْفُلُ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ بِهَا الْخِصَاصَةَ، أَنْ يَسُدَّهَا بِمَا لَا يَنْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكَه وَلَا يَضُرُّهُ إِنْ اسْتَهْلَكَه.^٣

* وإذا كان المال لا ينقص بالإنفاق والبذل، مع ما فيه من إسداء

الخير إلى الجماهير، والجزاء الخالد المشكور، فلماذا يُمسِكُ

الموسرون؟

١ - سورة الرعد (١٣): ٢٢ - ٢٤.

٢ - نهج البلاغة / ٤٣٢: عبده ٢ / ٣٣.

٣ - الكافي ٢ / ١٥٤.

٢ الامام الصادق «ع»: ثلاثة أُقسِمُ باللهِ أَنَّها الحقُّ : ما نَقَصَ مالٌ من صدقةٍ ولا زكاةٍ؛ ولا ظَلِمَ احدٌ بظلامَةٍ فَقَدَرَ أَنْ يُكافِيَ بها فَكَظَمَها الاَّ أَبَدَلَهُ اللهُ مكانَها عِزًّا؛ ولا فَتَحَ عَبْدٌ على نَفْسِهِ بابَ مسألةٍ الاَّ فَتَحَ عليه بابَ فقرٍ.^١

ي - المال مال بالانفاق لا بالامساك

١ الامام علي «ع»: لم يُرْزَقِ المالَ مَنْ لم يُنْفِقْهُ.^٢

* نعم، لم يُرْزَقِ المالَ من لم يُنْفِقْهُ؛ اذ المنفقُ باقٍ والمُمسِكُ فانٍ، ومن رُزِقَ الفاني فكأنه لم يُرْزَقِ شيئاً.

يا - لا توفيق الا في الانفاق

١ الامام علي «ع»: لم يُوفَّقْ مَنْ بَخِلَ على نَفْسِهِ بخيرِهِ، وخَلَفَ مالَهُ لغيرِهِ.^٣

يب - ليس لك الا ما انفقت

١ الامام علي «ع»: ليس لا حدٍ من دنياه، الا ما انفقَهُ على اُخْراءِهِ.^٤

٢ الامام علي «ع»: وَاعْلَمَ أَنَّ افضلَ المؤمنين افضلُهُم تَقْدِمةً^٥ من نَفْسِهِ واهلِهِ ومالِهِ؛ فَإِنَّكَ ما تَقَدَّمُ من خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذُخْرُهُ، وما تُؤَخِّرُهُ يَكُنْ لغيرِكَ خَيْرُهُ.^٦

١ - البحار ٧٢ / ٢٠٩، عن «كشف الغمة».

٢ و٣ و٤ - غرر الحكم / ٢٥٩.

٥ - اي: بدلاً وانفاقاً.

٦ - نهج البلاغة / ١٠٦٩؛ عبده ٣ / ١٤٢.

يج - لا ينفق المال بلا انفاق

١ الامام علي «ع»: المال لا ينفَعُكَ حتى يُفَارِقَكَ. ١

يد - شرّ المال ما لم ينفق منه (١)

١ النبي «ص»: من أدّى زكاةَ ماله، فقد ذهبَ عنه شرُّه. ٢

يه - شرّ المال ما لم ينفق منه (٢)

٢ الامام علي «ع»: شرُّ المالِ ما لم يُنْفَقْ في سبيلِ الله منه، ولم تُؤَدَّ زكاته. ٣

١ - غرر الحكم / ٣٤.

٢ - المهذب، لابن البرّاج ١ / ١٥٧.

٣ - غرر الحكم / ١٩٦.

الفصلُ التاسعُ عشر

الإِنْفَاقُ (٤)

- احوال و اوقات

الكتاب

أ - سرّاً

- ١ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً..^١
- ٢ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا: يُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً..^٢

ب - علانيةً

- ١ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً
وعلانيةً..^٣

١ - سورة الرعد (١٣): ٢٢.

٢ - سورة ابراهيم (١٤): ٣١.

٣ - سورة الرعد (١٣): ٢٢.

٢ قل لعبادِي الَّذِينَ آمَنُوا: يُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وعِلَانِيَةً..^١

ج - بالليل

١ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ..^٢

د - بالنهار

١ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ..^٣

هـ - في السراء

١ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ..^٤

و - في الضراء

١ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ..^٥

ز - فرص مؤاتية والتحذير من فواتها

١ - سورة ابراهيم (١٤) : ٣١.

٢ و ٣ - سورة البقرة (٢) : ٢٧٤.

٤ و ٥ - سورة آل عمران (٣) : ١٣٣ - ١٣٤.

الكتاب

- ١ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ..^١
- ٢ .. أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ..^٢
- ٣ .. وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ، سِرًّا وَعَلَانِيَةً، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ.^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - فيما أوصى به ابنه الحسن : وَأَغْتَنِمَ مَنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قِضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.^٤
- ٢ الامام علي «ع» : يَا ابْنَ آدَمَ! كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ، وَاعْمَلْ فِي مَالِكَ مَا تُؤَثِّرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ.^٥
- ٣ الامام علي «ع» - سُئِلَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» : مَنْ اعْظَمُ النَّاسِ حَسْرَةً؟ قَالَ : مَنْ رَأَى مَالَهُ فِي مِيزَانٍ غَيْرِهِ، وَأَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِ النَّارَ وَأَدْخَلَ وَارثَهُ الْجَنَّةَ..^٦
- ٤ الامام علي «ع» - لابنه الحسن : يَا بُنَيَّ! لَا تُخَلِّفَنَّ وِرَاءَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا،

١ - سورة المنافقون (٦٣) : ١٠.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٥٤.

٣ - سورة ابراهيم (١٤) : ٣١.

٤ - نهج البلاغة / ٩٢٢ : عبده ٣ / ٥٢.

٥ - نهج البلاغة / ١١٩٩ : عبده ٣ / ٢٠٩.

٦ - البحار ٧٣ / ١٤٢.

فإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لَا حِدْرَ جَلِينٍ : إِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بَطَاعَةَ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ
بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ، فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ
عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذِينَ حَقِيقًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ^١.

٥ الامام علي «ع»: تَنَافَسُوا فِي صَدَقِ الْأَقْوَالِ، وَبَذَلِ الْأَمْوَالِ^٢.

٦ الامام علي «ع»: .. فَاللَّهُ، اللَّهُ، مَعْشَرَ الْعِبَادِ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ، فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ
السَّقَمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَغْلَقَ رَهَائِنُهَا .. وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ^٣.

ح - اهمية الانفاق في ازمنة العسرة واليأس من غلبة الحق

الكتاب

١ .. لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ
الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا، وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى^٤ ..

ط - الانفاق، بذل و بذل

١ - نهج البلاغة / ١٢٨٠، عبده ٣ / ٢٥٢.

٢ - غرر الحكم / ١٥٦.

٣ - نهج البلاغة / ٦٠٧؛ عبده ٢ / ١٣٦.

٤ - سورة الحديد (٥٧) : ١٠.

الكتاب

١ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً..^١

* قال الطبرسي: «بَيَّنَّ سبحانه، كَيْفِيَّةَ الانْفَاقِ وَثَوَابَهُ، فَقَالَ: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً»، فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ، أَي يُنْفِقُونَ عَلَى الدَّوَامِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَوْقَاتَ مُعَيَّنَةٌ لِلصَّدَقَاتِ، وَلَا وَقْتَ لَهَا سِوَاهَا».^٢

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: لَيْسَ مِنْ شِيَعَتِنَا مَنْ مَلَكَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، إِلَّا مَنْ أَعْطَى يَمِينًا وَشِمَالًا وَقُدَّامًا وَخَلْفًا.^٣

ي - هم الأخسرون إلا المنفقين

١ النبي «ص» - ابوذر الغفاري قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ «ص» وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَلَمَّا رَأَى أَنِي قَدْ أَقْبَلْتُ قَالَ: «هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الكَعْبَةِ! هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الكَعْبَةِ!». قَالَ: فَدَخَلَنِي غَمٌّ وَجَعَلْتُ أَنْتَفِسُ وَقُلْتُ هَذَا

١ - سورة البقرة (٢): ٢٧٤.

٢ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٨.

٣ - مشكاة الانوار / ٢٧٤.

شيءٌ حَدَّثَ فِيَّ . قال (ابوذرّ): قلتُ : من همُ فِدَاكِ أَبِي وَأُمِّي؟ قال :
«الأكثرُونَ، إلاّ من قال بالمالِ في عبادِ الله هكذا وهكذا، عن يمينه وشماله
ومن خلفه، وقليلٌ ما هم»^١.

الفصلُ العشرون

الإنفاق (٥)

- بعض مناشئ اهماله و تركه

أ - سوء الظن بالله تعالى

الكتاب

١ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية..^١

الحديث

١ - الامام الصادق «ع» : منع الموجود، سوء ظن بالمعبود.^٢

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٥٤ .

٢ - البحار ٦٨ / ٢٠٧ .

ب - النفاق والكذب

الكتاب

١ فلما آتاهم من فضله بخلوا به، وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه، وبما كانوا يكذبون * ١

الحديث

١ النبي «ص» - قيل نزلت (الآية المذكورة) في ثعلبة بن حاطب، وكان من الانصار، فقال للنبي «ص»: ادع الله ان يرزقني مالا . فقال : يا ثعلبة! قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، اما لك في رسول الله اسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده، لو اردت ان تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت . ثم اتاه بعد ذلك فقال : يا رسول الله! ادع الله ان يرزقني مالا، والذي بعثك بالحق، لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه . فقال «ص»: «اللهم ارزق ثعلبة مالا». قال فأتخذ غنماً، فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، فنزل وادياً من اوديتها، ثم كثرت نمواً حتى تباعدت عن المدينة، فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة . وبعث رسول الله «ص» اليه المصدق ليأخذ الصدقة، فابى وبخل وقال : ما هذه الا

اِخْتُ الْجَزِيَّةُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» : يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ، يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ، وَأَنْزَلَ
اللَّهُ الْآيَاتِ ١..

ج - الكفر

الكتاب

١ وما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا يَأْتُونَ
الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى، وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ * ٢

مغبات ترك الإنفاق وإهماله

١ - المغبات الفردية

أ - الدنيوية

الكتاب

١ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي

١ - مجمع البيان ٥ / ٥٣.

٢ - سورة التوبة (٩) : ٥٤.

عنه ماله إذا تردّي * ١

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: إنَّ اعطاءَ هذا المال قُنيَّةً، وامساكَه فتنةٌ. ٢
- ٢ الامام الباقر «ع»: قام ابوذرٌ - رحمةُ الله عليه - عند الكعبة .. فأكتنَفَه النَّاسُ، فقال: .. اجعلِ الدُّنيا درهمين: درهماً أنفقته على عيالك، ودرهماً قدّمتَه لآخرتك. والثالثُ يضرُّ ولا يَنْفَعُ فلا تُردّه. ٣

ب - الأخرويّة

الكتاب

- ١ .. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ، هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ، فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ * ٤

١ - سورة الليل (٩٢): ٨ - ١١.

٢ - غرر الحكم / ١٠١.

٣ - الخصال / ٤٠.

٤ - سورة التوبة (٩): ٣٤ - ٣٥.

الحديث

١ النبي «ص» : من ترك كنزاً مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان، يتبعه ويقول : ويلك ما أنت؟ فيقول : أنا كنزك الذي تركت بعدك . فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضّمها، ثم يتبعه سائر جسده .^١

٢ النبي «ص» : ما من عبد له مال ولا يؤدي زكاته، إلا جمع يوم القيامة صفائح، يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنباؤه وظهره، حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله، إما الى الجنة وإما الى النار!^٢

* واضح أن منع الزكاة من مصاديق ترك الانفاق - كما يلمح

الى ذلك كلام امير المؤمنين «ع» : «إعطاء هذا المال في حقوق

الله داخل في باب الجود».^٣

٣ الامام الصادق «ع» : .. يا اسماعيل! من آتاه اخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له، سلط الله عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره، الى يوم القيامة، مغفوراً له او مُعذباً.^٤

٢ - المغبات الاجتماعية

أ - الدنيوية

١ و ٢ - مجمع البيان ٥ / ٢٦ .

٣ - غرر الحكم / ٥٤ .

٤ - البحار ٧٥ / ١٧٤ ، عن «ثواب الاعمال» .

الكتاب

- ١ ها انتم هؤلاء تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ، وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَإِنَّمَا الْفُقَرَاءُ، وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ *^١
- ٢ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ..^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَخْتَصُّهُمْ اللَّهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، فَيُقْرِئُهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَدَّلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ»^٣.

ب - الأخروية

الكتاب

- ١ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ،

١ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٨.

٢ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥.

٣ - نهج البلاغة / ١٢٨٥ : عبده ٣ / ٢٥٥.

سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..^١

٣ - المغبة الكبرى : الابتعاد عن الله تعالى

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن آبائه : السخي قريب من الله ..
والبخيل بعيد من الله ..^٢
- ٢ الامام علي «ع» : .. لا حاجة لله فيمن ليس لله في ماله ونفسه نصيب .^٣
- ٣ الامام علي «ع» : فلا اموال بذلتموها للذي رزقها ..^٤
- ٤ الامام الصادق «ع» : أيما رجل من اصحابنا استعان به رجل من اخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكل جهد، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين . قال ابو- بصير : قلت لأبي عبد الله «ع» : ما تعني بقولك : والمؤمنين؟ قال : من لدن امير المؤمنين «ع» الى آخرهم .^٥
- ٥ الامام الصادق «ع» : أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج اليه وهو يقدر عليه، من عنده او من عند غيره، اقامه الله عز وجل يوم القيامة مسوداً وجهه،

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٨٠ .

٢ - البحار ٧٣ / ٣٠٨، عن كتاب «الامامة والتبصرة».

٣ - نهج البلاغة / ١١٤٦ : ٣ / ١٨٠ .

٤ - نهج البلاغة / ٣٦٦ : عبده ١ / ٢٣٠ .

٥ - الكافي ٢ / ٣٦٢ : البحار ٧٥ / ١٧٥ .

مُزْرِقَةً عَيْنَاهُ، مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَيُقَالُ: هَذَا الْخَائِنُ الَّذِي خَانَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ، ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِهِ إِلَى النَّارِ.^١

٦ الامام الصادق «ع»: يا يونس! من حَبَسَ حَقَّ الْمُؤْمِنِ أَقَامَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ خَمْسَ مِئَةِ عَامٍ عَلَى رِجْلَيْهِ، حَتَّى يَسِيلَ عَرْقُهُ أَوْ دُمُهُ، وَيُنَادِي مُنَادٍ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: هَذَا الظَّالِمُ الَّذِي حَبَسَ عَنِ اللَّهِ حَقَّهُ؛ قَالَ: فَيُؤَبَّخُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِهِ إِلَى النَّارِ.^٢

اللَّهُمَّ! وَفَّقْنَا لِمَرْضَاتِكَ، وَجَنَّبْنَا مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ.

انتهى الجزء الخامس من كتاب «الحياة»، ويتلوه الجزء السادس - ان شاء الله
تعالى - ويبتدئ بـ «الفصل الحادي والعشرين»، من «الباب الثاني عشر».

١ - البحار ٧٥ / ١٧٤.

٢ - الكافي ٢ / ٣٦٧.